

الْبَيْتَانِ وَالنَّبِيَّانِ

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بجير الجاحظ

الجزء الأول

بمختصره

عبد السلام محمد هارون



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو عثمان عمرو بن بحر ، رحمه الله :

اللهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْعَمَلِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ التَّكَلُّفِ لَمَّا لَا نُحْسِنُ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعُجْبِ بِمَا نَحْسِنُ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ السَّلَاطَةِ وَالْهَذَرِ ^(١) ، كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعِيِّ وَالْحَصَرِ . وَقَدِيمًا مَا نَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا ، وَتَضَرَّعُوا ^(٢) إِلَى اللَّهِ فِي السَّلَامَةِ مِنْهَا .

وقد قال النمر بن تولب ^(٣) :

أَعِزَّنِي رَبُّ مِنْ حَصَرٍ وَعِيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالَجُهَا عِلَاجًا
وَقَالَ الْهَذَلِيُّ ^(٤) :

١٠ وَلَا حَصِرٌ بِخُطْبَتِهِ إِذَا مَا عَزَّتِ الْخُطْبُ ^(٥)
وَقَالَ مَكِّي بْنُ سَوَادَةَ ^(٦) :

(١) السَّلَاطَةُ : حدة اللسان ، والصخب . والهذر : كثرة الكلام في خطأ .

(٢) كتب إزاءها في ل : « ورغبوا » إشارة إلى أنها كذلك في نسخة .

(٣) النمر بن تولب : شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى النبي ﷺ وكتب له كتاباً ، وروى عنه حديثاً . وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم . الإصابة ٧٨٠٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة . والخزانة (١ : ٢٩١) . ويقال « النمر » بكسر الميم . وصحح ابن دريد في الاشتقاق ١١٣ أنه يفتح النون وسكون الميم .

(٤) هو أبو العيال الهذلي ، أحد الشعراء المخضرمين ، عمر وعاش إلى خلافة معاوية ، وكان هو وبدر بن عامر يسكنان مصر ، خرجا إليها في خلافة عمر بن الخطاب ، الأغاني (٢٠ : ١٦٧) والإصابة ٨٥٣ من باب الكنى .

(٥) البيت من أبيات في الأغاني . والقصيدة في شرح أشعار الهذليين للسكري ١٣٧ ، ومخطوطة الشنقيطي من الهذليين ٩٥ . وفي شرح السكري : « عزت : غلبت وقلت ، عند ملك أو في جمع » .

(٦) مكِّي بن سوادَةَ البرهمي البصري ، ذكره المرزباني في معجمة ٤٧١ .

حَصِيرٌ مُسْتَهَبٌ جَرِيءٌ جَبَانٌ خَيْرُ عَمَى الرِّجَالِ عَمَى السُّكُوتِ

وقال الآخر :

مَلَى بِيْهَرٍ وَالتَّفَاتِ وَسَعْلَةٍ وَمَسْحَةٍ عُثُونٍ وَفَتْلِ أَصَابِعٍ (١)

ومما ذُمُّوا به العَمَى قَوْلُهُ (٢) :

وَمَا بَيَّ مِنْ عَمَى وَلَا أَنْطَقُ الْخَنَاءَ إِذَا جَمَعَ الْأَقْوَامَ فِي الْخُطْبِ مَحْفَلٌ ٥

وقال الراجز وهو يَمْتَحُ بِدَلْوِهِ :

عَلَقْتُ يَا حَارِثُ عِنْدَ الْوَرْدِ بِجَانِي لَا رَفْلٍ التَّرْدَى (٣)

* وَلَا عَمَى بِإِثْنَاءِ الْمَجْدِ (٤) *

وهذا كقول بشرٍ الأعمى :

وَعَمَى الْفَعَالِ كَعَمَى الْمَقَالِ وَفِي الصَّمْتِ عَمَى كَعَمَى الْكَلِمِ ١٠

وهذا المذهب شبيه بما ذهب إليه شتيم بن خويلد (٥) في قوله :

وَلَا يَشْعَبُونَ الصَّدْعَ بَعْدَ تَفَاقُمٍ وَفِي رَفْقِ أَيْدِيكُمْ لَذَى الصَّدْعِ شَاعِبٌ (٦)

ومثل هذا قول زبَّان بن سيار (٧) :

وَلَسْنَا كَأَقْوَامٍ أَجْدُوا رِيَّاسَةً يُرَى مَالُهَا وَلَا يُحَسُّ فَعَالُهَا

يُرِيغُونَ فِي الْخِصْبِ الْأُمُورَ وَنَفْعُهُمْ قَلِيلٌ إِذَا الْأُمُورُ طَالَ هُزَالُهَا (٨) ١٥

(١) هذه رواية ل . وفي سائر النسخ والكمال ٢٠ ليسك : « الأصابع » .

(٢) هو يحيى بن سعيد ، كما في العقدة والبردة لأبي عبيدة . نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٤) .

(٣) الجاني : الذي يطلع فجأة . والرفل : الذي يمر ذيل ثوبه . والتردى : لبس الرداء ٢٠

ل : « فجاءني » صوابه في سائر النسخ . والرجز في الحيوان (٣ : ٤١٩) .

(٤) ل : « ولا عيباً » وفي هامشها : « الرواية : بجاني » . ولا عَمَى .

٢٠

(٥) شتيم بن خويلد : شاعر جاهلي ، كما في الخزانة (٤ : ١٦٤) . وشتيم بهيئة التصغير .

(٦) ل : « لدى الصدع » .

(٧) هـ : « وهذا كقول » . وزبان بن سيار بن عمرو الفزاري . شاعر جاهلي كان بينه وبين

٢٥ الحادرة الذيباني مهاجرة . الأغاني (٣ : ٧٩ — ٨٠) والاشتقاق ١٧٢ .

(٨) يريغون : يطلبون ويديرون . الأموال : الإبل .

وَقُلْنَا بَلَا عِيَّ وَسُسْنَا بَطَاقَةً إِذَا النَّارُ نَارُ الْحَرْبِ طَالَ اشْتِعَالُهَا
لَأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الْعَجَزَ وَالْعِيَّ مِنَ الْخُرْقِ ، كَانَا فِي الْجَوَارِحِ أَمْ فِي الْأَلْسِنَةِ .
وَقَالَ ابْنُ أَحْمَرَ الْبَاهِلِيُّ :

لَوْ كُنْتُ ذَا عِلْمٍ عَلِمْتُ وَكَيْفَ لِي بِالْعِلْمِ بَعْدَ تَذَبُّرِ الْأَمْرِ (١)

وَقَالُوا فِي الصَّمْتِ كَقَوْلِهِمْ فِي الْمَنْطِقِ . قَالَ أُحْيَحَةُ بْنُ الْجُلَاحِ :

وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى مَا لَمْ يَكُنْ عِيَّ يَشِينُهُ (٢)

وَالْقَوْلُ ذُو خَطَلٍ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُهُ

وَقَالَ مُحَرِّزُ بْنُ عُلْقَمَةَ :

لَقَدْ وَارَى الْمُقَابِرَ مِنْ شَرِيكِ كَثِيرٍ تَحْلُمُ وَقَلِيلَ عَابِ (٣)

صَمُوتًا فِي الْمَجَالِسِ غَيْرِ عِيَّ جَدِيرًا حِينَ يَنْطِقُ بِالصَّوَابِ ١٠

وَقَالَ مَكِّيُّ بْنُ سَوَادَةَ :

تَسَلَّمَ بِالسُّكُوتِ مِنَ الْعُيُوبِ فَكَانَ السُّكْتُ أَجْلَبَ لِلْعُيُوبِ

وَيَرْتَجِلُ الْكَلَامَ وَلَيْسَ فِيهِ سِوَى الْهَذْيَانِ مِنْ حَشْدِ الْخَطِيبِ

وَقَالَ آخِرُ (٤)

جَمَعَتْ صَنُوفُ الْعِيَّ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَكَنتَ جَدِيرًا بِالْبَلَاغَةِ مِنْ كَثْبِ (٥) ١٥

(١) فِي هَامِشٍ ل : « تَدْبِرُ هَا هُنَا مِنَ الْإِدْبَارِ » . وَفِي اللَّسَانِ : « وَعَرَفَ الْأَمْرَ تَدْبِيرًا ، أَيْ

بِأَخْرَجِهِ . قَالَ جَرِير :

وَلَا تَعْرِفُونَ الشَّرَّ حَتَّى يَصْبِيَكُمْ وَلَا تَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدْبِرُوا .

(٢) فِيمَا عَدَلَ : « أَحْسَنُ بِالْفَتَى » . وَسِعَادُ الْبَيْتَانِ فِي (٢ : ٣٧) .

(٣) ل : « كَبِيرٌ تَحْلُمُ » ، وَالْوَجْهَ مَا فِي سَائِرِ النُّسخِ .

(٤) فِي الْكَامِلِ ٢٠ لَيْسَتْ : « وَقَالَ رَجُلٌ يَصِفُ رَجُلًا مِنْ إِيَادِ الْعِيَّ ، وَكَانَ أَبُوهُ خَطِيبًا وَخَالَه » .

(٥) فِيمَا عَدَلَ : « وَكَنتَ حَرِيًّا » . وَفِي الْكَامِلِ : « وَكَنتَ مَلِيًّا » .

أَبُوكَ مُعِمٌّ فِي الْكَلَامِ وَمُخَوِّلٌ وَخَالَكَ وَثَابُ الْجَرَائِمِ فِي الْخُطْبِ

وقال حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ الْهَلَالِيُّ (١):

أَتَانَا وَلَمْ يَعِدْهُ سَحْبَانُ وَائِلٌ بَيَانًا وَعِلْمًا بِالذَى هُوَ قَائِلٌ
فَمَا زَالِ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَانَهُ مِنْ الْعِيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِأَقْلٍ
سَحْبَانُ مِثْلُ فِي الْبَيَانِ ، وَبِأَقْلٍ مِثْلُ فِي الْعِيِّ ، وَلَهُمَا أَخْبَارٌ .

وقال الآخر :

مَاذَا رُزِينَا مِنْكَ أُمَّ الْأَسْوَدِ مِنْ رَحَبِ الصَّدْرِ وَعَقْلٍ مُتَلَدٍ (٢)

* وَهِيَ صَنَاعٌ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ *

وقال آخر (٣) :

لَوْ صَخَبْتَ شَهْرَيْنِ دَابًّا لَمْ تَمَلَّ وَجَعَلْتَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلٍ وَبَلَّ (٤)
حُبَّكَ لِلْبَاطِلِ قَدَمًا قَدْ شَغَلَ كَسْبَكَ عَنْ عِيَالِنَا ، قُلْتُ : أَجَلُ
* تَضَجُّرًا مَتْنِي وَعِيًّا بِالْحَيْلِ *

(١) كذا . والصواب أن صاحب الشعر هو حميد الأرقط ، كما في اللسان (بقل ٦٥) . وحميد الأرقط شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كان معاصراً للحجاج ، كما في الخزائنة (٢ : ٤٥٤) نقلا عن الأنساب . وقد ذكر الحجاج في قوله من أبيات هذه القصيدة :

يقول وقد ألقى المراسي للقرى أين لى ما الحجاج بالناس فاعل

وأما حميد بن ثور الهلالي فصحاني عاش إلى خلافة عثمان . الإصابة ١٨٢٠ .

(٢) يقال رَجِبَ رَجْبًا ، كَحَسَنَ حَسَنًا ، وَرَجِبَ رَجْبًا كَتَعَبَ تَعَبًا . والمتلد : القديم . وفي اللسان (تلد) :

مَاذَا رُزِينَا مِنْكَ أُمَّ مَعْبِدٍ مِنْ سَعَةِ الْحِلْمِ وَخَلَقِ مِتْلِدٍ

(٣) هو أبو الخطاب عمر بن عيسى البهذلي ، شاعر كان في عصر هارون الرشيد ، كما في أمالي ثعلب ١٩٤ .

(٤) تَقْرَأُ أَيْضًا « وَبَلَّ » كَفَرَحَ ، كما أشير ذلك في هامش ل . وفي أمالي ثعلب : « مِنْ قَوْلِ الْعَلَلِ » .

قال : وقيل لِبُرْزَجِيمَهَر بن البختكان الفارسي^(١) : أى شئ أُسْتَرَّ
لِلْعَى ؟ قال : عقلٌ يَجْمَلُهُ . قالوا : فإن لم يكن له عقلٌ . قال : فمالٌ يَسْتَرُهُ .
قالوا : فإن لم يكن له مالٌ . قال : فإخوانٌ يَعْبُرُونَ عَنْهُ . قالوا : فإن لم يكن له
أخوانٌ يَعْبُرُونَ عَنْهُ . قال : فيكون عَيْبًا صامتا . قالوا : فإن لم يكن ذا
صَمْتٍ . قال : فموتٌ وحىٌ خَيْرٌ له من أن يكونَ فى دار الحياة .

وسأل الله عزَّ وجلَّ موسى بنُ عمران ، عليه السلام ، حين بعثه إلى
فرعونَ بإبلاغ رسالته ، والإبانة عن حجَّته ، والإفصاح عن أدلته ، فقال حين
ذكر العُقْدَةَ التى كانت فى لسانه ، والحُبْسَةَ التى كانت فى بيانه : ﴿ وَاخْلُلْ
عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ .

- ١٠ وأنبأنا الله تبارك وتعالى عن تعلق فرعونَ بكلِّ سببٍ ، واستراحته إلى
كلِّ شَعْبٍ ، وثبُّهنا بذلك على مذهبِ كلِّ جاحِدٍ معاندٍ ، وكلِّ مُخْتَلِلٍ
مكَايدٍ ، حينَ خَبَرْنَا بِقَوْلِهِ : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنَ الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ .
وقال موسى ﷺ : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ
مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ . وقال : ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾ ، رغبةً
منه فى غاية الإفصاح بالحجَّة ، والمبالغة فى وضوح الدلالة ؛ لتكون الأعناق
إليه أُمَيْلَ ، والعقول عنه أَفْهَمَ ، والنفوسُ إليه أَسْرَعَ ، وإن كان قد يَأْتِي من
وَرَاءِ الحاجة ، وَيَبْلُغُ أَفْهَامَهُمْ على بعض المشقَّة .

- ٢٠ والله عزَّ وجلَّ أن يمتَحِنَ عِبَادَهُ بما شاء من التخفيف والتثْقِيلِ ، وَيَلْوِ
أَخْبَارَهُمْ كيفَ أَحَبَّ من المحبوب والمكروه . ولكلِّ زَمَانٍ ضربٌ من المصلحة
ونوعٌ من البِخْنَةِ ، وشكلٌ من العبادة .

(١) بُرْزَجِيمَهَر بن البختكان ، حكيم فارسي ، وهو الذى قص تاريخ انتساخ كتاب كليله ودمنة
وترجمته من كتب الهند . وتجد كثيراً من أقواله وحكمه منتورة فى عيون الأخبار لابن قتيبة . و« بن البختكان »
من هـ .

ومن الدليل على أن الله تعالى حلّ تلك العقدة ، وأطلق ذلك التعقيد والخبسة ، قوله : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي . وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي . اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي . وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ . فلم تقع الاستجابة ^(١) على شيء من دُعائه دون شيء ، لعموم الخبر .

وسنقول في شأن موسى عليه السلام ومسألته ، في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله .

وذكر الله تبارك وتعالى جميل بلائه في تعليم البيان ، وعظيم نعمته في تقويم اللسان ، فقال : ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، ومدح القرآن بالبيان والإفصاح ، وبِحَسَنِ التَّفْصِيلِ وَالْإِيضَاحِ ، وبجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ ، وسماه فرقاناً كما سماه قرآناً . وقال : ﴿ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ^(٢) ﴾ ، وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ، وقال : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، وقال : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ .

وذكر الله عز وجلّ لنبّه عليه السلام حال قريش في بلاغة المنطق ، ورجاحة الأحلام ، وصحة العقول ، وذكر العرب وما فيها ^(٣) من اللّهاء والتكراء والمكر ، ومن بلاغة الألسنة ، واللّدّد عند الخصومة ، فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسَّيَةِ حِدَادٍ ﴾ . وقال : ﴿ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴾ . وقال : ﴿ وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ ، وقال :

(١) ل : « الإجابة » .

(٢) في النحل ١٠٣ : « وهذا لسان عربي مبين » . وفي الشعراء ١٩٥ : « بلسان عربي مبين » .

(٣) ل : « وما فهم » .

﴿ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ . ثم ذكر خلاصة ألسنتهم ، واستمالتهم الأسماع بحسن منطقهم ، فقال : ﴿وَأِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ . ثم قال : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ مع قوله : ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ .

وقال الشاعر في قوم يُحسنون في القول ويسئون في العمل ، قال أبو حفص (١) : أنشدني الأصمعيّ للمكعبير الضبيّ (٢) :

كُسَالِي إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مُنْطِقٍ يُلْهَى بِهِ الْحَرْبُ وَهُوَ عَنَاءُ
وَقِيلَ لِرُهْمَانِ (٣) : مَا تَقُولُ فِي حُرَاةٍ ؟ قَالَ : جَوْعٌ وَأَحَادِيثُ !

وفي شبيه بهذا المعنى قال أفنون بن صُرَيْم التغلبيّ :

لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِرَامٍ غَذِيَّ قَيْلٍ وَلَقِمَانٍ وَذِي جَدَنٍ (٤)
لَمَّا وَقَوْا بِأَخِيهِمْ مِنْ مَهْوَلَةٍ أَخَا السَّكُونِ وَلَا حَادُوا عَنْ السَّنَنِ (٥)
أَنِّي جَزَوْتُ عَامراً سُوءَى بِفَعْلِهِمْ أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوءَى مِنَ الْحَسَنِ (٦)

(١) أبو حفص ، كنية عمر بن أبي عثمان الشمري .

(٢) المكعبير الضبي اسمه حريث بن عقوط ، كما في حواشي الكامل ٤٨ ليسك . والبيت التالي

من أبيات منسوبة إليه في الكامل . ولكنها في الحماسة (٢ : ١٩١ - ١٩٣) منسوبة إلى ولده محرز بن المكعبير . وهو يهجو بالشعر بني عدي بن جندب ، وكان استنجد بهم ليستردوا له إبله التي اغتصبتها بنو عمرو بن كلاب ، فلم يصنعوا شيئاً . و « المكعبير » بكسر الباء . وفي اللسان : « ويقال كعبيره بالسيف ، ومنه سمي المكعبير الضبي ، لأنه ضرب قوماً بالسيف » . وضبط في الحماسة بالفتح ، وأجاز التبريزي الكسر أيضاً ، تبعاً لابن جني في المبهج ٣٦ .

(٣) ما عدل ، هـ : « لنوهمان » .

(٤) ما عدل ، هـ : « ربيت فيهم ومن لقمان أرجدن » . والأبيات مشروحة مفصلة في

المفضليات ٢ : ٦٢ وخزانة الأدب (٤ : ٤٥٦) . وانظر أمالي الزجاجي ٥١ والقال (٢ : ٥١) .

(٥) ل : « لما فلدوا » وأشير في هامشها إلى رواية « وقوا » . ل ، هـ : « ولا جاروا » .

(٦) ل ، هـ : « سوءا » وأشير في هامشها إلى رواية : « سوءى » .

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطَى الْعُلُوقُ بِهِ رُثْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضَنَّ بِاللَّبَنِ
رُثْمَانُ ، أَصْلَهُ الرِّقَّةُ وَالرَّحْمَةُ . وَالرَّيْثُومُ أَرْقُ مِنَ الرَّعُوفِ . فَقَالَ :
« رُثْمَانُ أَنْفٍ » ، كَأَنَّهَا تَبَّرُ وَلَدَهَا بِأَنْفِهَا وَتَمْنَعُهُ اللَّبَنُ .

وَلَأَنَّ الْعَرَبَ تَجْعَلُ الْحَدِيثَ وَالْبَسْطَ ، وَالتَّائِنِسَ وَالتَّلَقَّى بِالْبِشْرِ ، مِنْ
حَقُوقِ الْقِرَى وَمِنْ تَمَامِ الْإِكْرَامِ بِهِ . وَقَالُوا : « مِنْ تَمَامِ الضِّيَافَةِ الطَّلَاقَةُ عِنْدَ
أَوَّلِ وَهْلَةٍ ، وَإِطَالَةُ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمَوَاكِلَةِ » . وَقَالَ شَاعِرُهُمْ — وَهُوَ حَاتِمُ
الطَّائِي^(١) — :

سَلَى الْجَائِعَ الْقَرْتَانَ يَا أُمَّ مُنْذِرٍ إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ نَارِي وَمَجْزَرِي
هَلْ أَبْسُطُ وَجْهِي أَنَّهُ أَوَّلُ الْقِرَى وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي
وَقَالَ الْآخَرُ^(٢) :

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ خَيْرُ فَتَى وَخَيْرُهُمْ لَطَارِقٍ إِذَا أَتَى
وَرُبَّ نِضْوٍ طَرَقَ الْحَيَّ سُرَى صَادَفَ زَاداً وَحَدِيثاً مَا اشْتَهَى
« إِنَّ الْحَدِيثَ جَانِبٌ مِنَ الْقِرَى *

وَقَالَ الْآخَرُ^(٣) :

لِحَافٍ لِحَافُ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ بَيْتُهُ وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مَقْنَعٌ
أُحَدِّثُهُ إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقِرَى وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ
وَلِذَلِكَ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ^(٤) :

(١) لعل هذه العبارة من زيادة بعض القراء . وإلا فإن الشعر ليس حاتم ، بل هو لعروة بن الورد
في ديوانه ٩٩ والحماسة (٢ : ٢٥٨) .

(٢) هو الشماخ ، وليس في ديوانه . وانظر معجم الشواهد ٢ : ٥٦٤ .

(٣) هو عروة بن الورد العبسي ، ديوانه ١٠٠ . ونسب البيتان في الحماسة (٢ : ٣٣٥) ٢٠
إلى عتبة بن بجير ، أو مسكين الدارمي . ونسبا مع غيرهما في الأغاني (١١ : ١٤٩) إلى العجير
السلولي ، وذكر أن من الناس من ينسبهما لعروة .

(٤) هو عمرو بن سنان — وهو الأهم — بن سمي بن سنان بن خالد ، كان سيداً من سادات
قومه ، خطيباً بليغاً شاعراً شريفاً جليلاً ، وكان يقال لشعره : « الحلل المنشرة » . وفد إلى رسول الله ﷺ
في وفد بني تميم ، وسأله عن الزبرقان بن بدر فمدحه ثم هجاه ، ولم يكذب في الخالين ، فقال =

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيتٌ صالحٌ وصديقٌ ^(١)
وقال آخر ^(٢):

أُصَاحِبُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَحْلُ جَدِيدُ
وَمَا الْخُصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرَى وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ

ثم قال الله تبارك وتعالى في باب آخر من صفة قريش والعرب : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا ﴾ وقال : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ وقال : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ . وقال : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِلتَّزْوَلِ مِنْهُ الْجِبَالِ ﴾ .

وعلى هذا المذهب قال : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَزِلَّ قَعُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ . وقد قال الشاعر في نظر الأعداء بعضهم إلى بعض :
يتقارضون إذا التَّقَوُّا في موقفٍ نَظَرًا يُزِيلُ مَوَاطِيءَ الْأَقْدَامِ ^(٣)

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا يَلْسَنُ قَوْمِهِ لِئِيبِنَ لَهُمْ ﴾ ؛ لَأَنَّ مدار الأمر على البيان والتبيين ^(٤) ، وعلى الإِفْهَامِ والتَفْهَمِ ^(٥) . وكلما كان اللِّسَانُ أَبْيَنَ كان أَحْمَدُ ، كما أَنَّهُ كلما كان القلبُ أَشَدَّ استِبانَةً كان أَحْمَدُ .
والمفْهَمُ لكِ والمْتَفْهَمُ عنك شريكان في الفضل ، إِلَّا أَنَّ المفْهَمَ أَفْضَلُ من المْتَفْهَمِ ١٥

= رسول الله : « إن من الشعر حكماً وإن من البيان سحراً » .

(١) البيت من قصيدة طويلة لعمرو بن الأَهمِّ في المفضليات (١ : ١٢٣ - ١٢٥) برواية :

« فهذا صبح راهن وصديق » .

(٢) هو الخوي ، كما في عيون الأخبار (٣ : ٢٣٩) . والخوي هو إسحاق بن حسان بن

قرومى ، كما في الحيوان (١ : ٢٢٤)

(٣) وكذا ورد إنشاده في اللسان (قرض) . وقد أُشير في هامش ل إلى رواية : « يزل مواقع

الأقدام » في نسخة . وفيما عدل : « يزيل مواقع » .

(٤) ما عدل ، هـ : « التبيين » .

(٥) ما عدل ، هـ : « والتفهيم » .

وكذلك المعلم والمتعلم . هكذا ظاهر هذه القضية ، وجمهور هذه الحكومة ،
إلا في الخاص الذي لا يُذكر ، والقليل الذي لا يُشهر .

وضرب الله عز وجل مثلاً لعي اللسان ورداءة البيان ، حين (١) شبه
أهله بالنساء والولدان : فقال تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْجَنَّةِ وَهُوَ فِي
الْخِصَامِ غَيْرَ مُبِينٍ ﴾ . ولذلك قال التمر بن تولب :

وكلُّ خليلٍ عليه الرِّعَا ثُ والحُبْلَاثُ ، ضعيفٌ مَلِيقُ (٢)
الرِّعَاثِ : القِرْطَةُ . والحُبْلَاثُ : كلُّ ما تزيّنت به المرأة من حسن
الحلي ، والواحدة حُبْلَةٌ .

وليس ، حفظك الله ، مضرّة سلاطة اللسان عند المنازعة ، وسقطات
الخطل يوم إطالة الخطبة ، بأعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجّة ،
وعن الحصر من فوت ذرك الحاجة . والناس لا يعيرون الخرس ، ولا يلومون
من استولى على بيانه العجز . وهم يذمون الحصر ، ويؤثّبون العي ، فإن
تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء ، وتعاطيا مناظرة البلغاء (٣) ، تضاعف
عليهما الذم وتراذف عليهما التأنيب . ومماتنة العي الحصر للبليغ المصقع ، في
سبيل مماتنة المنقطع المفحم للشاعر المفلق (٤) ؛ وأحدهما ألوم من صاحبه ،
والألسنة إليه أسرع .

وليس اللّجلاج والتّمتم ، والألثغ والفأفاء ، وذو الحُبسة والحُككة والرّثة (٥)
وذو اللّفيف والعجلة (٦) ، في سبيل الحصر في خطبته ، والعي في مناظرة خصومه ،

(١) ل : « حتى » .

(٢) البيت في اللسان (رعث) . والتفسير بعده ساقط من هـ .

(٣) ل : « مناظرة البلغاء » .

(٤) ماتن فلان فلاناً ، إذا عارضه في جدل أو خصومة .

(٥) الحُككة : شبه العجمة ، لابين صاحبها الكلام . والرّثة : عجلة في الكلام وقلة أناة .

(٦) رجل ألف ، أي عبي بطيء الكلام ، إذا تكلم ملأ لسانه فمه .

كما أن سبيل المُفَحِّم عند الشعراء ، والبكى عند الخطباء ، خلاف سبيل المسهَّب الثَّرثار ، والخطيل المِثْثار .

- ثم اعلم — أبقاك الله — أن صاحب التشديق والتعغير والتعقيب ^(١) من الخطباء والبلغاء ، مع سماحة التكلف ، وشُئْعة التزَيُّد ، أعذر من عيى يتكلف الخطابة ، ومن حصير يتعرض لأهل الاعتياد والدُّرَّة . ومدارُ اللائمة ومستقرُّ المذمة حيث رأيت بلاغةً يخالطها التكلف ، وبياناً يمازجه التزَيُّد .
- إلا أن تعاطى الحَصير المنقوص مقامَ الدِّرب التام ، أقبح من تعاطى البليغ الخطيب ، ومن تشاذق الأعرابى القُحَّ . وانتحالُ المعروف ببعض الغزارة فى المعانى والألفاظ ، وفى التعبير والارتجال ، أنه البحرُ الذى لا يُنْزَح ، والعمر الذى لا يُسْبَر ، أيسرُّ من انتحال الحَصير المنخوب أنه فى مسلاخ التام ^(٢) .
- الموفر ، والجامع المحكك ^(٣) . وإن كان النبى ﷺ قد قال : « إياى والتشاذق » ، وقال : « أبغضكم إلى الثَّرثارون المتفهبون ^(٤) » ، وقال : « من بدا جفا » . وعاب الفدَّادين ^(٥) والمتزَيِّدين ، فى جَهارة الصوت وانتحال سعة الأَشْدَاق ، ورُحْب الغلاصم وهَدَل الشِّفاه ، وأَعْلَمَنَا أن ذلك فى أهل الوبر أكثر ، وفى أهل المدر أقل — فإذا عاب المدرى بأكثر مما عاب به الوبرى ^(٦) ، فما ظنك بالموالد القروى والمتكلف البلدى . فالحصير المتكلف والعيى المتزَيِّد ، ألوم من البليغ المتكلف

(١) التعغير : أن يتكلم بأقصى قعر فمه . والتعقيب فى الكلام كاللغغير فيه .

(٢) المنخوب : الجبان الضعيف القلب . والمسلاخ ، الجلد ، أراد أنه فى هيئته ومنزلته .

(٣) المحكك : المنجذ ، الذى جرب الأمور وعرفها .

(٤) المتفهبون : الذين يتوسعون فى الكلام ويفتحون به أفواههم ، مأخوذ من الفهق ، وهو

الامتلاء والاتساع .

(٥) فى الحيوان (٥ : ٥٠٧ — ٥٠٨) : « الفداد : الجافى الصوت والكلام » . وقد ساق فى

ذلك خبراً وحديثاً .

(٦) المدرى : الحضرى ، ومبانى أهل الحضَر بالمدر ، وهو قطع الطين اليابس . والوبرى : ساكن

البادية ، والبداءة يتخذون بيوتهم من الوبر .

لأَكْثَرُ مما عنده . وهو أعذر ؛ لأنَّ الشُّبْهَةَ الدَّاخِلَةَ عَلَيْهِ أَقْوَى . فَمَنْ أَسْوَأَ حَالاً — أَبْقَاكَ اللَّهُ — مِمَّنْ يَكُونُ الْيَوْمَ مِنَ الْمُتَشَدِّقِينَ ، وَمَنِ الثَّرَاوِينَ الْمُتَفِيهِقِينَ ، وَمَنْ ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ نَصّاً ، وَجَعَلَ النَّهْيَ عَنْ مَذْهَبِهِ مَفْسُوراً ، وَذَكَرَ مَقْتَهُ لَهُ وَبَغْضَهُ إِيَّاهُ .

وَلَمَّا عَلِمَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ ^(١) أَنَّهُ أُلْتُغِيَ فَاحِشُ اللَّتْغِ ، وَأَنَّ مَخْرَجَ ذَلِكَ مِنْهُ شَنِيعٌ ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ دَاعِيَةً مُقَالَةً ، وَرُئِيسَ نَحْلَةٍ ، وَأَنَّهُ يَرِيدُ الْاِحْتِجَاجَ عَلَى أَرْبَابِ النَّحْلِ وَزُعَمَاءِ الْمُلْكِ ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُقَارَعَةِ الْأَبْطَالِ ، وَمِنْ الْخُطْبِ الطُّوَالِ ، وَأَنَّ الْبَيَانَ يَحْتَاجُ إِلَى تَمْيِيزٍ وَسِيَاسَةٍ ، وَإِلَى تَرْتِيبٍ وَرِيَاضَةٍ ، وَإِلَى تَمَامِ الْآلَةِ وَإِحْكَامِ الصَّنْعَةِ ، وَإِلَى سَهُولَةِ الْمَخْرَجِ وَجَهَارَةِ الْمُنْطَقِ ، وَتَكْمِيلِ الْحُرُوفِ وَإِقَامَةِ الْوِزْنِ ، وَأَنَّ حَاجَةَ الْمُنْطَقِ إِلَى الْحَلَاوَةِ ، كَحَاجَتِهِ إِلَى الْجِزَالَةِ ١٠ وَالْفَخَامَةِ ^(٢) ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَكْثَرِ مَا تُسْتَمَالُ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَتُشْنَى بِهِ الْأَعْنَاقُ ^(٣) ، وَتُرَيَّنُ بِهِ الْمَعَانِي ؛ وَعَلِمَ وَاصِلٌ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ مَا يَنْوِبُ عَنِ الْبَيَانِ التَّامِّ ، وَاللِّسَانِ الْمُتَمَكِّنِ وَالْقُوَّةِ الْمُتَصَرِّفَةِ ، كَنَحْوِ مَا أَعْطَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَّهٖ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ التَّوْفِيقِ وَالتَّسْهِيدِ ، مَعَ لِبَاسِ التَّقْوَى وَطَائِعِ النُّبُوَّةِ ، وَمَعَ الْمِحْنَةِ ^(٤) ١٥ وَالْإِتْسَاعِ فِي الْمَعْرِفَةِ ، وَمَعَ هَدْيِ النَّبِيِّينَ وَسَمْتِ الْمُرْسَلِينَ ، وَمَا يُعَشِّيهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْقَبُولِ

(١) هُوَ أَبُو حَذِيفَةَ وَأَصْلُ بْنُ عَطَاءِ الْمُعْتَزِلُ ، وَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، فَلَمَّا ظَهَرَ الْاِخْتِلَافُ وَقَالَتِ الْخَوَارِجُ بِتَكْفِيرِ مُرْتَكِبِ الْكِبَايِرِ ، وَقَالَتْ : الْجَمَاعَةُ بِأَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ وَإِنْ فَسَقُوا بِالْكَبَايِرِ — خَرَجَ وَاصِلٌ عَنِ الْفَرِيقَيْنِ ، وَقَالَ : إِنْ الْفَاسِقُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ ، بَلْ هُوَ بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْمَنْزِلَتَيْنِ ، فَطَرَدَهُ الْحَسَنُ عَنْ مَجْلِسِهِ فَاعْتَزَلَ عَنْهُ ، وَجَلَسَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ ، فَقِيلَ لُهُمَا وَلِأَتْبَاعِهِمَا مُعْتَزِلُونَ . وَلَدَ سَنَةَ ٨٠ وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٨١ . وَابْنُ خُلِكَانَ ، وَلِسَانُ الْمِيزَانِ (٦ : ٢١٤) .

(٢) فِيمَا عَدَا لَ : « إِلَى الْجَلَالَةِ وَالْفَخَامَةِ » .

(٣) فِيمَا عَدَا لَ : هـ : « وَتُشْنَى إِلَيْهِ الْأَعْنَاقُ » .

(٤) الْمِحْنَةُ : الْاِمْتِحَانُ وَالْاِخْتِبَارُ . فِيمَا عَدَا لَ : « الْحِجَةُ » .

والمهابة . ولذلك قال بعضُ شعراءِ النبي ﷺ (١) :

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبَيَّنَةٌ كانت بداهته تُثَبِّكُ بالخَبِيرِ

ومع ما أعطى الله تبارك وتعالى موسى ، عليه السلام ، من الحجَّةِ البالغة ، ومن العلامات الظاهرة ، والبرهانات الواضحة ، إلى أن حلَّ الله تلك العقدة وأطْلَقَ تلك الحُبْسَةَ (٢) ، وأسقط تلك المحنة ؛ ومن أجل الحاجة إلى حُسن البيان ، وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة — رَامَ أبو حذيفة إسقاطَ الراء من كلامه ، وإخراجها من حروفٍ منطقيهِ ؛ فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ، ويناضله ويساجله ، ويتأثَّى لستره والراحَةِ من هُجنته ، حتَّى انتظم له ما حاول ، وأتسق له ما أُمِّل .

ولولا استفاضةُ هذا الخير وظهورُ هذه الحال حتَّى صار لغرابته مثلاً ، ولطرافته معلماً ، لما استجزنا الإقرارَ به ، والتأكيدَ له . ولستُ أعْنِي خُطْبَهُ المحفوظة ورسائله المخلَّدة ، لأنَّ ذلك يحتمل الصَّنعة ، وإنما عَنَيْتُ مُحاجَّةَ الخصوم ومناقلة الأَكْفَاء ، ومفاوضة الإخوان .

واللُّغَةُ في الراء تكون بالعين والذال والياء ، والعينُ أَقلُّها قَبْحاً ، وأَوْجَدُها في كبار الناس وبلغائهم وأشرفهم وعلمائهم .

وكانت لُغَةُ محمد بن شبيب المتكلم ، بالعين ، فإذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الراء . وقد ذكره في ذلك أبو الطُّرُوق الضَّبِّي (٣) فقال :
١٥ علِمَ بإبدال الحروف وقامعٌ لكلَّ خطيبٍ يغلبُ الحقُّ باطله

(١) هو عبد الله بن رواحة الأنصاري . انظر الإصابة ٤٦٦٧ . وبعض أبيات القصيدة في السيرة ٧٩٢ جوتجن والمؤتلف ١٢٧ .

(٢) فيما عدا ل : « ورفع تلك الحبسة » .

(٣) أبو الطرُوق ، لم أجد له ترجمة إلا ما قال ابن خلكان ، أنه كان شاعراً من شعراء المعتزلة ، وأنه مدح واصل بن عطاء بإطالة الخطب ، واجتنابه الراء على كثرة ترددها في الكلام . انظر الوفيات في ترجمة واصل بن عطاء . وقد ذكره المرزباني في معجمه ٥١٣ في باب ذكر من غلبت كنيته على اسمه . وانظر الحيوان (٦ : ٩٢) .

وكان واصل بن عطاء قبيح اللثة شنيعها ، وكان طويل العنق جداً ؛
ولذلك قال بشار الأعمى :

مالى أشايع غزلاً له عنق كنفق الدو إن ولّى وإن مثلاً^(١)
عنق الزرافة ما بالى وبالكُم أتكفرون رجالاً أكفروا رجالاً

فلما هجا واصلاً وصوب رأى إبليس في تقديم النار على الطين ، وقال :
الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار
وجعل واصل بن عطاء غزلاً ، وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة
الرسول ﷺ ، فقبل له : وعلى أيضاً ؟ فأنشد :

وما شرُّ الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا^(٢)

قال واصل بن عطاء عند ذلك : « أما لهذا الأعمى الملحد المشتف المكتى بأى
معاذٍ من يقتله^(٣) . أما والله لولا أن الغيلة سجيّة من سجايا الغالية ، لبعثت إليه
من يبعج بطنه على مضجعه ، ويقتله في جوف منزله وفي يوم حفله ، ثم كان
لا يتولى ذلك منه إلا عقيلي أو سدوسي^(٤) » .

قال إسماعيل بن محمد الأنصارى ، وعبد الكريم بن روح الغفارى : قال أبو
حفص عمر بن أبى عثمان الشمرى : ألا تريان كيف تجنب الرءاء في كلامه هذا وأنتما
للذى تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه لا تظنان به التكلف ، مع امتناعه
من حَرْف كثير الدوران في الكلام . ألا تريان أنه حين لم يستطع

(١) التفتق ، بكسر النونين : ذكر النعام . والدو ، والدوية ، والدائوة ، والدائوة : الفلاة .

(٢) البيت لعمر بن كلثوم في معلقته . ل : وما دون الثلاثة « وهى رواية غريبة . صحيح

القوم : سقاها الصبوح : والمراد به الخمر . ما عدا هـ : « لا تصبحينا » .

(٣) المشتف : الذى ليس الشنف ، وهو بالفتح : القرط في أعلى الأذن . وفيما عدا ل :

« المكتى » بدل « المكتى » . وانظر الكامل ٥٤٨ ليسك .

(٤) بشار بن برد من أصل فارسى ، وكان أبوه برد مولى لأم الأطباء العقيلية السدوسية ، فادعى

بشار أنه مولى بنى عقيل لنزوله فيهم . الأغاني (٣ : ٢٠) .

أن يقول بشار ، وابن بُرد ، والمرعث ، جعل المشنف بدلا من المرعث ، والملحد بدلا من الكافر ؛ وقال : لولا أن الغيلة سجيّة من سجايا الغالية ، ولم يذكر المنصورية ولا المغيرة ^(١) ؛ لمكان الرء ؛ وقال : لبعثت من يبيع بطنه ، ولم يقل : لأرسلت إليه ؛ وقال : على مضجعه ، ولم يقل : على فراشه .

وكان إذا أراد أن يذكر البر قال : القمح أو الحنطة . والحنطة لغة كوفيّة . والقمح لغة شامية . هذا وهو يعلم أن لغة من قال بر ، أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة . وقال أبو ذؤيب الهذلي ^(٢) :

لا درّ درّى إن أطعمت نازهم قرف الحنّى وعندى البرّ مكنوز ^(٣)

وقال أمية بن أبى الصلت فى مديح عبد الله بن جُدعان ^(٤) :

١٠ له داع بمكة مشمعلٌ وآخر فوق دارته يُنادى

(١) المنصورية : إحدى فرق الغالية من الشيعة ، وهم أصحاب منصور العجلي ، وكان يزعم أن علياً هو الكسف الساقط من السماء ، وأن أول ما خلق الله عيسى عليه السلام ، ثم على بن أبى طالب . انظر الملل (٢ : ١٤) ومفاتيح العلوم ٢٢ والمواقف ٩٢٥ والفرق بين الفرق ٢٣٤ . والمغيرة : فرقة من غلاة الشيعة أيضاً ، وهم أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي . وكان مولى لخالد بن عبد الله القسرى ، ادعى النبوة لنفسه ، وغلا فى حق على غلوا ظاهراً . انظر الملل (٢ : ١٣) ومفاتيح العلوم ٢٠ والمواقف ٦٢٤ والفرق بين الفرق ٢٢٩ والحيوان (٢ : ٢٦٧) .

(٢) وكنا نسبة الجاحظ فى الحيوان (٥ : ٢٨٥) . وفيما عدال : « المتخل الهذلى » . وهذه النسبة الأخيرة فى القسم الثانى من مجموعة أشعار الهذليين ص ٨٧ وجمهرة ابن دريد (١ : ٢٧) . وانظر اللسان (٥ : ٣٦٥ / ١٨ : ١٧٩) وجمهرة الأمثال للعسكري ١٧٩ .

٢٠ (٣) القرف ، بالكسر : القشر . والحنّى : سويق المقل ، وقيل رديه ، وقيل يابسه .

(٤) عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، أحد أجواد العرب فى الجاهلية ، وكان ممدحاً لأمية بن أبى الصلت ، مدحه بقوله :

أذكر حاجتى أم قد كفانى حياؤك إن شيمتك الحياء

ثم بقوله :

٢٥ عطائك زين لامرئ إن حبوته يبذل وما كل العطاء يزين

وكان له أمتان تسميان : الجرادتين ، فوهبه إياهما . الأغاني (٨ : ٢ - ٤) .

إلى رُدْح من الشَّيزَى عليها . لُبَابُ الْبَرِّ يُلْبِكُ بِالشَّهَادِ (١)
 وقال بعض القرشيين يذكر قيس بن معد يكرب ومقدمه مكة في كلمة له :
 قيسُ أبو الأشعثِ بِطريقِ اليمنِ لا يسألُ السائلُ عنه ابنُ مَنْ (٢)
 * أشيعَ آلَ الله من بُرِّ عَدَنَ *

٥ وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « أَتَرُونَنِي لا أعرف رقيق العيش ؟
 لُبَابُ الْبَرِّ بصغار المعزى (٣) .

وسمع الحسنُ رجلاً يعيب الفالوذقَ ، فقال : « لُبَابُ الْبَرِّ ، بلعاب
 النَّحْلِ ، بخالص السَّمْنِ ، ما عاب هذا مسلم ! » .

وقالت عائشة : « ما شيع رسولُ الله ﷺ من هذه البرّة السَّماءِ
 ١٠ حتّى فارَّقَ الدُّنْيَا » .

وأهل الأمصار إنّما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك
 تجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر .

حدّثنى أبو سعيد عبد الكريم بن روح قال : قال أهل مكة لمحمد بن
 المناذر الشاعر (٤) : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغةً فصيحة ، إنّما الفصاحة

١٥ (١) الرّدح : جمع رداح ، كسحاب ، وهي الجفنة العظيمة . والشيزى : خشب أسود تتخذ منه
 القصاع . واللباب : الخالص . والشهاد ، بالكسر : جمع شهد ، وهو العسل . وقد نسب البيت في
 اللسان (شيز) إلى ابن الزهري ، وفي (روح ، شهد) إلى أمية .

(٢) ل : يا ابن من . والسائل تقرأ بالرفع بمعنى أنه لا يحتاج إلى التعريف بأبيه ، وبالنصب
 بمعنى أنه يعطى من يعرف ومن لا يعرف .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٤٨١) . ٢٠

(٤) هو محمد بن مناذر ، مولى بني صبير بن يربوع ، كان إماماً في علم اللغة وكلام العرب ،
 وكان في أول أمره ناسكاً ملازماً للمسجد كثير النوافل جميل الأمر ، إلى أن فتن بعيد المجيد بن عبد الوهاب
 الثقفى ، فتهتك بعد ستره ، وقتل بعد نسكه . وكان معاصراً للأصمعي ، وخلف الأحمر ، وأبي العتاهية ،
 وأبي نواس . ومناذر ، بضم الميم . ولمحمد أخبار حسان في الأغاني (١٧ : ٩ - ٣٠) .

- لنا أهل مكة . فقال ابن المُنَازِر : أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن ، وأكثرها له موافقة ، فضَعُوا القرآن بعد هذا حيث شِئِم . أنتم تُسمُّون القِدر بُرْمَة وتجمعون البرمة على بِرَام ، ونحن نقول قِدر ونجمعها على قُدور ، وقال الله عز وجل : ﴿ وَجِفَانُ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٌ رَأْسِيَّاتٍ ^(١) 》 . وأنتم تسمُّون البيت إذا كان فوق البيت عُيَّة ^(٢) ، وتجمعون هذا الاسم على عِلَالِي ، ونحن نسمِّيه غرفة ونجمعها على عُرفَاتٍ وعُرف . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ عُرفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرفٌ مَنِيَّةٌ 》 وقال : ﴿ وَهُمْ فِي الْعُرفَاتِ آمِنُونَ 》 . وأنتم تسمُّون الطَّلَع الكافور والإغريض ، ونحن نسمِّيه : الطَّلَع . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَحِلُّ طَلْعُهَا هَضِيمٌ 》 . فعَدَّ عشر كلماتٍ لم أحفظ أنا منها إلا هذا .
- ألا ترى أنَّ أهل المدينة لما نزلَ فيهم ناسٌ من الفُرس في قديم الدَّهر عُلِقُوا ١٠ بألفاظٍ من ألفاظهم ، ولذلك يسمُّون البِطِيخ : الخَرَبِز ، ويسمُّون السميطة : الرَزْدَق ^(٣) ، ويسمُّون المَصْصُوص : المَزُور ^(٤) ، ويسمون الشَّطْرَنج : الأَشْتَرَنج ، في غير ذلك من الأسماء . وكذلك أهل الكوفة ؛ فإنَّهم يسمُّون المِسْحَاة : بَال ، وبَالٌ بالفارسيَّة .
- ولو عُلِقَ ذلك لغةَ أهل البصرة إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد ١٥ العرب كان ذلك أشبه ، إذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد النَّبْط وأقصى بلاد العرب .

(١) كالجواب ، هذا ما في ل ، هـ : وهى قراءة ورش وأبى عمرو في الوصل ، وابن كثير ويعقوب في الوصل والوقف . وقراءة سائر القراء : كالجواب . وهى ما في سائر النسخ . وانظر الحيوان (٤) : ٦/٩١ (١٦٣) .

(٢) العلية ، بكسر العين وضمها مع تشديد اللام المكسورة ، لغتان .
(٣) السميطة ، كشرى وبهية التصغير أيضاً : الأجرُ القائم بعضه فوق بعض . والرزدق ، فارسي معرب ، وأصله بالفارسية « رَسته » ومعناه السطر والصف من النخل وغيره . وفي الأصول : « الرودق » محرف .

(٤) المصوص : لحم ينقع في الخل ويبيض .

ويسمى أهل الكوفة الحَوْك : الباذرُوج (١) ، والباذرُوج بالفارسية ،
والحَوْك كلمة عربية . وأهل البصرة إذ التقت أربع طرق يسمونها : مُرْبعة ،
ويُسميها أهل الكوفة : الجِهار سوك . والجِهار سوك بالفارسية . ويسمّون السُّوق
والسُّويقة : « وازار » ، والوازار بالفارسية . ويسمّون القِثاء : خِياراً ، والخيار
بالفارسية . ويسمّون المجلوم : وَيَذَى ، بالفارسية .

وقد يستخفُّ النَّاسُ ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحقُّ بذلك منها . ألا
ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوعَ إلّا في موضع العقاب أو في
موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر . والناس لا يذكرون السَّعْب ويذكرون
الجوع في حال القدرة والسلامة . وكذلك ذكر المطر ؛ لأنك لا تجد القرآن
يلفّظ به إلّا في موضع الانتقام . والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر
المطر وبين ذكر الغيث . ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنّه إذا ذكر الأبصار لم
يقلّ الأسماع ، وإذا ذكر سبع سموات لم يقلّ الأرضين . ألا تراه لا يجمع الأرض
أرضين ، ولا السمع أسماعاً . والجاري على أفواه العامة غير ذلك ، لا يتفقّدون
من الألفاظ ما هو أحقُّ بالذكر وأولى بالاستعمال . وقد زعم بعضُ القراء أنّه لم
يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلّا في موضع التزويج .

والعامة ربّما استخفت أقلّ اللغتين وأضعفهما ، وتستعمل ما هو أقلُّ في
أصل اللغة استعمالاً وتدعُّ ما هو أظهر وأكثر ، ولذلك صيرنا نجد البيت من
الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجودُّ منه ، وكذلك المثل السائر .
وقد يبلغ الفارسُ والجوادُ الغاية في الشهرة ولا يُرزق ذلك الذكرُ والتنويه
بعضُ من هو أولى بذلك منه . ألا ترى أنّ العامة ابنُ القُرَيْبَةِ (٢) عندها أشهر في

(١) الباذرُوج ، ذكر في المعتمد ١٠ أنه ربحانة معروفة .

(٢) ابن القرية ، هو أبو سليمان أيوب بن زيد ، كان أعزياً أُمياً . وهو معدود في الخطباء
المشهورين ، قتله الحجاج بن يوسف سنة ٨٤ . والقرية ، بكسر القاف وتشديد =

الخطابة من سبحان وائل . وعبيد الله بن الحر^(١) أذكرُ عندهم في الفروسيّة من زهير بن ذؤيب . وكذلك مذهبهم في عنترة بن شدّاد ، وعُتَيْبَة بن الحارث ابن شهاب^(٢) . وهم يضربون المثل بعمرو بن معديكرب ، ولا يعرفون بسطام ابن قيس^(٣) .

- وفي القرآن معان لا تكاد تفتقر ، مثل الصلاة والزكاة ، والجوع والخوف ، والجنة والنار ، والرغبة والرغبة ، والمهاجرين والأنصار ، والجن والإنس . قال قطرب : أنشدني ضرار بن عمرو^(٤) قول الشاعر في واصل بن عطاء : ويجعل البرّ قمحاً في تصرفه وجائب الرأى حتّى احتال للشعر^(٥)

= الرأى المكسورة : اسم لإحدى جداته . وذكر الأصبهاني في الأغاني أن ثلاثة أشخاص شاعت أخبارهم واشتهرت أخبارهم ولا حقيقة لهم ولا وجود في الدنيا ، وهم : مجنون ليلي ، وابن القرية ، وابن أبي العقب . ١٠ انظر وفيات الأعيان والمعارف ٢٥٨ والأغاني (١ : ١٦٣) .

(١) عبيد الله بن الحر الجعفي : قائد من الشجعان الأبطال ، وكان بينه وبين مصعب بن الزبير منافسة ، صمد عبيد الله لرجال مصعب صموداً ، ولكن أصحابه تفرقوا عنه فخاف أن يؤسر فألقى بنفسه في الفرات فمات غرقاً . وكان عبيد الله شاعراً فحلاً . انظر ابن الأثير في حوادث سنة ٦٨ والحيوان (١ : ١٠٣ - ١٠٤) . ١٥

(٢) كان فارس نعيم ، وقيه يقول عمرو بن معديكرب : « ما بأبالي أى ظعينة لقيت على ماء من أمواه معد ، ما لم يلتقي دونها عبداها أو حراها » . يعنى بالحرين : عامر بن الطفيل ، وعتية بن الحارث ، وبالعبدین : عنترة ، والسليك بن السليكة . الأغاني (١٤ : ٢٧) .

(٣) بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني ، سيد شيبان ، ومن أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتله عاصم بن خليفة الضبي يوم الشقيقة . ٢٠

(٤) ضرار بن عمرو ، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجهمية ، وكان في بدء أمره تلميذاً لواصل بن عطاء المعتزلي ، ثم خالفه في خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر . الاعتقادات للرازي ٦٩ والفرق بين الفرق ٢٠١ . ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود ، وحرف أبي بن كعب ، ويقطع بأن الله لم ينزله . الملل والنحل (١ : ١١٥) . قال أحمد بن حنبل : شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحي القاضي ، فأمر بضرب عنقه فهرب ، وقيل إن يحيى بن خالد البرمكي أخفاه . لسان الميزان (٣ : ٢٠٣) . ٢٥

(٥) من أسماء الشعر مما ليس فيه الرأى « السيد » بالتحريك ، و « الهلب » بالضم ، و « المسيحة » ، وجمعها مسائح . و « الجمعة » : ما طال من الشعر ، و « اللمة » : مازاد على الجمعة . و « الحصلة » ، بالضم : ما اجتمع من الشعر ، كذلك . انظر المخصص (١ : ٦٢ - ٦٩) .

ولم يُطَقْ مطراً والقول يُعْجَلُهُ فَعَاذَ بِالْغَيْثِ إِشْفَاقاً مِنَ الْمَطَرِ
 قال وسألت عُثْمَانَ الْبُرِّيَّ (١) : كيف كان واصلُ يصنع في العدد ؛
 وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين ؛ وكيف كان يصنع بالقمر والبدر
 ويوم الأربعاء وشهر رمضان ، وكيف كان يصنع بالحرم وصفر وربيع الأول وربيع
 الآخر وجمادى الآخرة ورجب ؟ فقال : مالى فيه قولٌ إلا ما قال صفوان :
 ٥ ملقن ملهم فيما يحاوله . جَمَّ خَوَاطِرُهُ جَوَابُ آفَاقِ
 وأنشدنى ديسم (٢) قال : أنشدنى أبو محمد اليزيدى :

وَحَلَّةُ اللَّفْظِ فِي الْبَيِّنَاتِ إِنْ ذَكَرْتَ كَحَلَّةِ اللَّفْظِ فِي اللَّامَاتِ وَالْأَلِفِ (٣)
 وَخَصْلَةُ الرَّاءِ فِيهَا غَيْرُ خَافِيَةٍ فَاعْرِفْ مَوَاقِعَهَا فِي الْقَوْلِ وَالصَّحْفِ (٤)
 يزعم أن هذه الحروف أكثر تردداً من غيرها ، والحاجة إليها أشد .
 واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب . من جملة خطب الناس
 ورسائلهم ؛ فإنك متى حصّلت جميع حروفها ، وعددت كلّ شكل على
 حدة ، علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد .

(١) هو أبو سلمة عثمان بن مقسم البري الكندي البصري . قال السمعاني في الأنساب ٧٧ :
 هذه النسبة إلى البر وهو الخنطة ، وهذه النسبة إلى بيعة ، والمشهور بهذا الانتساب أبو سلمة عثمان بن
 ١٥ مقسم البري الكندي مولى لهم من أهل الكوفة يروى عن قتادة ، وابن أبي إسحاق ، وحماد بن أبي
 سليمان ، وجابر ، وعاصم بن أبي النجود . وكان قد رآه معروفاً بالكذب ووضع الحديث . لسان الميزان
 (٤ : ١٥٥) .

(٢) هو ديسم العنزي أحد من هجأهم بشار . الحيوان (١ : ١٨٣) . وكان بشار كثير الولوع
 ٢٠ بديسم العنزي ، وكان صديقاً له ، وهو مع ذلك يكثر هجاءه . الأغاني (٣ : ٢٧) .
 (٣) الخلة ، بالفتح : الخصلة . فيما حدا ل : « إن فقدت » ؛ والمعنى يتجه بكل منهما .
 (٤) أشير في هامش هـ إلى رواية : « وحصة » في نسخة .

ذكر ما جاء في تلقيب واصل بالغزال ومن نفى ذلك عنه

قال أبو عثمان : فمن ذلك ما خبرنا به الأصمعي قال : أنشدني

المعتمر بن سليمان ، لإسحاق بن سويد العدوي :

برئت من الخوارج لست منهم من الغزال منهم وابن باب (١)
ومن قوم إذا ذكروا علياً يردون السلام على السحاب
ولكنني أحب بكل قلبي وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصدّيق حُباً به أرجو غداً حسن الثواب (٢)

وفي مثل ذلك قال بشار :

مالي أشابع غزلاً له عنق كينق الدوّ إن ولي وإن مثلاً (٣)

ومن ذلك قول معدان الشميطي (٤) :

يوم تشفى النفوس من يعصر اللؤ م ويثنى بسامة الرحالي (٥)
وعدي وثيمها وثقيف وأمي وتغليب وهلال
لا حرورا ولا النواصب تنجو لا ولا صحب واصل الغزال (٦)

(١) يعني بالغزال واصل بن عطاء . وابن باب ، هو عمرو بن عبيد ، من شيوخ المعتزلة ، وأحد

الزهاد المشهورين . توفي بمران سنة ١٤٤ وراثه المنصور . قالوا : ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه .
١٥ تاريخ بغداد ٦٦٥٢ والمعارف ٢١٢ . وانظر لتعليل تسمية المعتزلة بالخوارج الفرق بين الفرق ٩٩ حيث
أنشد البيتين . وفي اللسان (عزل ٤٦٧) : « من الغزال » بالعين المهملة . وانظر الكامل ٥٤٦ .
(٢) فيما عدا ل : « حسن المآب » .

(٣) سبق البيت في ص ١٦ .

(٤) هو أبو السرى معدان الأعمى الشميطي المديري . ونسبته إلى الشميطة ، وهي فرقة من
٢٠ الشيعة الإمامية الراضية ، تنتمي إلى أحمر بن شميظ صاحب المختار . وقد قتلها معاً مصعب بن الزبير .
ما عدا هـ : « السميطي » تصحيف . انظر الفرق بين الفرق ٣٦ ، ٣٩ ومفاتيح العلوم ٢٢ ، وكامل
المبرد ٦٤٣ والملل والنحل (٢ : ٣) .

(٥) يعصر : أبو قبيلة ، وهو يعصر - ويقال أعصر أيضاً - بن سعد بن قيس بن غطفان .
انظر الاشتقاق ١٦٤ ، والمعارف ٣٦ والقاموس (عصر) . وسامة ، هو سامة بن لؤي ، ولقبه بالرحال
٢٥ لأن أخاه عامر بن لؤي توعده حين فقا عينه ، فرحل إلى عمان هارباً حيث لقي حتفه في الطريق . انظر
سيرة ابن هشام ٦٣ جوتنجن .

(٦) النواصب ، والناصية ، وأهل النصب : المتدينون يبعضه على ؛ لأنهم نصبوا له ، =

وكان بشَّارٌ كثير المدح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بشَّارٌ بالرجعة ،
ويكفر جميع الأمة . وكان قد قال في تفضيله على خالد بن صفوان ^(١) وشيب ^{١٦}
ابن شيبه ^(٢) ، والفضل بن عيسى ^(٣) ، ويوم خطبوا عند عبد الله بن عمر بن
عبد العزيز إلى العراق :

أبا حذيفة قد أوتيت مُعْجِبَةً في حُطْبَةٍ بَدَهَتْ من غير تقدير
وإنَّ قولاً يروق الخالدين معاً لمُسْكِتٍ مُخْرِسٍ عن كلِّ تحبير ^(٤)
لأنه كان مع ارتجاله الخطبة التي نزع منها الرأء ^(٥) ، كانت مع ذلك
أطول من خطبهم . وقال بشَّار :

تكلّفوا القول والأقوام قد حَفَلُوا وَحَبَّرُوا خطباً ناهيك من حُطْبِ
فقام مرتجلاً تغلّى بداهته كمرجل القَيْن لما حَفَّ باللَّهِبِ
وجانب الرأء لم يشعُر بها أحد قبل التصفُّح والإغراق في الطَّلَبِ ^(٦)
وقال في كلمة له يعنى تلك الخطبة :

فهذا بديّة لا كتخبير قائل إذا ما أراد القول زوّره شهر ^(٧)

= أى عادوه . فيما عدل ، هـ : « النوائب » تحريف ، صواب هذه « النوابت » كما في هـ . وقد أشير
إلى هذه الرواية الأخيرة في هامش ل . ١٥

(١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهمم ، كان قريباً لشيب ، وعلمنا من أعلام الخطابة ،
وقد وفد إلى هشام ، وكان من سمار أئى العباس ، وكان مطلقاً ، روى أنه قال : « ما من ليلة أحب إلى
من ليلة قد طلقت فيها نسائي ، فأرجع والستور قد قلعت ، ومتاع البيت قد نقل ، فتبعث إلى بنتي
بسليلة فيها طعامي ، وتبعث إلى الأخرى بفراش أنام عليه » . المعارف ١٧٧ .

(٢) شيب بن شيبه ، كان من رهط خالد بن صفوان ، وكان بينهما منافسة شديدة ، وهو
شيب بن شيبه بن عبد الله بن عبد الله بن الأهمم . وسير ذكره فيما بعد . ٢٠

(٣) في هاشم هـ : « يعنى بالخالدين خالد بن صفوان وشيب بن شيبه » .

(٤) هو الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي ، وسيترجم له في باب أسماء الخطباء والبلغاء .

(٥) خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها الرأء ، محفوظة في مكتبة مدرسة النبی شیت

بالموصل . انظر مخطوطات الموصل ص ٢٠٨ . وقد عثرت على نسخة من الخطبة ملحقة بنهاية نسخة
فيض الله من البيان ونشرتها محققة في نوادر المخطوطات ١ : ١١٧ - ١٣٦ . ٢٥

(٦) فيما عدل : « لم يشعر به أحد » ، وهي رواية الأغاني (٣ : ٥٩) .

(٧) زور الكلام : أصلحه وهيأه .

فلما انقلب عليهم بشائر ومقاتله لهم بادية ، هجوه ونفوه ، فما زال غائبا حتى مات عمرو بن عبّيد . وقال صفوان الأنصاري :

- متى كان غَزَال له يا ابن حَوْشِبٍ غلامٌ كعمرو أو كعيسى بن حاضِرٍ^(١)
 أما كان عُثْمَانُ الطَّوِيلُ ابنُ خَالِدٍ أو القَرْمُ حَفْصٌ نُهْيَةٌ لِلْمُخَاطِرِ^(٢)
 له خَلَفَ شَعْبُ الصِّينِ في كل ثَغْرَةٍ إلى سُوسِهَا الْأَقْصَى وَخَلَفَ الْبَرَابِرِ^(٣)
 رَجَالٌ دُعَاةٌ لَا يَفْلُ عَزِيمُهُمْ تَهْكُمُ جَبَّارٍ وَلَا كِيدُ مَاكِرٍ^(٤)
 إِذَا قَالَ مُرُّوا فِي الشِّتَاءِ تَطَوَّعُوا وَإِنْ كَانَ صَيْفٌ لَمْ يُخَفْ شَهْرُ نَاجِرٍ^(٥)
 بِهَجْرَةِ أَوْطَانٍ وَبَذَلٍ وَكُلْفَةٍ وَشِدَّةِ أخطَارٍ وَكَدِّ الْمَسَافِرِ
 فَأَنْجَحَ مَسْعَاهُمْ وَأَثَقَبَ زَنْدَهُمْ وَأَوْرَى بِفُلْجٍ لِلْمُخَاصِمِ قَاهِرٍ^(٦)
 وَأَوْتَادُ أَرْضِ اللَّهِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَمَوْضِعُ فُتْيَاهَا وَعِلْمُ التَّشَاجِرِ^(٧)
 وَمَا كَانَ سَحْبَانٌ يَشْقُ غُبَارَهُمْ وَلَا الشَّدَقُ مِنْ حَتَّى هَلَالَ بَنُ عَامِرٍ^(٨)
 وَلَا النَّاطِقُ النَّخَّارُ وَالشَّيْخُ دَغْفَلٌ إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُمْ بِالْمَخَاصِرِ^(٩)

(١) عيسى بن حاضِر ، أحد رجال المعتزلة ، وكان صاحب عمرو بن عبّيد ، انظر الحيوان (١) :

(٣٣٧ - ٣٣٨) .

- (٢) حفص ، هو حفص الفرد ، ذكره ابن التميمي في الفهرست ٢٥٥ مصر ١٨٠ ليسك ، وذكر أنه من المجبة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبي الهذيل واجتمع معه وناظره ، فقطعه أبو الهذيل . والنهية ، بالضم : غاية كل شيء ، كالنهاية . والمخاطر : الذي يخاطر غيره ، أي يراهنه .
 (٣) السوس الأقصى : كورة بالمغرب مدينتها طنجة . والسوس الأدنى : بلدة بالأهواز .
 (٤) العزيم والعزيمة والعزم والمعزم ، بمعنى . والتهكم : التكبر ، ويقال تهكم عليه ، إذا اشتد غضبه .
 (٥) تطاوع للأمر وتطوع به وتطوعه : تكلف استطاعته . فيما عدل : « تطاوعوا » و : « وإن كان صيفاً » .

(٦) أثقب الزند : قدحه فأخرج منه النار . وأورى الزند إيرا : أثقبه .

(٧) التشاجر : التنازع والاختلاف في الخصومات ، أراد النزاع الكلامي .

(٨) الشدق : جمع أشدق ، وهو المنفوه ذو البيان .

- (٩) النخار ، هو النخار بن أوس العلزي ، قال فيه صاحب القاموس « أنسب العرب » . وكان معاصراً لجميل الشاعر ، وقد هجاه بشعر في الأغاني (٧ : ٩٥) . وسيأتي قول الجاحظ في علة تسميته بالنخار ، أنه ربما حمى في الكلام فنخر . ودغفل ، هو دغفل بن حنظلة =

ولا القالة الأعْلَوْنَ رهطٌ مَكْحَلٍ إذا نَطَقُوا في الصُّلحِ بين العشائر^(١) ١٨
 بجمع من الجُفَيْنِ راضٍ وساخِطٍ وقد زحفتُ بُدَاؤَهُمَ للمَحَاضِرِ^(٢)
 الجُفَيْنِ : بكر وتميم . والرُّوقان : بكر وتغلب . والغاران : الأزْد وتميم .
 ويقال ذلك لكل عِمارةٍ من الناس^(٣) ، وهى الجمع ، وهم العمائر أيضاً :
 غارٌ . والجُفُ أيضاً : قِشْر الطَّلعة — ٥

تَلَقَّبَ بِالْعَزَّالِ واحدٌ عصرِه فَمَنْ لِلبِتَامَى وَالْقَبِيلِ المكائِرِ
 وَمَنْ لِحَرُورِيٍّ وآخرَ رافِضٍ وآخرَ مُرَجِّيٍّ وآخرَ جَائِرِ^(٤)
 وأمرٍ بمَعْرُوفٍ وإنكارٍ منكَرٍ وتحصينِ دينِ الله من كلِّ كافِرٍ
 يُصِيبُونَ فَصْلَ القَوْلِ في كُلِّ موطنٍ كما طَبَّقَتْ في العِظَمِ مُدِيَّةُ جازِرٍ
 تَراهُمُ كَأَنَّ الطَيْرَ فوقَ رِعَوسِهِم على عِمَّةٍ مَعْرُوفَةٍ في المَعاشِرِ ١٠
 وَسِماهُمُ مَعْرُوفَةٌ في وجوهِهِم وفي المَشْيِ حُجَّاجاً وفوقَ الأَباعِرِ
 وفي رَكْعَةٍ تَأْتِي على الليلِ كُلِّهِ وظاهرِ قولٍ في مِثالِ الضمائرِ
 وفي قَصٍّ هُدَابٍ وإِحْفَاءٍ شارِبٍ وَكَوَرٍ على شَيْبٍ يُضَيُّ لِنَاظِرِ^(٥)
 وَعَنَفَقَةٍ مصلومة ، ولنعلِه قِبَالانٍ ، في رُذْنٍ رحيبِ الخواصِرِ^(٦)
 فتلكَ عَلاماتٌ تحيِطُ بوصفِهِم وليسَ جَهُولُ القومِ في علمِ خابِرِ^(٧) ١٥

= السلدوسى ، أدرك النبى ولم يسمع منه شيئاً ، ووفد على معاوية . وقتلته الأزارقة . انظر أمثال الميدانى
 فى : « أنسب من دغفل » والإصابة ٢٣٩٥ .

- (١) مكحل ، هو عمرو بن الأَهمم المتقرى ، كما سيأتى فى ص ٣٥٥ .
 (٢) البداء : جمع باد ، وهو ساكن البادية . والمحاضر : المناهل يجتمعون عليها .
 (٣) الجف ، والروق ، والغار : الجمع الكثير من الناس .
 (٤) هـ ، ب « حائر » .
 (٥) الكُور : لوث العمامة ، أى إدارتها على الرأس .
 (٦) العنفة : ما بين الشفة السفلى والذقن . قبال النعل : زمامها .
 (٧) هـ ، ب : « فى جرم خابر » .

وفي واصل يقول صفوان :

١٨ فما مَسَّ ديناراً ولا صَرَّ درهما ولا عرف الثوبَ الذى هو قاطعُه

وفيه يقول أسباط بن واصل الشيباني :

وأشهد أن الله سَمَّاكَ واصلاً وأنتَ محمود النقية والشيم

ولما قام بشار يُعذر ^(١) إبليس في أن النار خير من الأرض ، وذكر

واصل بما ذكره به ، قال صفوان :

رَعِمَتْ بآنَ النارِ أكرمُ عنصراً وفي الأرض تَحيا بالحجارة والزَّند ^(٢)

وَتُخْلَقُ في أرحامها وأرومها أعاجيبُ لا تُحصى بِحَظٍّ ولا عَقْدٍ ^(٣)

وفي القعر من لُج البحار منافع من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد

كذلك سِرُّ الأرض في البحر كله وفي العَيْضة الغنَّاء والجبل الصلْد ١٠

ولا بدَّ من أرض لكل مُطَيِّرٍ وكلَّ سُبُوحٍ في الغمائر من جُدٍّ ^(٤)

كذاك وما ينسأح في الأرض ماشيا على بطنه مَشَى المُجَانِبِ للقَصْدِ ^(٥)

ويَسْرَى على جلد يقيم حُرُوزَه تَعْمُجُ ماء السَّيل في صَبَبٍ حَرْدٍ ^(٦)

وفي قُلُلِ الأَجبال خلف مُقْطَمٍ زَبْرَجْدُ أَملاك الورى ساعة الحشْدِ ^(٧)

١٥ (١) فيما عدل : ، هـ : « يعذر » .

(٢) يعنى أن النار كامة في الحجارة والزند .

(٣) الأروم : جمع أرومة ، وهى الأصل . والعقد : ضرب من الحساب .

(٤) ما عدا هـ : « لكل مطهر » ولا يستقيم به المعنى ، وصوابه من هـ والفرق بين الفرق حيث

أنشد القصيدة . والغمائر : جمع غمير ، وهو الماء الكثير . والجد ، بالضم والفتح : شاطئ النهر . أى لا بد لكل سابع من شاطئ .

(٥) ينسأح : يمشى على بطنه . ل : « كذلك ما ينسأح » .

(٦) التعمج : التلوى . والصبيب : الموضع المنحدر . والحرد : المتحنى المعتزل .

(٧) المقطم : جبل يمتد من أسوان على شاطئ النيل الشرق حتى يكون منقطعه طرف القاهرة .

قال ياقوت : « وذكر قوم أنه جبل الزبرجد » . والأملاك : الملوك .

- وفي الحرّة الرّجلاء تُلقَى معادن
من الذهب الإبريز والفضة التي
وكلّ فلزّ من نحاس وأُنك
وفيها زرانيخ ومكّر ومَرْتَنك
وفيها ضروب القار والشّبّ والمها
تري العرق منها في المقاطع لائحاً
ومن إثمِد جَوْن وكِلْسِي وفِضّة
وفي كلّ أغوار البلاد معادن
وكلّ يواقيت الأنام وحليها
وفيها مقام الخِلّ والركن والصّفا
- لهنّ مغارات تَبَجْسُ بالنّقد (١)
تروق وتُصْبِي ذا القناعة والرّهد
ومن زَبَقِي حَيّ ونوشاذِر يُسْدِي (٢)
ومن مَرَقَشِيثا غير كَاب ولا مُكْدِي (٣)
وأصناف كِيرِيّ مُطاوِلَة الوقد (٤) ١٩
كما قَدَّت الحسنة حاشية البرد
ومن ثَوْبِيَاء في معادنه هِنْدِي
وفي ظاهر البيداء من مَسْتَوٍ نَجْد (٥)
من الأرض والأحجار فاخرة المَجْد
ومُسْتَلَم الحُجّاج من جَنّة الخُلْد ١٠

- (١) الحرة : أرض حجارها سُود . والرجلاء : التي لا يستطيع المشي فيها حتى يترجل فيها ؛
لحشونها وصعوبتها . تبجس بالنقد ، أى تنفجر بالذهب والفضة .
- (٢) الفلز : جواهر الأرض كلها . والآنك : الأسرب ، وهو الرصاص القلعي . وقال كراع : هو
القردير . وجعل الزئبق حيا لسرعة حركته . والنوشادر ، بالذال المضمومة ، ويقال بالمهملة أيضاً : حجر
صاف كالبلور . انظر حواشي الحيوان (٥ : ٣٤٩) . فيما عدل ، هـ : « ونوشادر » . وفي الفرق بين
الفرق ٤٠ : « ونوشادر سندی » نسبة إلى السند . قال داود : « يكون بالبلاد الحارة » .
- (٣) الزرنيخ : معدن له ألوان كثيرة ، منها الأصفر والأحمر والأخضر ، وأجودها الصفائحى الذى
يستعمله النفاشون الذى له لون كلون الذهب ، وكانت صفائحه تنقشر وكأنها مركبة بعضها فوق بعض .
المعتمد لابن رسولاً ١٤٠ . وفي اللسان أنه لفظ أعجمى ، وضبط فيه وفي المغرب ١٧٤ بكسر الزاى .
والمكر ، بالفتح : المغرة ، وهى طين أحمر يصبغ به . والمرتك : مبيض المرادسنج . والمرادسنج : رصاص
عبيط وأسرنج أو رصاص محروق ، يسبك حتى يمتزج ، وتبييضه أن يلف في صوف ويطبخ بقول ، وكلما
نضج غير الصوف والقول حتى يبيض . تذكّره داود . وهو فارسي معرب . والمرقشيثا : صنف من الحجارة
يستخرج منه النحاس . المعتمد .
- (٤) المها : جمع مهاة ، وهى البلورة التى تبصّ لشدة بياضها . فيما عدل ، هـ : « النهى » ،
وهو بالفتح : ضرب من الخرز . ٢٥
- (٥) النجد : ماغلط من الأرض وارتفع واستوى .

- وفي صخرة الخضر التي عند حوتها
وفي الصخرة الصماء تُصدعُ آيةٌ
مفاخرُ للطَّينِ الذي كان أصلنا
فذلك تدبيرٌ ونفعٌ وحكمة
أَتَجْعَلُ عَمراً والنَّطَاسِيَّ واصلاً
وتفخر بالميلاء والعُلَيجِ عاصمٍ
وتحكى لدى الأقوام شُنعَةَ رأيهِ
وسمَّيْتَهُ الغَزَالَ في الشَّعرِ مطيئاً
- ١٠ — يقول : إن مولاك ملاح ؛ لأن الملاحين إذا تظلموا رفعوا المرادى —
فيا ابنَ حليفِ الطَّينِ واللُّومِ والعَمَى
أَتَهْجُو أبا بكرٍ وتخلعُ بَعْدَهُ
كأَنَّكَ غَضبانٌ على الدِّينِ كُلِّهِ
رَجَعْتَ إلى الأمصارِ من بعدِ واصلٍ
- ٢٠ —
- وأبعدُ خَلْقِ اللَّهِ من طُرُقِ الرُّشْدِ (٦)
عليّاً وتعرّو كلَّ ذاك إلى بُرْدٍ
وطالبُ ذَخِلٍ لا يَبِيتُ على حِقْدٍ
وكنْتَ شريداً في التَّهائمِ والتَّجِدِ (٧)

- ١٥ (١) صخرة الخضر : التي نسي عندها الحوت . وفي سورة الكهف : (قال أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ) . والخضر ، بكسر الخاء ، ويقال فيه أيضاً خضر ككتف . أمهى الحجر : ظهر ماؤه ، إشارة إلى ضرب موسى بعصاه الحجر .
- (٢) إشارة إلى الصخرة التي ظهرت منها نافذة صالح عشاء ، ونتجت سقياً . والوحد ، ضرب من سير الإبل . ب ، جـ . « وجد » بالجيم ، وأثبت ما قبله ، هـ ، والتميمورية .
- (٣) ديصان : صاحب الديصانية من المجوس الثنوية . والقمش ، جمع قماش ، وهو الرذال من كل شيء .
- (٤) الميلاء ، هي حاضنة أنى منصور العجلى صاحب المنصورية . انظر الحيوان (٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٨) . وأبو الجعد ، كنية لواصل بن عطاء ، وكنيته المعروفة « أبو حذيفة » .
- (٥) في هامش هـ : « القصة : القطعة ترفع فيها الظلامة » .
- (٦) في هامش ل : « إنما قال ابن حليف الطين ؛ لأن أباه كان فخاراً يصنع الجرار » .
- (٧) التهام : الأرض المنصوبة إلى البحر . ومنه تهامة . والنجد بضمين ، وسكن الجيم الشعر : جمع نجد ، وهو ما غلظ من الأرض وأشرف واستوى .

أَتَجْعَلُ لَيْلَى النَّاعِظِيَّةِ نِحْلَةً وَكُلَّ عَرِيقٍ فِي التَّنَاسُخِ وَالرَّدِّ (١)
عَلَيْكَ بَدْعِدِ وَالصَّدُوفِ وَفَرَّتَنِي وَحَاضِنَتِي كَيْسِفِ وَزَامِلَتِي هِنْدُ (٢)
تَوَائِبَ أَقْمَاراً وَأَنْتَ مُشَوِّهُ وَأَقْرَبُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ شَبِّهِ الْقِرْدِ
ولذلك قال فيه حمادُ عَجْرَدٍ (٣) بعد ذلك :

ويا أَقْبَحَ مِنْ قِرْدٍ إِذَا مَا عَمِيَ الْقِرْدُ

ويقال إنه لم يَجْزَعْ بشار من شيء قطُّ جَزَعَهُ من هذا البيت (٤).

وذكره الشاعرُ وذكر أخويه لأُمِّه فقال :

لقد وَلِدْتُ أُمُّ الْأَكِيمِهِ أَعْرَجاً وَآخَرَ مَقْطُوعَ الْقَفَا نَاقِصَ الْعَضُدِ (٥)

وكانوا ثلاثةً مختلفي الآبَاءِ وَالْأُمِّ وَاحِدَةً ، وَكُلُّهُمْ وَلِدَ زَمِناً . ولذلك قال

بعضُ من يهجوهُ :

إِذَا دَعَاهُ الْخَالُ أَقْعَى وَنَكَصَ وَهُجْنَةُ الْإِقْرَافِ فِيهِ بِالْحِصَصِ (٦)

وقال الشاعر :

لَا تَشْهَدَنَّ بِخَارِجِي مُطْرِيفٍ حَتَّى تَرَى مِنْ نَجْلِهِ أَفْرَاسَا (٧)

(١) ليلي الناعظية : إحدى نساء الغالية ، منسوبة إلى بني ناعظ ، بالطاء المعجمة ، وهم بطن من

العرب . انظر القاموس واللسان والجمهرة (٣ : ١٢١) . نخلة : أى صاحبة نحلة ومذهب .

(٢) دعد ، وأختاها من الأسماء الشائعة في غزل العرب . والكسف ، هو أبو منصور العجلي .

انظر الحيوان (٢ : ٢٦٦ / ٦ : ٣٨٩) . والزامل : من يزمل غيره ، أى يتبعه .

(٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر من مخضرمي الدولتين ، ٢٠

ولم يشتهر إلا في العباسية ، وكان بينه وبين بشار مهاجرة فاحشة . توفي سنة ١٦١ وقيل ١٦٨ .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٦٦ / ٦ : ٢٢٨) .

(٥) الأكيمية : مصغر الأكيمه ، وهو الذى ولد أعمى .

(٦) الإقراف : الهجنة من قبل الأب ، عني أنه لثيم الأم والأب .

(٧) أى لا تشهد به المخالف والحروب . والخارجي من الخيل : الذى يخرج بنفسه من غير أن

يكون له عرق في الجودة . والمطرف ، كالطارف : المستحدث .

- وقال صفوان الأنصارى فى بشارٍ وأخوَيْهِ ، وكان يخاطب أمهم :
- وَلَدَتْ خُلْدًا وَذِيحًا فى تشتمه ويعدّه خُزْرًا يشتدّ فى الصُّعْدِ (١)
- ثلاثةٌ من ثلاثٍ فُرقوا فِرْقًا فاعرف بذلك عِرْقَ الخالِ فى الولدِ
- الخُلْد : ضربٌ من الجُرذان يولد أعمى . والدُّخ : ذكر الضَّبَاع ، وهو أعرج .
- والخُزْر : ذكر الأرنب ، وهو قصير اليدين لا يلحقه الكلب فى الصُّعْد (٢) .
- وقال بعد ذلك سُلَيْمان الأعمى ، أخو مسلم بن الوليد الأنصارى
- الشَّاعِر (٣) ، فى اعتذار بشارٍ لإبليس وهو يخبر عن كَرَم خصال الأرض :
- لأبدٍ للأرض إن طابث وإن خَبِثت من أن تُحيل إليها كلَّ مغروسٍ
- وُثْرَةُ الأرض إن جِدت وإن فُجِطت فَحْمُلُها أبدأ فى إثر منفوسٍ (٤)
- وبطنها بفلز الأرض ذو خَبَرٍ بكل ذى جوهر فى الأرض مرموسٍ (٥)
- ١٠ — الفِلْزُ : جوهر الأرض من الذهب والفضّة والنحاس والآثك وغير ذلك —
- وكلٌّ آنية عَمَّت مرافقها وكلٌّ مُنتَقِدٌ فيها وملبوسٍ
- وكلٌّ ماعونها كالملح مِرْقَقَةٌ وكلُّها مُضْحِكٌ من قول إبليس (٦)
- وقال بعض خُلَعاء بغداد (٧) :

- (١) التثتم ، أراد به الشنامة : وهى القبح . والصعد : جمع الصعود ، بالفتح ، وهى العقبة الشاقة .
- (٢) انظر الحيوان (٥ : ٤٤٧ / ٦ : ٣٥٦ : ٧ / ١٣٢) .
- (٣) وكذلك فى الحيوان (٤ : ١٩٥) لكن ياقوتاً فى معجم البلدان (١١ : ٢٥٥) والصفدى
- فى نكت الحميان ١٦٠ قد جعلاه ابناً لمسلم بن الوليد . قال ياقوت : « وهو ابن مسلم بن الوليد ،
- المعروف بصريع الغواني ، الشاعر المعروف ، كان كآبيه شاعراً مجيداً » .
- (٤) جِدت : مطرت بالجود ، وهو المطر الغزير . والمنفوس : المولود .
- (٥) ل ، هـ : « بكلّ جوهرة » . والرموس : المدفون .
- (٦) الماعون : كل ما انتفع به .
- (٧) الخلعاء : جمع خليع ، وهو المستهتر بالشرب واللهو ، والذى أعطى نفسه هواها . فيما عدا
- ل ، هـ : « خلفاء بغداد » وهو تحريف . وسيعاد البيتان فى (٣ : ١٥٢) الأصل . وقبلهما : « وقال
- بعض الطيَّاب » . والطيَّاب ، بالكسر : جمع طيب ، وهو الفكّه المزجج . انظر سيبويه (٢ : ٢١١)
- والحيوان (٣ : ٢٧) .

عجبتُ من إبليس في كبره وَفُج ما أظهرَ من نيته (١)
 تاه على آدم في سجدة وصار قَوَاداً لِدُرِّيْتِه (٢)
 وذكره بهذا المعنى سليمان الأعمى ، أخو مسلم الأنصاري (٣) ، فقال :
 يَا بَنِي السَّجُودِ لَهُ مِنْ فَرْطِ نَحْوَتِهِ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي مِسْلَاحِ قَوَادِ
 وقال صفوان في شأن واصل وبشار ، وفي شأن النار والطين ، في كلمة
 له :

وفي جوفها للعبد أسترُ منزل وفي ظهرها يَقْضِي فرائضه العبد
 تَمُجُّ لُفَاطُ الْمِلْحِ مَجًّا وَتَصْطَفِي سَبَائِكَ لَا تَصْنَدًا وَإِنْ قَدُمَ الْعَهْدُ
 وَلَيْسَ بِمُحْصِي كُنْهَ مَا فِي بُطُونِهَا حَسَابٌ وَلَا خَطٌّ وَإِنْ بُلِغَ الْجَهْدُ
 فَسَائِلُ بَعْدَ اللَّهِ فِي يَوْمِ حَفْلِهِ وَذَاكَ مَقَامٌ لَا يَشَاهِدُهُ وَغَدُ (٤)
 أَقَامَ شَيْبٌ وَابْنُ صَفْوَانَ قَبْلَهُ بِقَوْلِ خَطِيبٍ لَا يَجَانِبُهُ الْقَصْدُ (٥)
 وَقَامَ ابْنُ عَيْسَى ثُمَّ قَفَّاهُ وَاصِلٌ فَأَبْدَعَ قَوْلًا مَالَهُ فِي الْوَرَى نِدُّ
 فَمَا نَقَصَتْهُ الرِّاءُ إِذْ كَانَ قَادِرًا عَلَى تَرْكِهَا وَاللَّفْظُ مَطْرِدٌ سَرْدُ
 فَفَضَّلَ عَبْدُ اللَّهِ خُطْبَةً وَاصِلٌ وَضُوعَفَ فِي قَسَمِ الصَّلَاتِ لَهُ الشُّكْدُ (٦)
 فَأَقْنَعَ كُلَّ الْقَوْمِ شُكْرَ حِبَائِهِمْ وَقَلَّ ذَاكَ الضَّعْفُ فِي عَيْنِهِ الزُّهْدُ ١٥

* * *

قد كتبنا احتجاجَ مَنْ زعم أنَّ واصلَ بنَ عطاءٍ كان غزَّالاً ، واحتجاجَ مَنْ

(١) هـ ، ب : « وخبت ما ابداه » .

(٢) ل : « في سجده » .

(٣) انظر ما سبق في ٣١ س ٦ .

(٤) يشير إلى ما كان من اجتماع شبيب وخالد بن صفوان والفضل بن عيسى وواصل ، عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز . انظر ما سبق في ص ٢٤ .

(٥) القصد : المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط . ل ، هـ : « أقام شيباً » .

(٦) الشكد ، بالضم : الجزاء والعطاء .

دفع ذلك عنه ، ويزعم هؤلاء أن قول الناس : واصل الغزال ، كما يقولون : خالده الحذاء^(١) ، كما يقولون : هشام الدستوائي^(٢) . وإنما قيل ذلك لأن الإباضية^(٣) كانت تبعث إليه من صدقاتها ثياباً دستوائية ، فكان يكسوها الأعراب الذين يكونون بالجناب^(٤) ، فأجابوه إلى قول الإباضية ، وكانوا قبل ذلك لا يزوجون الهجناء ، فأجابوه إلى التسوية وزوجوا هجيناً ، فقال الهجين في ذلك :
 إنا وجدنا الدستوائيين الصائمين المتعبدين
 أفضل منكم حسباً وديناً أخرى الإله المتكبرين
 * أفیکم من ینکح الهجینا^(٥) *

وقال : إنما قيل ذلك لواصل لأنه كان يكثر الجلوس^(٦) في سوق الغزالين ، إلى أبي عبد الله ، مولى قطن الهلالي . وكذلك كانت حال خالد الحذاء الفقيه . وكما قالوا : أبو مسعود البدری^(٧) ، لأنه كان نازلاً على ذلك الماء . وكما قالوا : أبو مالك

-
- (١) هو خالد بن مهران ، ويكنى أبا المبارك ، مولى لقریش لآل عبد الله بن عامر بن كريز . قيل إنما سمي حذاء لأنه كان يتكلم فيقول : احذ على هذا الحديث . المعارف ٢١٩ . وقيل إنه تزوج امرأة فنزل عليها في الحناتين فنسب إليها . السمعي ١٦٠ .
- (٢) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سنبر — كجعفر — الدستوائي البصري البكري ، وكان يرمى بالقدر ، روى عن قتادة ، وروى عنه يحيى القطان . ودستوا ، بفتح الدال والتاء ، من بلاد فارس . مات سنة ١٥٢ أو ١٥٤ وله ثمان وسبعون سنة . معجم البلدان ، والمعارف ٣٢٣ ، وتهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٥٥) .
- (٣) الإباضية : فرقة من فرق الخوارج ، نسبة إلى عبد الله بن إباض ، الخارج في أيام مروان بن محمد . انظر آراءهم في الملل (١ : ١٨٠) والفرق بين الفرق ٨٢ والمواقف ٦٣٠ .
- (٤) الجناب ، بالفتح : موضع في أرض كلب في السماوة ، بين العراق والشام . ل : بالحجاب » تحريف .
- (٥) الهجين : عري ولد من أمة ، أو من أبوه خير من أمه .
- (٦) فيما عدل ل » لكثرة جلوسه » .
- (٧) هو أبو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري البدری ، وشهرته بكنيته . صحاحي شهد العقبة وبدر ، توفي سنة ٤٠ . الإصابة ٥٥٩٩ والسمعي ٦٨ .

السُّدِّيَّ (١) ؛ لأنه كان يبيع الحُمْر في سُدَّة المسجد (٢) .
وهذا الباب مستقصى في كتاب « الأسماء والكنى » ، وقد ذكرنا جملة
منه في كتاب « أبناء السَّرَّارِ والمَهْدِرات » .

ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضرنى منها

٥ قال أبو عثمان : وهى أربعة أحرف : القاف ، والسين ، واللام ، والراء .
فأما التى هى على الشين المعجمة فذلك شئ لا يَصَوِّرُهُ الحَطُّ ؛ لأنه ليس من
الحروف المعروفة ، وإنما هو مَخْرُجٌ من المَخارج ، والمَخارجُ لا تُحصى ولا يُوقَفُ
عليها . وكذلك القولُ فى حروف كثيرة من حروف لغات العجم ؛ وليس ذلك
فى شئٍ أَكْثَرَ منه فى لغة الخوز . وفى سواحل البحر من أسياف فارسٍ ناسٌ
كثير ، كلامُهُمْ يشبه الصَّفير (٣) . فَمَنْ يستطيع أن يَصوِّرَ كثيراً
من حروف الزَّمزمة ، والحروف التى تظهر من فم الجوسى إذا ترك الإفصاح عن
معانيه ، وأخذ فى باب الكناية وهو على الطعام ؟!

فالثَّغَةُ التى تعرِّض للسين تكون ثاء ، كقولهم لأبى يكسوم (١) : أبى
يَكْثوم ؛ وكما يقولون : بُثْرَةٌ ، وبِثْمُ اللَّهِ ، إذا أرادوا بُسْرَةً ، وبِسمِ اللَّهِ .
والثانية اللثغة التى تعرِّض للقاف ؛ فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا
أراد أن يقول : قلت له ، قال : طُلت له ؛ وإذا أراد أن يقول : قال لى ، قال : طال لى .

(١) فى القاموس (سدد) : « وإسماعيل السدى لبيعه المقائع فى سدة مسجد الكوفة » . ومثله
فى اللسان . وفى تهذيب التهذيب : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة السدى ، أبو محمد الكوفى .
مات سنة سبع وعشرين ومائة . وذكر السمعاوى ٢٩٤ أنه مولى زينب بنت قيس بن مخزومة ، حجازى
الأصل ، سكن الكوفة .

٢٠ (٢) السدة : بالضم : الباب ، أو ما حول المسجد من الرواق .

(٣) فيما عدل : « شبيه بالصفير » .

(٤) أبو يكسوم : كنية أبرهة الملك الحبشى ، صاحب الفيل الذى وجه لهدم الكعبة ، وكان له
ابن يسمى « يكسوم » ، وبه كان يكنى . انظر السيرة ٤١ جوتنجن .

وأما اللثغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله : اعتَلْتُ : اعتَيْتُ ، وبدل جَمَل : جَمَى . وآخرون يجعلون اللام كافاً ، كالذي عرض لعمر أخى هلال ، فإنه كان إذا أراد أن يقول : ما العلة في هذا ، قال : مَكْعَكَّة في هذا .

- وَأَمَّا اللَّثْغَةُ الَّتِي تَقَعُ فِي الرَّاءِ فَإِنَّ عَدَدَهَا يُضْعِفُ عَلَى عَدَدِ لَثْغَةِ اللَّام ؛
لأنَّ الَّذِي يَعْرِضُ لَهَا أَرْبَعَةُ أَحْرَفٍ : فَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ عَمْرُو ، قَالَ :
عَمَى ، فَيَجْعَلُ الرَّاءَ يَاءً . وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ عَمْرُو ، قَالَ : عَمَغْ ،
فَيَجْعَلُ الرَّاءَ غَيْنًا . وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ عَمْرُو ، قَالَ : عَمَدُ ، فَيَجْعَلُ
الرَّاءَ ذَالًا . وَإِذَا أَنْشَدَ قَوْلَ الشَّاعِرِ ^(١) :

وَأَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبَدُّ
قال :

وَأَسْتَبَدَّتْ مَدَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبَدُّ
فَمَنْ هَؤُلَاءِ عَلَى بَنِ الْجُنَيْدِ بْنِ فُرَيْدَى .

- وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ الرَّاءَ ظَاءً مَعْجَمَةً ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ :
وَأَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبَدُّ
يقول :

- وَأَسْتَبَدَّتْ مَظَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبَدُّ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ الرَّاءَ غَيْنًا مَعْجَمَةً ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْشُدَ هَذَا الْبَيْتَ قَالَ :
وَأَسْتَبَدَّتْ مَعَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبَدُّ
كَمَا أَنَّ الَّذِي لُثِّغَتْهُ بِالْيَاءِ ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : « وَأَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً » يَقُولُ
« وَأَسْتَبَدَّتْ مَيَّةً وَاحِدَةً » .

(١) هو عمر بن أبي ربيعة ، من قصيدة في ديوانه ٧٦ مطلعها :

ليت هندا أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا عما نعيد

وأما اللثغة الخامسة التى كانت تعرض لواصل بن عطاء ، ولسليمان بن يزيد العدوى^(١) الشاعر ، فليس إلى تصويرها سبيل . وكذلك اللثغة التى تعرض فى السين^(٢) كنعو ما كان يعرض لمحمد بن الحجاج ، كاتب داود بن محمد ، كاتب أم جعفر ؛ فإنّ تلك أيضاً ليست لها صورةٌ فى الخط تُرى بالعين ، وإنما يصورها اللسان وتتأدّى إلى السمع . وربما اجتمعت فى الواحد لثغتان فى حرفين ، كنعو لثغة شوشى ، صاحب عبد الله خالد الأموى ؛ فإنه كان يجعل اللام ياءً والراء ياء . قال مرةً : مَوَيَّاءُ وَيَّيُّ أَيْ . يريد: مولاى ولى الرى . واللثغة التى فى الراء إذا كانت بالياء فهى أحقرهنّ وأوضعهنّ لذى المروءة ، ثم التى على الظاء ، ثم التى على الذال . فأما التى على الغين فهى أيسرهنّ ، ويقال إنّ صاحبها لو جَهِد نفسه جَهِدَه ، وأَحَدَ لسانَه^(٣) ، وتكلف مخرج الراء على حقّها والإفصاح بها ، لم يكُ بعيداً من أن تُجيبه الطّبيعة ، ويؤثّر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً .

وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلّم ، بالعين ، وكان إذا شاء أن يقول عَمَرُو ، ولعمري ، وما أشبه ذلك على الصّحّة قاله ، ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيوّ لذلك ، فقلت له : إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فلسْتُ أشكُّ أنّك لو احتملت هذا التكلف والتتبّع شهراً واحداً أنّ لسانك كان يستقيم . فأما من تعتريه اللثغة فى الضاد وربما اعتراه أيضاً فى الصّاد والراء ، حتّى إذا أراد أن يقول مُضَرَّ قال مُضَيّ ، فهذا وأشباهه لاحقون بشوشى . وقد زعم ناسٌ من العوام أنّ موسى عليه السلام كان ألثغ ، ولم يقفوا من الحروف التى كانت تعرض له على شىء بعينه . فمنهم من جعل ذلك خِلقة ، ومنهم من زعم أنّه إنما اعتراه حين قالت آسية بنتُ مزاحم امرأة فرعون لفرعون :

(١) ذكره الجاحظ فى الحيوان (٦ : ١٩١) وروى له القالى شعراً فى (٣ : ٢٨) .

(٢) فيما عدل : « الشين » .

(٣) هـ : « وأخذ لسانه » .

« لَا تَقْتُلْ طِفْلاً لَا يَعْرِفُ التَّمْرَ مِنَ الْجَمْرِ (١) ». فلمَّا دعا له فرعونُ بهما جميعاً تناول جَمْرَةً فَأَهْوَى بِهَا إِلَى فِيهِ ، فاعتراه من ذلك ما اعتراه .

٢٥ وأما اللُّثْغَةُ فِي الرَّاءِ فَتَكُونُ بِالْيَاءِ وَالظَّاءِ وَالذَّالِ وَالغَيْنِ ، وَهِيَ أَقْلُهَا قَبِيحاً وَأَوْجَدُهَا فِي ذَوِي الشَّرَفِ وَكِبَارِ النَّاسِ وَبُلْغَائِهِمْ وَعِلْمَائِهِمْ .

- وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم ، بالغين ، فإذا حَمَلَ عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمَ لِسَانَهُ أَخْرَجَ الرَّاءَ عَلَى الصَّحَةِ فَتَأْتِي لَهُ ذَلِكَ . وَكَانَ يَدْعُ ذَلِكَ اسْتِثْقَالاً . أَنَا سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُ .

قال : وَكَانَ الْوَاقِدِيُّ (٢) يَرَوِي عَنْ بَعْضِ رِجَالِهِ ، أَنَّ لِسَانَ مُوسَى كَانَتْ عَلَيْهِ شَأْمَةٌ (٣) فِيهَا شَعْرَاتٌ . وَلَيْسَ يَدُلُّ الْقِرَاءُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا (٤) ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾ دَلِيلٌ عَلَى شَيْءٍ دُونَ شَيْءٍ .
١٠ وقال الْأَصْمَعِيُّ : إِذَا تَتَنَعَاعَ اللِّسَانُ فِي التَّاءِ فَهُوَ تَمْتَامٌ ، وَإِذَا تَتَنَعَاعَ فِي الْفَاءِ فَهُوَ فَافَاءٌ . وَأَنْشُدْ لِرُؤْبَةِ بْنِ الْعَجَّاجِ :

يَا حَمْدَ ذَاتِ الْمُنْطِقِ التَّمْتَامِ (٥) كَأَنَّ وَسْوَاسَكَ فِي اللَّمَامِ (٦)

* حَدِيثُ شَيْطَانِ بْنِ هِنَاءٍ (٧) *

١٥ (١) فِيمَا عَدَالٍ : « لَا يَفْرُقُ » بَدَلُ « لَا يَعْرِفُ » .

(٢) الْوَاقِدِيُّ ، هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ وَاقِدِ الْوَاقِدِيُّ ، مَوْلَى الْأَسْلَمِيِّينَ . كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَانْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَوَلَّى الْقَضَاءَ بِهَا لِلْمَأْمُونِ . وَكَانَ عَالِماً بِالْمَغَازِي وَالسِّيَرِ وَالْفَتْوحِ وَالْأَخْبَارِ . وَلَدَ سَنَةَ ١٣٠ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٠٧ . الْفَهْرَسْتُ لِابْنِ النَّدِيمِ ١٤٤ وَالْمَعَارِفُ ٢٢٦ وَتَارِيخُ بَغْدَادَ (٣ : ٣) — (٢١) وَابْنُ خُلِّكَانَ (١ : ٥٠٦) وَالسَّمْعَانِيُّ ٥٧٧ .

(٣) الشَّأْمَةُ ، بِالْهَمْزِ وَبِلُونِهِ : الْخَالُ فِي الْجَسَدِ . فِيمَا عَدَالٍ : « شَأْمَةٌ » .

(٤) فِيمَا عَدَالٍ : « مِمَّا قَالُوا » .

(٥) فِي الدِّيَوَانِ ١٤٤ : « يَا هَالِ » مَرْحَمُ هَالَةٍ . وَالْبَيْتُ مَطْلَعُ أَرْجُوزَةٍ لَهُ يَمْدَحُ بِهَا مُسْلِمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ .

(٦) يُقَالُ : مَا يَزُورُنَا إِلَّا لَمَامًا : أَيْ إِلَّا أحياناً عَلَى غَيْرِ مُوَاطَبَةٍ .

(٧) فِي اللِّسَانِ : « بَنُو هِنَاءٍ : حَتَّى مِنَ الْجَنِّ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الشَّعْرِ الْقَصِيحِ » . وَفِي الْأَصُولِ :

« بَنُو هِمَامٍ » صَوَابُهُ مِنَ الدِّيَوَانِ .

وبعضهم ينشد :

* يا حَمْدُ ذاتِ المنطقِ التَّمَنُّمِ *

وليس ذلك بشيء ، وإنما هو كما قال أبو الرَّحْفِ (١) :

لست بفأفأٍ ولا تَمَتَّامٍ ولا كثيرِ الهُجْرِ في الكلامِ
وأنشد أيضاً للحوَلَانِي في كلمة له :

إِنَّ السَّيَاطِ تَرَكْنَ لاسِتِكَ منطِقاً كمقالة التمتام ليس بِمُعَرَّبٍ
فجعل الحَوَلَانِي التمتامَ غيرَ مُعَرَّبٍ عن معناه ، ولا مفسحٍ بحاجته .
وقال أبو عبيدة : إذا أدخَلَ الرَّجُلُ بعضَ كلامه في بعضِ فهو أَلْفٌ ،
وقيل بلسانه لَفَفٌ . وأنشدني لأبي الرَّحْفِ الراجز :

كَأَنَّ فِيهِ لَفَفاً إِذَا نَطَقَ مِنْ طُولِ تَحْيِيسٍ وَهَمٍّ وَأَرْقٍ ١٠
كَأَنَّهُ لَمَّا جَلَسَ وَحَدَّهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ يَكَلِّمُهُ ، وَطَالَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، أَصَابَهُ
لَفَفٌ فِي لِسَانِهِ .

وكان يزيد بن جابر ، قاضي الأزارقة (٢) بعد المُقَعِّطِ ، يقال له الصَّمُوتُ ؛
لأنَّه لما طال صمته ثَقُلَ عليه الكلام ، فكان لسانه يلتوى ، ولا يكاد يبين .
وأخبرني محمد بنُ الجهم (٣) أَنَّ مثل ذلك اعتراه أيامَ محاربة الرُّطِّ (٤) ، من
طول التفكُّرِ (٥) ولزوم الصَّمَتِ . ١٥

(١) هو أبو الزحف بن عطاء بن الخطفي — ابن عم جرير بن الخطفي — وعمر أبو الزحف حتى بلغ
زمان محمد بن سليمان بن عبد الله بن عباس . انظر الشعراء لابن قتيبة .

(٢) الأزارقة : فرقة من فرق الخوارج السبع : نسبة إلى نافع بن الأزرق . انظر آراءهم في الملل (١) :
١٦٠) ومفاتيح العلوم ١٩ والمواقف ٦٢٩ والفرق بين الفرق ٨٢ .

(٣) هو محمد بن الجهم البرمكي ، ولده المأمون عدة ولايات . وقد ذكر أبو الفرج في الأغاني (١٣) :
١٥) أسئلة طريفة في الأدب والشعر ، وجهها إليه المأمون فأعجبه جوابها ، وكان هذا الاختيار مؤهلاً لحصوله
على هذه الولايات .

(٤) الرط : جيل من الهند . انظر تحقيق اسمهم في حواشي الحيوان (٥ : ٤٠٧) . وقد كان هؤلاء ممن
حاربهم المأمون . انظر حوادث سنة ٢٠٥ ، ٢٠٦ من كتب التاريخ .

(٥) هـ : « التفكير » .

قال : وأنشدني الأصمعي :

حديث بنى قُرَيطُ إذا ما لقيتهم كَنَزُوا الدِّبَا في العُرفِجِ المتقاربِ (١)

قال ذلك حين كان في كلامهم عَجَلَةٌ . وقال سلمة بن عِيَّاش (٢) :

كَأَنَّ بنى رَأْلَانَ إِذْ جَاءَ جَمْعُهُمْ فَرَارِيحُ يُلْقَى بَيْنَهُنَّ سَوِيْقُ (٣)

فقال ذلك لِدِقَّةِ أَصْوَاتِهِمْ (٤) وَعَجَلَةٌ كلامهم . وقال اللّهُبِيُّ (٥) في اللّجلاج :

ليس خَطِيبُ القومِ باللّجلاج ولا الذی يَزْحَلُ كالِهلباج (٦)

وَرُبَّ يِدَاءٍ وَلِيلٍ دَاجٍ هَتَكَتُهُ بِالنَّصِّ والإدلاج

وقال محمد بن سَلَامُ الجُمَحِي : كان عمرُ بن الخطاب ، رحمه الله ،

إِذَا رَأَى رَجُلًا يَتَلَجَّلُجُ في كلامه ، قال : « خالَتُ هَذَا وَخَالَقُ عَمْرُو بنِ العاصِي وَاحِدٌ » (٧) .

ويقال : في لسانه حُبْسَةٌ ، إِذَا كَانَ الكَلَامَ يَثْقُلُ عَلَيْهِ ولم يَبْلُغْ حَدَّ الْفُافَاءِ ١٠

وَالْتِمَتَامَ . ويقال في لسانه عَقْلَةٌ ، إِذَا تَعَقَّلَ عَلَيْهِ الكَلَامَ (٨) . ويقال في لسانه

(١) بنو قُرَيط : بطن من بنى بكر بن كلاب . انظر المعارف ٤٠ والقاموس (قرط) . فيما عدا

ل ، هـ « بنى زط » تحريف ، اجتلبه ما سبق من الكلام . والدبا : الجراد قبل أن يطير .

(٢) سلمة بن عِيَّاش : شاعر بصرى من مخضرمى الدولتين ، وكان منقطعاً إلى جعفر ومحمد ،

ابنى سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، بمدحهما . انظر الأغاني (٢١ : ٨٤ - ٨٦) . ١٥

(٣) بنو رَأْلَانَ : قبيلة من مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « لِرَقَّةِ أَصْوَاتِهِمْ » تحريف .

(٥) اللّهُبِيُّ ، هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب ، أحد شعراء بنى هاشم ، وكان ممن

وفد على عبد الملك بن مروان . انظر الأغاني (١٥ : ٢ - ١٠) ، والمؤتلف ٣٥ والمرزبانى ٣٠٩ .

(٦) يَزْحَلُ : يزل عن مقامه . قال ليبد : ٢٠

لو يقوم الفيل أو قِيَالَهُ زل عن مثل مقامى وزحل

والهلباج : الأحمق الشديد الحمق .

(٧) فيما عدا ل ، هـ : « إِذَا رَأَى الرَّجُلَ » و« عَمْرُو بنِ العاصِ » . وفي تاج العروس (١٠ : ٢٤٥) :

« قال النحاس : سمعت الأَخْفَشَ يَقُولُ : هو العاصي بالياء ، لا يجوز حذفها . وقد هُجَتِ العامة بحذفها . قال

النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة يعنى أنه من الأسماء المنقوصة ، فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » ٢٥

وانظر شرح الرضى للشافعية (٢ : ٣٠٣) . والخير في الحيوان (٥ : ٥٨٧) وعيون الأخبار (٢ : ١٧١) .

(٨) الكلام بعد « التتمام » إلى هنا من ل ، هـ .

لكنة ، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب ، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول . فإذا قالوا في لسانه حُكَلَة فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق ، وعجز أداة اللفظ ، حتى لا تُعرَف معانيه إلا بالاستدلال .

وقال رؤبة بن العجاج :

لو أننى أوتيتُ عِلْمَ الحُكَلِ عِلْمَ سليمانَ كلامَ النملِ (١)
وقال محمد بن ذؤيب (٢) ، في مدح عبد الملك بن صالح :
وفهم قول الحُكَلِ لو أنَّ ذَرَّةً تساودُ أخرى لم يَفْتَهُ سيوادُها (٣)
وقال التيمي (٤) في هجائه لبني تغلب :

ولكنَّ حُكَلًا لا تُبينُ ودينُها عبادةُ أعلاجٍ عليها البرانس (٥)
قال : وأنشدني سُحيمُ بن حفص (٦) ، في الخطيب الذي تعرض له
التَّحْنِحة والسُّعْلة ، وذلك إذا انتفخ سَحْرُه ، وكَبَا زَنْدُه ، ونَبَا حُدُّه ؛ فقال :
نَعُوذُ بالله مِنْ الإِهْمَالِ وَمِنْ كَلَالِ الْعَرَبِ فِي الْمَقَالِ
* ومن خطيب دائم السُّعالِ *

(١) وكذا جاءت النسبة في الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ٥١٥ وأمثال الميداني (١) :
٢/٤٥٤ (٨٥ : ٤ : ٨ ، ٢٣) . لكن قال ابن برى : « الرجز للعجاج » . انظر اللسان
(حكل) . والحكل : ما لا يسمع له صوت من الحيوان .

(٢) هو أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيمي العماني الراجز ، وقيل له العماني وهو بصرى ولم
يكن من أهل عمان ؛ لأن دكيناً الراجز نظر إليه فقال : من هذا العماني ؟ وذلك أنه كان أصفر
مطحولا . وهو شاعر راجز من شعراء الدولة العباسية ، كان مقرباً من الرشيد . الأغاني (١٧ : ٧٨ -
٨٣) والشعراء لابن قتيبة .

(٣) السواد ، بالكسر : السرار . وانظر الحيوان (٤ : ٢٣) .

(٤) في الحيوان (٤ : ٢٤) : « وقال التيمي الشاعر المتكلم » .

(٥) أنشده في الحيوان برواية : « عجم وحكل لا تبين » .

(٦) ويقال أيضاً في اسمه « عامر بن حفص » ولقبه « سحيم » . ويلقبه هذا يذكره الجاحظ في
مواضع كثيرة . والمدائني في كتبه يذكره بتأنيده ألقاب وأسماء . انظر الفهرست لابن النديم ٩٤ ليسك
١٣٨ . مصر . قال ابن النديم : كان عالماً بالأخبار والأنساب ، ثقة فيما يرويه . وتوفى سنة ١٩٠ .

وأنشدني ابن الأعرابي :

إنَّ زياداً ليس بالبكيِّ ولا بهيَّابٍ كثيرِ العيِّ

وأنشدني بعض أصحابنا :

ناديتْ هَيْدَانَ والأبوابُ مغلقةٌ ومثلُ هَيْدَانَ سَنَى فتحةَ البابِ^(١)

كالهَيْدوانِي لم تُفَلِّلْ مَضارِيهٗ وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وَجَّابٍ^(٢)

وقال آخر :

* إذا الله سَنَى عَقْدَ شَيْءٍ تيسراً^(٣) *

وقال بشر بن المُعْتَمِر^(٤) ، في مثل ذلك :

وَمِنْ الكَبائِرِ مِقْوَلٌ مُتَتَعِّعٌ جُمُ التَّنَحُّجِ مُتَعَبٌ مَبْهُورٌ^(٥)

وذلك أَنَّهُ شهدَ رَيْسَانَ ، أبا بَجَيْرٍ بنِ رَيْسَانَ ، يَخْطُبُ . وقد شهدتُ

أنا هذه الخطبة ولم أرَ جباناً قطُّ أَجراً مِنْهُ ، ولا جريئاً قطُّ أَجَبْنَ مِنْهُ .

وقال الأشُّلُّ الأَزْرَقِيُّ - من بعض أحوالِ عُمَرَ بنِ حِطَّانِ الصُّفَرِيِّ القَعْدِيِّ^(٦) .

(١) سَنَى : فتح وسهل . والبيتان محرفان في العقد (٣ : ٣٩٠) .

(٢) الهيدوانى ، بضم الدال مع ضم الهاء وكسرهما : السيف المطبوع من حديد الهند . تفلل : تنظم .

والوَجَّابُ : الخفاف المضطرب من الخوف .

(٣) يروى صدره : * وأعلم علماً ليس بالظن أنه * .

و : * فلا تياساً واستغفراً لله إنه * .

انظر اللسان (غور ، سنا) وأمالى القالى ١ : ٢٣٥ .

(٤) بشر بن المعتمر ، صاحب البشرية ، انتهت إليه رئاسة المعتزلة ببغداد ، وانفرد عن أصحابه المعتزلة في

بعض مسائل أوردتها في كتابي « معجم الفرق الإسلامية » . وكان بشر نخاساً في الرقيق . توفي سنة ٢١٠ . انظر

لسان الميزان (٢ : ٢٣) والملل والنحل (١ : ٨١) والمواقف ٦٢٢ ومفاتيح العلوم ١٩ والفرق ١٤١ واعتقادات الرزى

٤٢ واللسان (ربيع) . فيما عدل ، هـ : « بشر بن معمر » تحريف . وليشر قصيدتان في الحيوان (٦ : ٢٨٤ - ٢٩٧) .

(٥) المقول : الكثير القول .

(٦) هو أبو سماك عمران بن حطان بن ظبيان السدوسى ، رأس القعدة من الصفرية ، وخطيبهم

وشاعروهم ، أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم ، ثم لحق بالشرأة فطلبه الحجاج فهرب إلى الشام ، فطلبه

عبد الملك ففر إلى عمان . ولما طال عمره قعد عن الحرب ، فاكتفى بالتحريض والدعوة بشعره . توفي سنة

٨٤ . الإصابة ٦٨٦٩ .

- في زيد بن جندب الإيادي^(١) خطيب الأزارقة ، وقد اجتمعا في بعض المحافل ، فقال بعد ذلك الأسئل البكرى^(٢) :

نَحْنَحْ زَيْدٌ وَسَعْلٌ لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسْلُ
وَيْلُ أُمِّهِ إِذَا ارْتَجَلُ ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَفَلُ

وقد ذكر الشاعر زيد بن جندب الإيادي ، الخطيب الأزرقى ، في مرثيته لأبي ذؤاد بن حريز الإيادي^(٣) ، حيث ذكره بالخطابة وضرب المثل بخطباء إياد ، فقال :

كَقُسِّ إِيَادٍ أَوْ لَقِيطِ بْنِ مَعْبُدٍ وَعُذْرَةَ وَالْمِنْطِيقِ زَيْدِ بْنِ جُنْدَبٍ
وزيد بن جندب هو الذى قال فى الاختلاف الذى وقع بين الأزارقة :
١٠ قُلْ لِلْمِجْلِينَ قَدْ قَرَّتْ عَيُونُكُمْ بِفُرْقَةِ الْقَوْمِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْهَرَبِ^(٤)
كُنَّا أَنَسَاءً عَلَى دِينَ فَفَرَّقْنَا طُولَ الْجِدَالِ وَخَلَطَ الْجِدَّ بِاللَّعِبِ^(٥)
مَا كَانَ أَغْنَى رَجُلًا ضَلَّ سَعِيَهُمْ عَنِ الْجِدَالِ وَأَغْنَاهُمْ عَنِ الْخُطْبِ
إِنِّي لِأَهْوَيْكُمْ فِي الْأَرْضِ مُضْطَرِيًّا مَالِي سِوَى فَرْسَى وَالرُّمَحِ مِنْ نَشْبِ
وَأَمَّا عُذْرَةُ الْمَذْكُورِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فَهِيَ عُذْرَةُ بْنُ حُجَيَّةٍ^(٦) الْخَطِيبُ الْإِيَادِيُّ .
١٥ وَيَدُلُّ عَلَى قَدْرِهِ فِيهِمْ ، وَعَلَى قَدْرِهِ فِي اللِّسَنِ وَفِي الْخُطْبِ ، قَوْلُ شَاعِرِهِمْ :
وَأَيُّ فَتَى صَبَّرَ عَلَى الْإَيْنِ وَالظُّمَاءِ إِذْ اعْتَصَرُوا لِلَّوْحِ مَاءَ فِظَاطِهَا^(٧)
إِذَا ضَرَجُوهَا سَاعَةً بِدِمَائِهَا وَحُلَّ عَنِ الْكُومَاءِ عَقْدُ شِظَاطِهَا^(٨)

(١) له شعر فى الحيوان (٦ : ٢١٩) .

(٢) هـ : « النكرى » .

(٣) فيما عدل ، هـ : « بن جرير » تحريف . انظر اللآلى ٧١٨ . ٢٠

(٤) فيما عدل : « قد قرت عيونكم » .

(٥) فيما عدل : « قرع الكلام » .

(٦) فيما عدل ، هـ : « عذرة بن حجة » .

(٧) اللوح ، بالفتح والضم : العطش . والفظاظ : جمع فظ ، وهو ماء الكرش . وكانوا يعتصرون ماء الكرش إذ عز عليهم الماء فى المفاوز . ٢٥

(٨) الكوماء : الناقة العظيمة السنام . والشظاظ : العمود الذى يدخل فى عروة الحوائق .

فَإِنَّكَ ضَحَّاكَ إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ وَأَنْطَقُ مِنْ قُسٍّ عَدَاةَ عُكَاطِهَا
إِذَا شَعَبَ الْمَوْلَى مُشَاغِبٌ مَعْشَرٍ فَعُدْرَةٌ فِيهَا آخِذٌ بِكَظَاظِهَا^(١)

فلم يضرب هذا الشاعرُ الإيادى المثلَ لهذا الخطيبِ الإيادى ، إلا
بِرَجُلٍ مِنْ حُطْبَاءِ إِيَادٍ ، وَهُوَ قُسٌّ بْنُ سَاعِدَةَ . وَلَمْ يَضْرِبْ صَاحِبُ مَرْتَبَةٍ أَى
دَوَادٍ بِنَ حَرِيزِ الْإِيَادَى^(٢) الْمَثَلَ إِلَّا بِحُطْبَاءِ إِيَادٍ فَقَطْ ، وَلَمْ يَفْتَقِرْ إِلَى غَيْرِهِمْ ،
حَيْثُ قَالَ فِي عُدْرَةِ بِنِ حُجَبِيَّةٍ^(٣) :

كَقُسٍّ إِيَادٍ أَوْ لَقِيطٍ بِنِ مَعْبِدٍ وَعُدْرَةَ وَالْمَنْطِيقِ زَيْدِ بِنِ جُنْدَبٍ
وَأَوَّلُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ قَوْلُهُ :

نَعَى ابْنَ حَرِيزٍ جَاهِلٌ بِمُصَابِهِ فَعَمَّ نَزَارًا بِالْبُكَاءِ وَالتَّحَوُّبِ^(٤)
نَعَاهُ لَنَا كَاللَّيْثِ يَحْمِي عَرِيَّتَهُ وَكَالْبِدْرِ يُعْشِي ضَوْؤُهُ كُلَّ كَوَكِبٍ ١٠
وَأَصْبَرَ مِنْ عَوْدٍ وَأَهْدَى إِذَا سَرَى مِنَ النَّجْمِ فِي دَاخٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبٍ^(٥)
وَأَذْرَبُ مِنْ حَدِّ السِّنَانِ لِسَانَهُ وَأَمْضَى مِنَ السَّيْفِ الْحَسَامِ الْمَشْطَبِ^(٦)
زَعِيمُ نَزَارٍ كُلُّهَا وَخَطِيبُهَا إِذَا قَامَ طَاظًا رَأْسَهُ كُلُّ مِشْعَبٍ
سَلِيلُ قُرُومٍ سَادَةٍ ثُمَّ قَالَةٍ يَبْذُونَ يَوْمَ الْجَمْعِ أَهْلَ الْمُحْصَبِ^(٧)
كَقُسٍّ إِيَادٍ أَوْ لَقِيطٍ بِنِ مَعْبِدٍ وَعُدْرَةَ وَالْمَنْطِيقِ زَيْدِ بِنِ جُنْدَبٍ ١٥

(١) الكظاظ : ممارسة الشدة وملازمتها .

(٢) انظر ما سبق ص ٤٢ . وفيما عدل ، هـ : « بن جرير » .

(٣) انظر ما سبق ص ٤٢ . وفيما عدل ، هـ : « ابن حجرة » .

(٤) التحوب : البكاء في جزع وصياح . والبيت في سبط اللائ ٧١٨ .

(٥) العود ، بالفتح : الجمل المسن وفيه بقية . وفي أمثالهم : « زاحم يعود أودع » ، أى استعن على
حرك بأهل السن والمعرفة ، فإن رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .

(٦) الذرب : الحدة . والحسام : القاطع . والمشطب : الذى فيه طرائق في منته .

(٧) أشير في هامش ل إلى رواية « ثم قادة » في نسخة . والمحصب : موضع رمى الجمار بمنى .

في كلمة له طويلة . وإيّاهم عَنَى الشّاعِرُ بقوله :

يَرْمُونُ بِالْخُطْبِ الطَّوَالَ وَتَارَةً وَحَى الْمَلَا حِظْ خَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ^(١)
 قال : أخبرني محمد بن عباد^(٢) بن كاسب ، كاتبُ زهير ومولى بَجِيلَةَ
 من سَبِي دابق^(٣) ، وكان شاعراً راوية ، وطلّابة للعلم علامة ، قال :
 سمعت أبا داود بن حريز^(٤) يقول وقد جرى شيء من ذكر الخطب وتخيير
 الكلام واقتضائه ، وصعوبة ذلك المقام وأهواله ، فقال : « تلخيص المعاني
 رَفَقٌ^(٥) ، والاستعانة بالغريب عَجْزٌ ، والتشادق من غير أهل البادية بُغْضٌ ،
 والنظر في عيون الناس عَيٌّ ، ومسُّ اللّحية هُلْكَ ، والخروج ممّا بُنِيَ عليه أوّل
 الكلام إسهاب » .

١٠ قال : وسمعتَه يقول : « رأس الخطابة الطبع ، وعمودها اللّربة ،
 وجناحاها رواية الكلام ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تحخير الألفاظ^(٦) . والمحبة
 مقرونة بقلّة الاستكراه » . وأنشدني بيتاً له في صفة خطباء إِيَاد :
 يَرْمُونُ بِالْخُطْبِ الطَّوَالَ وَتَارَةً وَحَى الْمَلَا حِظْ خَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ
 فذكر المبسوط في موضعه ، والمحذوف في موضعه ، والموجز ، والكناية
 ١٥ والوَحَى بِاللَّحْظِ ودلالة الإشارة . وأنشدني له الثّقة في كلمة له معروفة :
 الْجَوْدُ أَحْسَنُ مَسًّا يَا بَنِي مَطَرٍ مِنْ أَنْ تَبْزَكُمُوهُ كَفَّ مُسْتَلَبِ^(٧)
 مَا أَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ الْجَوْدَ مَدْفَعَةٌ لِلذَّمِّ لَكِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّشَبِ

(١) عَنَى بالملاحظ العيون ، لحظه لحظاً : نظره بمؤخر عينه . والبيت منسوب إلى أبي داود بن حريز . وهو بهذه النسبة في زهر الآداب (١ : ٩٦) .

(٢) هـ : « عتاب » . ٢٠

(٣) دابق ، بكسر الباء ، وروى بفتحها : قرية قرب حلب .

(٤) فيما عدل : « حريز » . وانظر ما مضى ص ٤٢ .

(٥) التلخيص : التبيين والشرح والتقريب .

(٦) فيما عدل : « اللفظ » .

(٧) بنو مطر : رهط معن بن زائدة الشيباني ، الجواد المعروف . وابن أخيه يزيد الشيباني ٢٥
 المملوك بالكرم والشجاعة . انظر أخبارهما في وفيات الأعيان وغيرها . بَرَزَ الشيءُ : استلبه منه .

- قال : ثم لم يحفل بها ، فادّعاها مسلّم بن الوليد الأنصاري ، أو ادّعيّت له . وكان أحد من يجيد قريض الشعر وتجيير الخطب (١) .
- وفي الخطباء من يكون شاعراً ويكون إذا تحدّث أو وصف أو احتجّ بليغاً مفوهاً بيناً ، وربما كان خطيباً فقط ، وبين اللسان فقط .
- فمن الخطباء الشعراء ، الأبياء الحكماء : قُص بن ساعدة الإيادي .
- والخطباء كثير ، والشعراء أكثر منهم ، ومن يجمع الشعر والخطابة قليل .
- ومنهم : عمرو بن الأهتم المنقري ، وهو المُكحل ، قالوا : كأنّ شعره في مجالس الملوك حلّ منشورة (٢) . قيل لعمر بن الخطاب رحمه الله : « قيل للأوسية : أيّ منظر أحسن ؟ فقالت : قصور بيض في حدائق خضر » ، فأنشد عند ذلك عمر بن الخطاب ، بيت عدى بن زيد العبادي :
- كَدَمِي العاج في المحارب أو كال سبيض في الرّوض زهّره مُستبّر
- قال : فقال قسامة بن زهير (٣) : « كلام عمرو بن الأهتم آتق ، وشعره أحسن » . هذا ، وقسامة أحد أبناء العرب .
- ومن الخطباء الشعراء : البعيث المُجاشعي ، واسمه خدّاش بن بشر بن يبيّة (٤) .
- ومن الخطباء الشعراء : الكميّ بن زيد الأسدي (٥) ، وكنيته أبو المستهلّ .

(١) فيما عدل ، هـ : « الكلام » .

(٢) هـ : « منشورة » .

(٣) قسامة بن زهير المازني ، له إدراك ، وكان ممن افتتح الأبلّة مع عتبة بن غزوان ، وكان رأساً في

٢٠ تلك الحروب . مات بعد الثمانين . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٤) في المؤلف ٥٦ ، أنه خدّاش بن بشر بن خالد بن يبيّة بن قوط بن سفيان بن مجاشع .

دخل بين جرير وغسان السليطي ، وأعان غسان ، فلج الهجاء بينه وبين جرير والفرزدق ، وسقط البعيث . فيما عدل : « لبيد » بدل « يبيّة » تحريف .

(٥) من يقال له الكميّ من الشعراء ثلاثة ، كلهم أسدي ، من بني أسد بن خزيمه . وأعرفهم

٢٥ وأشهرهم الكميّ بن زيد ، وكان مكثرًا جداً ، يتعمّل لإدخال الغريب في شعره ، وله في أهل البيت الأشعار المشهورة ، وهي أجود شعره . وهذا الكميّ هو الكميّ الأصغر =

ومن الخطباء الشعراء : الطِّرْمَاحُ بن حَكِيم الطائِي^(١) ، وكنيته أبو نُفَرٍ
قال القاسم بن مَعْنٍ : قال مُحَمَّد بن سهل راويةُ الكُميت : أنشدتُ الكُميت
قولَ الطِّرْمَاح :

إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطِّرْمَاحِ أُخْلِقَتْ عُرَى الْمَجْدِ وَاسْتَرْخَى عِنانُ الْقَصَائِدِ

قال : فقال الكُميت : إِي والله ، وعِنانُ الحَظابة والرَّواية .

وقال أبو عثمان الجاحظ : ولم يَرِ النَّاسُ أَعْجَبَ حالاً من الكُميتِ
والطِّرْمَاح . وكان الكُميتُ عدنانياً عَصِيّاً ، وكان الطِّرْمَاحُ قَحْطانياً عَصِيّاً .
وكان الكُميت شيعياً من الغالية ، وكان الطِّرْمَاحُ خارجياً من الصُّفْريَّة . وكان
الكُميت يتعصَّب لأهل الكوفة ، وكان الطِّرْمَاحُ يتعصَّب لأهل الشام . وبينهما
مع ذلك من الخاصَّة والخالطة ما لم يكن بين نَفْسَيْنِ قطَّ ، ثم لم يَجْرَ بينهما
صُرْمٌ ولا جَفْوَةٌ ولا إِعْراضٌ ، ولا شيءٌ مما تدعو هذه الخصالُ إليه . ولم يَرِ النَّاسُ
مثلهما إلا ماذكروا من حال عبد الله بن يزيد الإباضي^(٢) ، وهِشام بن الحَكَم
الرافضي^(٣) ؛ فإنَّهما صارَا إلى المشاركة بعد الخِلطة والمصاحبة^(٤) .

= وأما الأكبر فهو الكُميت بن ثعلبة ، أحد الشعراء المخضرمين ، وهو جد الكُميت الأوسط :

الكُميت بن معروف بن الكُميت بن ثعلبة ، شاعر مخضرم أيضاً . انظر المؤلف ١٨٠ والمرزبانى ٣٤٧ .

(١) الطِّرْمَاح بن حَكِيم : شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، مولده ومنشؤه بالشام ، ثم
انتقل إلى الكوفة مع من وردوا من جيوش أهل الشام فاعتقد مذهب الشراة والأزارقة ، وكان فصيحاً يكثر
في شعره الغريب . قال محمد بن حبيب : سألت ابن الأعرابي عن ثمانى عشرة مسألة كلها من غريب شعر
الطِّرْمَاح فلم يعرف واحدة منها . انظر الشعراء لابن قتيبة والأغانى (١٠ : ١٤٨) والحزانة (٣ : ٤١٨) .

(٢) فيما عدا ل : « بن زيد الإباضي » .

(٣) هشام بن الحَكَم : صاحب مذهب الهشامية ، وهم فرقة من الغالية عند الشهرستاني ، ومن

المشبهة عند الخوارزمي في مفاتيح العلوم ٢٠ ، ومن الإمامية الرافضة عند صاحب الفرق . وكان يقول
بالتنجسيم والتشبيه . وآراؤه مفصلة في الفرق ٤٧ — ٥٣ والملل والنحل (٢ : ٢١ — ٢٣) . وانظر

الحيوان (٣ : ١١) .

(٤) الخِلطة ، بالكسر : العشرة ؛ وبالضم : الشركة .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

وقد كانت الحال بين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة ، الحال التي تدعو إلى المفارقة بعد المنافسة والمحاسدة ؛ للذي اجتمع فيهما من اتفاق الصناعة والقراية والمجاورة ، فكان يُقال : لولا أنهما أحكم تميم لتباينا تباين الأسد والثمر . وكذلك كانت حال هشام بن الحكم الرافضي ، وعبد الله بن يزيد الإباضي^(١) ، إلا أنهما أفضلًا^(٢) على سائر المتضادين ، بما صارا إليه من الشراكة في جميع تجارتهما . وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة فقال : « ليس له صديق في السر ، ولا عدو في العلانية^(٣) » ، فلم يعارضه شبيب . وتدل كلمة خالد هذه على أنه يُحسِن أن يسب سب الأشراف .

ومن الشعراء الخطباء : عمران بن حطان ؛ وكنيته أبو شهاب ، أحد بني عمرو بن شيبان إخوة سدوس .

- ١٠ . فمن بني عمرو بن شيبان مع قتلهم من الخطباء والعلماء والشعراء : عمران بن حطان رئيس القعد من الصُفَرِيَّة ، وصاحب فتياهم ، ومفرعهم عند اختلافهم . ومنهم : دَعْلَج بن حنظلة النَّسَّاب ، الخطيب العلامة . ومنهم القَعْقَاع بن شُور^(٤) . وسندكر شأنهم إذا انتهينا إلى موضع ذكرهم إن شاء الله .
- ١٥ . ومن الخطباء الشعراء : نصر بن سيار^(٥) ، أحد بني ليث بن بكر ، صاحب

(١) فيما عدل ، هـ : « بن زيد » . وانظر ما سبق ص ٤٦ .

(٢) فيما عدل ، هـ : « فضلا » وهما شيان ، يقال فضل كنصر وعلم ، وأفضل عليه وعنه ، أي زاد .

(٣) الخبر في الحيوان (٥ : ٥٩٢) وعيون الأخبار (٣ : ٧٣) والعقد (٢ : ٢٧١) وسيأتي في ٣٤٠ .

(٤) شور ، بفتح الشين المعجمة . وفي القاموس أن القَعْقَاع بن شور تابعي . وترجم له في لسان

الميزان (٤ : ٤٧٤) ، وقال : من كبار الأمراء في دولة بني أمية . وفيه يقول الشاعر :

وكتبت جليس قَعْقَاع بن شور ولا يشقى بقَعْقَاع جليس

(٥) نصر بن سيار : أمير من الدهاة الشجعان ، كان أمير خراسان سنة ١٢٠ ، وله هشام بن

عبد الملك . ثم غزا ما وراء النهر ففتح حصونا وغنم كثيرا ، وأقام بمر . وقد انتبه إلى استفحال الدعوة

العباسية ، فكتب إلى بني مروان بالشام فلم يأبهوا بالخطر ، وظل يكافح حتى عجز وتغلب أبو مسلم على

خراسان ، فخرج نصر من مرو إلى قورمس ، واستمر في كفاحه إلى أن لحقه المرض في مفازة بين الري

وهذان . ومات بساوة سنة ١٣١ .

خراسان . وهو يُعَدُّ في أصحاب الولايات والحروب ، في التدبير ، وفي العقل
وشِدَّة الرأي

ومن الخطباء الشعراء العلماء : زيد بن جُندب الإيادي ، وقد ذكرنا
شأنه (١) .

ومن الخطباء الشعراء : عجلان بن سَحْبَانَ الباهليّ ؛ وسحبان هذا هو
سحبان وائل ، وهو خطيب العرب .

ومن الخطباء الشعراء العلماء ، ومن قد تنافر إليه الأشراف : أعشى
هَمْدَان .

ومن الشعراء الخطباء : عمران بن عِصام العَنَزِيّ (٢) ، وهو الذي أشار
على عبد الملك بنخلع عبد العزيز أخيه ، والبيعة للوليد بن عبد الملك ، في
خطبته المشهورة وقصيدته المذكورة . وهو الذي لمّا بلغ عبد الملك بن مروان
قَتْلَ الحِجَّاج له قال : ولم قَتَله ، ويَله ؟ أَلَا رَعَى له قَوْلَه فيه :

وَبَعَثْتُ مِنْ وَلَدِ الْأَعْرُ مُعْتَبٍ صَقْرًا يَلُودُ حَمَامَهُ بِالْعَرَفِجِ (٣)
فَإِذَا طَبَحَتْ بِنَارِهِ أَنْضَجَتْهَا وَإِذَا طَبَحَتْ بِغَيْرِهَا لَمْ تَنْضَجِ
وَهُوَ الْهَزْبُ إِذَا أَرَادَ فَرِيَسَةً لَمْ يُنَجِّهَا مِنْهُ صِيَا حُ مُهْجِجِ (٤)

(١) انظر ما سبق ص ٤٢ .

(٢) عمران بن عصام العنزى : شاعر خطيب ذو لسان وذو جلد وشجاعة ، عرفه الحجاج فبعثه إلى
عبد الملك بن مروان لينزع الولاية من أخيه عبد العزيز بن مروان ، ويجعلها لابنه الوليد بن عبد الملك ، فقام
بذلك ، ولم يلبث عبد العزيز إلا ستة أشهر حتى مات . فلما كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام
معه على الحجاج ، فأقن به حين قتل ابن الأشعث فقتله . الأغاني (١٦ : ٥٨ — ٥٩) . والعنزى :
نسبة إلى عنزة ، بالتحريك ، إحدى قبائل بني أسد . فيما عدل ، هـ : « العرنى » تحريف . وهو معدود
في رجال عنزة . انظر الاشتقاق ١٦٩ ، والطبرى (٧ : ٢٥) .

(٣) معتب ، بكسر التاء المشددة : جد من أجداد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن
مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسى ، وهو ثقيف .

(٤) مهجج بالسبع : صاح به وزجره . ما عدا هـ : « المهجج » ، تحريف .

ومن خطباء الأمصار وشعرائهم والمولدين منهم : بَشَّارُ الأعمى ، وهو
 بشار بن بُرْد ، وكنيته أبو مُعَاذ ، وكان من أحد موالى بنى عُقَيْل . فإن كان
 مولى أُمِّ الطُّبَاءِ على ما يقول بُنُو سَدُوس ، وعلى ما ذكره حَمَّادُ عَجْرَدٍ ، فهو
 من موالى بنى سَدُوس . ويقال إنه من أهل خُرَاسَانَ نازلاً فى بنى عُقَيْل . وله
 مدحٌ كثيرٌ فى فُرْسَانَ أَهْلِ خُرَاسَانَ ورجالاتهم . وهو الذى يقول :
 من خُرَاسَانَ ويَتَى فى الذَّرَى وَلَدَى المَسْعَاةِ فَرَعَى قَدْ بَسَقَ

وقال :

وإِنِّى لِمِنْ قَوْمِ خُرَاسَانَ دَارِهِمْ كَرَامٍ وَفَرَعَى فِيهِمْ نَاضِرٌ بَسَقَ
 وكان شاعراً راجزاً ، وسجّاعاً خطيباً ، وصاحب مشهور ومزدوج . وله
 رسائلٌ معروفة .

١٠

وأنشد عُقْبَةُ بْنُ رُؤْيَةَ ، عَقْبَةُ بْنُ سَلَمٍ (١) ، رَجْزاً يمتدحه به ، وبشارٌ
 حاضر ، فأظهر بشارٌ استحسانَ الأرجوزة ، فقال له عَقْبَةُ بْنُ رُؤْيَةَ : هذا طراز
 يا أبا مُعَاذٍ لِأَتْحَسِنُهُ . فقال بشارٌ : أَلِثْلَى يُقال هذا الكلام ؟ أنا والله أَرْجُزُ
 مِنْكَ وَمِنْ أَيْلِكَ وَمِنْ جَدِّكَ . ثم غدا عَلَى عَقْبَةَ بْنِ سَلَمٍ بِأَرْجوزته التى أولها :
 يا طَلَلُ الحَيِّ بِذَاتِ الصَّمَدِ بِاللّهِ خَيْرٌ كَيْفَ كُنْتُ بَعْدَى

١٥

وفيهما يقول :

اسْلَمَ وَحْيِيَّتْ أبا المِلْدِّ لِلّهِ أَيامُكَ فى مَعَدِّ

وفيهما يقول :

(١) عَقْبَةُ بْنُ سَلَمٍ ، قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٩٢ : « ومن بنى هُناة فى الإسلام : عَقْبَةُ بْنُ
 سَلَمٍ ، صاحب دار عَقْبَةَ بالبصرة ، ابن نافع بن هلال بن أَهْبَانَ بن هَرَابِ بن عائذ بن خَنْزِيرِ بْنِ اسْلَمَ
 بن هُناة » . والخبر مفصل فى الأغاني (٣ : ٣٦ — ٣٧) وزهر الآداب (٢ : ١٢١) .

الْحُرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ

وفيها يقول :

وصاحب كالذَّمْلِ المُمِدِّ حَمَلْتُهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي

* وما دَرَى مَا رَغَبْتِي مِنْ زُهْدِي *

٥ أَى لَمْ أَرِهِ زُهْدًا فِيهِ وَلَا رَغْبَةً ^(١) . ذَهَبَ إِلَى قَوْلِ الْأَعْرَجِ الشَّاعِرِ ^(٢) :

لَقَدْ كُنْتُ فِي قَوْمٍ عَلَيْكَ أَشِحَّةٌ بِنَفْسِكَ ، لَوْلَا أَنَّ مَنْ طَاحُ طَائِحُ
يُودُّونَ لَوْ خَاطُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ وَهَلْ يَدْفَعُ الْمَوْتُ النَّفْسُ الشَّحَائِحُ ^(٣)

والمطبوعون على الشعر من المولدين بشارُ العُقَيْلِ ، والسَيِّدُ الجَمِيرِ ، وأبو
١٠ العتاهية ، وابن أبى عُيَيْنَةَ ^(٤) . وقد ذكر الناسُ في هذا البابَ يَحْيَى بنَ نُوْفَلٍ ،
وسَلْمًا الخَاسِرَ ، وخَلْفَ بنَ خَلِيفَةَ ^(٥) . وأَبَانُ بنُ عَبْدِ الحَمِيدِ اللاحِقِيُّ أَوَّلِي
بِالطَّبْعِ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَبِشَارُ أَطْبَعُهُمْ كُلَّهُمْ .

(١) قال أبو الفرج : وذكر لي أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعي هذا الخبر عن الجاحظ ، وزاد فيه
١٥ الجاحظ قال : فانظر إلى سوء أدب عقبه بن رؤية وقد أجمل بشار محضره وعشرته ، فقابله بهذه المقابلة القبيحة » .

(٢) كلمة « الأعر » من ل فقط . وفي المؤلف ص ٤٠ شاعران من بني يشكر بن وائل ، يقال
لكل منهما « الأعر » .

(٣) انفردت ل بهذه الرواية وكتب فيها فوق « هل » : « لا » إشارة إلى أنهما روايتان . وفيما عدا
ل وكلنا زهر الآداب (٢ : ١٢١) : « ولا » .

(٤) هو أبو عينة بن محمد بن أبى عينة بن المهلب بن أبى صفرة ، من شعراء الدولة العباسية
٢٠ وساكنتي البصرة ، أنشد أكثر أشعاره في هجاء ابن عمه خالد . انظر الأغاني (١٨ : ٨ - ٢٩) .

(٥) من شعراء الحماسة ، وكان يقال له « الأقطع » لأنه قطع يده في سرقه ، فاستعاض عنها
بأصابع من جلود ، وكان من معاصري جرير والفرزدق ، دخل يوماً على يزيد بن عمر بن هبيرة ، في يوم
مهرجان ، وقد أهديت له هدايا وهو يفرقها في الناس ، وكان إذ ذاك أميراً على العراق ، فوقف ثم قال :

كأنا شماميس في بيعة تنقَّس في بعض عيدياتها

وقد حضرت رسل المهرجان وصَفُّوا كَرِيمَ هَذَايَسَانِهَا

ومن الخطباء الشعراء وَمَنْ يُؤَلِّفَ الكلامَ الجيّدَ ، ويصنّع المناقلاّتِ الحسانَ
ويؤلف الشعر والقصائد الشريفة ، مع بيانٍ عجيبٍ ورواية كثيرة ، وحُسن دَلٍّ
وإشارة : عيسى بن يزيد بن دأب ، أحد بني ليث بن بكر ، وكنيته أبو الوليد .
ومن الخطباء الشعراء مَنْ كان يجمع الخطابة والشعرَ الجيّدَ والرسائلَ
الفاخرة مع البيان الحسن : كلثوم بن عمرو العتّابيّ ، وكنيته أبو عمرو ، وعلى
ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقولُ جميعُ من يتكلّف مثلَ ذلك من شعراء
المولّدين ، كنبحو منصّور التّمري ، ومسلم بن الوليد الأنصاريّ وأشباههما .
وكان العتّابيّ يُحتذى حذو بشار في البديع . ولم يكن في المولّدين أصوبُ
بديعاً من بشار ، وابن هرمة .

١٠. والعتّابيّ من ولد عمرو بن كلثوم ، ولذلك قال :
- إِنِّي امرؤٌ هَدَمَ الإِقْتَارُ مَأْثَرَتِي واجتاحتْ مَابَنَتِ الأَيَّامُ مِنْ خَطَرِي
أَيَّامَ عمرو بنِ كلثوم يسوّدُهُ حَيًّا ربيعَةً والأَفْنَاءُ مِنْ مُضَرٍ (١)
أَرْوَمَةٌ عَطَلْتَنِي مِنْ مَكَارِمِهَا كَالْقَوْسِ عَطَلَهَا الرَّامِي مِنَ الْوَتْرِ
وَدَلٌّ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ عَلَى أَنَّهُ كَانَ قَصِيرًا بِقَوْلِهِ (٢) :
١٥. نَهَى ظَرَافَ الْعَوَانِي عَنْ مُوَاصَلَتِي مَا يَفْجَأُ الْعَيْنَ مِنْ شَيْبِي وَمِنْ قِصَرِي

* * *

= علوت برأسي فوق الرعوس وأشخصته فوق هاماتها
لأكسب صاحبتي صحفة تغيط بها بعض جاراتها
وكان بين يديه جامات من ذهب وقضة ، فأمر له منها بعشرين جاما ، وأقبل يقسم الباقي ويقول :
٢٠. لا تبحلنْ بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها فليس تبقى وباقي شكرها خلف
انظر الشعراء لابن قتيبة .

(١) الأفناء : الأخلاط من القبائل ، واحدها فنو ، بالكسر ، وفنا ، كعمصا .

(٢) هـ : « قوله » .

ومن الخطباء الشعراء الذين قد جَمَعُوا الشُّعْرَ والخطبَ ، والرسائلَ الطُّوَالَ والقَصَارَ ، والكتبَ الكِبَارَ المخلدة (١) ، والسِّيرَ الحِسانَ المدونة ، والأخبارَ المولدة : سهلُ بن هارون بن راهيوني (٢) الكاتب ، صاحب كتاب ثُعلة وعُفْرة ، في معارضة كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب الإخوان (٣) وكتاب المسائل ، وكتاب الخزومي والهدلية ، وغير ذلك من الكتب .

ومن الخطباء الشعراء : علي بن إبراهيم بن جبلة بن مخرمة ، ويكنى أبا الحسن (٤) . وسنذكر كلام قس بن ساعدة وشأن لقيط بن معبد ، وهند بنت الحُسَّ ، وجمعة بنت حابس ، وخطباء إياد ، إذا صرنا إلى ذكر خطباء القبائل إن شاء الله .

١٠ وإيادٍ وتميم في الخطب خصلة ليست لأحد من العرب ؛ لأنَّ رسولَ الله ﷺ هو الذي رَوَى كلامَ قس بن ساعدة وموقفه على جملة بعكاظ وموعظته ، وهو الذي رَوَاهُ لقريش والعرب ، وهو الذي عَجَبَ من حُسْنِهِ وأظْهَرَ من تصوّبه . وهذا إسناده تعجز عنه الأمانى ، وتنقطع دونه الآمال . وإنما وَفَّقَ الله ذلك الكلامَ لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد ، ولإظهاره معنى الإخلاص وإيمانه بالبعث . ولذلك كان خطيبَ العرب قاطبةً .

(١) فيما عدل ، هـ : « المجلدة » .

(٢) فيما عدل ، هـ : « راهيوني » وقد ضبطت الهاء في هـ بالفتح والكسر معا . وفي الفهرست ١٠ لبسك « راهيون » . وسهل بن هارون ، نسبته إلى دستميسان ، كورة بين واسط البصرة والأهواز . كان سهل متحققا بالأمون ، وصاحب بيت الحكمة ، وهو فارسي الأصل ، شعوني المذهب ، شديد العصبية على العرب ، وله في ذلك كتب كثيرة . عمل للحسن بن سهل رسالة يمدح فيها البخل ويرغبه فيه ويستميحه في خلال ذلك ، فأجابه الحسن بكلام جاء فيه : « قد مدحت ما ذمه الله وحسنت ما قبحه الله ، وما يقوم بفساد معنك صلاح لفظك ، وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك فما نعطيك شيئا » . انظر الفهرست ١٢٠ لبسك و ١٧ مصر و سرح العيون بهامش لامية العجم (١ : ٢٦١ - ٢٧٢) .

(٣) عند ابن النديم « كتاب اسبابيوس في اتخاذ الإخوان » .

(٤) فيما عدل : « ولا أعلمه يكنى إلا أبا الحسن » .

وكذلك ليس لأحد في ذلك مثل الذي لبني تميم ؛ لأنّ النبي عليه السلام لما سأل عمرو بن الأهتم عن الزبير بن بدر (١) قال : « مانع لحوزته ، مطاع في أذنيه (٢) » . فقال الزبيران : « أما إنّه قد علّم أكثر ممّا قال ، ولكنّه حسدني شرفي » . فقال عمرو : « أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته إلّا ضيق الصدر (٣) ، زمر المروءة (٤) لئيم الخال ، حديث الغنى » ، فلما رأى أنه خالف قوله الآخر ، قوله الأوّل ، ورأى الإنكار في عيني رسول الله قال : « يارسول الله ، رضيّت فقلّت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلّت أقبح ما علمت ؛ وما كذبت في الأوّل ولقد صدقت في الآخرة » . فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : « إنّ من البيان لسحرا » .

١٠. فهاتان الحصلتان تحصّت بهما إياد وقيم ، دون جميع القبائل (٥) .

ودخل الأحنف بن قيس على معاوية بن سفيان ، فأشار له إلى الوساد فقال له : اجلس . فجلس على الأرض ، فقال له معاوية : وما منعك يا أحنف من الجلوس على الوساد ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ فيما أوصى به قيس بن عاصم

(١) عمرو بن الأهتم ، هو عمرو بن سنان بن سمى التميمي ، والأهتم لقب أبيه سنان . وفد عمرو إلى رسول الله في وفد تميم ، وكان سيّداً خطيباً شاعراً . انظر الإصابة ٦٧٦٥ ومعجم المرزباني ٢١٢ .
والزبيران بن بدر ، هو الحصين بن بدر ، ولقب الزبيران لحسن وجهه . وهو وعمرو بن الأهتم ممن نادوا الرسول الكريم من وراء الحجرات حين وفدوا في بني تميم ، وله شعر في كتاب الحيوان (٣ : ١٠٣ / ٦ : ٩٨) والسيرة ٩٣٥ جوتنجن . وانظر الإصابة ٢٧٧٦ والمعارف ٣٦ ، ١٣١ ، والمؤتلف ١٢٨ وزهر الآداب (١ : ٦ - ٧) .

(٢) فيما عدل ، هـ : « أذنيه » تحريف . ويروى : « مطاع في عشيرته » . وانظر القصة في زهر الآداب (١ : ٥) ولباب الآداب ٣٥٤ - ٣٥٥ وأول أمثال الميداني .

(٣) في زهر الآداب والأمثال : « ضيق العطن » . والعطن : مناخ الإبل حول الماء ، وهو كناية عن البخل .

(٤) زمر المروءة : قليلها ، يقال هو زمر بين الزمارة والزمورة . وفي زهر الآداب : « زمن » محوف .

(٥) فيما عدل ، هـ : « دون سائر القبائل » .

الْمِنْقَرِيُّ وَلَدَهُ أَنْ قَالَ : « لَا تَغْشَ السُّلْطَانَ حَتَّى يَمْلِكَ ، وَلَا تَقْطَعَهُ حَتَّى
يَنْسَاكَ ، وَلَا تَجْلِسَ لَهُ عَلَى فِرَاشٍ وَلَا وَسَادَ ، وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَجْلِسَ رَجُلٍ
أَوْ رَجُلَيْنِ ؛ فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَأْتِيَ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ مِنْكَ فَتُقَامَ لَهُ ،
فَيَكُونَ قِيَامُكَ زِيَادَةً لَهُ ، وَنُقْصَانًا عَلَيْكَ ^(١) » . حَسْبِيَ بِهَذَا الْمَجْلِسِ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، لَعَلَّهُ أَنْ يَأْتِيَ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ مِنِّي ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : « لَقَدْ
أُوتِيَتْ تَمِيمُ الْحِكْمَةِ ، مَعَ رَقَّةٍ حَوَاشِي الْكَلِمِ ^(٢) » . وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
يَأْتِيهَا السَّائِلُ عَمَّا مَضَى وَعِلْمُ هَذَا الزَّمَنِ الْعَائِبِ ^(٣)
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعِلْمَ أَوْ أَهْلَهُ أَوْ شَاهِدًا يُخَيِّرُ عَنْ غَائِبِ
فَاعْتَبِرِ الْأَرْضَ بِسُكَّانِهَا وَاعْتَبِرِ الصَّاحِبَ بِالصَّاحِبِ

١٠

وذهب الشاعر في مرثية أبي دؤاد في قوله :

وَأَصْبَرَ مِنْ عَوْدٍ وَأَهْدَى إِذَا سَرَى مِنْ النِّجْمِ فِي دَاخٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبٍ ^(٤)

إِلَى شَبِيهِ يَقُولُ جَبَّارُ بْنُ سُلَيْمٍ ^(٥) بَنِي مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ ، حِينَ
وَقَفَ عَلَى قَبْرِ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ لَا يَضِلُّ حَتَّى يَضِلَّ النِّجْمُ ،
وَلَا يَعْطَشُ حَتَّى يَعْطَشَ الْبَعِيرُ ، وَلَا يَهَابُ حَتَّى يَهَابَ السَّيْلُ ، وَكَانَ وَاللَّهِ خَيْرَ مَا
يَكُونُ حِينَ لَا تَنْظُرُ نَفْسٌ بِنَفْسٍ خَيْرًا ^(٦) » .

٢٠

(١) فيما عدل ل : « ونقصا عليك » .

(٢) فيما عدل ل : « الكلام » .

(٣) ل ، هـ : « العائب » .

(٤) انظر ما سبق ص ٤٣ س ١١ .

(٥) سلمى ، بضم السين ، وقيل بفتحها ، كما نص ابن حجر في الإصابة ١٠٥١ . ب :
« سليمان » تحريف . وجبار ، أحد الصحابة الفرسان ، أسلم بعد وقعة بدر معونة ، لسبب طريف ، بعد ما
كان شديد العداوة للمسلمين . انظر السيرة ٦٥٠ ، ٩٣٩ جوتنجن .

(٦) انظر الحيوان (٣ : ٤٨١) وشروح سقط الزند ٥٠٠ . هـ : « ما كان يكون » .

- وكان ريد بن جندب أشعًى أفلح^(١) ، ولولا ذلك لكان أخطب العرب قاطبةً . وقال عبيدة بن هلال اليشكري^(٢) في هجائه له :
- أشعًى عَفْنَبَةٌ ونابٌ ذو عَصَلٍ^(٣) وقلحٌ بادٍ وسينٌ قد نَصَلٌ^(٤)
- وقال عبيدة أيضاً فيه :
- ولفوك أشنعٌ حين تنطقُ فاغراً من في قريحٍ قد أصابَ بَريراً^(٥)
- وقد قال الكميت :
- تُشَبَّه في الهام آثارها مشافرٌ قَرَحَى أَكَلَنَ البيرِ^(٦)
- وقال التمر بن توكب في شئعة أشداق الجمَل :
- كم ضَرِيَّةٌ لك تُحَكِّي فَا قُرَاسِيَّةٌ من المَصَاعِبِ في أشداه شَنَعٌ^(٧)
- القُرَاسِيَّةُ : يعبرٌ أضجَم^(٨) . والضَّجَم : اعوجاجٌ في القم ، والفَقَم مثله . والرَّوْق : ركوبُ السنِّ الشَّفَّة .
- وفي الخطباء مَنْ كان أشعًى ، ومن كانَ أشدَق ، ومن كانَ أَرْوَق ، ومن كانَ أضجَم ، ومن كانَ أَقَم . وفي كلِّ ذلك قد روينا الشاهد والمثل .

(١) الشعا : اختلاف زينة الأسنان بالطول والقصر ، والدخول والخروج . والفَلَح : شق في الشفة العليا ، فإذا كان في العليا فهو عَلَم . ل : « أفلح » بالجيم ، تحريف .

(٢) ذكره الآمدي في المؤلف ١٥٤ . وفي الاشتقاق ٢٠٧ : « ومنهم عبيدة بن هلال ، كان مع قطري بن الفجاءة ثم ولي بعده أمر الخوارج . وهو الذي يقول في حصارهم لما حاصروهم سفيان بن الأبرد الكلبي :

إلى الله أشكو ما نرى من جياننا تساوكن هزلي نخهن قليل »

(٣) العفنباء : العقاب الحديدية المخالب . والعصل : الالتواء .

(٤) ل : « وقلح » تحريف . نصل : خرج وظهر .

(٥) القريح : المصاب بالقرحة ، فيهدل لذلك مشفره . والبير : الأول من ثمر الأراك .

(٦) عجز البيت في الحيوان (٣ : ٣١٠ / ٦ : ٤١٢) .

(٧) المصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل . وانظر الحيوان (٣ : ٣١٠) . والتفسير التالي

ساقط من هـ .

(٨) الذي في المعاجم أنه البعير الضخم الشديد .

وروى الهيثم بن عدى ^(١) عن أبي يعقوب الثقفي ، عن عبد الملك بن عمير ^(٢) ، قال : قَدِمَ عَلَيْنَا الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ الْكُوفِيُّ ، مَعَ الْمُصْعَبِ بْنِ الزَّيْرِ ، فَمَا رَأَيْتُ خَصْلَةً تُذَمُّ فِي رَجُلٍ إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُهَا فِيهِ : كَانَ صَعَلَ الرَّأْسِ أَحَجَّ النَّفِّ ، أَغْضَفَ الْأُذُنِ ^(٣) ، مَتْرَاكِبَ الْأَسْنَانِ ، أَشَدَّ ^(٤) ، مَائِلَ الذَّنِّ ، نَاقِيءَ الْوَجْنَةِ ، بَاخِقَ الْعَيْنِ ^(٥) ، خَفِيفَ الْعَارِضَيْنِ ، أَحْنَفَ الرَّجْلَيْنِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ جَلَّى عَنْ نَفْسِهِ .

ولو استطاع الهيثم أن يمنعه البيان أيضاً لمَنَعَهُ . ولولا أنه لم يجد بداً من أن يجعل له شيئاً على حالٍ لَمَّا أَقَرَّ بِأَنَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ جَلَّى عَنْ نَفْسِهِ ^(٦) .
وقوله ^(٧) في كلمته هذه كقول هند بنت عتبة ، حين أتاها نعيُّ يزيد بن أبي سفيان ، فقال لها بعض المعزَّين : إِنَّا لَنَرُجُو أَنْ يَكُونَ فِي مَعَاوِيَةَ خَلْفٌ من يزيد ، فقالت هند : « ومثل معاوية لا يكون خلفاً من أحد ، فوالله أن لو جُمِعت العربُ من أقطارها ثم رُمِيَ به فيها ، لَخَرَجَ مِنْ أَىِّ أَعْرَاضِهَا شَاءَ » .
ولكننا نقول : أَلَمْثَلُ الْأَحْنَفِ يَقَالُ : « إِلَّا أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ جَلَّى عَنْ نَفْسِهِ » ؟

١٥ (١) هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى الأخباري ، كان ممن جالس المنصور والمهدي والهادي ، وفيه يقول أبو نواس :

إِذَا نَسِيتَ عَدِيًّا فِي بَنِي ثَعْلٍ فَقَدِمِ الدَّالَ قَبْلَ الْعَيْنِ فِي النَّسَبِ
وَلَهُ تَصَانِيفٌ كَثِيرَةٌ . وَلَدَ قَبْلَ ١٣٠ وَتَوَفَّى سَنَةَ سَبْعٍ وَمِائَتَيْنِ . ابْنُ خُلِكَانَ .

٢٠ (٢) هو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشي — ويقال القرصبي — أبو عمرو الكوفي ، المعروف بالقبطي ، روى عن الأشعث بن قيس ، وجابر بن سمرة ، والمغيرة ، والنعمان بن بشير ، وعنه ابنه موسى ، وشهر بن حوشب ، والأعمش ، توفي سنة ١٣٦ . انظر تهذيب التهذيب .

(٣) صعل الرأس : دقيقه . أحجن : مقبل الروثة نحو الفم . أغضف ، مسترخ .

(٤) الأشدق : الواسع الشدق المائله .

(٥) البخق : أن تحسف العين بعد العور .

(٦) هذه الفقرة ليست في ل . والكلام في الخبر لعبد الملك بن عمير ، لا الهيثم بن عدى . ٢٥

(٧) في النسخ : « وقولنا » .

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول فيما يعترى اللسان من ضروب الآفات . قال ابن الأعرابي : طلق أبو رمادة ^(١) امرأته حين وجدها لثغاء ، وخاف أن تبيته بولد ألثغ ، فقال :

لثغاء تأتي بحيفس ألثغ . تميس في الموشى والمصنغ
الحيفس : الولد القصير الصغير ^(٢) .

وأنشدني ابن الأعرابي كلمة جامعة لكثير من هذه المعاني ، وهي قول الشاعر :
اسكُتْ ولا تَنطِقْ فَأَنْتَ حَبَابٌ ^(٣) كُلُّكَ ذُو عَيْبٍ وَأَنْتَ عَيْبٌ
إِنْ صَدَقَ الْقَوْمُ فَأَنْتَ كَذَّابٌ أَوْ نَطَقَ الْقَوْمُ فَأَنْتَ هَيَّابٌ
أَوْ سَكَتَ الْقَوْمُ فَأَنْتَ قَبْقَابٌ ^(٤) أَوْ أَقْدَمُوا يَوْمًا فَأَنْتَ وَجَّابٌ ^(٥)
وأنشدني في هذا المعنى أيضاً :

ولست بِدُمَيْجَةٍ فِي الْفِرَا ش وَجَّابَةٍ يَحْتَمِي أَنْ يُجَيَّا ^(٦)
وَلَا ذِي قَلَّازِمٍ عِنْدَ الْحِيَاظِ إِذَا مَا الشَّرِيبُ أَرَابَ الشَّرِيَا ^(٧)
الدُمَيْجَةُ : الثَّقِيلُ عَنِ الْحَرَكَةِ ^(٨) . وَالْقَلَّازِمُ : كَثْرَةُ الصِّيَاحِ . وَأَنْشَدَنِي :

(١) ل : « أبو زمعة » . وفي عيون الأخبار (٤ : ٨) . « طلق زياد » .

(٢) الحيفس : كهزبر وصيقل . وقيل في تفسيره : الدميم الخلقة . والتفسير ساقط من هـ .

(٣) الحباب : الصغير الجسم المتداخل العظام . ل : « خيخاب » تحريف . وأنشده في أمالي

ثعلب ٢٦٢ من المخطوطة واللسان (خيب) ، وهو القداح الذي لا يورى . والقداح والقداحة : حجر

القدح . وانظر عيون الأخبار (٢ : ١٥) .

(٤) قبقاب : كثير الكلام مغلظه .

(٥) الوجاب : الجبان الفرق . وأنشده في اللسان (قدم) : « أو قدموا » شاهداً على أن قدم ،

بالتشديد ، بمعنى تقدم .

(٦) الدميعة ، بالذال المهملة . وفي الأصول : « بزميعة » تحريف صوابه في اللسان (دمج ،

وجب) ونوادر أتي ريد ٢٤٢ وما سيأتي في ص ٦٨ و ٣ : ٣٣٩ ، حيث أنشد البيت . والوجابة :

الفرع الفرق . ورواية النوادر : « هياة » .

(٧) البيت في اللسان (وجب ، قلزم) .

(٨) فسر في اللسان (دمج) بأنه المتداخل ، وفي (وجب) بأنه الذي يندمج في الفراش . وفي

النوادر : « ابن الأعرابي : رجل دميعة ، إذا كان ملازماً لقراشه » .

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحٍ الْجَيْبِ وابنُ أبٍ مُتَّهَمِ الْعَيْبِ (١)
 وَرُبَّ عَيَّابٍ لَهُ مَنْظَرٌ مُشْتَمِلُ الثَّوْبِ عَلَى الْعَيْبِ (٢)
 وَأُنْشِدُنِي أَيْضاً :

وَأَجْراً مِنْ رَأَيْتُ بَظْهَرِ غَيْبٍ عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ ذُووِ الْعِيُوبِ (٣)

* * *

وقال سهل بن هارون : « لَوْ عَرَفَ الرَّنْجِيُّ فَرْطَ حَاجَتِهِ إِلَى ثَنَائِيهِ فِي إِقَامَةِ الْحُرُوفِ ، وَتَكْمِيلِ آلَةِ الْبَيَانِ (٤) ، لَمَا نَزَعَ ثَنَائِيهِ » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله في سهيل بن عمرو الخطيب (٥) : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، انْزِعْ ثَنِيَّتِيهِ السُّفْلَيْنِ حَتَّى يَدْلَعَ لِسَانُهُ ، فَلَا يَقُومَ عَلَيْكَ خَطِيئاً أَبَداً (٦) » .
 وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ سَهِيلاً كَانَ أَعْلَمَ مِنْ شَفْتِهِ السُّفْلَى (٧) . ١٠

وقال خلاد بن يزيد الأرقط (٨) : خَطَبَ الْجَمْحَى خُطْبَةً نَكَاحٍ أَصَابَ فِيهَا مَعَانِي الْكَلَامِ ، وَكَانَ فِي كَلَامِهِ صَفِيرٌ يُخْرِجُ مِنْ مَوْضِعِ ثَنَائِيهِ الْمُنْزُوعَةَ ، فَأَجَابَهُ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بِكَلَامٍ فِي جُودَةِ كَلَامِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ فَضَّلَهُ بِحُسْنِ الْمَخْرَجِ

(١) رجل ناصح الجيب : نقي الصدر ، ناصح القلب ، لا غش فيه .

(٢) البيتان في عيون الأخبار (٢ : ١٤) برواية : « وكل عياب » . ١٥

(٣) كأنه مأخوذ من قول المستورد حين قال له رجل : أريد أن أرى رجلاً عياباً . قال « التمسه » .

بفضل معائب فيه » . الكامل ٥٧٩ ليسك . وانظر عيون الأخبار (٢ : ١٤) .

(٤) هـ ، ح : « وتكميل جميل البيان » .

(٥) هو أبو زيد سهيل بن عمرو بن عبد شمس ، خطيب قريش ، وهو الذي تولى أمر الصلح بالحدبية ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، أعطاه الرسول الكريم مائة من الإبل . مات بالطاعون سنة ثمان عشرة . الإصابة ٣٥٦٦ وصفة الصفوة (١ : ٣٠٧) والسيرة ٤٧٦ جوتجن . ٢٠

(٦) في الإصابة : « قال عمر للنبي ﷺ : دعني أنزع ثنيتي سهيل فلا يقوم علينا خطيباً . فقال : دعها فلعلمها أن تسرك يوماً . فلما مات النبي ﷺ قام سهيل بن عمرو فقال لهم : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فالله حي لا يموت » .

(٧) كذا . وإنما الأعلام مشقوق الشفة العليا . ومشقوق الشفة السفلى يقال له الأفلح . ٢٥

(٨) خلاد بن يزيد الأرقط ، أحد الرواة للقبائل ، والعارفين بالقبائل والأشعار . توفي سنة ٢٢٠ .

ابن النديم ١٧ ليسك ١٥٦ مصر وتهذيب التهذيب (٣ : ١٧٦) .

والسَّلَامَةُ من الصغير ، فذكر عبدُ الله بن معاويةَ بن عبد الله بن جعفر ، سلامةَ لفظ زيدٍ لسلامة أسنانه ، فقال في كلمةٍ له :

قَلْتُ قَوَادِحُهَا وَتَمَّ عَدِيدُهَا فَلَهُ بِذَاكَ مَزِيَّةٌ لَا تَنْكُرُ ^(١)

ويروى : « صَحَّتْ مَخَارِجُهَا وَتَمَّ حُرُوفُهَا » . المَزِيَّةُ : الفضيلة .

وزعم يحيى بن نُجَيْم بن معاوية بن زَمْعَةَ ، أَحَدُ رَوَاةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ^(٢) ، قال : قال يونس بن حبيب ، في تأويل قول الأحنف بن قيس :

أَنَا ابْنُ الرَّافِرِيَّةِ أَرْضَعْتَنِي بَثْدِي لَا أَجَدُّ وَلَا وَحِيم ^(٣)

أَتَمَّتْنِي فَلَمْ تَنْقُصْ عِظَامِي وَلَا صَوْتِي إِذَا جَدُّ الْخَصُومِ ^(٤)

قال : إنما عنى بقوله عظامي أسنانه التي في فيه ، وهي التي إذا تَمَّتْ

تَمَّتْ الْحُرُوفُ ، وإذا نقصت نقصت الحروف .

وقال يونس : وكيف يقول مثله : « أَتَمَّتْنِي فَلَمْ تَنْقُصْ عِظَامِي » وهو يريد

بالعظام عظامَ اليدين والرجلين ، وهو أحنف من رجله جميعاً ، مع قول الحُتَاتِ

له ^(٥) : « وَاللَّهِ إِنَّكَ لَضَعِيلٌ » ، وَإِنْ أَمَلَكُ لَوَرْهَاءُ ^(٦) . وكان أعرف بمواقع العيوب

وأبصرَ بدقيقها وجليلها . وكيف يقول ذلك وهو نُصِبَ عِيُونُ الْأَعْدَاءِ وَالشُّعْرَاءِ

١٥ (١) القادح : أكل يقع في الأسنان .

(٢) ذكره ابن النديم في الفهرست ١٧٠ ليسك ٢٤٢ مصر ، مع أصحاب القصائد التي قيلت في

الغريب .

(٣) الرافرية ، لم أحد في قبائلهم ما يحتمل هذه النسبة . وأم الأحنف ، هي حبة بنت عمرو بن قرط بن

ثعلبة الباهلية ، كما في الإصابة ٤٢٦ . والأجدُّ : اليايس الذي ذهب ليه .

٢٠ (٤) فيما عدال : « اصطك الخصوم » . وفي البيت إقواء .

(٥) الحتات ، كغراب ، هو الحتات بن يزيد بن علقمة التميمي الدارمي المجاشعي ، وكان الرسول قد

آخى بينه وبين معاوية ، فمات في خلافته ، فورثه بالأخوة . الإصابة ١٦٠٧ . وهو أحد من بنى تميم

على رسول الله . السيرة ٩٣٣ — ٩٣٤ .

(٦) الورهاء : الحمقاء التي لا تتمالك حمقا .

والأكفاء ، وهو أنف مُضَرَّ الذي تَعَطَّس عنه ، وأَيَّنُ العربِ والعجم قاطبة .

قالوا : ولم يتكلم معاوية على منبر جماعة منذ سقطت ثناياه في الطست .

قال أبو الحسن وغيره : لما شَقَّ على معاوية سقوطُ مَقَادِمٍ فيه قال له يزيد

ابن معن السُّلَمي : « والله ما بلغ أحدٌ سِنَّكَ إلا أبغض بعضه بعضاً ، ففُوك

أَهْوَنُ علينا من سمعك وبصرِكَ » . فطابت نفسه .

وقال أبو الحسن المدائني : لما شَدَّ عبدُ الملك أسنانه بالذهب قال :

« لولا المنابر والنساء ، ما بالبيت متى سقطت » .

قال : وسألتُ مباركا الرَّنجيَّ الفاشكار (١) ، ولا أعلم زَنْجِيًّا بلغ في

الفشكرة مبلغه ، فقلت له : لِمَ تنزع الزنج ثناياها ؟ ولمَّ يحدِّدُ ناسٌ منهم

أسنانهم ؟ فقال : أمَّا أصحاب التحديد فللقِتال والنَّهش ، ولأنَّهم يأكلون

لَحْمَ الناس ، ومتى حاربَ ملكٌ ملكاً فأخذه أسيراً أو قتيلاً أكله ، وكذلك إذا

قاتل بعضهم بعضاً أكل الغالبُ منهم المغلوب . وأمَّا أصحاب القَلْع فإنَّهم قالوا :

نَظَرْنَا إلى مَقَادِمِ أَفْوَاهِ الغَنَمِ فكَرِهْنَا أن تشبه مَقَادِمُ أَفْوَاهِنَا مَقَادِمَ أَفْوَاهِ الغَنَمِ ، فكم

تَظُنُّهُمْ — أكرمَكَ اللهُ — فَقَدُوا من المنافع العظام بفَقْدِ تلك الثنايا .

وفي هذا كلامٌ يقع في كتاب الحيوان .

وقال أبو الهندي في اللَّغغ :

سَقَيْتُ أبا المصَّرحِ إِذْ أَتَانِي وَذُو الرِّعَائِاتِ مُنْتَصِبٌ يَصِيحُ (٢)

شَرَاباً تَهْرُبُ الذِّبَابُ مِنْهُ وَيَلْتَفِعُ حِينَ يَشْرِبُهُ الْفَصِيحُ (٣)

(١) الفاشكار : لفظة فارسية معربة ، مأخوذة من « بشكاري » الفارسية ، بمعنى الزراعة والفلاحة :

(٢) (Agriculture, tillage) . انظر استينجاس ١٨٩ . وفي هامش هـ : « الفاشكار هو الفلاح .

والفشكرة : الفلاحة » .

(٣) فيما عدال هـ : « إذا تَأَنَّى » تحريف . والرعة ، بالضم ، والتحريك : عتُون الديك .

(٣) الذبان تسقط على النيذ الحلو ولا تسقط على الحازر . انظر الحيوان (٣ : ٣٦٠ ،

٣٨٠) . هـ : « الذبان عنه » .

وقال محمد بن عمرو الرُّومى ، مولى أمير المؤمنين : قد صَحَّت التجربة وقامت العبرة على أَنَّ سقوط جميع الأسنان أَصْلَحُ فى الإبانة عن الحروف ، منه إذا سقط أكثرها ، وخالف أحد شَطْرَيْهَا الشَّطْر الآخر .

وقد رأينا تصديق ذلك فى أفواه قوم شاهدَهم النَّاسُ بعد أن سقطت جميعُ أسنانهم ، وبعد أن بَقِيَ منها الثُّلثُ أو الرَّبْعُ .

فممن سقطت جميع أسنانه وكان معنَى كلامه مفهوماً : الوليد بن هشام القَحْذَمى (١) صاحبُ الأخبار . ومنهم : أبو سفيان بن العلاء بن ليْدِ الثَّغَلِى (٢) ، وكان ذا بيانٍ ولسن .

وكان عبيد الله بن أبى غَسَّان ظريفاً يصرفُ لسانه كيف شاء (٣) ، وكان الإلحاح على القيسى (٤) قد بَرَدَ أسنانه ، حتَّى لا يرى أحدٌ منها شيئاً إلاَّ ١٠ إن تطلَّع فى لحم اللثة ، أو فى أصول منابت الأسنان .

وكان سفيان بن الأبرد الكلبى (٥) كثيراً ما يجمع بين الحارِّ والبارِّ ، فتساقطت أسنانه جُمعُ ، وكان فى ذلك كُلُّه خطيئاً بيِّناً .

وقال أهل التجربة : إذا كان فى اللحم الذى فيه مَغاوِزُ الأسنان تشميرٌ ١٥ وقصَرٌ سَمَكٌ (٦) ، ذهبت الحروفُ وفسدَ البيان . وإذا وَجَدَ اللسانُ من جميع

(١) الوليد بن هشام بن قحزم ، أبو عبد الرحمن القحذمى ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن عثمان ، وروى عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى . توفى سنة ٢٢٢ . لسان الميزان وأنساب السمعاني ٤٤٣ .

(٢) ذكره الجاحظ فى (١ : ١٩١) من الأصل ، فيمن كتبه اسمه ، قال : « وأبو سفيان بن العلاء بن ليْدِ الثَّغَلِى ، خليفة عيسى بن شبيب المازنى على شرط البصرة » .

(٣) فيما عدا ل : كيف أحب . ٢٠

(٤) القيسى : المشمش باللغة التركية ، كما فسره استنجاس فى معجمه ٩٩٨ . وفيه : « Apricot » .

قيسى T . ل : هـ : « القى » ، تحريف لا يستقيم .

(٥) سفيان بن الأبرد الكلبى : أحد قواد بنى أمية ، كان ذا ضلع كبيرة فى حرب الخوارج ، وهو آخر من أرسل إلى قطرى بن الفجاءة وقتله سنة ٧٨ ، وكان المباشر لقتله سودة بن أبجر ، انظر ما سأتى فى (٣ : ٢٦٤) ، وابن خلكان فى ترجمة قطرى .

(٦) التشمير : التقليص . والسملك ، بالفتح : الارتفاع . ٢٥

جهاته شيئاً يقرّعه ويصكه ، ولم يمرّ في هواءٍ واسع المجال ، وكان لسانه يملاً
جَوْبَةً فيه ، لم يضِرّه سقوطُ أسنانه إلا بالمقدار المغتفر ، والجزء المحتمل . ويؤكد
ذلك قولُ صاحب المنطق ^(١) ، فإنّه زعم في كتاب الحيوان أنّ الطائر والسبع
والبهيمة كلّما كان لسانُ الواحد منها أعرضَ كان أفصحَ وأبينَ ، وأحكى لما
يُلَقَّن ولما يَسْمَع ، كنعو الببغاء والغُداغ وغراب البين ^(٢) ، وما أشبه ذلك ؛
وكالذى يتبيّأ من أفواه السنائير إذا تجاوزتْ ، من الحروف المقطّعة المشاركة
لخارج حروف الناس . وأمّا الغنمُ فليس يمكنها أن تقول « ما » . والميم والباء
أول مايتبيّأ في أفواه الأطفال ، كقولهم : ماما ، وبابا ؛ لأنهما خارجان من
عمل اللسان ، وإنّما يظهران بالتقاء الشفتين . وليس شيء من الحروف
أدخل في باب النقص والعجز من فم الأَهم ، من الفاء والسين إذا كانا في
وسط الكلمة . فأما الضّاد فليست تخرجُ إلّا من الشّدق الأيمن ، إلّا أن
يكون المتكلّم أعسرَ يسراً ^(٣) ، مثل عمر بن الخطاب رحمه الله ؛ فإنه كان
يُخرج الضّاد من أىّ شِدقيه شاء . فأما الأيمن والأعسر والأضبط ^(٤) ،
فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد .

وكذلك الأنفاسُ مقسومة على المنخرين ، فحالاً يكون في الاسترواح ^(٥)
ودفع البخار من الجوف من الشّق الأيمن ، وحالاً يكون من الشّق الأيسر ،

(١) صاحب المنطق ، هو أرسطوطاليس ، لأنه « أول من خلص صناعة البرهان من سائر
الصناعات المنطقية ، وصورها بالأشكال الثلاثة ، وجعلها آلة للعلوم النظرية حتى لقب بصاحب
المنطق » . القفطى ٢٢ . وانظر ابن النديم ٣٤٧ — ٣٤٩ .

(٢) انظر الحيوان (٥ : ٢٨٨) . وجاء في الحيوان (٢ : ٣١٥) . « وغراب البين نوعان :
أحدهما غرابان صغير معروف بالضعف واللؤم ، والآخر كل غراب يتشائم به » .

(٣) رجل أعسر يسر : يعمل بيديه جميعاً .

(٤) الأعسر : الذى يعمل يده اليسرى خاصة . والأضبط ، تفسره المعاجم بأنه الأعسر اليسر
الذى يعمل بكلتا يديه . وتأمل .

(٥) الاسترواح : التشمم .

ولا يجتمعان على ذلك في وقتٍ إلا أن يستكره ذلك مستكرهٌ ، أو يتكلفه متكلفٌ . فأما إذا ترك أنفاسه على سجيّتها لم تكن إلا كما قالوا (١) .

وقالوا : الدليل على أن من سقط جميع أسنانه أن عظم اللسان نافع له ، قول كعب بن جُعيل ليزيد بن معاوية ، حين أمره بهجاء الأنصار ، فقال له : « أراذى أنت إلى الكفر بعد الإيمان (٢) ، لا أهجو قوماً نصرُوا رسولَ الله ﷺ وآووه ، ولكنّي سأدلك على غلامٍ في الحى كافرٍ ، كأنّ لسانه لسانُ ثورٍ » . يعنى الأخطل .

وجاء في الحديث : « إنّ الله تبارك وتعالى يُبغض الرجل الذى يتخلّل بلسانه كما تتخلّل الباقرة الحَلَلًا بلسانها (٣) » .

قالوا : ويدلّ على ذلك قولُ حسان بن ثابت ، حين قال له عليه السلام : ١٠ « ما بَقِيَ من لسانك ؟ » . فأخرج لسانه حتّى قرع بطرفه طرف أُرْبَتته ، ثم قال : « والله أن لو وضعته على شعرٍ لحلقه ، أو على صخرٍ لفلقه (٤) وما يسرّنى به مَقُولٌ من مَعَدٍّ » .

وأبو السَّمَطِ مَروانُ (٥) بن أبى الجنوب بن مروان بن أبى حفصة (٦) ، وأبوه

(١) كذا وردت العبارة في جميع النسخ بدون ذكر فاء الجواب ، لغير ضرورة ، وحققها الإثبات كما في قول عمر :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحي وأما بالعشى فيخصر (٢) ل : « الإسلام » .

(٣) يقال بقر وبقر ويقور وبافر . انظر المعاجم والحيوان (٤ : ٤٦٩) . ومنه قراءة (إن الباقر تشابه علينا) . وأما « الباقرة » فلم أرها إلا هنا ، ومخرجها على أنها واحد الباقر . وفي الجامع الصغير السيوطي ١٨٤٩ : ٢٠ « إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال ، الذى يتخلّل بلسانه تحلل الباقرة بلسانها » ، وخرج الحديث من مسند أحمد ، وسنن أبى داود والترمذى ، وذكر أنه حديث حسن .

(٤) فيما عدل ل : « على صخر لفلقه ، أو على شعر لحلقه » .

(٥) كان يقال له مروان الأصغر ، ولجده : مروان الأكبر . وكان شاعراً ساقط الشعر بارده ، عاصر الوثائق والمتوكل . وله في المتوكل وأحمد بن أبى دود قصائد عدة . تاريخ بغداد والأغاني (١١ : ٢) . ٢٥

(٦) مروان بن أبى حفصة ، هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة ، شاعر =

وابنه ، في نسقي واحد ، يقرعون بأطراف ألسنتهم أطراف آنفهم .
وتقول الهند : لولا أن الفيل مقلوب اللسان لكان أنطق من كل طائر
يتهياً في لسانه كثير من الحروف المقطعة المعروفة ^(١).

وقد ضرب الذين زعموا أن ذهاب جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن
الحروف من ذهاب الشطر أو الثلثين ، في ذلك مثلاً ، فقالوا : الحمام ٥
المقصود جناحه جميعاً أجدر أن يطير من الذي يكون جناحه أحدهما وافرأ
والآخر مقصوصاً . قالوا : وعلة ذلك التعديل والاستواء ، وإذا لم يكن ذلك
كذلك ارتفع أحد شقيه وانخفض الآخر ، فلم يجدف ولم يطير ^(٢).
والقطا من الطير قد يتهياً من أفواهها أن تقول : قطاقطاً . وبذلك
سميت ^(٣) ويتيهياً من أفواه الكلاب العيئات والفاءات والواوات ، كنحو قولها :
وَوُ وَوُ ، وكنحو قولها : عَفْ عَفْ .

قال الهيثم بن عدي : قيل لصبي : من أبوك ؟ فقال : وَوُ وَوُ ؛ لأن أباه
كان يسمى كلباً ^(٤) .

قال : ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم
للسين . واستعمال الجرامقة للعين ^(٥) . ١٥

= مجود من أهل البصرة ، قدم بغداد ومدح المهدي والرشيد ، وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلوية في
شعره ، وله في معن بن زائدة مدائح ومراث عجيبة . ولد سنة ١٠٥ وتوفي سنة ١٨٢ . وفيات الأعيان
وتاريخ بغداد ٧١٢٧ ومعجم المرزباني ٣٩٦ وابن خلكان (٢ : ٨٩) .

(١) انظر الحيوان (١ : ٣١٠ / ٧ : ٣ : ١ ، ١٩٢) .

(٢) جذف الطائر : طار وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه . ومجذافه جناحه . يقال ٢٠

بالدال والذال جميعاً . انظر الحيوان (١ : ٣/٢٦٢ : ٢٣٠) .

(٣) ل : « ولذلك سميت » .

(٤) الخبر في الحيوان (٢ : ٦٨ : ٥ / ٢٨٨) .

(٥) الجرامقة : طائفة من الكلدانين ، أي السريانيين . قال المسعودي في التنبيه والإشراف ٦٨ :

« وكانوا شعوباً وقبائل ، منهم التونونيون ، والأثوريون ، والأرمان ، والأردوان ، والجرامقة ، ونبط العراق ، وأهل السواد » . ٢٥

وقال الأصمعيّ : ليس للروم ضادّ ، ولا للفُرس ثاء ، ولا للسُرّيانيّ ذال .

قال : ومن ألفاظ العرب ألفاظٌ تتنافر ، وإن كان مجموعةً في بيت شعري لم يستطع المنشدُ إنشادها إلّا ببعض الاستكراه . فمن ذلك قول الشاعر :

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفرٍ وليس قربُ قبرٍ حربٍ قبرٌ ^(١)

- ولما رأى مَنْ لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن يُنشد هذا البيت ^(٢) ثلاث مرّاتٍ في نسقٍ واحدٍ فلا يتتعتّع ولا يتلجّج ، وقيل لهم إنّ ذلك إنما اعتراه ، إذ كان من أشعار الجنّ ، صدّقوا بذلك .

ومن ذلك قول ابن يسير ^(٣) في أحمد بن يوسف ^(٤) حين استبطّاه :

- هَلْ مُعِينٌ عَلَى الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ أَمْ مُعَزٍّ عَلَى الْمُصَابِ الْجَلِيلِ
مَيِّتٌ مَاتَ وَهُوَ فِي وَرَقِ الْعَيْشِ مَقِيمٌ بِهِ وَظِلِّ ظَلِيلِ ^(٥)
فِي عِدَادِ الْمَوْتِ وَفِي عَامِرِ الدُّنْى يَا أَبُو جَعْفَرٍ أَخِي وَخَلِيلِ ^(٦)

(١) البيت مجهول القائل ، ولتنافر لفظه نسبه إلى بعض الجنّ ، وصنعوا في ذلك قصة . انظر الحيوان (٦ : ٢٠٧) ومعاهد التصنيص (١ : ١٢) . وقد روى بلفظ : « وما بقرب قبر حرب قبر » .
(٢) البيت السابق من السريع . فيما عدل : « هذين البيتين » تحريف .

(٣) هو محمد بن يسير الرياشي ، يقال إنه كان مولد لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرّج الرياشي الأخباري الأديب ، وكان شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين ، متقللاً ، لم يفارق البصرة ولا وفد إلى خليفة ولا شريف متجعّاً ، ولا جاوز بلده ، وكان ماجناً هجاء خبيثاً من بخلاء الناس . انظر أخباره في الأغاني (١٢ : ١٢٤ — ١٣٦) . وله أخبار وأشعار شتى في كتاب الحيوان . وفي الأصول : « ابن بشير » تحريف . وفي القاموس (يسر) . « وأبو جعفر وهو محمد بن يسير ، شاعر » . وجاء في ترجمته من الأغاني (١٢ : ١٣٢) أن الخليفة المعصم تفاعل باسمه وقال : « أمر محمود ، وسير سريع » .
(٤) هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب ، كان كاتب ديوان الرسائل زمان المأمون ، وكان فصيح اللسان يقول الشعر في الغزل والمدح والهجاء ، وله أخبار مع إبراهيم بن المهدي ، وأبي العتاهية ، ومحمد بن يسير وغيرهم . توفي سنة ٢١٣ . تاريخ بغداد ٢٦٩٢ والأغاني (٢٠ : ٥٦ — ٥٨) . والأبيات في العقد (٦ : ١٩٢) .
(٥) ورق العيش : نضرتة وخدائته .

لم يُمُتْ مِيتَةُ الْوَفَاةِ وَلَكِنْ مات عن كلِّ صالحٍ وجميلٍ
لا أَذِيلُ الْآمَالَ بَعْدَكَ إِنِّي بَعْدَهَا بِالْآمَالِ حَقٌّ بَخِيلٍ
كَمْ هَا وَقْفَةٌ بِيَابِ كَرِيمٍ رَجَعْتُ مِنْ نَدَاهُ بِالتَّعْطِيلِ (١)
ثم قال :

٥ لم يَضِرُّهَا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، شَيْءٌ وَانْتَشَتْ نَحْوَ عَزَفٍ نَفْسٍ ذَهُولٍ (٢)
فَتَفْقِدُ النِّصْفَ الْأَخِيرَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ ؛ فَإِنَّكَ سَتَجِدُ بَعْضَ أَفْظَاظِهِ يَتْبَرُّ
من بعض .

وَأُنْشِدُنِي أَبُو الْعَاصِي قَالَ : أَنْشَدُنِي خَلْفَ الْأَحْمَرِ فِي هَذَا الْمَعْنَى :
وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ يَكْذِبُ لِسَانَ النَّاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ (٣)
وَقَالَ أَبُو الْعَاصِي : وَأُنْشِدُنِي فِي ذَلِكَ أَبُو الْبَيْدَاءِ الرَّيَّاحِيُّ (٤) :
وَشِعْرٍ كَبِيرِ الْكَبْشِ فَرَّقَ بَيْنَهُ لِسَانُ دَعَى فِي الْقَرِيضِ دَخِيلِ (٥)
وَأَمَّا قَوْلُ خَلْفَ :

* وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ *

فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِذَا كَانَ الشَّعْرُ مُسْتَكْرَهاً ، وَكَانَتْ أَفْظَاظُ الْبَيْتِ مِنَ الشَّعْرِ
١٥ لَا يَقَعُ بَعْضُهَا مِمَّا ثَلَا لِبَعْضٍ ، كَانَ بَيْنَهَا مِنَ التَّنَافُرِ مَا بَيْنَ أَوْلَادِ الْعِلَّاتِ . وَإِذَا

(١) التَّعْطِيلُ : الْإِحْلَاءُ وَتَرْكُ الشَّيْءِ ضَيَاعاً . فِيمَا عَدَلَ : « مَوْقُفٌ بِيَابِ كَرِيمٍ » .
(٢) فِي اللَّسَانِ : « عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ تَعْرِفُ وَتَعْرِفُ عَرَفاً وَعِزُوفاً : تَرَكْتُهُ بَعْدَ إِعْجَابِيهَا
وَزَهْدَتِي فِيهِ » . وَالذَّهُولُ ، مِنَ الذَّهْلِ ، بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ تَرَكْتُ الشَّيْءَ تَنَاسَاهُ عَلَى عَمْدٍ ، أَوْ يَشْغَلُكَ عَنْهُ
شُغْلٌ . فِيمَا عَدَلَ ، هـ : « نَحْوُ عَرَفٍ » تَحْرِيفٌ .

(٣) أَوْلَادُ عِلَّةٍ : بَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْ أُمَهَاتِ شَتَّى . وَالْبَيْتُ فِي الْعُمْدَةِ (١ : ١٧٢) .
(٤) ذَكَرَهُ ابْنُ النَّدِيمِ فِي الْفَهْرَسْتِ ٦٦ وَقَالَ إِنَّهُ زَوْجُ أُمِّ أَبِي مَالِكٍ عَمْرُو بْنُ كَرْكَةِ . وَكَانَ أَبُو
مَالِكٍ رَاوِيَةً أَبِي الْبَيْدَاءِ . وَاسْمُ أَبِي الْبَيْدَاءِ أَسْعَدُ بْنُ أَبِي عَصْمَةَ ، وَهُوَ أَعْرَافِي نَزَلَ الْبَصْرَةَ ، وَكَانَ يَعْلَمُ
الصَّبِيانَ بِأَجْرَةٍ .

(٥) انْظُرِ الْعُمْدَةَ (١ : ١٧٢) .

كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضياً موافقا ، كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة .

قال : وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم^(١) بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان .

وأما قوله : « كبر الكبش » ، فإنما ذهب إلى أن بحر الكبش يقع متفرقاً غير مؤتلف ولا متجاور . وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر ، تراها متفقة مُلساً ، ولينة المعاطف سهلة ؛ وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة ، تشق على اللسان وتكُده . والأخرى تراها سهلة لينة ، ورطبة متواتية ، سليسة النظام ، خفيفة على اللسان ؛ حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد .

وقال سحيم بن حفص^(٢) : قالت بنت الحطيئة للحطيئة : « تركت قوماً كراماً ونزلت في بني كليب بحر الكبش » . فعابتهم بتفرق بيوتهم . فقبل لهم : فأنشِدونا بعض ما لا تتباين ألفاظه ، ولا تتنافر أجزاؤه . فقالوا : قال الثقفى^(٣) :

من كان ذا عضدٍ يدرك ظلامته إن الدليل الذى ليست له عضدٌ
تنبو يدها إذا ماقل ناصره ويأئف الضيم إن أثرى له عددٌ
وأنشدوا^(٤) :

(١) فيما عدل : « فيعلم » وتقرأ بالبناء للمفعول .

(٢) سبقت ترجمته في ص ٤٠ .

(٣) هو الأجد الثقفى ، كما في الشعراء ٧١٢ . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢) ، والحيوان (٣) :

(٤٥) . وفى ل : « فأنشدوا » فقط .

(٤) الأبيات التالية لأبى حية النخري ، كما في الكامل ١٩ ليسك والحماسة (٢ : ١١٠) .

وانظر الحيوان (٣ : ٤٩) .

رَمَتْنِي وَسِئِرَ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ (١)
رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لِحَارَاتِ بَيْتِهَا
ضَمِنْتُ لَكُمْ أَلَا يَزَالُ يِهِمُ (٢)
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتُهَا
وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنُّضَالِ قَدِيمٌ (٣)
وَأَنْشِدُوا :

وَلَسْتُ بِدُمَيْجَةٍ فِي الْفِرَا
شِ وَجَّابَةٍ يَحْتَمِي أَنْ يُجَيِّبَا (٤)
وَلَا ذِي قَلَازِمٍ عِنْدَ الْحِيَاضِ
إِذَا مَا الشَّرِبِ أَرَابَ الشَّرِيَا

وَقَالَ أَبُو نُوْفَلٍ بْنُ سَالِمٍ (٥) لِرُؤْيَةِ بْنِ الْعَجَّاجِ : يَا أَبَا الْجَحَّافِ ، مُتَّ إِذَا
شَعْتُ (٦) . قَالَ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ رُؤْيَةَ يَنْشُدُ رَجْزاً
أَعْجَبْنِي . قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ ، لَوْ كَانَ لِقَوْلِهِ قِرَانٌ (٧) ! وَقَالَ الشَّاعِرُ :
مَهَاذِبَةٌ مَنَاجِبَةٌ قِرَانٌ مَتَادِبَةٌ كَأَنَّهُمُ الْأَسُودُ

وَأَنْشُدْ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ :

وَبَاتَ يَدْرُسُ شِعْراً لَا قِرَانَ لَهُ
قَدْ كَانَ نَقَّحَهُ حَوْلًا فَمَا زَادَا
وَقَالَ الْآخَرُ ، بَشَّارٌ :

فَهَذَا بَدِيَّةٌ لَا كَتَحْبِيرَ قَائِلٍ
إِذَا مَا أَرَادَ الْقَوْلَ زَوْرَهُ شَهْرًا (٨)

* * *

(١) رمتني ، أى بطرفها . ستر الله : الإسلام أو الشيب . وآرام الكناس ، روى فيها : « بأحجار الكناس » ، وهو اسم موضع . ورميم : اسم خليلته .

(٢) يصح في « أن » أن تكون ناصبة ، أو مخففة من الثقيلة يرفع بعدها الفعل .

(٣) قال المبرد في تفسيره : « لو كنت شاباً لرميت كما رُميت ، وفُتنت كما فُتنت ، ولكن قد

تطاول عهدي بالشباب » .

(٤) سبق البيتان والكلام عليهما في ٥٧ . وفي الأصول : « ولست بزميجة » ، تحريف .

(٥) فيما عدل ، هـ : « قال نوفل بن سالم » .

(٦) فيما عدل : « متى شعنت » . وكتب فوقها في هـ : « إذا » .

(٧) في هامش هـ : « القرآن : التشابه والموافقة » .

(٨) سبق البيت في ٢٤ .

فهذا في اقتران الألفاظ . فأما في اقتران الحروف ^(١) فإن الجيم لا تقارن
الطاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين ، بتقديم ولا بتأخير . والزاي لا تقارن الطاء
ولا السين ولا الضاد ولا الذال ، بتقديم ولا بتأخير . وهذا باب كبير . وقد
يكتفى بذكر القليل حتى يُستدل به على الغاية التي إليها يُجرى .

- وقد يتكلم المغلاق ^(٢) الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ،
ويكون لفظه متخيراً فاحراً ، ومعناه شريفاً كريماً ، ويعلم مع ذلك السامع
لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي . وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه
الصفة ، فإنك تعلم مع إعرابه وتخفيف ألفاظه في مخرج كلامه ، أنه خراساني .
وكذلك إن كان من كتاب الأهواز .

- ومع هذا إننا نجد الحاكية من الناس ^(٣) يحكى ألفاظ سكان اليمن
مع مخارج كلامهم ، لا يُغادر من ذلك شيئاً . وكذلك تكون حكايته
للخراساني والأهوازي والزنجي والسندي والأجناس وغير ذلك ^(٤) . نعم حتى
تجده كأنه أطبع منهم ، فإذا ما حكى كلام الفأفاء فكأنما قد جمعت كل
طرفة في كل فأفاء في الأرض في لسان واحد . وتجده يحكى الأعمى بصورة
ينشئها لوجهه وعينية وأعضائه ، لا تكاد تجد من ألف أعمى واحداً يجمع ذلك كله ،
فكأنه قد جمع جميع طرف ^(٥) حركات العميان في أعمى واحد .
- ولقد كان أبو دُوبة الزنجي ، مولى آل زياد ، يقف بباب الكرخ ،

(١) فيما عدل : « افراق » في هذا الموضع وسابقه .

(٢) المغلاق : الذي يستعصى عليه الكلام .

(٣) الحاكية ، أراد به الذي يحكى كلام الناس ويفعل مثلهم في الحديث . وهذا اللفظ لم يرد في
المعاجم المتداولة .

(٤) ما عداه : « والأجناس وغير » تحريف .

(٥) فيما عدل ، هـ : « طرق » بالقاف .

بَحْضَرَةِ الْمُكَارِينِ ^(١) ، فَيَنْهَقُ ، فَلَا يَبْقَى حِمَارٌ مَرِيضٌ وَلَا هَرَمٌ حَسِيرٌ ،
وَلَا مُتَعَبٌ يَهِيرُ إِلَّا نَهَقَ . وَقَبْلَ ذَلِكَ تَسْمَعُ نَهْيَ الْحِمَارِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، فَلَا
تَنْبَعثُ لَذَلِكَ ، وَلَا يَتَحَرَّكُ مِنْهَا مَتَحَرِّكٌ حَتَّى كَانَ أَبُو دُبُوبَةَ يَحْرِكُهُ . وَقَدْ كَانَ
جَمَعَ جَمِيعَ الصُّوَرِ الَّتِي تَجْمَعُ نَهْيَ الْحِمَارِ فَجَعَلَهَا فِي نَهْيٍ وَاحِدٍ . وَكَذَلِكَ
كَانَ فِي ثُبَاحِ الْكَلَابِ . وَلِذَلِكَ زَعَمَتِ الْأَوَائِلُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا قِيلَ لَهُ الْعَالَمُ
الصَّغِيرُ سَلِيلُ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ ، لِأَنَّهُ يَصُورُ بِيَدَيْهِ كُلَّ صُورَةٍ ، وَيَحْكِي بِفَمِهِ كُلَّ
حِكَايَةٍ ^(٢) وَلِأَنَّهُ يَأْكُلُ النَّبَاتَ كَمَا تَأْكُلُ الْبِهَائِمُ ، وَيَأْكُلُ الْحَيَوَانَ كَمَا تَأْكُلُ السَّبَاعُ
وَأَنَّ فِيهِ مِنْ أَخْلَاقِ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْحَيَوَانَ أَشْكَالاً .

وَإِنَّمَا تَهَيَّأَ وَأُمَكِّنَ الْحَاكِيَةَ لِجَمِيعِ مَخَارِجِ الْأُمِّ ، لِمَا أَعْطَى اللَّهُ الْإِنْسَانَ
مِنَ الْإِسْطَاعَةِ وَالتَّحْكِينِ ، وَحِينَ فَضَّلَهُ عَلَى جَمِيعِ الْحَيَوَانَ بِالْمَنْطِقِ وَالْعَقْلِ
وَالْإِسْطَاعَةِ . فَيَطُولُ اسْتِعْمَالُ التَّكْلُفِ ذَلَّتْ جَوَارِحُهُ لَذَلِكَ . وَمَتَى تَرَكَ
شِمَائِلَهُ عَلَى حَالِهَا ، وَلِسَانَهُ عَلَى سَجِيَّتِهِ ، كَانَ مَقْصُوراً بِعَادَةِ الْمُنْشِئِ عَلَى الشَّكْلِ
الَّذِي لَمْ يَزَلْ فِيهِ . وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ مَقْصُورَةٌ عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ مِنْ مَخَارِجِ الْأَلْفَاظِ ،
وَصُورِ الْحَرَكَاتِ وَالسُّكُونِ . فَأَمَّا حُرُوفُ الْكَلَامِ فَإِنَّ حُكْمَهَا إِذَا تَمَكَّنَتْ فِي
الْأَلْسِنَةِ خِلَافَ هَذَا الْحُكْمِ . أَلَا تَرَى أَنَّ السَّنْدِي إِذَا جُلِبَ كَبِيراً فَإِنَّهُ
لَا يَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ الْجِيمَ زَايَا وَلَوْ أَقَامَ فِي عُليَا تَمِيمَ ، وَفِي سُفْلَى قَيْسَ ،
وَبَيْنَ عَجَزِ هَوَازَنَ ، خَمْسِينَ عَاماً . وَكَذَلِكَ النَّبْطِيُّ الْقُحَّ ، خِلَافَ الْمِغْلَاقِ الَّذِي
نَشَأَ فِي بِلَادِ النَّبْطِ ؛ لِأَنَّ النَّبْطِيَّ الْقُحَّ ^(٣) يَجْعَلُ الرَّأْيَ سِينَاً ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ
زَوْرَقَ قَالَ : سَوْرَقَ ، وَيَجْعَلُ الْعَيْنَ هَمْزَةً ؛ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ مُشْمِعِلَ ، قَالَ : مُشْمِئِلَ .

(١) المكارين : جمع مكار ، وهو من يكرّك دابته تنتفع بها بالكرء ، وهو الأجر .

(٢) هذه الجملة ساقطة من ل . وانظر الحيوان (١ : ٢١٣) .

(٣) ما بعد « القح » الأولى إلى هنا ليس في ل .

والتخاس يمتحن لسانَ الجارية إذا ظنَّ أنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة بأن تقول : ناعمة ، وتقول : شمس ، ثلاث مرَّات متواليات .
والذى يعترى اللسان ممَّا يمنع من البيان أمور : منها اللُّثغة التى تعترى الصُّبيان إلى أن ينشُئوا ، وهو خلافُ ما يعترى الشَّيخ الهرم المائج ^(١) ، المسترخى الحنك ، المرتفع اللثة ؛ وخلافُ ما يعترى أصحاب اللُّكن من العجم ، ومن يُنشأ ^(٢) من العرب مع العجم . فمن اللُّكن ممَّن كان خطيباً ، أو شاعراً ، أو كاتباً داهياً ^(٣) زيادُ بن سلمى أو أُمّامة ، وهو زيادُ الأعجم . قال أبو عُبيدة : كان يُنشدُ قوله :

فَتَى زَادَهُ السُّلْطَانُ فِي الْوُدِّ رِفْعَةً إِذَا غَيَّرَ السُّلْطَانُ كُلَّ خَلِيلٍ ^(٥)

قال : فكان يجعل السَّينَ شيئاً والطاءَ تاءً ، فيقول : « فَتَى زَادَهُ السُّلْطَانُ » .

ومنها سُحَيْمُ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ ^(٦) ، قال له عمرُ بن الخطاب ، رحمه الله ، وأنشد قصيدته التى يقول أولها :

عُمَيْرَةٌ وَدَّعَ إِنْ تَجَهَّرْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

(١) المائج : الهرم الذى يمج ريقه ولا يستطيع حبسه .

(٢) ل : « خطيباً وشاعراً وكاتباً داهياً » .

(٣) هـ : « نشأ » .

(٤) زياد الأعجم : من شعراء الدولة الأموية ، وقد شهد فتح إصطخر مع أبى موسى الأشعرى ، وطال عمره ووفد على هشام بن عبد الملك . وفى الاشتقاق ٢٠١ عند الكلام على عبد القيس : « ومنها زياد بن سلمى الذى يقال له زياد الأعجم الشاعر » . ويقال له أيضاً زياد بن سليمان . انظر الخزانة (٤ : ٩٨ - ١٠٥) ومعجم المرزبانى ١٣٣ والمؤتلف ١٣١ والشعراء لابن قتيبة ٣٩٥ ، والأغاني (١٤ : ٩٨ - ١٠٥) ومعجم الأدباء (١١ : ١٦٨) .

(٥) فى الحيوان (٧ : ١٥١) أن يزيد بن المهلب كان يعد هذا الشعر أحسن ما مدح به . وفى الكامل ٣١٦ أنه يمدح بالشعر المهلب بن أبى صفرة . ونسب فى الحماسة ١٧٩١ إلى حبيب بن عوف .
(٦) سحيم من المخضرمين ، قد أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أسود شديد السواد يرتضخ لكنه حبشية . وكان عبد الله بن أبى ربيعة قد اشتراه وكتب إلى عثمان بن عفان : إني قد ابتعت لك غلاماً شاعراً حبشياً . فكتب إليه عثمان : لا حاجة إليه فارده ؛ فإنما قصارى أهل العبد الشاعر إن شيع أن يشبَّ بنسائهم ، وإن جاع أن يهجوهم . فردّه عبد الله . قتل سحيم فى خلافة عثمان . انظر الأغاني (٢٠ : ٢) والخزانة (١ : ٢٧٢ - ٢٧٤) .

فقال له عُمر (١) : لو قَدَّمْتَ الإسلامَ على الشَّيْب لأَجَزْتُكَ . فقال له : ما سَعَرْتُ . يريد ماشَعَرْتُ ، جعلَ الشَّيْبَ المعجمة سينا غير معجمة .

ومنهم: عُبيد الله بن زياد (٢) ، وإلى العراق ، قال لهاني بن قبيصة : أَهْرُورِيٌّ سائر اليوم ! يريد : أَخْرُورِيٌّ .

ومنهم: صُهَيْب بن سنان التَّمَرِيّ (٣) صاحبُ رسول الله ﷺ كان يقول : إِنَّكَ لهائنٌ ، يريد إِنَّكَ لَحَائِنٌ (٤) . وصُهَيْب بن سنان يرتضخ لُكنة روميّة ، وعبيد الله بن زياد يرتضخ لُكنةً فارسية ، وقد اجتماعا على جعل الحاء هاءً .

وأزدانقاذُ لُكنته لُكنةً نبطيّة ، وكان مثلَهما في جعل الحاء هاء . وبعضُهم يروى أَنَّهُ أُملي على كاتبٍ له فقال: اكتب: «الهاصل ألف كُرٍ» (٥) فكتبها الكاتب بالهاء كاللَّفْظ بها (٦) فأعاد عليه الكلام ، فأعاد الكاتب . فلما فَطِنَ لاجتماعهما على الجهل (٧) قال: أنت لا تُهَسِّن أن تكتب ، وأنا لا أَهَسِّن أن أُملي ، فاكتبُ : «الهاصل ألف كُرٍ» : فكتبها بالجيم معجمة .

(١) بدل هذه العبارة فيما عدل : « لو كان شعرك كله مثل هذا لأَجَزْتُكَ . هكذا وقع في جميع نسخ الكتاب . والحكاية مروية عن عمر رضى الله تعالى عنه في غير هذا الموضع كما وقعت داخل الكتاب » . وهو كلام مقحم من زيادة قارئ أو ناسخ . والقصة في الكامل ٣٦٦ .

(٢) في الكامل ٣٣٦ : « وكان عبيد الله بن زياد يرتضخ لُكنة فارسية ، وإنما أَنَّهُ من قبل زوج أمه : شبرويه الأسواري » . وسيأتى في كلام الجاحظ نحو هذا .

(٣) صُهَيْب بن سنان بن مالك التمرى الرومى ، قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيراً ، فنشأ فيهم فصار ألكن . وكان ممن عذب في بدء الإسلام . توفي سنة ٣٨ .

(٤) حائِن : أى هالك . ما عدا هـ : « الحائِن » والسياق يأباه .

(٥) الكر ، بالضم ، مكيال لأهل العراق ستون قفيزاً ، قال ابن سيده : يكون بالمصرى أربعين إردباً .

(٦) فيما عدل : « كما لفظ بها » .

(٧) ل : « باجتماعهما على الخطأ » .

ومنها أبو مسلم صاحب الدعوة ^(١) ، وكان حسن الألفاظ جيد المعاني ، وكان إذا أراد أن يقول : قلت لك ، قال : كُلت لك . فشارك في تحويل القاف كافاً عبید الله بن زياد . كذلك خبرنا أبو عبيدة .
 قال : وإنما أتى عبید الله بن زياد في ذلك أنه نشأ في الأساورة ^(٢) عند شيرويه الأسواري ، زوج أمه مرجانة .

وقد كان في آل زياد غير واحد يسمى شيرويه . قال : وفي دار شيرويه عاد على بن أبي طالب زياداً من عيلة كانت به .

فهذا ما حضرنا من لكنة البلغاء والخطباء والشعراء والرؤساء . فأما لكنة العامة ومن لم يكن له حظ في المنطق فمثل فيل مولى زياد ^(٣) فإنه قال مرة لزياد : « أَهْدُوا لَنَا هِمَارًا وَهَشًّا » . يريد حمار وحش . فقال زياد : ما تقول ١٠ . وبذلك ! قال : « أَهْدُوا إِلَيْنَا أَيْرًا » . يريد عيراً . فقال زياد : الأول أهون ! وفهم ما أراد ^(٤)

وقالت أم وليد الجرير بن الخطافي ، لبعض ولدها : « وقع الجرذان في عجان أمكم ^(٥) » ، فأبدلت الذال من الجرذان ^(٦) دالاً وضمت الجيم ، وجعلت العجين عجانا . وقال بعض الشعراء في أم وليد له ، يذكر لكتنتها :

أول ما أسمع منها في السحر ^(٧) تذكرها الأثني وتأنث الذكر
 * والسوءة السوء في ذكر القمر *

(١) هو أبو مسلم الخراساني ، الذي قام بالدعوة إلى الدولة العباسية . واسمه عبد الرحمن بن مسلم ، قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٧ .

(٢) الأساورة : قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً ، كالأحامرة بالكوفة . انظر الحيوان (٥ : ٣٤٠) .

(٣) كان مولى زياد وحاجبه . انظر الحيوان (٧ : ٨٢ — ٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٣٣) . ٢٠

(٤) هذه الجملة في ل فقط .

(٥) الجرذان ، بالضم : قضيب ذوات الخوافر ، أو هو عام . والعجان : ما بين السوءتين .

(٦) الجرذان ، بكسر الجيم وضمها : جمع جرد ، وهو ضرب من الفأر .

(٧) فيما عدل : « أكثر ما أسمع » . وسيعيده الجاحظ فيما بعد برواية : « أول » .

لأنها كانت إذا أرادت أن تقول القمر ، قالت : الكمر .

وقال ابنُ عَبَاد (١) : ركبْتُ عَجُوزَ سِنْدِيَّةٍ جَمَلًا ، فلما مضى تحتها متخلعاً اعترأها كهيفة حركة الجِماع ، فقالت : هذا الذمل يذكرنا بالسر . تريد أنه يذكرها بالوطء ، فقلبت الشين سيناً والجيم ذالا . وهذا كثير .

وباب آخر من اللكنة . قيل لَنَبْطَى : لِمَ ابتعتَ هذه الأتان ؟ قال : « أركبها وتلدُ لي » فجاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ، ولا زاد فيها ولا نقص ، ولكنه فتح المكسور حين قال: وتلدُ لي ، ولم يقل: تَلِدُ لي . قال : والصَّقْلِيُّ (٢) يجعل الذال المعجمة دالاً في الحروف .

١٠ (١) هو محمد بن عباد بن كاسب ، كما في الحيوان (٣ : ٢٩٢) ، حيث ساق القصة بعبارة أخرى .

(٢) الصقلبي : نسبة إلى صقلب ، وهي بلاد بين بلغاريا وقسطنطينية كما ذكر ياقوت . فيما عدا ل : « الصقل » تحريف ، فإن الذين يعينهم الجاحظ عند ذكر الأمم هم الصقالبة . انظر الحيوان (١ : ١١٣ ، ١١٨ — ٣/١٢٠ ، ١٤٦ ، ٤/٢٤٥ : ٧١ ، ٥/١٠٩ : ٧/٣٦ : ٢٣٦) .

باب البيان (١)

- قال بعضُ جهابذة الألفاظِ ونُقَادِ المعاني : المعاني القائمة في صدور الناس (٢) المتصورة في أذهانهم ، والمتخلجة في نفوسهم ، والمتصلة بخواطرمهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ، وبعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة ، وموجودة في معنى معدومة ، لا يعرف الإنسان ضميرَ صاحبه ، ولا حاجة أخيه وخليطه ، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره ، وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره . وإنما يُحيى تلك المعاني ذكرهم لها (٣) ، وإخبارهم عنها ، واستعمالهم إياها . وهذه الخصالُ هي التي تقرّبها من الفهم ، وتُجلبها للعقل ، وتجعل الخفى منها ظاهراً ، والغائب شاهداً ، والبعيد قريباً . وهي التي تلخّص الملتبس (٤) ، وتحلّ المنعقد ، وتجعل المهمل مقيداً ، والمقيد مطلقاً ، والمجهول معروفاً ، والوحيثي مألوفاً ، والغفل موسوماً ، والموسوم معلوماً . وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون إظهار المعنى . وكلّما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الإشارة أبين وأنور ، كان أنفع وأنجع . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعو إليه ويحث عليه . بذلك تَطَقَّ القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم (٥) .

(١) كلمة « البيان » ليست في ل ، هـ ؛ وهي في سائر النسخ .

(٢) فيما عدل : « العباد » .

(٣) فيما عدل ل ، هـ : « وإنما تحيى تلك المعاني في ذكرهم لها » .

(٤) التلخيص : التبيين والتفسير . وفي حديث علي « أنه قعد للتخيص ما التبس على غيره » .

(٥) فيما عدل ل ، هـ : « الأعجم » .

والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك
الحجاب دون الضمير ، حتى يُفضي السامع إلى حقيقته ، ويهجم على
محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل ؛ لأن مدار
الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع ، إنما هو الفهم والإفهام ؛ فبأي
شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع .
ثم اعلم — حفظك الله — أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ ؛
لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية ، وممتدة إلى غير نهاية ، وأسماء المعاني
مقصورة معدودة ، ومحصلة محدودة .

وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ ، خمسة أشياء
١٠ لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ^(١) ، ثم الخط ، ثم
الحال التي تسمى نصباً ^(٢) . والنصب هي الحال الدالة ، التي تقوم مقام
تلك الأصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات ، ولكل واحد من هذه
الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبها ، وحلية مخالفة لحلية أختها ؛ وهي
التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ، ثم عن حقائقها في التفسير ،
١٥ وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصتها وعامتها ، وعن طبقاتها في السار والضار ،
وعما يكون منها لغواً بهرجاً ^(٣) ، وساقطاً مطرحاً .

قال أبو عثمان : وكان في الحق أن يكون هذا الباب في أول هذا
الكتاب ، ولكننا أخرناه لبعض التدوير .

(١) العقد : ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين ، يقال له حساب اليد . وقد ورد في
٢٠ الحديث أنه « عقد عقد تسعين » . وقد ألفت فيه كتب وأراجيز . انظر الخزانة (٣ : ١٤٧)
والحيوان (١ : ٣٣) .

(٢) كذا ضبطت في هـ بكسر النون ، ضبط اسم الهيئة .

(٣) لغواً : أي لا يعتمد به ولا يحصل منه على فائدة ، ل : « لهواً » تحريف . والبهرج : الباطل .

وقالوا : البيان بَصْرٌ والعي عمى ، كما أنَّ العلم بصرٌ والجهل عمى .
والبيان من إنتاج العلم ، والعي من إنتاج الجهل .

وقال سهل بن هارون ^(١) : العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ،
والبيان ترجمان العلم ^(٢) .

وقال صاحب المنطق : حَدُّ الْإِنْسَانِ : الْحَيُّ النَّاطِقُ الْمُبِين .

وقالوا : حياة المروءة الصِّدْق ، وحياة الروح العفاف ، وحياة الحِلْم
العلم ، وحياة العلم البيان .

وقال يونس بن حبيب : ليس لعي مروءة ، ولا لمنقوص البيان بهاء ،
ولو حَلَكْ بيافوخِهِ أَعْنَانُ السَّمَاءِ ^(٣) .

وقالوا : شِعْرُ الرَّجُلِ قِطْعَةٌ مِنْ كَلَامِهِ ، وَظُنُّهُ قِطْعَةٌ مِنْ عِلْمِهِ ، وَاخْتِيَارُهُ
قِطْعَةٌ مِنْ عَقْلِهِ .

وقال ابنُ التَّوَّامِ ^(٤) : الرُّوحُ عِمَادُ الْبَدَنِ ، وَالْعِلْمُ عِمَادُ الرُّوحِ ، وَالْبَيَانُ
عِمَادُ الْعِلْمِ .

قد قلنا في الدِّلَالَةِ بِاللَّفْظِ . فَأَمَّا الْإِشَارَةُ فَبِالْيَدِ ، وَبِالرَّأْسِ ، وَبِالْعَيْنِ
وَالْحَاجِبِ وَالْمَنْكِبِ ، إِذَا تَبَاعَدَ الشَّخْصَانِ ، وَبِالثُّوبِ وَبِالسَّيْفِ . وَقَدْ يَتَهَدَّدُ رَافِعُ
السَّيْفِ وَالسُّوْطِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ زَاجِرًا ، وَمَانِعًا رَادِعًا ، وَيَكُونُ وَعِيدًا وَتَحْذِيرًا .

(١) سبقت ترجمته في ٢٥ .

(٢) الترجمان ، كزعفران وعنفوان ، ويفتح التاء وضم الجيم : المفسر للسان .

(٣) أعنان السماء : نواحيها ، واحدها عَنَنٌ وَعَنَنٌ . فيما عدل : « عنان » . وقد روى صاحب

اللسان قول يونس هذا ثم قال : « والعامة تقول عنان السماء » . لكنهم قالوا : عنان السماء : ما عن لك
منها وقد ضبط في اللسان ضبط قلم بالفتح ، وفي القاموس ضبط تعيين بالكسر .

(٤) أورد له الجاحظ في البيان ، وكذا ابن قتيبة في عيون الأخبار ، أخباراً تنبئ عن حكمته

وصواب رأيه . ولعله « صبار بن التَّوَّامِ البشكري » ، الذي ذكره الجاحظ في الحيوان (٦ : ٤٢١) .

والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العونُ هي له ، ونعم الترجمانُ هي عنه . وما أَكْثَرَ ما تنوب عن اللفظ ، وما تُعْني عن الخط . ويعدُّ فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورةٍ معروفةٍ ، وحلية موصوفة ، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها . وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح ، مرفقٌ كبيرٌ ^(١) ومُعونة حاضرة ، في أمورٍ يسترها بعضُ النَّاسِ من بعض ، ويخفونها من المجلس وغير المجلس . ولولا الإشارة لم يتفاهم النَّاسُ معنى خاصَّ الخاصِّ ، ولَجْهَلُوا هذا الباب البتَّة . ولولا أن تفسرَ هذه الكلمة يدخل في باب صناعة الكلام لفسرتها لكم . وقد قال الشاعر في دَلالات الإشارة :

أشارتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةً أَهْلِهَا إِشَارَةً مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ
فَأَيَّقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ الْمُتَمِّمِ ^(٢)

وقال الآخر :

وللقلب على القلب دليلٌ حينَ يلقاهُ
وفي النَّاسِ من النَّاسِ مقاييسُ وأشباهُ
وفي العَيْنِ غنى للمرءِ أنْ تنطقَ أفواهُ

وقال الآخر في هذا المعنى :

ومعشرٌ صَيِّدٌ ذَوِي تَجَلُّةٍ ترى عليهم للندى أدلَّهُ

وقال الآخر :

ترى عَيْنُهَا عَيْنِي فتعرف وَحْيَهَا وتعرف عيني ما به الوَحْيُ يرجعُ

وقال آخر :

(١) المرفق ، بفتح الميم والفاء : وكمنبر ومجلس : ما استعين به .

(٢) ل : « المسلم » . وما أثبت من سائر النسخ يوافق ما في العمدة (١ : ٢١٢) .

(٣) هو أبو العتاهية . انظر عيون الأخبار (٢ : ١٨٢) .

وعينُ الفتى تُبدي الذى فى ضميره وتعرف بالنجوى الحديث المعصا (١)

وقال الآخر :

العينُ تُبدي الذى فى نفسِ صاحبها من المحبة أو بغضٍ إذا كانا
والعينُ تنطق والأفواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب ثيانا

هذا ومبلغُ الإشارة أبعدُ من مبلغ الصوت . فهذا أيضاً باب تتقدم فيه
الإشارة الصوت .

والصوتُ هو آلة اللَّفْظ ، والجوهرُ الذى يقوم به التقطيع ، وبه يُوجد
التأليف (٢) . ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً
إلا بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف . وحسنُ
الإشارة باليد والرأس ، من تمام حسن البيان باللسان ، مع الذى يكون مع
الإشارة من الدّل والشكل (٣) والتقتل والتثنى (٤) ، واستدعاء الشهوة ، وغير
ذلك من الأمور .

قد قلنا فى الدلالة بالإشارة . فأما الخطُ ، فمما ذكر الله عز وجل فى
كتابه من فضيلة الخطِّ والإنعام بمنافع الكتاب ، قوله لنبيه عليه السلام :
﴿ إقرأ وربك الأكرم . الذى علّم بالقلم . علّم الإنسان ما لم يعلم ﴾ . ١٥
وأقسم به فى كتابه المنزل ، على نبيه المرسل ، حيث قال : ﴿ ن . والقلم
وما يسطرون ﴾ ، ولذلك قالوا : القلم أخذ اللسانين . كما قالوا : قلة العيال
أخذ اليسارين . وقالوا : القلم أبقى أثراً ، واللسان أكثر هذراً .

(١) المعص ، بالعين المهملة وكسر الميم المشددة وفتحها : الغامض المظلم .

(٢) الكلام من هنا إلى كلمة « التأليف » التالية ساقط من ل .

(٣) الشكل ، بالكسر وبالفتح : دل المرأة وغنجها وغزها .

(٤) التقتل ، بالقاف : الاختيال والتثنى والتكسر فى المشى . ما عدا هـ : « التقتل » ، تحريف .

وقال عبد الرحمن بن كيسان ^(١) : استعمال القلم أجدرُّ أن يحضَّرَ
 الذَّهْنُ على تصحيح الكتاب ، من استعمال اللِّسان على تصحيح الكلام .
 وقالوا : اللسان مقصورٌ على القريب الحاضر ، والقلمُ مطلقٌ في الشاهد
 والغائب ، وهو للغابرِ الحائن ^(٢) ، مثله للقاءمِ الرَّاهن .
 والكتاب يُقرأ بكلِّ مكان ، ويُدرَس في كلِّ زمان ؛ واللسان لا يَعْدُو
 سامِعَه ، ولا يتجاوِزُه إلى غيره .

وأما القول في العقد ، وهو الحسابُ دونَ اللَّفْظِ والخطِّ ، فالدَّلِيلُ على
 فضيلته ، وعِظَمُ قَدْرِ الانتفاع به ، قولُ الله عزَّ وجل : ﴿ قَالُوا الْإِصْبَاحُ
 وَجَاعِلُ اللَّيْلِ ^(٣) سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
 الْعَلِيمِ ۝ . وقال جلَّ وتقدَّس : ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ
 الْبَيَانَ . الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ . وقال جلَّ وعزَّ : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ
 الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ
 مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۝ . وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ
 فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا
 عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۝

والحسابُ يشتمل على معاني كثيرةٍ ومنافعٍ جليلة ، ولولا معرفة العباد
 بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب في الآخرة .
 وفي عدم اللَّفْظِ ، وفساد الخطِّ ، والجهل بالعقد فسادٌ جُلُّ النِّعَم ، وفقدانُ
 جُمهور المنافع ، واختلالُ كلِّ ما جعله الله عزَّ وجلَّ لنا قواماً ، ومصلحةً ونظاماً

(١) ذكره الماحظ في الحيوان (٤ : ٢٠٥) وروى عنه .

(٢) الحائن : الهالك . وفي الأصول : « الكائن » .

(٣) قرأ الكوفيون : (وجعل) ، وبقا السبعة : (وجاعل) . انظر تفسير أبي حيان (٤ : ١٨٦) .

وأما النّصبة ^(١) فهي الحال النّاطقة بغير اللفظ ، والمشييرة بغير اليد .
وذلك ظاهرٌ في خلق السموات والأرض ، وفي كلّ صامتٍ وناطق ، وجامدٍ
ونائم ، ومقيمٍ وظاعن ، وزائدٍ وناقص . فالدّلالة التي في الموات الجامد ،
كالدّلالة التي في الحيوان الناطق . فالصّامت ناطق من جهة الدّلالة ،
والعجماء مُعْرِيةٌ من جهة البرهان . ولذلك قال الأوّل ^(٢) .

« سَلِ الْأَرْضَ فَقُلْ : مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى
ثِمَارَكَ ؟ فَإِنْ لَمْ تَجِبْ حِوَاراً ، أَجَابَتْكَ اعْتِبَاراً » .

وقال بعضُ الخطباء : « أَشْهَدُ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ آيَاتٌ دَالَّاتٌ ^(٣)
وشواهدٌ قائمات ، كُلٌّ يُوَدِّى عَنْكَ الْحُجَّةَ وَيَشْهَدُ لَكَ بِالرُّبُوبِيَّةِ ^(٤) ، موسومةٌ
بآثارِ قُدْرَتِكَ ، وَمَعَالِمِ تَدْبِيرِكَ ، الَّتِي تَجَلَّيْتُ بِهَا لَخْلُقِكَ ، فَأَوْصَلْتُ إِلَى
الْقُلُوبِ مِنْ مَعْرِفَتِكَ مَا أُتْسَهَا مِنْ وَحْشَةِ الْفِكْرِ ، وَرَجَمَ الظُّنُونِ . فهي على
اعترافها لك ، وافتقارها إليك ^(٥) شاهدةٌ بأنك لا تُحِيطُ بِكَ الصِّفَاتُ ،
ولا تُحَدِّدُ الْأَوْهَامُ ، وَأَنْ حَظَّ الْفِكْرُ فِيكَ ، الْاعْتِرَافُ لَكَ » .

وقال خطيبٌ من الخطباء ، حين قام على سَرِيرِ الْإِسْكَندَرِ وهو ميّت ^(٦) :
« الْإِسْكَندَرُ كَانَ أَمْسِي أَنْطَقَ مِنْهُ الْيَوْمَ ، وَهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسٍ » .

ومتى دَلَّ الشَّيْءُ عَلَى مَعْنَى فَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ صَامِتاً ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ وَإِنْ

(١) انظر ما سبق في حواشي ص ٧٦ .

(٢) هو الفضل بن عيسى بن أبان ، كما في الحيوان (١ : ٣٥) . وانظر عيون الأخبار (٢ : ١٨٢) وما سيأتى في ص ٣٠٨ .

(٣) ل : هـ ودلالات .

(٤) فيما عدا ل : هـ ويعرب عنك بالربوبية .

(٥) فيما عدا ل . هـ وذها إليك .

(٦) القول التالى ينسب أيضاً إلى الموبد حين قام يرثي قباز الملك . الكامل ٣٢٠ ليسك

والعقد (٢ : ١٥٦) ومروج الذهب (٢ : ٣١٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤) والحيوان (٦ -

٥٠٥) والصناعتين ١٤ - ١٥ .

كان ساكتاً . وهذا القول شائع في جميع اللغات ، ومتفق عليه مع إفراط الاختلافات .

وقال عنترة بن شداد العنسي وجعل نقيب الغراب خبراً للزاجر :

حرق الجناح كأن لحى رأسه جَلَمَان بالأخبار هَشْ مُولَعٌ ^(١)

الحرق : الأسود . شبه لحيه بالجلمين ، لأن الغراب يخبر بالفرقة والغربة ويقطع كما يقطع الجلمان ^(٢) . وأنشدني أبو الرديني العكلى ^(٣) ، في تنسم الذئب الريح واستنشائه ^(٤) واسترواحه :

يستمخر الريح إذا لم يسمع ^(٥) بمثل مقراع الصفا الموقع

المقراع : الفأس التي يكسر بها الصخر . والموقع : المحدد . يقال وقعت الحديد إذا حددتها . وقال آخر ، وهو الراعي :

إن السماء وإن الريح شاهدة والأرض تشهد والآيا م والبلد

لقد جزيت بني بدر ببغيهم يوم الهبأة يوماً ماله قود ^(٦)

وقال نصيب في هذا المعنى ، يمدح سليمان بن عبد الملك :

(١) انظر الحيوان (١ : ٣٤ / ٢ : ٣١٦) .

(٢) الإنشاد التالي والتعليق عليه ، هو فيما عدل سابق لذاك الإنشاد المتقدم .

(٣) أبو الرديني العكلى هو الدهم بن شهاب ، أحد بني عوف بن كنانة ، من عكل ، ويروى الجاحظ فيما سيأتي أنه هجا بني نمر فتوعدوه بالقتل فقال :

أنوعدي لتقتلني نمر متى قتلت نمر من هجاءها

فشهد عليهم منهم رجل فقتله . وكان يهاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، أحد شعراء

الدولة العباسية . انظر الأغاني (٢٠ : ١٨٣) والحيوان (٥ : ١٥٩ / ٦ : ٤٦٣) والخزانة (٣ : ١٠٥) .

(٤) الاستنشاء : الشم . فيما عدل : « واستنشاقه » ، وهما بمعنى .

(٥) انظر الحيوان (١ : ٣٤ / ٧ : ١٤٠) . وفي اللسان (فخر ، قرع) : « يستمخر » .

(٦) يوم الهبأة ، كان لعبس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة بن بدر ، وأخوه حمل . انظر معجم

البلدان والكمال لابن الأثير (١ ، ٣٥٢) والعقد (٣ : ٣١٦) والعمدة (٢ : ١٦١) وأمثال

الميداني (٢ : ٣٦٢) والخزانة (١ : ٣٠٣ / ٤ : ٥٨٥) .

أَقُولُ لِرَكِبٍ صَادِرِينَ لِقِيَّتِهِمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ (١)
 قَفُوا خَبِيرُونَا عَنْ سَلِيمَانَ إِنِّي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ طَالِبُ (٢)
 فَعَا جُوا فَاتُّنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكُنُوا أَتْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
 وهذا كثير جداً .

* * *

وقال عليُّ رحمه الله (٣) : « قيمة كلِّ امرئٍ ما يُحسِن (٤) » . فلو لم
 يَقِفْ من هذا الكتابِ إلَّا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية ، ومجزئة
 مغنية ؛ بل لوجدناها فاضلةً عن الكفاية ، وغير مقصورة عن الغاية . وأحسنُ
 الكلام ما كان قليلاً يُغْنِيكَ عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ، وكان الله عزَّ
 وجلَّ قد ألبسه من الجلالة ، وغشاه من نُور الحكمة على حَسَبِ نَبْءِ صاحبه
 ١٠ وتَقَوَّى قَائِلُهُ . فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع بعيداً
 من الاستكراه ، ومنزهًا عن الاختلالِ مصوناً عن التكلف ، صَنَعَ في القلوب
 صنيعَ العَيْثِ في الثَّرْبَةِ الكريمة . ومتى فَصَلَتِ الكلمةُ على هذه الشَّرِيطَةِ ،
 وَنَفَذَتْ من قائلها على هذه الصِّفَةِ ، أَصْحَبَهَا اللهُ من التوفيقِ
 وَمَنَحَهَا من التأييدِ ، مالا يمتنع معه من تعظيمها صدورُ الجبابرة ، ولا يذهلُ
 ١٥ عن فهمها معه عقولُ الجَهْلَةِ .
 وقد قال عامر بن عبد قيس (٥) : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في

-
- (١) القارب : طالب الماء . وأراد بالمولى نفسه . ه ، ب : « لاغب » وكتب في هامش ل : « خ :
 لاغب » . وانظر الكامل ١٠٤ ليسك وزهر الآداب (٢ : ٤١ ، ٤٢) والعمدة (١ : ٤٤) .
 (٢) ودان : موضع بين مكة والمدينة قريب من الجحفة . قال ياقوت : « وقد أكثر نصيب من
 ٢٠ ذكرها في شعره » . وأنشد هذه الأبيات . ه ، ج : « آل ودان » . وكذا ياقوت .
 (٣) فيما عدل : « بسم الله الرحمن الرحيم وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه » .
 (٤) فيما عدل : « قيمة كلِّ إنسان » . وفي زهر الآداب (١ : ٤١) : « كل امرئ » .
 (٥) هو عامر بن عبد قيس بن ثابت التيمي ، ويقال له أيضاً عامر بن عبد الله . تابعي ثقة من كبار التابعين
 وعبادهم . وكان غاية في الزهد ، روى عنه في ذلك روايات تدخل في حدود المبالغة . انظر الإصابة ٦٢٨٠ وصفة
 ٢٥ الصفوة (٣ : ١٢٦ — ١٣٥) . وكان من الأئمة الفصحاء ، كما سترى في مواضع كثيرة . توفي في خلافة معاوية .

القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان (١) .

وقال الحسن رحمه الله ، وسمِع رجلاً (٢) يعِظ ، فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ، ولم يرقَّ عندها ، فقال له : « يا هذا ، إنَّ بقلبك لَشراً أو بقلبي » .
وقال عليُّ بنُ الحسين بن علي رحمه الله (٣) : لو كان النَّاسُ يعرفون جُمْلَةَ الحال في فضل الاستبانة ، وجُمْلَةَ الحال في صواب التَّبيين ، لأَعْرَبُوا عن كلِّ ما تَخَلَّج في صُدُورِهِمْ ، وَلَوَجَدُوا من بَرْدِ اليقين ما يُغْنِيهِمْ عن المنازعة إلى كلِّ حالٍ سوى حالهم . وعلى أنَّ دَرَكَ ذلك كان لا يُعْدِمُهُمْ في الأيام القليلة العِدَّة (٤) ، والفِكرَةُ القصيرة المُدَّة ، ولكنَّهُم من بين مغمورٍ بالجهل ، ومفتونٍ بالعُجب ، ومعدولٍ بالهوى عن باب التَّثبت ، ومصرفٍ بسوء العادة عن فَضْلِ التَّعلُّم . ١٠

وقد جَمَعَ مُحَمَّدُ بنُ عليِّ بن الحسين صلاحَ شأنِ الدُّنيا بجذافيها في كلمتين ، فقال : « صلاحُ شأنِ جميعِ التَّعائِشِ والتَّعاشِرِ ، ملءُ مكيالٍ ثلثاه فِطْنة ، وثلثه تغافل » . فلم يجعلْ لغيرِ الفِطْنة نصيباً من الخير ، ولا حَظّاً في الصِّلاح ؛ لأنَّ الإنسان لا يتغافل إلا عن شيءٍ قد فَطِنَ له وعَرَفَهُ .

وذكر هذه الثلاثة الأخبارَ إبراهيمُ بنُ داخَةَ ، عن مُحَمَّد بنِ عمير . ١٥
وذكرها صالح بن عليٍّ الأفقم ، عن محمد بن عُمَيْر . وهؤلاء جميعاً من مشايخ الشَّيْع ، وكان ابنُ عمير أغلاهم .

وأخبرني إبراهيمُ بن السُّنْدِي ، عن عليِّ بن صالحِ الحَاجِب ، عن العباسِ ابنِ محمد قال : قيل لعبد الله بن عباس : أتى لك هذا العِلْمُ ؟ قال : « قلبٌ عَقُولُ ،

(١) انظر الحيوان (٤ : ٢١٠) .

(٢) فيما عدل : « وسمع متكلماً » .

(٣) كلام علي هذا في زهر الآداب (١ : ٥٩) .

(٤) يقال : أعدمه الشيء ، إذا لم يجده .

(٥) في الكامل ٤٦ : « في ملء مكيال » ، وفي زهر الآداب (١ : ٧١) : « وهو ملء مكيال » .

ولسان سؤول . وقد رَوَوْا هذا الكلامَ عن دَغْفَلِ بن حنظلة العلامة ^(١) وعبدُ الله أُولَى به منه . والدليل على ذلك قولُ الحسن : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ عَرَّفَ بالبصرة ابنُ عباسٍ ، صعد المنبر فقرأ سورة البقرة ، ففسَّرَها حرفاً حرفاً ، وكان مِثْجاً يسيل غَرِيًّا ^(٢) .

المِثْجُ : السائل الكثير ، وهو من التَّجَّاج . والغَرَبُ ، ها هنا : الدَّوام .
هشام بن حسان وغيره ، قال : قيل للحسن : يا أبا سعيد ، إِنَّ قَوْمًا
زعموا أنَّكَ تَذُمُّ ابنَ عباسٍ . قالوا : فبكى حتَّى اخضَلَّتْ لحيته ، ثم قال : إِنَّ
ابنَ عباسٍ كان من الإسلام بمكان ، إِنَّ ابنَ عباسٍ كان من القرآن
بمكان ^(٣) ، وكان والله له لسان سؤول ، وقلب عقول ، وكان الله مِثْجاً يسيل
غَرِيًّا .

قالوا : وقال علي بن عبد الله بن عباس : من لم يجد مَسَّ الجهل في
عقله ، وذُلَّ المعصية في قلبه ، ولم يَسْتَبِينَ موضع الحَلَّةِ في لسانه ، عند كلال
حَدِّه عن حَدِّ خَصْمِهِ ، فليس مَمَّنْ يَنْزِع ^(٤) عن رِيبة ، ولا يَرْغُبُ عن حال
مَعْجَزَةٍ ، ولا يكثرث لفْصِيلٍ ما بين حُجَّة وشبهة .

قالوا : وذكر محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، بلاغة بعض أهله
فقال : إِنِّي لأَكْرَهُ أن يكون مقدارُ لسانه فاضلاً على مقدارِ علمه ، كما أكره
أن يكون مقدارُ علمه فاضلاً على مقدارِ عقله .

وهذا كلامٌ شريفٌ نافع ، فاحفظوا لفظه وتدبُّروا معناه ، ثم اعلِّموا أنَّ
المعنى الحقيرَ الفاسدَ ، والدني الساقط ، يعيش في القلب ثم يبيض ثم يفرَّخ ،

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤٨٩) وعيون الأخبار (٢ : ١١٨) . ودغفل بن حنظلة ممن أدرك النبي ولم

يسمع منه شيئاً ، ووقد على معاوية فسأله عن مسائل فأجابها وكان منها هذا السؤال . انظر الميداني (٢ : ٢٧٣) .

(٢) الخبر في اللسان (تجج ، غرب) . وفي حواشي هـ : « معنى عرف بالبصرة : فعل فعل

الحاج بعرفة في جمع الناس للذكر والدعاء » .

(٣) فيما عدل : « كان من العلم بمكان » .

(٤) فيما عدل ، هـ : « يفرزع » .

فَإِذَا ضَرَبَ بِجِرَانِهِ وَمَكَّنَ لِعُرْوِهِ ، اسْتَفْحَلَ الْفَسَادَ وَبَزَلَ ، وَتَمَكَّنَ الْجَهْلُ
وَقَرَحَ ^(١) ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقْوَى دَاوُهُ ، وَيَمْتَنِعُ دَوَاؤُهُ ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ الْهَجِينَ الرَّدِيَّ ،
وَالْمُسْتَكْرَةَ الْغَيْبِيَّ ، أَعْلَقَ بِاللِّسَانِ ، وَآلَفَ لِلسَّمْعِ ، وَأَشَدُّ التَّحَاماً بِالْقَلْبِ ^(٢)
مِنَ اللَّفْظِ النَّبِيهِ الشَّرِيفِ ، وَالْمَعْنَى الرَّفِيعِ الْكَرِيمِ . وَلَوْ جَالَسْتَ الْجَهَالَ
وَالنُّوْكَى ، وَالسُّخْفَاءَ وَالْحَمَقَى ، شَهْراً فَقَطْ ، لَمْ تُنَقِّ مِنْ أَوْضَارِ كَلَامِهِمْ ،
وَحَبَالِ مَعَانِيهِمْ ، بِمَجَالَسَةِ أَهْلِ الْبَيَانِ وَالْعَقْلِ دَهْراً ؛ لِأَنَّ الْفَسَادَ أَسْرَعُ إِلَى
النَّاسِ ، وَأَشَدُّ التَّحَاماً بِالطَّبَائِعِ . وَالْإِنْسَانُ بِالتَّعَلُّمِ وَالتَّكْلُفِ ، وَيَطُولُ
الْاِخْتِلَافُ إِلَى الْعُلَمَاءِ ، وَمَدَارَسَةِ كُتُبِ الْحِكْمَاءِ ، يَجُودُ لَفْظُهُ وَيَحْسُنُ أَدَبُهُ ،
وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ فِي الْجَهْلِ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ تَرْكِ التَّعَلُّمِ ، وَفِي فُسَادِ الْبَيَانِ إِلَى أَكْثَرِ
مِنْ تَرْكِ التَّخْيِيرِ . ١٠

وَمَا يُؤَكِّدُ قَوْلَ مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلَ بَعْضِ
الْحِكَمَاءِ حِينَ قِيلَ لَهُ : مَتَى يَكُونُ الْأَدَبُ شَرّاً مِنْ عَدَمِهِ ؟ قَالَ : إِذَا كَثُرَ
الْأَدَبُ ، وَنَقَصَتِ الْقَرِيحَةُ .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْأَوَّلِينَ : « مَنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلُهُ أَغْلَبَ خِصَالِ الْخَيْرِ عَلَيْهِ ،
كَانَ حَقُّهُ فِي أَغْلَبِ خِصَالِ الْخَيْرِ عَلَيْهِ » . وَهَذَا كُلُّهُ قَرِيبٌ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ . ١٥
وَذَكَرَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ « كَانَ وَاللَّهِ
أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَخْذَعَ ، وَأَعْقَلَ مِنْ أَنْ يُخْذَعَ » .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ : « كَفَاكَ مِنْ عِلْمِ الدِّينِ أَنْ
تَعْرِفَ مَا لَا يَسَعُ جَهْلُهُ ، وَكَفَاكَ مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ أَنْ تَرَوْى الشَّاهِدَ وَالْمَثَلَ » .
وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي يَرَوِي عَنْ جَدِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ ، ٢٠

(١) بَزَلَ : بَلَغَ سِنَ الْبَزُولِ ، وَهُوَ النَّاسَةُ . وَقَرَحَ : بَلَغَ سِنَ الْقُرُوحِ ، وَالْقَارِحُ مَنْ ذَى الْحَافِرِ
بِمَنْزِلَةِ الْبَازِلِ مِنَ الْإِبِلِ . كُنِيَ بِهَا عَنْ الْقُوَّةِ .
(٢) مِنْ « وَأَشَدُّ » سَاقِطٌ مِنْ ل .

قال : سمعتُ أبا مسلمٍ ^(١) يقول : سمعتُ الإمامَ إبراهيمَ بنَ مُحَمَّدٍ ^(٢) يقول :
يكفي من حَظِّ البلاغة أن لا يُؤنَّى السَّامِعُ من سوءِ إفهامِ النَّاطِقِ ، ولا يُؤنَّى
النَّاطِقُ من سوءِ فهمِ السَّامِعِ .

قال أبو عثمان : أما أنا فأستحسنُ هذا القولَ جدًّا .

°

(١) هو أبو مسلم الخراساني الداعي للدولة العباسية .

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أخو أبي العباس
السفاح رأس الدولة العباسية ، حبسه مروان بن محمد ، وقتل في محبسه سنة ١٣٢ حيث ظهر بعده
أبو العباس السفاح ، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، ولا [حول ولا ^(١)] قُوَّةٌ إِلَّا بِاللَّهِ ، وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
خاصَّةً ، وعلى أنبيائه عامة .

خبرني أبو الزبير كاتبُ مُحَمَّد بن حَسَّان ^(٢) ، وحدثني محمد بن أبان
٥ - ولا أدري كاتب مَنْ كان - قال :

قيل للفراسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفَصل من الوصل .
وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .
وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ،
والعزارة يَوْمَ الإطالة .

وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ،
١٠ وحسن الإشارة .

وقال بعضُ أهل الهند : جَماعُ البلاغة البَصَرُ بالحُجَّة ، والمعرفةُ بمواضع الفرصة .
ثم قال : ومن البصر بالحُجَّة ، والمعرفة بمواضع الفرصة ، أن تدعَ
الإفصاحَ بها إلى الكناية عنها ، إذا كان الإفصاحُ أوعَرَ طريقةً . وربما كان
١٥ الإضرابُ عنها صفحاً أبلَغَ في الدِّرك ، وأحقُّ بالظَّفَر .

قال : وقال مرَّةً : جَماعُ البلاغة التماسُ حُسْنِ الموقع ، والمعرفةُ بساعات
القول ، وقلة الحَرَقِ بما التبسَ من المعاني أو غمُضَ ^(٣) ، وبما شَرَدَ عليك من
اللفظ أو تعدَّر .

(١) هذه مما عدل .

(٢) هو محمد بن حسان بن سعد التميمي ، كان على خراج الكوفة . انظر الأغاني (٢ : ١٤٨) .

(٣) الحرق ، بالتحريك : الدهشة والحيرة . فيما عدل ، هـ : الحرف ، تحريف .

ثم قال : وَزَيْنُ ذَلِكَ كُلَّهُ ، وبهاؤه وحلاوته وسناؤه ، أن تكون الشَّمَائِلُ
موزونةً ، والألفاظُ معتدلةً ، واللهجة نقيّة (١) . فَإِنَّ جَامَعَ (٢) ذَلِكَ السَّنُّ
والسَمْتُ والجمال وطول الصَّمْت ، فقد تَمَّ كُلُّ التَّامِّ ، وكَمُلَ كُلُّ الكَمَالِ .
وخَالَفَ عليه سهْلُ بن هارونَ في ذلك ، وكان سهْلٌ في نفسه عتيقَ
الوجه ، حسنَ الشَّارَةِ ، بعيداً من الفَدَامَةِ ، معتدلاً القامة ، مقبول الصُّورَةِ ،
يُقَضَى له بالحكمة قبل الخبرة ، وبرقة الذَّهن قبل المخاطبة ، وبدقة المذهب قبل
الامتحان ، وبالنَّبل قبل التَّكشُّف . فلم يَمْنَعْهُ ذلك أن يقول ما هو الحقُّ عنده
وإن أَدخَلَ ذلك على حاله التَّقْصُص .

قال سهْلُ بن هارون : لو أَنَّ رَجُلَيْنِ خطبَا أو تحدَّثَا ، أو احتجَّا
أو وصفاً وكان أحدهما جميلاً جليلاً بهياً ، ولَبَاساً نبيلاً (٣) ، وذا حَسَبٍ شريفاً ،
وكان الآخر قليلاً قميئاً ، وبأذى الهيئة دميماً ، وخامِلَ الذَّكر مجهولاً ، ثم كان
كلامُهما في مقدارٍ واحدٍ من البلاغة ، وفي وزنٍ واحدٍ من الصَّواب ، لتصدَّع
عنهما الجَمْعُ وعامتُهم تَقْضَى للقليل الدَّمِيم على النَّبيل الجسيم ، وللبذاء الهيئة
على ذى الهيئة ، ولشغلَّهم التعجب منه عن مساواة صاحبه به ، ولصار
التعجبُ منه سبباً للعجب به ، ولصار الإكثارُ في شأنه عِلَّةً للإكثار في
مدحه ، لأنَّ النفوسَ كانت له أحقر ، ومن بيانه أياس ، ومن حسَّده أبعد .
فإذا هَجَمُوا منه على ما لم يكونوا يَحْتَسِبُونَهُ ، وظَهَرَ منه خلافُ ما قَدَّرُوهُ ،
تضاعَفَ حُسْنُ كلامه في صدورهم ، وكَبُرَ في عيونهم ؛ لأنَّ الشَّيْءَ من
غير معدنه أغرب ، وكلِّما كان أغربَ كان أبعدَ في الوهم ،
وكلِّما كان أبعدَ في الوهم كان أطرفَ ، وكلِّما كان أطرفَ كان أعجب ،

(١) ل : « والألفاظ معتدلة ، واللهجة نقية » ، وفيها تحريف .

(٢) فيما عدا ح : « جاء مع » .

(٣) ل فقط : « وليسا » والمعروف في المعاجم المتداولة « لباساً » كما في سائر النسخ .

- وكلما كان أعجب كان أبداع . وإثما ذلك كنوادر كلام الصبيان ومُلح
 المجانين ؛ فإن ضحك السامعين من ذلك أشد ، وتعجبهم به أكثر . والناس
 ٥٧ موكّلون بتعظيم الغريب ، واستطراف البعيد ^(١) ، وليس لهم في الموجود
 الرّاهن ، وفيما تحت قدرتهم من الرّأى والهوى ، مثُل الذى لهم في الغريب
 القليل ، وفي النادر الشاذّ ، وكلّ ما كان في ملك غيرهم . وعلى ذلك زهد
 الجيران في عالمهم ، والأصحاب في الفائدة من صاحبهم . وعلى هذا السبيل
 يستطرون القادم عليهم ، ويرحلون إلى النّازح عنهم ، ويتركون من هو أعمّ نفعاً
 وأكثر في وجوه العلم تصرّفاً ، وأخفّ مَوْنَةً وأكثر فائدة . ولذلك قدّم بعضُ
 الناس الخارجيّ على العريق ^(٢) ، والطّارف على التّليد .
- ١٠ وكان يقول ^(٣) : إذا كان الخليفةً بليغاً والسيد خطيباً ، فإنّك تجدُ
 جمهورَ الناس وأكثر الخاصّة فيهما على أمرين : إمّا رجلاً يُعطى كلامهما من
 التعظيم والتّفضيل ، والإكبار والتّبجيل ، على قدر حالهما في نفسه ،
 وموقعهما من قلبه ؛ وإمّا رجلاً تعرّض له التّهمة لنفسه فيهما ، والخوف من أن
 يكون تعظيمه لهما يؤهمه من صواب قولهما ، وبلاغة كلامهما ، ما ليس
 ١٥ عندهما ، حتّى يُفِرط في الإشفاق ، ويُسرف في التّهمة . فالأوّل يزيد في حقّه
 للذى له في نفسه ، والآخِر ينقصه من حقّه لتهمته لنفسه ، وإشفاقه من أن
 يكون مخدوعاً في أمره . فإذا كان الحبُّ يُعمى عن المساوى فالْبُغْضُ أيضاً
 يُعمى عن المحاسن . وليس يَعْرِفُ حقائق مقادير المعاني ؛ ومحصولُ حدود لطائف
 الأمور ، إلّا عالمٌ حكيم ، ومعتدلُ الأخلاق عليم ، وإلا القوى المُنّة ، الوثيق
 ٢٠ العُقْدة ، والذى لا يَمِيلُ مع ما يستميل الجمهور الأعظم ، والسواد الأكبر ^(٤) .

(١) فيما عدل ، هـ : « واستطراف البديع » .

(٢) الخارجى : الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم .

(٣) أى سهل بن هارون . انظر ص ٨٩ س ٩ . وفيما عدل : « وكانوا يقولون » .

(٤) هـ : « الأكثر » .

وكان سهل بن هارون شديد الإطناب في وصف المأمون بالبلاغة والجهارة ، وبالحلاوة والفخامة ، وجودة اللهجة والطلاوة .

وإذا صرنا إلى ذكر ما يحضرنا من تسمية خطباء بنى هاشم ، وبلغاء رجال القبائل ، قلنا في وصفهما على حسب حالهما ، والفرق الذي بينهما ؛ ولأننا عسى أن نذكر جملة من خطباء الجاهليين والإسلاميين ، والبدويين والحضرين ، وبعض ما يحضرنا من صفاتهم وأقدارهم ومقاماتهم ، وبالله التوفيق . ثم رجع القول بنا إلى ذكر الإشارة .

وروى أبو شيمر ^(١) عن معمر ^(٢) أي الأشعث ^(٣) ، خلاف القول الأول في الإشارة والحركة عند الخطبة ، وعند منازعة الرجال ومناقلة الأكفاء .

- وكان أبو شيمر إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه ، ولم يقلب عينيه ، ولم يحرك رأسه ، حتى كأن كلامه إنما يخرج من صدع صخرة . وكان يقضي على صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك ، وبالعجز عن بلوغ إرادته . وكان يقول : ليس من حق المنطق أن تستعين عليه بغيره ، حتى كلمه إبراهيم بن سيار التظايم عند أيوب بن جعفر ^(٤) ، فاضطره بالحجة ، وبالزيادة في المسألة ، حتى حرك يديه وحل حبوته ، وحبا إليه حتى أخذ بيديه . وفي ذلك اليوم انتقل أيوب من قول ^{١٥} أي شيمر إلى قول إبراهيم . وكان الذي غرأ أبا شيمر وموّه له هذا الرأي ، أن أصحابه كانوا يستمعون منه ، ويسلمون له ويميلون إليه ، ويقبلون كل ما يؤرده

(١) أبو شيمر هذا أحد أئمة القدرية المرجئة . انظر السمعاني . وتجد آراءه في الفرق ١٩٠ - ١٩٤ .

(٢) هو معمر بن عباد السلمي ، صاحب فرقة المعمرية من المعتزلة ، وكان من تلاميذه

أبو الحسن المدائني ، وحفص الفرد ، وأبو شمر ، وأبو بكر الأصم ، وأبو عامر عبد الكريم بن روح . انظر ابن النديم ١٤٧ ، والمواقف ٦٢٣ طبع بولاق . ومعمر بتشديد الميم ، كما في لسان الميزان (٦ : ٧١) . توفي سنة ٢١٥ .

(٣) أيوب بن جعفر بن سليمان العباسي ، كان من أعلم الناس بقريش ، وبالدولة وبرجال

الدعوة كما سيأتى . وذكر الجاحظ في الحيوان (٦ : ٧٨) أنه كان لا يحب أكل الضباب .

عليهم ، وثبّته عندهم . فلما طال عليه توقيرهم له ، وترك مجاذبتهم إياه ، وخفت مؤونة الكلام عليه - نسي حال منازعة الأكفاء ومجادبة الخصوم . وكان شيخاً وقوراً ، وزميئاً ركيناً ^(١) ، وكان ذا تصرف في العلم ، ومذكوراً بالفهم والحلم .

قال معمر ، أبو الأشعث : قلت لبهلة الهندي أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند ، مثل منكة وبارئكر ^(٢) وقليرقل ^(٣) وسندباد وفلان وفلان : ما البلاغة عند الهند ؟ قال بهلة : عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ، ولكن لا أحسن ترجمتها لك ^(٤) ، ولم أعالج هذه الصناعة فأنت من نفسى بالقيام بخصائصها ، وتلخيص لطائف معانيها .

قال أبو الأشعث : فليقت تلك الصحيفة الترجمة فإذا فيها ^(٥) :

أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة . وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيّد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة . ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا يُنقح الألفاظ كل التنقيح ، ولا يُصفيها كل التصفية ، ولا يهذبها غاية التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيماً ، أو فيلسوفاً عليماً ، ومن قد تعود حذف فضول الكلام ، وإسقاط مشتركات الألفاظ ، وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة ، لا على جهة الاعتراض والتصفح ، وعلى وجه الاستطراف والتظرف . قال : ومن علم حق

(١) الرمي : الخليم الساكن القليل الكلام ، كالصميت . والركين : الرزين .

(٢) كذا ضبطت هذه الأسماء الهندية في ل ، هـ . لكن ضبطت « سندباد » في هـ بضم السين .

وفي الحيوان (٧ : ٢١٣) أن « منكة » كان صحيح الإسلام .

(٣) ل : « وقل بن قل » وأثبت ما في سائر النسخ .

(٤) فيما عدل ، هـ : « مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك » . وكلمة « لك » ساقطة من هـ .

(٥) ذكر العسكري في الصناعتين ١٩ هذه الصحيفة ، وفسرها . كذلك ذكرها ابن قتيبة في

عيون الأخبار (٢ : ١٧٣) .

- المعنى ^(١) أن يكون الاسم له طبقاً ، وتلك الحال له وفقاً ، ويكون الاسم له لا فاضلاً [ولا مفضولاً ^(٢)] ، ولا مقصراً ، ولا مشتركاً ، ولا مضمناً ، ويكون مع ذلك ذاكراً لما عقّد عليه أول كلامه ، ويكون تصفحه لمصادره ، في وزن تصفحه لموارده ، ويكون لفظه مُونقاً ، ولهول تلك المقامات معاوداً ^(٣) .
- ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم ، والحمل عليهم على أقدار منازلهم ، وأن ثوابية الآثمة ، وتصرف معه أداته ، ويكون في التهمة لنفسه معتدلاً ، وفي حسن الظن بها مقتصداً ؛ فإنه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه ظلمها ، فأودعها ذلة المظلومين ، وإن تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها ، آمنها فأودعها تهاون الآمنين . ولكل ذلك مقدار من الشغل ، ولكل شغل مقدار من الوهن ، ولكل وهن مقدار من الجهل .

- وقال إبراهيم بن هانئ ^(٤) ، وكان ماجناً خليعاً ، وكثير العبث متمرداً . ولولا أن كلامه هذا الذي أراد به الهزل يدخل في باب الجِدِّ ، لما جعلته صِلَة الكلام الماضي . وليس في الأرض لفظ يسقط البتة ، ولا معنى يبور حتى لا يصلح لمكان من الأماكن .

- قال إبراهيم بن هانئ : من تمام آلة القصص أن يكون القاصُّ أعمى ، ويكون شيخاً بعيد مدى الصوت . ومن تمام آلة الرمز أن تكون الزمرة

(١) فيما عدل : « وقال من علم حق المعنى » وفي الصناعتين : « قال واعلم أن حق المعنى » .

(٢) هذه مما عدل .

(٣) بدله في الصناعتين : « ومعناه نبيراً واضحاً » . وهو يدل أن الترجمة التي حصل عليها

العسكري غير التي حصل عليها الجاحظ .

(٤) إبراهيم بن هانئ : أحد معاصري الجاحظ ، روى عنه أخباراً في الحيوان ، وخبراً في البخلاء

سوداء . ومن تمام آلة المعنى أن يكون فارة البرذون ، برآق الثياب ^(١) ،
 عظيم الكبر ، سبيء الخلق . ومن تمام آلة الحمّار أن يكون ذمياً ، ويكون
 اسمه أذين أو شلوماً ، أو مازيار ، أو أزدانقازار ، أو ميشاً ، ويكون أرقط
 الثياب ، مختوم العنق . ومن تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر أعرايياً ، ويكون
 الداعي إلى الله صوفياً . ومن تمام آلة السؤدد أن يكون السيد ثقیل السمع ، عظيم
 الرأس . ولذلك قال ابن سنان الجديدي ^(٢) ، لراشد بن سلمة الهذلي : « ما أنت
 بعظيم الرأس [ولا ثقیل السمع] ^(٣) فتكون سيّدا ، ولا بأرسخ فتكون فارساً » .
 وقال شبيب بن شيبّة الخطيب ، لبعض فتيان بني منقر : « والله
 ما مُطَلَّتْ مَطلُّ الفُرسان ، ولا فُتَقَّتْ فَتَقُّ السّادة » .

وقال الشاعر :

فَقَبِلْتُ رَأْساً لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَكُفّاً كَكُفِّ الضَّبِّ أَوْ هِيَ أَحَقَرُ ^(٤)
 فَعَابَ صِغَرَ رَأْسِهِ وَصِغَرَ كَفِّهِ ، كَمَا عَابَ الشَّاعِرُ ^(٥) كُفَّ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ مَطِيحِ الْعَدَوِيِّ ، حِينَ وَجَدَهَا غَلِيظَةً جَافِيَةً ، فَقَالَ :
 دَعَا ابْنُ مُطِيحٍ لِلْبَيْاعِ فَجِئْتُهُ إِلَى بَيْعَةٍ قَلْبِي لَهَا غَيْرُ آلِفِ
 فَنَاوَلَنِي خَشْنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُهَا بِكَفِّي لَيْسَتْ مِنْ أَكُفِّ الْخَلَائِفِ ١٥
 وهذا الباب يقع (في كتاب الجوارح) مع ذكر البرص والعرج والعسر

(١) فيما عدل ، هـ : « الثنايا » . ولكل وجه . وفي حواشي هـ : « خ : الثنايا » .

(٢) كذا ضبط في ل . وهو إما نسبة إلى « جديد » ، وهي خطة لبنى جديد بالبصرة ، أو إلى
 « الجديدة » وهي قلعة في كورة بين النهرين بين نصيبين والموصل .

(٣) هذه مما عدل ل .

(٤) فيما عدل ، هـ : « ثقل رأساً » .

(٥) هو فضالة بن شريك . وكان عبد الله بن الزبير قد ولي عبد الله بن مطيع بن الأسود
 الكوفة ، فطرده عنها المختار بن أبي عبيد الثقفي ، فقال فضالة هذا الشعر في هجائه . انظر الأغاني
 (١٠ : ١٦٤) . وسعيد الجاحظ إنشاده فيما بعد .

والأذر والصلع^(١) [والحذب والقرع^(٢)] ، وغير ذلك من علل الجوارح . وهو واردٌ عليكم إن شاء الله بعد هذا الكتاب .

وقال إبراهيم بن هانئ : من تمام آلة الشيعة أن يكون وافر الجمّة ، صاحب بازيكند^(٣) . ومن تمام آلة صاحب الحرس أن يكون زميتاً قطوباً أبيض اللحية ، أفنى أجنى^(٤) ، ويتكلم بالفارسية^(٥) .

وأخبرني إبراهيم بن السندی قال : دخل العُمانيّ الراجز على الرشيد ، ليُنشده شعراً ، وعليه قلنسوة طويلة ، وخفّ ساذج ، فقال : إياك أن تُنشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور ، وخفّان دُماليقان^(٦) .

- قال إبراهيم : قال أبو نصر : فبكر عليه من الغد وقد تزّيا بزى الأعراب ، فأنشده ثم دنا فقبل يده ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، قد والله أنشدتُ مروانَ ورأيتُ وجهه وقبلتُ يده وأخذتُ جازئته ، وأنشدتُ يزيد بن الوليد وإبراهيم ابن الوليد ورأيتُ وجوههما وقبلتُ أيديهما وأخذتُ جوازئهما ، وأنشدتُ السفاح ورأيتُ وجهه وقبلتُ يده وأخذتُ جازئته ، وأنشدتُ المنصور ورأيتُ وجهه وقبلتُ يده وأخذتُ جازئته ، وأنشدتُ المهدي ورأيتُ وجهه وقبلتُ يده وأخذتُ جازئته ، وأنشدتُ الهادي ورأيتُ وجهه وقبلتُ يده وأخذتُ جازئته .
- هذا إلى كثيرٍ من أشباه الخلفاء وكبار الأمراء ، والسادة الرؤساء ، ولا والله

(١) فيما عدل ، هـ : « والفالج » .

(٢) هذه مما عدل .

(٣) في هامش ل : « بازيكند : نوع من الثياب ، فارسية » . وقد ضبطت الكلمة في المتن

والتعليق ، بفتح الزاى وضم الباء وفتح الكاف .

(٤) الأفتى : المرتفع أعلى الأنف المحدودب وسطه . والأجنى : تسهيل الأجنأ ، وهو الأحذب

الظهر .

(٥) فيما عدل ، هـ : « صاحب تكلم بالفارسية » .

(٦) الدمالقي : المستدير الأملس . ل : « ذلقمان » صوابه في سائر النسخ . وانظر الشعر

والشعراء ٣٧١ وعيون الأخبار (١ : ٩٣ — ٩٤) .

إن رأيت فيهم أبهى منظراً ، ولا أحسن وجهاً ، ولا أنعم كفاً ، ولا أئدى راحة منك يا أمير المؤمنين . ووالله لو ألقى في روعي أنني أتحدث عنك ما قلت لك ما قلت . قال : فأعظم له الجائزة على شعره ، وأضعف له على كلامه ، وأقبل عليه فبسطه ، حتى تمتى والله جميع من حضر أنهم قاموا ذلك المقام .

* * *

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول . قال ابن الأعرابي : قال معاوية بن أبي سفيان لصُحارِ بن عياش العبدى^(١) : ما هذه البلاغة التي فيكم ؟ قال : شيءٌ تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا . فقال له رجل من عُرض القوم^(٢) : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء بالبسر والرطب ، أبصر منهم بالحُطَب . فقال له صُحار : أجل والله ، إنا لتعلم إنَّ الرِّيحَ لتلقِّحه^(٣) ، وإنَّ البردَ ليعقِّده ، وإنَّ القمرَ ليصبِّغه ، وإنَّ الحرَّ ليُنضِجه .

وقال له معاوية : ما تعدُّون البلاغةَ فيكم ؟ قال : الإيجاز . قال له معاوية : وما الإيجاز ؟ قال صُحار : أن تُجيب فلا تبطئ ، وتقول فلا تخطئ . فقال له معاوية : أو كذلك تقول يا صُحار ؟ قال صُحار : أقلني يا أمير المؤمنين ، ألا تُبطئ ولا تُخطئ^(٤) .

وشأن عبد القيس عجب ، وذلك أنهم بعد مُحاربةٍ إيادٍ تفرَّقوا فرقتين ، ففرقةٌ وقعتْ بَعْمَانَ وشُقَّ عُمان ، وهم خطباء العرب ؛ وفرقةٌ وقعتْ إلى البَحْرَيْنِ

(١) هو صُحار بن عياش - ويقال ابن عباس - بن شراحيل بن منقذ العبدى ، من بني عبد القيس ، خطيب مفوه ، كان من شيعة عثمان ، له صحبة وأخبار حسنة ، وكان علامةً نسابة . توفي نحو سنة ٤٠ . انظر الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

(٢) من عرض القوم ، بضم العين ، أى عامتهم .

(٣) فى الأصول : « لتلقِّحه » صوابه فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٢) .

(٤) فيما عدل : « لا تبطئ ولا تخطئ » . وفى الحيوان (١ : ٩١) : « لا تخطئ ولا تبطئ » . وفى الصناعتين ٣٢ : « هو ألا تخطئ ولا تبطئ » .

[وشيئُ البحرين ^(١)] ، وهم من أشعر قبيل في العرب ، ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سُرَّة البادية ^(٢) وفي مَعِدِن الفصاحة . وهذا عَجَب .

ومن حُطَبَائِهِم المشهورين : صَعَصعة بن صُوحان ، وزَيْد بن صُوحان ، وسَيْحان بن صُوحان ^(٣) . ومنهم صُحار بن عِيَّاش . وصُحارٌ من شيعة عثمان ، وبنو صُوحان من شيعة عليّ .

ومنهم مَصَقَلَة بن رَقَبَة ، ورقَبَة بن مَصَقَلَة ، وكَرَب بن رَقَبَة . وإذا صِرْنَا إلى ذكر الحُطَبَاء والنِّسَّابِينَ ، ذَكَّرْنَا من كلام كلِّ واحدٍ منهم بقَدْر ما يحضُرنا ، وبالله التوفيق .

قال لي ابنُ الأعرابيّ : قال لي المفضَّل بن محمد الضبيّ : قلت لأعرابيٍّ مِنَّا : ما البلاغة ؟ قال لي : الإيجازُ في غير عَجْزٍ ، والإطنابُ في غير حَظَلٍ .
قال ابنُ الأعرابيّ : فقلتُ للمفضَّل : ما الإيجازُ عندك ؟ قال : حَذَف الفضول ^(٤) ، وتقريب البعيد .

قال ابنُ الأعرابيّ ، قيل لعبد الله بن عُمر : لو دَعَوْتُ الله بدَعَوَاتٍ . فقال : اللهم ارحمنا وعافنا وارزُقنا ! فقال له رجلٌ : لو زِدْنَا يا أبا عبد الرحمن . فقال : نعوذ بالله من الإسهاب .

★ ★ ★

(١) هذه مما عدل .

(٢) ل : « في هذه البادية » .

(٣) ذكرهم ابن دريد في الاشتقاق ١٩٩ وقال : « بنو صُوحان بن حجر بن الحارث بن الهجرس . وسَيْحان فعِلان من السَّيْح ، ساح الماء يسَّيْح سَيْحاً » . فيما عدل : « شَيْحان » تحريف .

(٤) ل : « ما الإيجازُ عندكم ؟ قال : ترك الفضول » .

باب

ذكر ناس من البلغاء والخطباء والأئمة والفقهاء والأمرء

من كان لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ والزَّلَل

منهم : زيد بن صُوحان . ومنهم : أبو واثلة إياس بن معاوية المُرَنيّ ^(١) .
القاضي القائف ، وصاحب الرُّكن ، والمعروف بجودة الفِراسة . ولكثرة كلامه
قال له عبد الله بن شُرمة ^(٢) : « أنا وأنت لا تتفق . أنت لا تشتهي أن تسكت
وأنا لا أشتي أن أسمع » .

وأنتي حَلَقَةٌ من حَلَقِ قُرَيْشٍ في مسجد دمشق ، فاستولى على المجلس ،
ورأوه أحمر دميماً باذاً الهيئة ، قَشِيفاً ، فاستهائوا به فلما عرفوه اعتذروا إليه وقالوا
له : الذُّب مقسومٌ بيننا وبينك ؛ أتيتنا في زِيٍّ مسكين ، تكلمنا بكلام الملوك .

ورأيتُ ناساً يستحسنون جوابَ إياس بن معاوية حين قيل له : ما فيك
عيبٌ غير أنك مُعْجَبٌ بقولك . قال : أفأعجبكم قولي ؟ قالوا : نعم . قال :
فأنا أحقُّ بأن أعجبَ بما أقول ، وبما يكون مِنِّي منكم ^(٣) .

والناسُ ، حفظك الله ، لم يَضَعُوا ذِكْرَ العُجْبِ في هذا الموضع . والمعيبُ
عند الناس ليس هو الذي لا يعرف ما يكون منه من الحُسْن . والمعرفة لا تَدْخُلُ في
باب التَّسمية بالعُجْب ، والعُجْب مذموم . وقد جاء في الحديث . « إنَّ المؤمنَ

(١) هو إياس بن معاوية بن قرة المزني ، من مزينة مضر ، ولأه عمر بن عبد العزيز قضاء
البصرة . وكان صادق الظن لطيفاً في الأمور ، وكان لأم ولد : ومنزله عند السي ، ومات بها سنة
١٢٢ . انظر المعارف ٢٠٥ وتهذيب التهذيب (١ : ٣٩) وأنساب السمعاني .

(٢) هو عبد الله بن شُرمة بن حسان الضبي ، أبو شُرمة الكوفي القاضي . ولأه أبو جعفر
المنصور قضاء الكوفة . ولد سنة ٧٢ وتوفي سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب

(٣) ل : « مني » فقط .

مَنْ سَاعَتِهِ سَيِّئُهُ وَسِرَّتُهُ حَسَنَتُهُ » . وقيل لعمر : فلان لا يعرف الشر . قال :
 « ذاك أجدر أن يقع فيه » . وإنما العجب إسراف الرجل في السُرور بما يكون
 منه والإفراط في استحسانه ، حتّى يظهر ذلك في لفظه وفي شمائله . وهو الذى
 وصّف به صعصعة بن صُوحان ^(١) ، المنذر بن الجارود ^(٢) ، عند عليّ بن أبى
 طالب رحمه الله ، فقال : « أما إنّه مع ذلك لَنَظَّارٌ فى عِطْفِيهِ ، تُقَالُ فى
 شِرَاكِهِ ، تُعْجِبُهُ حُمْرَةُ بُرْدِيهِ ^(٣) » .

قال أبو الحسن : قيل لإياس : ما فيك عيبٌ إلّا كثرةُ الكلام . قال :
 فتسمعون صواباً أم خطأ ؟ قالوا : لا ، بل صواباً . قال : « فالزيادة من الخير
 خير » . وليس كما قال ؛ للكلام غايةٌ ، ولنشاط السّامعين نهاية ، ومافضل عن
 قدر الاحتمال ودعا إلى الاستئصال والمَلال ، فذلك الفاضل هو الهَذَر ،
 وهو الخطَل ، وهو الإسهاب الذى سمعت الحكماء يعيّنونه ^(٣) .

وذكر الأصمعيّ أنّ عمر بن هُبيرة لما أرادَه على القضاء قال : إني
 لا أصلح له . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأننى عيى ، ولأنى دميم ، ولأننى
 حديد . قال ابنُ هُبيرة : أمّا الحِدّة فإنّ السّوطَ يَقْوَمُك ، وأمّا الدّمامة فإننى
 لا أريد أن أحاسنَ بك أحداً ، وأمّا العيى فقد عبّرتَ عمّا تُريد .

فإن كان إياسٌ عند نفسه عيياً فذاك أجدر بأن يهجر الإكثار .
 وبعدُ فما نعلّم أحداً رمى إياساً بالعيى ، وإتّما عابوه بالإكثار .
 وذكر صالح بن سليمان ، عن عُتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث ، قال

(١) هو صعصعة بن صوحان العبدى ، كان مسلماً فى عهد الرسول ولم يره . روى عن عثمان
 وعلى ، وشهد صفين مع على ، وكان خطيباً فصيحاً . مات بالكوفة فى خلافة معاوية . الإصابة
 ٤١٢٥ . وصوحان ، بضم الصاد . الاشتقاق ١٩٩ والخبر فى الحيوان (٥ : ٥٨٨) .

(٢) المنذر بن الجارود العبدى ، ولد فى عهد النبى ، ولأبيه صحة ، وشهد الجمل مع على
 وولاه عبيد الله بن زياد الهند فى إمرة يزيد بن معاوية فمات هناك سنة ٦١ . انظر الإصابة ٨٣٢٨ .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٥٨٨) والبيان (٣ : ١١٢) .

ما رأيتُ عقولَ النَّاسِ إِلَّا قَريباً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْحِجَاجِ بْنِ يُوسُفَ ، وَإِيَّاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ؛ فَإِنَّ عَقُولَهُمَا كَانَتْ تَرَجِّحُ عَلَى عَقُولِ النَّاسِ كَثِيراً .

وقال قائلٌ لإِيَّاسَ : لِمَ تَعْجَلُ بِالْقَضَاءِ ؟ فقال إِيَّاسُ : كَمْ لَكَ مِنْ إِبْصَاحٍ ؟ قال : خَمْسَ . قال : عَجَلْتَ . قال : لِمَ يَعْجَلُ مَنْ قَالَ بَعْدَ مَا قَتَلَ الشَّيْءَ عِلْماً وَبِقِيْنًا . قال إِيَّاسُ : فَهَذَا هُوَ جَوَابِي لَكَ (١) .

وكان كثيراً ما يُنْشِدُ قَوْلَ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيَّ :
أَبَى لِي الْبَلَاءُ وَأَنَّى أَمْرُؤُ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أُرْتَبِ (٢)

قال : ومدح سلمة بن عِيَّاش (٣) ، سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (٤) ، بِمَثَلٍ ما وصف به إِيَّاسُ نَفْسَهُ حِينَ قَالَ :
وَأَوْقَفَ عِنْدَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَضِخْ لَهُ وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَّ مَنْ كَانَ مَاضِياً (٥)

وكتب عمرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، إِلَى عَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةٍ : إِنَّ قَبْلَكَ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةٍ ، قَوْلٌ أَحَدُهُمَا قَضَاءُ الْبَصْرَةِ . يَعْنِي بَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيَّ (٦) وَإِيَّاسَ ابْنَ مُعَاوِيَةَ . فَقَالَ بَكْرُ : وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَ الْقَضَاءَ ، فَإِنْ كُنْتُ صَادِقاً فَمَا

(١) ل : « فهذا جوابي » .

(٢) أنشده في الحيوان (٣ : ٤٩٥) وقال : « ليس يريد أنه في حالة تبينه غير مرتاب ، وإنما يعنى أن بصيرته لا تتغير » . لم أرتب ، بفتح التاء من الرية ، وبضمها أيضاً من الرنوب ، وهو التوقف .
(٣) سلمة بن عِيَّاش : شاعر بصرى من مخضرمى الدولتين ، كان منقطعاً إلى جعفر ومحمد ولدى سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس مدحهما . وترجم له أبو الفرج في (٢١ : ٨٤ - ٨٦) .
(٤) أبو عبد الله سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة العنبري البصري ، نزل بغداد وولى بها قضاء الرصافة . وكان فقيهاً فصيحاً ، أديباً شاعراً . وقد وثقه كثيرون منهم أحمد بن حنبل . توفي سنة ٢٤٥ . انظر تاريخ بغداد ٤٧٨٨ .

(٥) بكر بن عبد الله المزني ، نسبة إلى مزينة ، أبو عبد الله البصري ، ثقة جليل ، توفي سنة

١٠٦ . تهذيب التهذيب .

- يَجِلُّ لَكَ أَنْ تَوَلَّيْنِي ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِباً إِنَّهَا لِأَحْرَاهُمَا ^(١) .
- وكانوا إذا ذكروا البصرة قالوا : شيخُها الحَسَنُ ، وفتاها بكر .
- وقال إِيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ : لَسْتُ بِحَبِّ وَالْحَبِّ لَا يَخْدَعُنِي . وقال :
- الْحَبُّ ^(٢) لَا يَخْدَعُ ابْنَ سِيرِينَ ، وَهُوَ يَخْدَعُ أُنَى وَيَخْدَعُ الْحَسَنَ .
- ودخل الشَّامُ وهو غلامٌ ، فَتَقَدَّمَ خَصِماً لَهُ ، وَكَانَ الْخَصَمُ شَيْخاً ٥
كَبِيراً ، إِلَى بَعْضِ قُضَاةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : أَتَقْدُمُ
شَيْخاً كَبِيراً ؟ قَالَ : الْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْهُ . قَالَ : اسْكُتْ . قَالَ : فَمَنْ يَنْطَلِقُ
بُحْجَتِي . قَالَ : لَا أَطْنُكَ تَقُولُ حَقّاً حَتَّى تَقُومَ . قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
[أَحَقّاً هَذَا أَمْ بَاطِلاً ^(٣) ؟] . فَقَامَ الْقَاضِي فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ
سَاعَتِهِ ، فَخَبَّرَهُ بِالْخَبَرِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَقْضِ حَاجَتَهُ السَّاعَةَ وَأَخْرِجْهُ مِنْ ١٠
الشَّامِ ، لَا يُفْسِدْ عَلَى النَّاسِ .
- فَإِذَا كَانَ إِيَّاسٌ وَهُوَ غَلامٌ يُخَافُ عَلَى جَمَاعَةِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِهِ
وَقَدْ كَبُرَتْ سُنَّتُهُ ، وَعَضَّ عَلَى نَاجِيذِهِ .
- وجملة القول في إِيَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ مِنْ مَفَاخِرِ مُضَرٍّ ، وَمِنْ مُقَدِّمِي الْقَضَاةِ ،
وَكَانَ فَقِيهَ الْبَدَنِ ^(٤) ، دَقِيقَ الْمَسْلَكِ فِي الْفِطَنِ ، وَكَانَ صَادِقَ الْحَدْسِ نِقَاباً ^(٥) ، ١٥
وَكَانَ عَجِيبَ الْفِرَاسَةِ مُلْهِمًا ، وَكَانَ عَفِيفَ الطَّعْمِ ^(٦) ، كَرِيمَ الْمَدَاخِلِ وَالشِّيمِ ،
وَجِيهاً عِنْدَ الْخُلَفَاءِ ، مُقَدِّمًا عِنْدَ الْأَكْفَاءِ . وَفِي مُزِينَةِ خَيْرٍ كَثِيرٍ .

(١) أَى هَذِهِ الْحَالَةِ أَجْدَرُ الْحَالَتَيْنِ بِإِقْصَائِهِ عَنِ الْوَلَايَةِ . ل : « فَإِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَمَا يَجِلُّ لَكَ أَنْ تَوَلَّيْنِي ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَمَا يَجِلُّ لَكَ أَنْ تَوَلَّيْنِي » .

(٢) الْحَبُّ ، بِالْفَتْحِ وَيَكْسَرُ : الْخِدَاعُ . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الَّتِي قَبْلُهَا فِي ل فَقَطْ ، وَلَيْسَتْ فِي الْحَيَوَانَ (٢ : ٢٧٩) .
(٣) التَّكْلِمَةُ مِنْ هـ .

(٤) فِي هَامِشِ هـ : « أَى كَأَنَّ بَدَنَهُ مَطْبُوعٌ عَلَى الْفَقْهِ لِدَكَائِهِ وَلِنَفُوذِهِ فِيمَا أَشْكَلَ مِنْهُ أَوْ غَمَضَ » . وَانْظُرْ تَهْذِيبَ التَّهْذِيبِ فِي تَرْجُمَةِ بَشَرَ بْنِ الْمُفَضَّلِ .

(٥) الْحَدْسُ ، بِالْفَتْحِ : الظَّنُّ وَالتَّخْمِينُ . وَالنِقَابُ : كِتَابُ : الرَّجُلِ الْعَلَامَةِ الْفِطَنِ . قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :
نَجِيجُ جَوَادٍ أَخُو مَاقِطٍ نِقَابٌ يَحْدُثُ بِالْغَائِبِ ٢٥

(٦) فِي حَوَاشِي هـ : أَى إِنَّهُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ حَلَالٍ . مَاعِدَا هـ : « الْمَطْعَمُ » .

ثم رجعنا إلى القول الأول .

ومنها ربيعة الرأي ^(١) ، وكان لا يكاد يسكت . قالوا : وتكلم يوماً فأكثر وأعجب بالذي كان منه ، فالتفت إلى أعرابي كان عنده فقال : يا أعرابي : ما تعلمون العي فيكم ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم .

وكان يقول : السآكت بين النائم والأحرس .

ومنها عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي ^(٢) . ومحمد بن حفص هو ابن عائشة ؛ ثم قيل لعبيد الله ابنه : ابن عائشة . وكان كثير العلم والسمع ، متصرفاً في الخبر والأثر . وكان من أجواد قریش ^(٣) ، وكان لا يكاد يسكت ، وهو في ذلك كثير الفوائد . وكان أبوه محمد بن حفص عظيم الشأن ، كثير

العلم ، بعث إليه ينخاب ^(٤) خليفته في بعض الأمر ، فأتاه في خلقة في المسجد ، فقال له في بعض كلامه : أبو من أصلحك الله ، فقال له : هلاً عرفت هذا قبل مجيئك ! وإن كان لابد لك منه فاعترض من شئت فسله . فقال له : إني أريد أن تُخَلِّينِي . قال : أفي حاجة لك أم في حاجة لي ؟ قال : بل في حاجة لي . قال : فالقيني في المنزل . قال : فإن الحاجة لك . قال : ما دون إخواني ستر .

ومنها محمد بن مسعر العقيلي ، وكان كريماً كريم المجالسة ، يذهب مذهب

(١) ويقال له ربيعة صاحب الرأي . انظر الكلام على أصحاب الرأي في المعارف لابن قتيبة ٢١٦ — ٢١٩ وهو أبو عثمان ربيعة بن فروخ مولى آل المنذر التميمي ، وكان أبو العباس السفاح قد قدمه للقضاء فلم يفعل . ومات بالأندلس سنة ١٣٦ . انظر المعارف ٢١٧ وتهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٨٣ — ٨٦) .

(٢) هو عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمي ، يقال له ابن عائشة . والعائشي ، والعيشي : نسبة إلى عائشة بنت طلحة ؛ لأنه من ذريتها . توفي بالبصرة سنة ٢٨٨ . انظر المعارف لابن قتيبة ٢٢٨ ، وتهذيب التهذيب ، والأنساب ٣٧٩ والحيوان (٢ : ١٢) .

(٣) الأجواد : جمع جواد . فيما عدل ، هـ : « من أجود قریش » .

(٤) ل : بعث إليه زياد ينخاب « وكلمة « زياد » مقحمة . هـ : « ينخاب » . بدل

« ينخاب » . وضبط « ينخاب » هو ما في ل . وفي سائر النسخ : « ميخاب » .

النسّاك ، وكان جواداً . مرّ صديقٌ له من بنى هاشم بقصرٍ له وبُستانٍ نفيس ، فبلغه أنّه استحسّنه ، فوهّبه له .

ومنهم أحمد بن المُعَدَّل بن غِيلان^(١) ، كان يذهب مذهب مالك رحمه الله ، وكان ذا بيانٍ وتبحُّرٍ في المعاني ، وتصرّف في الألفاظ .

ومن كان يُكثر الكلام جداً: الفضل بن سهل ، ثم الحسن بن سهل^(٢) في أيامه .
وحدّثني محمد بن الجهم ودُواد بن أبي دُواد قالا : جلس الحسن بن سهل في مصلى الجماعة ، لنعيم بن خازم^(٣) ، فأقبل نعيمٌ حافياً حاسراً وهو يقول : ذنبي أعظم من السماء ، ذنبي أعظم من الهواء ، ذنبي أعظم من الماء ! قالا : فقال له الحسن بن سهل : على رِسْلِكَ ، تقدّمت منك طاعةٌ ، وكان آخرُ أمرك إلى توبة ، وليس للذنوب بينهما مكان ، وليس ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو .

ومن هؤلاء علي بن هشام ، وكان لا يسكت ، ولا أدري كيف كان كلامه .

قال : وحدّثني مهدي بن ميمون ، قال : حدّثنا غيلان بن جرير ، قال : كان مطرّف بن عبد الله^(٤) يقول : « لا تُطعم طعامك مَنْ لا يشتهيهِ » . يقول :

١٥ (١) هو أخو الشاعر المشهور عبد الصمد بن المعدل بن غيلان ، كلاهما من شعراء الدولة العباسية . قال أبو الفرج في أثناء ترجمة عبد الصمد : « وكان أخوه أحمد أيضاً شاعراً إلا أنه كان غفياً ذا مروءة و دين وتقدم في المعتزلة » . الأغاني (١٢ : ٥٤) والفوات (١ : ٣٥٣) .

(٢) استوزر المأمون الفضل بن سهل ، ثم أخاه الحسن بن سهل . قتل الفضل سنة ٢٠٢هـ . أما الحسن فقد توفى سنة ٢٣٦هـ . وهو والد بوران زوج المأمون ، التي فيها يقول الباهلي :

٢٠ بارك الله للحسن ولبوران في الحسن
يا ابن هارون قد ظفرت ولكن بينت من

(٣) فيما عدل ، هـ : « ابن خازم » بالخاء المهملة .

(٤) هو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير ؛ أحد التابعين ، وكان من عباد أهل البصرة وزهادهم ، وكان لأبيه صحبة . وكان يقص في مكان أبيه بمسجد البصرة . توفى سنة ٩٥هـ . الإصابة ٨٣١٨ والمعارف ١٩٣ وصفة الصفوة (٣ : ١٤٤) وتهذيب التهذيب .

لا تُقْبَلُ بِحَدِيثِكَ عَلَى مَنْ لَا يَقْبَلُ عَلَيْهِ بَوَجهه .

وقال عبد الله بن مسعود : « حَدَّثَ النَّاسَ مَا حَدَّثُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ ، وَأَذْنُوا لَكَ بِأَسْمَاعِهِمْ ، [وَلِحْظُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ ^(١)] ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ فِتْرَةً فَأَنْسِكْ » .

قال : وجعل ابن السمّاك ^(٢) يوماً يتكلّم ، وجارية له حيث تسمع كلامه ، فلما انصرف إليها قال لها : كيف سمعت كلامي ؟ قالت : ما أحسنه ، لولا أنّك تكثّر تردّاده . قال : أرّده حتّى يفهمه من لم يفهمه . ٦
قالت : إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد ملّه من فهمه ^(٣) .

عبّاد بن العوّام ، عن شعبة عن قتادة قال : مكتوب في التوراة : ١٠ « لا يعادُ الحديث مرّتين ^(٤) » .

سفيان بن عُيينة ^(٥) ، عن الزُّهري قال : « إعادةُ الحديث أشدُّ من ثقل الصّخر ^(٦) » .

(١) هذه مما عدل .

(٢) هو أبو العباس محمد بن صبيح مولى بنى عجل ، المعروف بابن السمّاك ، سمع هشام بن عروة ، والعوام بن حوشب ، وسفيان الثوري ، وروى عنه الحسين الجعفي ، وأحمد بن حنبل . وهو كوفي ١٥
قدم بغداد زمن هارون الرشيد ، وكان يكي هارون من قوة موعظته . ومكث ببغداد مدة ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ . تاريخ بغداد ٢٨٩٥ وصفة الصفوة (٣ : ١٠٥) ولسان الميزان (٥ : ٢٠٤) .

(٣) ل : « يفهمه » . وانظر الخبر في عيون الأخبار (٢ : ١٧٨) .

(٤) ل فقط : « لا يعد » ، وأثبت ما في سائر النسخ وعيون الأخبار (٢ : ١٧٩) .

(٥) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي ، الكوفي ثم المكي ، ثقة حافظ . سمع الزهري وعبد الله ابن دينار وغيرهما ، وحدث عنه الأعمش وابن جريح وشعبة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم . وفيه يقول الشافعي : « لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز » . وكان يحدث في موسم الحج ، وقد حج سبعين سنة . ولد سنة ١٠٧ وتوفي سنة ١٩٨ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٤٢) وتهذيب التهذيب . ٢٠

(٦) في عيون الأخبار (٢ : ١٧٩) : « من وقع الصخر صواب هذه : « من رفع الصخر » .

وقال بعض الحكماء : « مَنْ لم يَنْشَطْ لِحَدِيثِكَ فَارْفَعْ عَنْهُ مَوْثِقَةَ الاسْتِمَاعِ

مَنْكَ » .

- وجملة القول في الترداد ، أنه ليس فيه حدٌّ ينتهي إليه ، ولا يُؤْتَى على وصفه ^(١) . وإتّما ذلك على قدر المستمعين ، ومَنْ يحضّره من العوامّ والخواصّ . وقد رأينا الله عزّ وجلّ ردّدَ ذِكْرَ قصّة موسى وهودَ ، وهارونَ وشعيبَ ، وإبراهيمَ ولوطَ ، وعادَ وثمودَ . وكذلك ذِكْرَ الجنّةِ والنارِ وأمورٍ كثيرةٍ ؛ لأنّه خاطبَ جميعَ الأممِ من العربِ وأصنافِ العجمِ ، وأكثرهم غيبيّ غافل ^(٢) ، أو مُعَانِدٌ مشغولٌ الفكرِ ساهى القلبِ .

وأما أحاديث القَصَصِ والرُّقّةِ فإنّي لم أرَ أحداً يعيب ذلك .

- وما سَمِعْنَا بأحدٍ من الخطباء كان يرى إعادةَ بعضِ الألفاظ وتردّادَ المعاني عيّا ، إلا ما كان من التّخارِ بنِ أوسٍ العُدْرى ؛ فإنّه كان إذا تكلم في الحملات ^(٣) وفي الصّفْح والاحتمال وصلاَح ذاتِ البينِ ، وتخويفِ الفريقين من التّفانيّ والبوارِ - كان رُبّما ردّدَ الكلامَ على طريق التّهويل والتّخويف ، وربّما حَمِيّ فَنَحَرَ .

- وقال ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَس ^(٤) : كان جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى ^(٥) أَنْطَقَ النَّاسَ ، قَدْ جَمَعَ ١٥

(١) فيما عدل ، هـ : « يُوقَى إِلَى وصفه » تحريف .

(٢) ل : « عى غافل » .

(٣) الحملة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم . ل : « الحملات » تحريف .

(٤) ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَس التميمي مولى بني غنم ، كان زعيم القدرية في زمان المأمون والمعتمد والواثق . وهو الذي دعا المأمون إلى الاعتزال . انظر الفرق بين الفرق ١٥٧ . وتروى عنه قصص تشير إلى استخفافه بالدين ، من ذلك أنه رأى الناس يوم جمعة يتعادون إلى المسجد الجامع لخوفهم من فوت الصلاة ، فقال لرفيق له : انظر إلى هؤلاء الحمير والبقر ! ثم قال : ما صنع ذاك العربي بالناس . تأويل مختلف الحديث ٦٠ . قتل ثُمَامَةُ في زمان الواثق الذي تولى الخلافة من ٢٢٧ - ٢٣٢ . وقيل مات في ٢١٣ انظر الفرق ١٥٩ ولسان الميزان (٢ : ٨٤) وتاريخ بغداد (٧ : ١٤٥ - ١٤٨) ، وكذا معجم الفرق الإسلامية (رسم الثمائية) .

(٥) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، من كبار البرامكة الذين قتلهم الرشيد . ٢٥

الهُدوءَ والتَّمَهْلُ ، والجزالة والحلاوة ، وإفهاماً يُغْنِيهِ عن الإعادة . ولو كان في الأرض ناطقٌ يَسْتغْنِي بمنطقه عن الإشارة ، لاستغنى جعفرٌ عن الإشارة ، كما استغنى عن الإعادة .

وقال مرّةً : ما رأيتُ أحداً كان لا يتَحَسَّس ولا يتوقَّف ، ولا يتلجج ولا يتنحج ، ولا يَرْتَقِب لفظاً قد استدعاه من بُعد ، ولا يلتمس التخلص إلى معنى قد نَعَصَى عليه طلبه ، أشدَّ اقتداراً ، ولا أقلَّ تكلفاً ، من جعفر بن يحيى .

وقال ثُمَامَة : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسمُ يحيط بمعنائك ، ويَجْلَى عن مغزائك ، وتُخْرِجُه عن الشُّرْكة ، ولا تستعين عليه بالفكرة . والذي لا بُدَّ له منه ، أن يكون سليماً من التكلف ، بعيداً من الصَّنعة ، بريئاً من التعقُّد ، غنياً عن التأويل (١) .

وهذا هو تأويل قول الأصمعي : « البليغُ مَنْ طَبَّقَ المَفْصِل (٢) » ، وأَعْنَاكَ عن المُفَسِّر » .

وَحَبَّرَنِي جَعْفَرُ بْنُ سَعِيدٍ (٣) ، رَضِيعُ أَيُّوبَ بْنِ جَعْفَرٍ وَحَاجِبُهُ (٤) ، قال : ذَكَرْتُ لَعَمْرُو بْنِ مَسْعُودَةَ (٥) ، تَوْقِيعَاتِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، فقال : قد قرأت

(١) كلام جعفر هذا في عيون الأخبار (٢ : ١٧٣) .

(٢) طبق المفصل : أصابه إصابة محكمة فأبان العضو من العضو ؛ ثم جعل لحسن الإصابة بالقول . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٢٧٤) .

(٣) جعفر بن سعيد هذا ، أحد البخلاء الذين ذكرهم الجاحظ في كتابه ٨٨ ، ١٠٩ . وانظر الحيوان (٣ : ٤٦٩) .

(٤) هو أيوب بن جعفر بن سليمان العباسي ، كان من أعلم الناس بقريش وبالدولة وبرجال الدعوة ، وكان أول أمره على مذهب أبي ثمر ، ثم انتقل من قوله إلى قول إبراهيم بن سيار النظام ، كما سيأتي .

(٥) هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول ، أحد الكتاب في زمان المأمون ، ذكر الخطيب في تاريخ بغداد (١٢ : ٣٠٢) أنه ابن عم إبراهيم بن العباس الصولي الشاعر . وكان إبراهيم قد ضاقت به حاله فبعث إليه عمرو مالا ، فكتب إليه إبراهيم :

لأم جعفر توقيعاتٍ في حواشي الكتب وأسافلها فوجدتها أجودَ اختصاراً ،
وأجمعَ للمعاني .

قال : ووصف أعرابياً بالإيجاز والإصابة فقال : « كان والله
يَضَعُ الهِنَاءَ مواضع الثُّقْبِ (١) » . يظنون أنه نقل قولَ دريد بن الصَّمَّةِ (٢) ،
في الخنساء بنتِ عمرو بن الشريد ، إلى ذلك الموضع ، وكان دريدٌ قال فيها (٣) :
ما إن رأيت ولا سمعتُ به في الناس طالى أثيقُ جُرْبِ
متبذلاً تبدو محاسنُه بضع الهِنَاءِ مواضع الثُّقْبِ
ويقولون في إصابة عين المعنى بالكلام الموجز : « فلان يقلُّ المحزَّ ،
ويصيب المفصل » . وأخذوا ذلك من صِفَةِ الجَزَارِ الحاذق ، فجعلوه مثلاً
للمصيب الموجز .

وأنشدني أبو قَطَنَ الغنوى ، وهو الذى يقال له شهيد الكرم (٤) ، وكان
أثينَ مَنْ رأيتُه من أهل البدو والحضر :

- = فتنى غير محبوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت
- ومسعدة ، بفتح الميم والعين ، كما ضبطه ابن خلكان . توفى سنة ٢١٧ . وبعض الناس يعده في ١٥
الوزراء . انظر التنبيه والإشراف ٣٠٤ .
- (١) الهناء ، بالكسر : ضرب من القطران تطلّى به الإبل : والنقب ، بسكون القاف وضمها :
جمع نقبة ، بالضم ، وهى أول مايلدو من الجرب .
- (٢) دريد بن الصمة كان سيد بنى جشم وفارسهم وقائدهم ، غزا مائة غزاة ما أخفق في واحدة منها .
وأدرك الإسلام فلم يسلم ، وخرج يوم حنين مظاهراً للمشركين ، وقتل على شركه . الأغاني (٢ : ٩) .
- (٣) كان دريد بن الصمة قد خطبها فردته ، وكان رآها عنأ بعيداً فقال :
حيوا تماضر واربعوا صحبى وقفوا فإن وقفكم حسى
أحناس قد هام الفؤاد بكم وأصابه تبسل من الحب
- وبعدها البيتان التاليان انظر الأغاني (١٣ : ١٣٠) .
- (٤) روى الجاحظ عنه أيضاً في الحيوان (٣ : ٩٤) . والشعر التالى من روايته وليس له ، بل
هو لشقران مولى بنى سلامان بن سعد بن هذيم ، كما في الحماسة (٢ : ٢٧٤) .

فلو كنت مولى قيس عيلان لم تجد على مخلوق من الناس درهما
ولكنني مولى قضاة كلها فلست أبالي أن أدين وتغرما
أولئك قوم بآرك الله فيهم على كل حال ماعف وأكرما
جفاة المحز لا يصيبون مفصلاً ولا يأكلون اللحم إلا تحذماً (١)

يقول : هم ملوك وأشباه الملوك ، وهم كفاة فهم لا يحسنون إصابة المفصل .
وأنشدني أبو عبيدة في مثل ذلك :

وصلع الرعوس عظام البطون جفاة المحز غلاظ القصر (٢)
ولذلك قال الراجز (٣) :

ليس براعى إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وصم
وقال الآخر ، وهو ابن الربيعي (٤) :

وفتيان صديق حسان الوجو لا يجدون لشيء ألم
من آل المغيرة لا يشهدو ن عند المجازر لحم الوصم

وقال الراعي في المعنى الأول :

فطبقن عرض القف ثم جزعنه كما طبقت في العظم مذبة جازر (٥)

(١) قال التميمي في شرح الحماسة : « أى لا يتأقنون في فصل اللحم كعمل الجزار ؛ لأنهم ليسوا بجزارين ، ولا ذلك من عادتهم . والحزم : سرعة القطع ، وفي التحذم زيادة تكلف . يقول : إذا أكلوا اللحم على موائدهم لم يتناولوه إلا قطعاً بالسكاكين لانشأ بالأسنان » .

(٢) القصر : جمع قصرة ، بالتحريك ، وهى أصل العنق ، وقرئ : (ترمى بشرر كالقصر) .

(٣) هو رشيد بن رميض العنزي . انظر اللسان (حطم) . ورشيد هذا ممن أدرك الإسلام .

(٤) انظر الإصابة ٢٧٣٣ .

(٥) هو عبد الله بن الزبيري ، كان من أشعر قريش ، وكان شديداً على المسلمين ، ثم أسلم في الفتح سنة ثمان ، واعتذر عن إيذاء المسلمين والرسول . الإصابة ٦٤٧٠ والمؤتلف ١٣٢ .

(٥) عرض القف ، بضم العين : وسطه ومعظمه . جزعنه : قطعه . فيما عدل : « حتى

لقيه » ، لكن في ه : « حين لقيه » .

وَأَنْشُدِ الْأَصْمَعِي :

وَكَفَّ فَنِي لَمْ يَعْرِفِ السَّلَاحَ قَبْلَهَا تَجُورُ يَدَاهُ فِي الْأَدِيمِ وَتَجْرَحُ

وَأَنْشُدِ الْأَصْمَعِي :

لَا يُمَسِّكُ الْعُرْفَ إِلَّا رَيْثُ يُرْسَلُهُ وَلَا يُلَاطِمُ عِنْدَ اللَّحْمِ فِي السُّوقِ (١)

وقد فسر ذلك كبيد بن ربيعة ، وبينه وضرب به المثل ، حيث قال في الحكم بين عامر بن الطفيل ، وعلقمة بن علاثة (٢) :

يَا هَرَمَ بْنَ الْأَكْرَمِينَ مَنْصِبًا (٣) إِنَّكَ قَدْ أُوتِيتَ حُكْمًا مُعْجِبًا

* فَطَبَّقَ الْمَفْصِلَ وَاعْتَمَّ طَبَّيًّا *

يقول : احكم بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة بكلمة فصل ، وبأمر

قاطع ، ففصل بها بين الحق والباطل ، كما يفصل الجزائر الحاذق مفصل العظمين . ١٠

وقد قال الشاعر في هَرَمَ :

قَضَى هَرَمٌ يَوْمَ الْمُرِيرَةِ بَيْنَهُمْ قَضَاءَ امْرِئٍ بِالْأَوَّلِيَّةِ عَالِمِ (٤)

قَضَى ثُمَّ وَلَّى الْحُكْمَ مَنْ كَانَ أَهْلُهُ وَلَيْسَ ذُنَائِي الرِّيشَ مِثْلَ الْقَوَادِمِ (٥)

ويقال في الفعل إذا لم يُحَسِّنِ الضَّرَابَ : جَمَلَ عَيَّيَاءَ ، وَجَمَلَ طَبَّاقًا .

وقالت امرأة في الجاهلية تشكو زوجها « زَوْجِي عَيَّيَاءُ طَبَّاقًا ، وَكُلَّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ » (٦) . ١٥

(١) ل : « إِلَّا رَيْثُ يَبْعَثُهُ » .

(٢) انظر لمنافرة عامر وعلقمة ، الأغاني (١٥ : ٥٠ - ٥٥) .

(٣) هَرَمَ هذا : هو هَرَمَ بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاري ، أحد حكام العرب . وهو غير هَرَمَ

ابن سنان بن أبي حارثة المري ، ممدوح زهير . انظر الأغاني والاشتقاق ١٧٢ .

(٤) الأوليَّة : مفاخر الآباء . قال ذو الرمة : ٢٠

وَمَا فَخْرٌ مِنْ لَيْسَتْ لَهُ أَوَّلِيَّةٌ تَعْدُ إِذَا عَدَّ الْقَدِيمُ وَلَا ذَكَرُ

(٥) ذُنَائِي الرِّيشَ : ريشات أربع في جناحه بعد الخواقي . والخواقي : ريشات أربع بعد القوادِمِ .

(٦) مَا عَدَاهُ : « لَهُ دَوَاءٌ » تحريف . انظر اللسان (طبق ، عيسى ، دوا) . أى كل عيب

يكون في الرجال فهو فيه . وهذا الكلام من حديث أم زرع . انظر بلاغات النساء لابن طيفور ٧٩ -

٨٧ والمزهر (٢ : ٥٣٢ - ٥٣٥) . ٢٥

حَتَّى جَعَلُوا ذَلِكَ مَثَلًا لِلْعَبِيِّ الْقَدَمِ ، وَالَّذِي لَا يَتَّجِهَ لِلْحِجَّةِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ (١) :

طَبَاقَاءَ لَمْ يَشْهَدْ خُصُوصًا وَلَمْ يَقْدُرْكَابًا إِلَى أَكْوَارِهَا حِينَ تُعَكِّفُ (٢)

وَذَكَرَ زُهَيْرُ بْنُ أُمَى سُلَمَى الْخَطَلِ فَعَابَهُ فَقَالَ :

وَذَى خَطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فَمَا يَلِمُّ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهُ (٣)

عَبَّاتٌ لَهُ حَلَمًا وَأَكْرَمَتْ غَيْرَهُ وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ

وَقَالَ غَيْرُهُ (٤) :

شُمُسٌ إِذَا خَطَلِ الْحَدِيثُ أَوَانَسُ يَرْقُبَنَّ كُلَّ مَجْدَرٍ تَنْبَالِ

الشُّمُسُ ، مَاخُودٌ مِنَ الْخَيْلِ ، وَهِيَ الْخَيْلُ الْمَرْحَةُ الضَّارِبَةُ بِأَذْنَانِهَا مِنَ النَّشَاطِ . وَالْمَجْدَرُ : الْقَصِيرُ . وَالتَّنْبَالُ : الْقَصِيرُ الدَّنِيءُ .

وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ ، وَكَانَ مِنَ الْمَقْدَمِينَ فِي الْعِلْمِ ، وَاسْمُ أَبِي

الْأَسْوَدِ ظَالِمُ بْنُ عَمْرٍو :

وَشَاعِرٌ سَوَاءٌ يَهْضِبُ الْقَوْلَ ظَالِمًا كَمَا اقْتَمَّ أَعَشَى مُظْلِمُ اللَّيْلِ حَاطِبُ

يَهْضِبُ : يُكْثِرُ . وَالْأَهَاضِيبُ : الْمَطَرُ الْكَثِيرُ . اقْتَمَّ : اقْتَعَلَ مِنْ الْقِمَامَةِ . وَأَنْشَدَ :

أَعُوذُ بِاللَّهِ الْأَعَزِّ الْأَكْرَمِ مِنْ قَوْلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ أَعْلَمْ (٥)

* تَحْبُطُ الْأَعْمَى الضَّرِيرُ الْأَيْهَمُ (٦) *

(١) هُوَ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ وَمَقَابِيسِ اللُّغَةِ (طَبَق) .

(٢) الْكُورُ ، بِالضَّمِّ : الرَّحْلُ بِأَدَانِهِ . تَعَكَّفُ : تَحْبَسُ .

(٣) مَا يَلِمُّ بِهِ ، أَيْ مَا يَحْضُرُهُ . وَهَذِهِ الرَّوَايَةُ تَطَابُقُ رَوَايَةَ الدِّيَوَانِ ١٣٩ . وَكُتِبَ فِي ل فَوْقَ

٢٠ « يَلِمُّ » : « يَهْمُ » ، وَلَعَلَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى رَوَايَةٍ ، وَلَمْ أَجِدْهَا عِنْدَ ثَعْلَبٍ وَالشُّتَمْرِيِّ .

(٤) نَسَبَ فِي ص ٢٧٩ إِلَى الْأَخْطَلِ .

(٥) « قَوْلِي » كُتِبَ فَوْقَهَا فِي ل : « قَوْفِي » إِشَارَةٌ إِلَى رَوَايَةِ أُخْرَى . وَالْقَوَفُ : التَّنْبَعُ .

(٦) الْأَيْهَمُ : الْأَعْمَى ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا فَهْمَ . وَفِي هَامِشِ هـ : « فِي الْعَيْنِ : الْأَيْهَمُ

مِنَ الرِّجَالِ : الْأَصْمُ » .

وقال إبراهيم بن هرمة ^(١) ، في تطبيق المفصّل - وتلحق هذه المعاني بأخواتها قبل ^(٢) :

وَعَمِيمَةٌ قَدْ سَقَتْ فِيهَا عَائِرًا غَفَلًا وَمِنْهَا عَائِرٌ مَوْسُومٌ ^(٣)
طَبَّقَتْ مَفْصِلَهَا بِغَيْرِ حَدِيدَةٍ فَرَأَى الْعَلُوَّ غَنَائِي حَيْثُ أَقُومُ ^(٤)

* * *

وهذه الصفات التي ذكرها ثمامة بن أشرس ، فوصف بها جعفر بن يحيى ^(٥) ، كَانَ ثَمَامَةً بْنُ أَشْرَسَ قَدْ انْتَظَمَهَا لِنَفْسِهِ ، وَاسْتَوَلَى عَلَيْهَا دُونَ جَمِيعِ أَهْلِ عَصْرِهِ. وما علمت أنه كان في زمانه قَرَوِيٌّ وَلَا بَلَدِيٌّ، كَانَ بَلَغَ مِنْ حُسْنِ الْإِفْهَامِ مَعَ قَلَّةِ عِدَدِ الْحُرُوفِ ، وَلَا مِنْ سُهُولَةِ الْمَخْرَجِ مَعَ السَّلَامَةِ مِنَ التَّكَلُّفِ ، مَا كَانَ بَلَّغَهُ . وَكَانَ لَفْظُهُ فِي وَزْنِ إِشَارَتِهِ ، وَمَعْنَاهُ فِي طَبَقَةِ لَفْظِهِ ، ١٠ ولم يكن لفظه إلى سمعك بأسرعَ مِنْ معناه إلى قلبك .

قال بعضُ الكتاب : معاني ثمامة الظاهرةُ في ألفاظه ، الواضحةُ في مخارج كلامه ، كما وصف الخُرَيْمِيُّ شِعَرَ نَفْسِهِ فِي مَدِيحِ أَيْ دُلْفَ ، حَيْثُ يَقُولُ :

لَهُ كَلِمٌ فِيكَ مَعْقُولَةٌ إِزَاءَ الْقُلُوبِ كَرَكِبٌ وَقُوفٌ ^(٦)

١٥ (١) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة الفهري ، كان من الشعراء المعاصرين لجرير. وكان الأصمعي يقول : « ختم الشعر بابن هرمة ، وحكم الخضري ، وابن ميادة ، وطفيل الكنانى ، ودكين العنزي » . وفي الأغاني (٤) : (١١٣) : « ولد ابن هرمة سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها :
إن الغواني قد أعرضن مقلية لما رمى هدف الخمسين ميلادي
ثم عمر بعدها مدة طويلة » . وقد ذكر ابن جني في المجهج ٥٥ اشتقاق اسمه من الهرم ، بالفتح ، وهو ضرب من النبت .

(٢) انظر ما سبق في ص ١٠٧ — ١٠٩ هـ : « وتلحق هذه بمعاني أخواتها قبل » .

(٣) عميمة ، أراد بها الخطبة الطويلة . والسهم العائر : الذي لا يدرى من رماه .

(٤) أراد أنه أصاب مفاصل المعاني بكلامه الصائب ، فبهر بذلك الأعداء .

(٥) يشير إلى ما سبق في ص ١٠٥ — ١٠٦ .

٢٥ (٦) روى البيت في زهر الآداب (٤ : ٤٩) محرفا .

وأول هذه القصيدة قوله :

أبا دُلَيْفٌ دَلَفْتُ حاجتي إليك وما خِلْتُها بالدَّلُوفِ (١)

ويظنون أن الحُرَيْمِيَّ إنما احتذى في هذا البيت على كلام أيوب بن القِرْبَةِ (٢) حين قال له بعض السلاطين (٣) : ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : « ثلاثة حروف (٤) كأنهن ركبٌ وقوف : دنيا ، وآخرة ، ومعروف (٥) » .

وحدثني صالح بن خاقان ، قال : قال شبيب بن شيبه (٦) : « الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء ، ومدح صاحبه ، وأنا موكل بتفضيل جودة القطع ، ومدح صاحبه . وحظ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة ، أرفع من حظ سائر البيت » . ثم قال شبيب : « فإن ابتليت بمقام لأبد لك فيه من الإطالة ، فقدّم إحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطأ ، قبل التقدّم في إحكام البلوغ في شرف التجويد . وإياك أن تعدل بالسلامة شيئاً ؛ فإن قليلاً كافياً خيراً من كثير غير شاف » .

ويقال إنهم لم يروا خطيباً قطّ بلدياً إلا وهو في أول تكلفه لتلك المقامات كان مُسْتَقْلَلاً مُسْتَصْلَفاً أيام رياضته كلها ، إلى أن يتوقّع وتستجيب له المعاني ،

١٥

(١) بدل هذا البيت في ل :

ألا من دعاني ومن دلتني على رائدى ورسولى خروفي

(٢) سبقت ترجمته في ص ٢٠ — ٢١ .

(٣) هو الحجاج بن يوسف ، وكان قد أسرو فيمن أسر من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث .

انظر زهر الآداب (٤ : ٤٩) وابن خلكان (١ : ٨٣) .

(٤) ل : « صروف » . وفي هامش ل : « الصرف : الحيلة » . والمراد بالحروف هنا الكلمات .

٢٠

(٥) زاد في زهر الآداب : « فقال له الحجاج : بشما منيت به نفسك يا ابن القرية . أتراني ممن

تخدعه بكلامك وخطبك ، والله لأنت أقرب إلى الآخرة من موضع نعلى هذا . قال : أقلنى عثوق ،

وأسغنى ريقى ؛ فإنه لأبد للجواد من كربة ، والسيوف من نبوة ، والحليم من صبرة . قال : أنت إلى القبر

أقرب منك إلى العفو » .

(٦) سبقت ترجمته في ص ٢٤ .

٢٥

ويمكّن من الألفاظ ، إلا شبيب بن شيبه ؛ فإنه كان قد ابتدأ بجلاوة ورشاقة ، وسهولة وعذوبة ؛ فلم يزل يزداد منها حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام مالا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره .

قالوا : ولما مات شبيب بن شيبه أتاهم صالح المري^(١) ، في بعض من أتاهم للتعزية ، فقال : « رحمة الله على أديب الملوك ، وجليس الفقراء ، وأخى المساكين » .
وقال الرّاجز (٢) :

إذا غَدَتْ سعدٌ على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مَطْلَعِ الشمسِ إلى مغيبها عَجِبْتُ من كثرتها وطيبها
حدثني صديق لي قال : قلت للعتّاي : ما البلاغة ؟ قال : كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة (٣) ، ويفوق كل خطيب ، فإظهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل في صورة الحق . قال : فقلت له : قد عرفت الإعادة والحُبسة ، فما الاستعانة ؟ قال : أما تراه إذا تحدّث قال عند مقاطع كلامه : ياهنّاه ، ويا هذا ، وياهيه ، واسمع مني واستمع إلي ، وافهم عني ، أولست تفهم ، أولست تعقل . فهذا كله وما أشبهه عي وفساد .

(١) هو صالح بن بشر بن وادع المري ، أبو بشر البصري ، القاضي الزاهد ، أحد رواة الحديث العباد البلغاء ، كان مملوكا لامرأة من بني مرة بن الحارث فأعتقه . توفي سنة ١٧٢ أو ١٧٦ . تهذيب التهذيب وصفه الصفوة (٣ : ٢٦٥) .

(٢) هو أبو نخيلة الرّاجز ، كما في الحيوان (٥ : ٥٩٢) والأغاني (١٨ : ١٣٩) . ويروى أبو الفرج من سبب الرّجز أن أبا نخيلة رأى على شبيب حلة فأعجبته ، فسأله إياها فوعده فمطله ، فقال فيه :
يا قوم لا تسودوا شيبيا الخائن ابن الخائن الكذوبا

هل تلد الذبية إلا الذيبا

قال : فبلغه ذلك فبعث إليه بها ، فمدحه بهذا الرّجز .

(٣) راق عليه : زاد عليه فضلا . وقد عدها هنا بغير الحرف . وأنشد في اللسان :

راقت على البيض الحسا ن بحسنا وبهاهسا

قال عبد الكريم بن رَوْح الغَفَارِيُّ ، حدثني عُمَرُ الشَّمَّرِيُّ ، قال : قيل
لعمرو بن عُبيد ^(١) : ما البلاغة ؟ قال : ما بَلَغَ بك الحِجَّةُ ، وعدَلْ بك عن
النَّارِ ، وما بصَّرَكَ مواقعَ رُشْدِكَ وعواقِبَ غَيِّكَ . قال السائل : ليس هذا
أريد . قال : مَنْ لم يُحَسِّنْ أن يسْكُتْ لم يُحَسِّنْ أن يَسْتَمِعَ ، وَمَنْ لم يحسن
الاستماع لم يحسن القول . قال : ليس هذا أريد . قال : قال النبي ﷺ : « إِنَّا
مَعَشَرُ الْأَنْبِيَاءِ بِكَاءٌ » أى قليلو الكلام . ومنه قيل رجل بكىء . وكانوا يكرهون
أن يزيد منطق الرجل على عقله . قال : قال السائل : ليس هذا أريد .
قال : كانوا يخافون من فِتْنَةِ القول ، ومن سَقَطَاتِ الكلام ، ما لا يخافون من
فِتْنَةِ السكوت ومن سَقَطَاتِ الصمت . قال السائل : ليس هذا أريد .
قال عمرو : فكأنك إنما تريد تحيّر اللفظ ^(٢) ، في حسن الإفهام ، قال :
نعم . قال : إنك إن أوتيتَ تَقْرِيرَ حُجَّةِ اللَّهِ في عقول المكلفين ^(٣) ، وتخفيف
المؤونة على المستمعين ، وتزوين تلك المعاني في قلوب المريدين ، بالألفاظ
المستحسنة في الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبة في سرعة استجابتهم ،
ونقي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة ، على الكتاب
والسنة ، كنت قد أوتيتَ فصل الخطاب ، واستوجبت ^(٤) على الله جزيل
الثواب . قلت لعبد الكريم : من هذا الذي صبر له عمرو هذا الصبر ؟ قال : قد
سألت عن ذلك أبا حفص فقال : ومن كان يجترى عليه هذه الجرأة
إلا حفص بن سالم .

٧٢ قال عُمَرُ الشَّمَّرِيُّ : كان عمرو بن عُبيد لا يكاد يتكلم ، فإذا تكلم لم يكذ

(١) سبق ترجمته في ص ٢٣ . وانظر كلام عمرو بن عبيد هذا في عيون الأخبار (٢ : ١٧٠) .

(٢) فيما عدل ، هـ : « تحيّر اللفظ » .

(٣) في الأصول : « المتكلمين » ، صوابه من عيون الأخبار (٢ : ١٧١) .

(٤) وكذا في عيون الأخبار : « واستوجبت » . وفي ل : « واستحققت » .

يطيل . وكان يقول : لا خير في المتكلم إذا كان كلامه لمنْ شهده دون نفسه . وإذا طال الكلام عرّضت للمتكلم أسباب التّكلف ، ولا خير في شيء يأتيك به التّكلف . وقال بعضهم - وهو من أحسن ما اجتنبناه ودوّناه - لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتّى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك .

وكان مؤيّد بن عمران ^(١) يقول : لم أر أنطق من أيوب بن جعفر ، ويحيى بن خالد .

وكان ثمامة يقول : لم أر أنطق من جعفر بن يحيى بن خالد .

وكان سهل بن هارون يقول : لم أر أنطق من المأمون أمير المؤمنين .

وقال ثمامة : سمعت جعفر بن يحيى يقول لكتّابه : « إن استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التّوقيع فافعلوا » .

وسمعت أبا العتاهية يقول : « لو شئت أن يكون حديثي كلّهُ شعراً موزوناً لكان » .

وقال إسحاق بن حسان بن قوهي ^(٢) : لم يفسّر البلاغة تفسيراً ابن المقفع أحد قط . سئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة .

(١) موسى بن عمران : معاصر للجاحظ ، كان من بخلاء الناس ، ومن أصحاب النظام . سئل عنه أبو شعيب القلال فرغم أنه لم ير قط أشجع منه على الطعام . قيل : وكيف ؟ قال : يدلك على ذلك أنه يصنعه صنعة ، ويبيته تهيئة من لا يريد أن يمس . انظر البخلاء ٥٨ . وفي القاموس « ومويس ، كأويس ، ابن عمران : متكلم » . وانظر الحيوان (٥ : ٤٦٨) .

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الحرّمي ، قال الخطيب في تاريخ بغداد ٣٣٦٩ : وأصله من خراسان من بلاد السغد ، وكان متصلاً بخريم بن عامر المري وآله ، فنسب إليه . وقيل : كان اتصاله بعثمان بن خريم .. وأبوه خريم الموصوف بالناغم . ثم قال : وله مدائح في محمد بن منصور بن زياد ويحيى بن خالد وغيرهما . وما سيرويه الجاحظ من كلام ابن المقفع ، أورده العسكري في الصناعتين ١٤ وفسره تفسيراً .

فمنها ما يكون في السُّكُوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سَجْعاً وخطباً ، ومنها ما يكون رسائل . فعمامة ما يكون من هذه الأبوابِ الوحي فيها ، والإشارة إلى المعنى ^(١) ، والإيجاز ، هو البلاغة . فأما الخطب بين السُّمَّاطِينَ ، وفي إصلاح ذات البين ، فالإكثار في غير خَطَل ، والإطالة في غير إملال . وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير آيات الشعر البيت الذي إذا سمِعتَ صدره عرفتَ قافيته كأنه يقول : فَرَّقَ بَيْنَ صدر خطبة النكاح وبين صَدْرِ خطبة العيد ، وخطبة الصُّلح وخطبة التَّوَاهُبِ ^(٢) ، حتَّى يكون لكلِّ فَنٍّ من ذلك صدرٌ يدلُّ على عَجْزِهِ ؛ فَإِنَّهُ لا خَيْرَ في كلام لا يدلُّ على معنائه ، ولا يشير إلى مَعْرَاكَ ، وإلى العمود الذي إليه قصدتَ ، والغرض الذي إليه نَزَعْتَ . قال : فقل له : فَإِنْ مَلَّ السَّامِعُ الإطالة التي ذَكَرْتَ أَنَّهَا حَقُّ ذلك الموقف ؟ قال : إذا أُعْطِيتَ كُلَّ مَقَامٍ حَقَّهُ ، وقمتَ بالذي يجبُ من سياسة ذلك المقام ، وأرضيتَ من يعرف حقوقَ الكلام ، فلا تهتمَّ لما فائتَكَ من رضا الحاسد والعُدُوِّ ؛ فَإِنَّهُ لا يرضيهما شيءٌ . وأما الجاهلُ فليست منه وليس منك . ورضاً جميع النَّاسِ شيءٌ لا تناله . وقد كان يُقال : « رضا النَّاسِ شيءٌ لا يُنال » .

قال : والسُّنَّةُ في خطبة النكاح أن يطيل الخاطبُ ويقصِّر المُجيبُ .
أَلَا تَرَى أَنَّ قَيْسَ بْنَ خَارِجَةَ بْنَ سَيْنَانَ ^(٣) ، لما ضرب بصفيحة سيفه مؤثَّرةً راحلتَي الحاملَيْنِ في شأنِ حَمَّالَةٍ داحسٍ والغبراء ^(٤) ، وقال : مَالِي فِيهَا أَثْبَاهَا

(١) في الصناعتين : « والإشارة إلى المعنى أبلغ » .

(٢) فيما عدل : « المواهب » .

(٣) ضرب الجاحظ في الحيوان (٦ : ١٦١) بخطبة سنان المثل في الطول .

(٤) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم . وانظر لحرب داحس والغبراء =

العَشْمَتَانِ ^(١) ؟ قالَا له : بل ما عندك ؟ قال : عِنْدِي قِرَى كُلُّ نَازِلٍ ، وَرِضَا كُلِّ سَاخِطٍ ، وَخُطْبَةٌ مِنْ لَدُنْ تَطْلُعِ الشَّمْسِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ ، آمُرُ فِيهَا بِالتَّوَاصُلِ وَأُنْهَى فِيهَا عَنِ التَّقَاطُعِ . قالُوا : فَخُطِبَ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ فَمَا أَعَادَ فِيهَا كَلِمَةً وَلَا مَعْنًى ، فَقِيلَ لِأَيِّ يَعْقُوبُ ^(٢) : هَلَّا اكْتَفَى بِالْأَمْرِ بِالتَّوَاصُلِ عَنِ النَّهْيِ عَنِ التَّقَاطُعِ ؟ أَوْ لَيْسَ الْأَمْرُ بِالصَّلَاةِ هُوَ التَّهْيِ عَنِ الْقُطِيعَةِ ؟ قال : أَوْ مَا عَلِمْتُ أَنَّ الْكِنَايَةَ وَالتَّعْرِيزَ لَا يَعْمَلَانِ فِي الْعُقُولِ عَمَلَ الْإِفْصَاحِ وَالْكَشْفِ ^(٣) .

قال : وَسُئِلَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ عَنْ قَوْلِ عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ : « مَا يَتَصَعَّدُنِي كَلَامٌ كَمَا يَتَصَعَّدُنِي خُطْبَةُ النِّكَاحِ » ^(٤) . قال : مَا أَعْرِفُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ قُرْبَ الْوَجْهِ مِنَ الْوَجْهِ ، وَنَظَرَ الْحِدَاقَ مِنْ قُرْبٍ فِي أَجْوَافِ الْحِدَاقِ . وَلَئِنَّهُ إِذَا كَانَ جَالِسًا مَعَهُمْ كَانُوا كَأَنَّهُمْ نُظَرَاءُ وَأَكْفَاءُ ، فَإِذَا عَلَا الْمِنْبَرَ صَارُوا سُوقَةً وَرَعِيَّةً .

وقد ذهب ذَاهِبُونَ إِلَى أَنَّ تَأْوِيلَ قَوْلِ عُمَرَ يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ الْخُطِيبَ لَا يَجِدُ بُدْأً مِنْ تَرْكِةِ الْخَاطِبِ ، فَلَعَلَّهُ كَرِهَ أَنْ يَمْدَحَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، فَيَكُونَ قَدْ قَالَ زُورًا وَغَرَّ الْقَوْمَ مِنْ صَاحِبِهِ . وَلَعُمْرَى إِنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ لَيَجُوزُ إِذَا كَانَ الْخُطِيبُ مَوْقُوفًا عَلَى الْخُطَابَةِ . فَأَمَّا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَأَشْبَاهُهُ مِنَ الْأُئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ ، فَلَمْ يَكُونُوا لِيَتَكَلَّفُوا ذَلِكَ إِلَّا فِيمَنْ يَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ .

= الْأَغَانِي (١٤٣ : ٧) وَالْعَقَد (٣١٣ : ٣) ، وَكَامِلُ ابْنِ الْأَثِيرِ (١ : ٣٤٣) ، وَأَمْثَالُ الْمِيدَانِي (١ : ٣٥٩ / ٢ : ٥١) .

(١) العشمة ، بالتحريك : الشيخ الهرم الذي تقارب خطوه وانحنى ظهره .

(٢) هو إسحاق بن حسان بن قوهي ، الذي سبقت ترجمته في ص ١١٥ .

(٣) فيما عدل : « والتكشف » .

(٤) تصعده الأمر تصعداً : شق عليه ، كتصاعده به . وانظر ص ١٣٤ .

وروى أبو مخنف^(١) ، عن الحارث الأعور^(٢) ، قال : « والله لقد رأيتُ علياً وإنه ليخطبُ قاعداً كقائم ، ومحاربا كُمُسلم » . يريد بقوله : قاعداً ، خطبة النكاح .

وقال الهيثم بن عديّ : لم تكن الخطباءُ تخطبُ قعوداً إلا في حُطبة النكاح .

* * *

وكانوا يستحسنون أن يكون في الحُطَب يومَ الحُفْل ، وفي الكلام يومَ الجُمُع آى من القرآن ؛ فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار ، والرقة ، وسَلَس الموقع^(٣) .

قال الهيثم بن عديّ : قال عمران بن حِطّان : إنَّ أوَّل خطبةٍ خطبْتُها ، عند زياد - أو عند ابن زياد^(٤) - فأعجِب بها الناس ، وشهدوها عُمى وأبى . ثم إنني مررتُ ببعض المجالس ، فسمعتُ رجلاً يقولُ لبعضهم : هذا الفتى أخطبُ العربَ لو كان في خطبته شيءٌ من القرآن .

وأكثرُ الخطباء لا يتمثلون في خطبتهم الطُّوال بشيءٍ من الشعر ولا يكرهونه في الرسائل ، إلا أن تكون إلى الخلفاء .

وسمعتُ مُؤمِّل بنَ خاقانَ ، وذكر في خطبته تميمَ بن مُرّ ، فقال : « إنَّ

(١) هو أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدى الغامدى . شيخ من أصحاب الأخبار بالكوفة . روى عن الصعق بن زهير ، وجابر الجعفى ، ومجالد . روى عنه المدائنى ، وعبد الرحمن ابن مغراء . ومات قبل السبعين ومائة . انتهى المقال ٢٤٨ ولسان الميزان وابن التديم ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) كان الحارث الأعور من رجال على في حرب صفين ، وكان جهر الصوت . انظر وقعة صفين ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) فيما عدا ل : « وحسن الموقع » .

(٤) فيما عدا ل : « أو قال عند ابن زياد » .

تيمماً لها الشرف العود^(١) ، والعز الأفعس ، والعدد الهیضل^(٢) . وهي في الجاهلية القدم ، والذروة والسنام . وقد قال الشاعر :

- فقلت له وأنكر بعض شأني ألم تعرف رقاب بني تميم
وكان المؤمل وأهله يخالفون جمهور بني سعد في المقالة ، فليشدة تحذبه
على سعد وشقيقته عليهم ، كان يناضل عند السلطان كل من سعى
على أهل مقاتلتهم ، وإن كان قوله خلاف قولهم ؛ حذبا عليهم .
وكان صالح المرى ، القاص العابد ، البليغ ، كثيراً ما ينشد في قصصه
وفي مواعظه ، هذا البيت :

- فبات يُروى أصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل^(٣)
وأنشد الحسن في مجلسه ، وفي قصصه وفي مواعظه :
ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء^(٤)
وأنشد عبد الصمد بن الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي ، الخطيب
القاص السجاع ، إمّا في قصصه ، وإمّا في خطبة من خطبه ، رحمه الله :
أرض تخيرها لطيب مقيلاً كعب بن مامة وابن أم دؤاد^(٥)
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد
فأرى النعيم وكل ما يلهى به يوماً يصير إلى بلى ونفاد^(٦)

(١) في هامش ه : « ح : العد » . والشرف العود ، بفتح العين : القديم . قال الطرماح :

هل المجد إلا السودد العود والندی ورأب التأى والصبر عند المواطن

(٢) العز الأفعس : الثابت المنيع . والعدد الهیضل : الكثير .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٨) .

(٤) البيت لعدي بن الرعاء الغساني ، كما في الخزانة (٤ : ١٨٧) وحامسة ابن الشجرى . ٥١

وانظر الحيوان (٦ : ٥٠٨) .

(٥) الأبيات للأسود بن يعفر من قصيدة في المفضليات (٢ : ١٦ - ٢٠) . والثاني والأخير

منها ليس في ل .

(٦) الرواية المعروفة كما في المفضليات : « فإذا النعيم » .

وقال أبو الحسن : خطب عبيد الله بن الحسن ^(١) على منبر البصرة في العيد وأنشد في خطبته :

أين الملوك التي عن حظها غفلت حتى سقاها بكأس الموت ساقمها
تلك المدائن بالآفاق خالية أمست خلاء وذاق الموت بانها

قال : وكان مالك بن دينار ^(٢) يقول في قصصه : « ما أشد فطام الكبير » . وهو كما قال القائل :

وتروض عرسك بعدما هربت ومن العناء رياضة الهرم ^(٣)

ومثله أيضاً قول صالح بن عبد القلوس :

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه ^(٤)
إذا ارعوى عاد إلى جهله كذى الضنى عاد إلى نكسه

وقال كلثوم بن عمرو العتاتي :

وكنتم أمراً لو شئت أن تبلغ المدى بلغت بأدنى نعمة تستديمها
ولكن فطام النفس أثقل محملاً من الصخرة الصماء حين ترومها

* * *

وكانوا يمدحون الجهير الصوت ، ويذمون الضئيل الصوت ؛ ولذلك تشادقوا

(١) هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحر العنبري البصري ، كان من قضاة البصرة وفقهائها العالمين بالحديث . توفي بالبصرة سنة ١٦٨ . وتهذيب التهذيب والسمعان ٤٠٠ . وسيأتي في قول الجاحظ ص ٢٩٤ : « وولى منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاة أمراء : بلال بن أبي بردة ، وسوار ، وعبيد الله ، وأحمد بن أبي رياح » . فيما عدل ، هـ : « عبد الله بن الحسن » تحريف (٢) هو أبو يحيى مالك بن دينار ، كان مولى لامرأة من بنى سامة بن لؤى ، وكان من كبار الزهاد الوعاظ ، وكان يكتب المصاحف . روى عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار التابعين كالحسن وابن سيرين . وتوفي نحو سنة ١٣٠ . انظر تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٩٧ - ٢٠٩) حيث روى ابن الجوزي كثيراً من أقواله .

(٣) انظر الحيوان (١ : ٤١ / ١٠٢٣) .

(٤) انظر الحيوان (٣ : ١٠٢) . ٢٥

في الكلام ، ومدَّحُوا سَعَةَ الفم ، وذمُّوا صِغَرَ الفم .

قال : وحَدَّثني محمد بن يَسِيرِ الشاعر قال : قيل لأعرابي : ما الجمال ؟ قال : طُولُ القامة وِضِحَمُ الهامة ، ورُحْبُ الشُّدْق ، ويُعَدُّ الصَّوْت .

وسأل جعفر بن سليمان أبا المِخْشَّ عن ابنه المِخْشَّ ، وكان جَزِع عليه جزعاً شديداً ، فقال : صِفْ لِي المِخْشَّ . فقال : كان أَشْدَقْ خُرْطُمَانِيَا ^(١) ، سَائِلًا لِعَابِهِ ، كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ قَلَتَيْنِ ^(٢) ، وَكَأَنَّ تَرْقُوتَهُ يُوَانُّ أَوْ خَالِفَةً ^(٣) ، وَكَأَنَّ مِنْكِبِهِ كِرْكِرَةٌ جَمِلٌ ثَفَالٍ ^(٤) . فَقَالَ اللَّهُ عَيْنِي إِنْ كُنْتُ رَأَيْتُ قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ^(٥) .

قال : وقلتُ لأعرابيٍّ : ما الجمال ؟ قال : « غَوُورُ الْعَيْنَيْنِ ، وإِشْرَافُ

الْحَاجِبَيْنِ ، ورُحْبُ الشُّدْقَيْنِ » .

وقال دَعْفَلُ بن حَنْظَلَةَ النَّسَّابَةِ ، وَالْخَطِيبُ الْعَلَّامَةُ ، حِينَ سَأَلَهُ مَعَاوِيَةَ عَنْ قِبَائِلِ قَرِيشٍ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بَنِي مَخْزُومٍ قَالَ : « مِعْزَى مَطِيرَةٍ ^(٦) ، عَلَتْهَا قُشْعَرِيرَةٌ ، إِلَّا بَنَى الْمُغِيرَةَ ، فَإِنْ فِيهِمْ تَشَادَقَ الْكَلَامِ ، وَمَصَاهِرَةُ الْكَرَامِ ^(٧) » .

وقال الشاعر في عمرو بن سعيد الأشدق :

تَشَادَقَ حَتَّى مَالٍ بِالْقَوْلِ شِدْقُهُ وَكُلُّ حَطِيبٍ لَا أَبَالُكَ أَشْدَقُ
وَأَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدَةَ :

(١) الخُرْطُمَانِي ، بضم الخاء والطاء : الكبير الأنف .

(٢) القلت ، بالفتح : النقرة في الجبل تمسك الماء .

(٣) الترقوة : مقدم الحلق في أعلى الصدر . والبوان بالضم والكسر : عمود في الخباء في مقدمه .

والخالفة : عمود من أعمدة البيت في مؤخره .

(٤) الكركرة : صدر كل ذى خف . والثفال ، كسحاب : البطيء .

(٥) الخبر في الكامل ١٣٦ ليسك وأمالى ثعلب ٦١٦ . وسيعيده الجاحظ في (٢ : ٢٧١) .

(٦) المعزى تؤنث وتذكر ، ففيها التثنية وعدمه . مطيرة : قد أصابها المطر .

(٧) الخبر في الحيوان (٦ : ٤٦٠) .

- وضلع الرؤوس عظام البُطون رِحاب الشِّدّاق غلاظ القَصْر^(١)
 قال : وتكلّم يوماً عند معاوية الخطباء فأحسنوا ، فقال : والله لأرْمينهم
 بالخطيب الأشدّق ! قم يا يزيد فتكلّم .
 وهذا القول وغيره من الأخبار والأشعار ، حُجّة لمن زعم أنّ عمرو بن
 سعيد لم يُسمّ الأشدّق للفَقَم ولا للفَوّة .
 وقال يحيى بن نوفل ، في خالد بن عبد الله القسريّ^(٢) :
 بَلّ السّروايل من خوفٍ ومن وهَلٍ واستطَعَمَ الماء لما جَدَّ في الهَرَبِ
 وألَحَنُ النَّاسِ كُلَّ النَّاسِ قاطِبةً وكان يُولَعُ بالتشديق في الحُطَبِ
 ويدلّك على تفضيلهم سعة الأشدّاق ، وهجائهم ضيق الأفواه ، قول الشاعر :
 لحى الله أفواه الدّبي من قبيلة إذا ذكرت في الثّائبات أمورُها
 وقال آخر :
 وأفواه الدّبي حاموا قليلاً وليس أخو الحماية كالضّجور
 وإتما شبة أفواههم بأفواه الدّبي ، لصغر أفواههم وضيقها .
 وعلى ذلك المعنى هجا عبدة بن الطبيب^(٣) حُصيّ بن هزّال وابنيه ، فقال :
 تدعو بُنيّك عباداً وحديمةً فافارة شجّها في الجُحرِ محفّار^(٤)

(١) القصر ، بالتحريك : أصول الأعناق ، واحدها قصرة . هـ : « طوال القصر » .
 (٢) كان خالد القسري قد خرج عليه المغيرة بن سعيد العجلي صاحب الغيرية ، ففزع
 لذلك . ويروى الجاحظ في الحيوان (٢ : ٢٦٧ / ٦ : ٢٩٠) أنه اضطرب وقال : « أطعموني ماء »
 لشدة ذهوله . وانظر ما سيأتى في (٢ : ٢١٦) .
 (٣) عبدة ، بسكون الباء ، وهو عبدة بن الطبيب - واسم الطبيب يزيد - بن عمرو بن وعلّة بن
 أنس بن عبد الله بن عبد نهم بن جشم بن عبد شمس . شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم ، وشهد مع المنثى
 ابن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ . وكان في جيش النعمان بن مقرن الذي حارب الفرس بالمداثن .
 (٤) انظر هذا البيت في أبيات رواها في الحيوان (٥ : ٢٦٣ - ٢٦٤) : شجها ، أى شج
 القارة : كسر رأسها . والمحفار والمخفر والمخفرة : المسحاة ونحوها مما يحتفر به .

- وقد كان العباس بن عبد المطلب [جهيراً ^(١)] جهير الصوت . وقد مُدح بذلك ؛ وقد نفع الله المسلمين بجهازة صوته يوم حُنين ، حين ذهب الناس عن رسول الله ﷺ ، فنادى العباس : يا أصحاب سورة البقرة ^(٢) ، هذا رسول الله . فتراجع القوم . وأنزل الله عز وجل النص ^(٣) وأتى بالفتح .
- ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : كان قيس بن معمر بن المطلب بن عبد مناف ، يمكو حول البيت ، فيسمع ذلك من جرأ . قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ ، فالتصديّة : التصفيق . والمُكاء : الصّفير أو شبيه بالصّفير . ولذلك قال عنترة :
وحليل غانية تركت مُجدلاً تمكو فريسته كشدق الأعلم
وقال العجّير السلولي ^(٥) في شدة الصوت :

١٠. ومنهن قرعى كل باب كأنما به القوم يرجون الأذنين نسور ^(٦)
فجئت وخصمي يصفون نيوهم كما قصبت بين الشفار جزور ^(٧)
لدى كل موثوق به عند مثلها له قدم في التاطقين خطير
جهير وممتد العنان مناقل بصير بعورات الكلام خير ^(٨)

- ١٥ (١) الجهير : ذو المنظر والهيئة الحسنة : وهذه التكملة مما عدل .
(٢) كذا . والمعروف « يا أصحاب السمرة » . والسمرة هي الشجرة التي تمت عندها بيعة الرضوان . انظر (غزوة حنين) في كتب التاريخ والسياسة .
(٣) فيما عدل ، هـ : « النصرة » .
(٤) قيس بن مخزوم : أحد الصحابة . وكان من المؤلفة قلوبهم . ولد عام الفيل عام ولد الرسول الكريم . الإصابة ٧٢٢٩ .
- ٢٠ (٥) العجّير ، ويقال أيضاً « العجّير » بفتح العين : شاعر من شعراء الدولة الأموية مقل . وقد عده ابن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام . انظر الخزانة (٢ : ٢٩٨) والأغاني (١١ : ١٤٦ - ١٥٤) .
(٦) الأذنين والأذن : الحاجب صاحب الإذن . وانظر الأبيات في الحيوان (٤ : ٢٩١) ، وأما لي ثعلب والأغاني (١١ : ١٤٦ - ١٥٤) .
- ٢٥ (٧) الخضم يقال للواحد والجمع . صرف نابه : حرفه فسمع له صوتا . قصبت : قطعت .
(٨) المناقلة : تبادل الحديث .

فَظَلَّ رِدَاءُ الْعَصَبِ مُلْقَى كَأَنَّهُ سَلَى فَرَسٍ تَحْتَ الرِّجَالِ عَقِيرٌ (١)
 لَوْ أَنَّ الصُّخُورَ الصَّمَّ يَسْمَعْنَ صَلَقْنَا لُرُحْنَ وَفِي أَعْرَاضِهِنَّ فُطُورٌ (٢)
 الصَّلَقُ : شدة الصوت . وفُطور : شقوق .
 وقال مُهلِهَل :

٥ ولولا الرِّيحُ أَسْمِعَ أَهْلَ حَجَرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقَرِّعُ بِالذُّكُورِ (٣)
 والصَّرِيف : صوت احتكاك الأنياب ، والصَّلِيل : صوت الحديد هاهنا . وفي
 شِدَّةِ الصَّوْتِ قَالَ الْأَعَشَى (٤) فِي وَصْفِ الْخَطِيبِ بِذَلِكَ :
 فِيهِمُ الْخِصْبُ وَالسَّمَاحَةُ وَالنَّجْدُ دَدَةٌ جَمْعاً وَالْحَاطِبُ الصَّلَاقُ (٥)

٧٨ وقال بشار بن برد في ذلك يهجو بعضَ الخطباء :
 ١٠ وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنْ قَمَتَ نَاطِقاً وَأَنْتَ ضَمِيلُ الصَّوْتِ مُتَنَفِّخُ السَّحْرِ
 ووقع بين فتى من النَّصَارَى وبين ابنِ فَهْرِيزِ المِطْرَانِ كلامٌ ، فقال له الفتى :
 ما ينبغي أن يكون في الأرض رجلٌ واحدٌ أَجْهَلُ منك ! وكان ابنُ فَهْرِيزِ (٦) في نفسه
 أَكْثَرَ النَّاسِ عِلْماً وَأَدَباً ، وكان حريصاً على الجَحْلَةِ . فقال للفتى : وكيف

(١) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . والسلى : الجلدة التي يكون فيها الولد . وفي البيت إقواء .
 (٢) الأعراض : الجوانب والنواحي .
 (٣) حجر ، بالفتح : قصبة البعوضة . والبيض بالكسر : السيف ، جمع أبيض . وبالفتح جمع بيضة الحديد
 التي تقى الرأس . وانظر نقد الشعر لقدامة ٨٤ والموشح ٧٤ ومعجم المرزبانى ٣٣١ والحيوان (٦ : ٤١٨) والعمدة
 (٢ : ٥٠) والأغانى (٤ : ١٤٦) . فيما عدا ، هـ : « أهل نجد » وقد أشير إلى هذه الرواية في هامش ل .
 (٤) فيما عدا ل : « يقول الأعشى » .
 (٥) الصلاق : الشديد الصوت . ويروى : « المصلاق » و « السلاق » و « المسلاق » . انظر
 اللسان (سلق ، صلق) وديوان الأعشى ١٤٤ .

(٦) ابن فهريز ، أو ابن بهريز ، اسمه عبد يشوع ، كان مِطْرَانِ حران ثم صار مطران الموصل ، وله
 رسائل وكتب ذهب فيها إلى إبطال وحدة القنوم التي يقول بها يعقوبية والملكية ، وكانت له حكمة قريية
 من حكمة الإسلام . وقد نقل من كتب المنطق والفلسفة شيئاً كثيراً . انظر ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٣٢٩
 ٢٥ ليسك والحيوان (١ : ٧٦) مع الاستدراكات الملحقه بالجزء السابع منه .

حَلَلْتُ عِنْدَكَ هَذَا الْمَحَلَّ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّا لَا نَتَّخِذُ الْجَائِلِيَّ (١) إِلَّا مَدِيدَ الْقَامَةِ ، وَأَنْتَ قَصِيرُ الْقَامَةِ ؛ وَلَا نَتَّخِذُهُ إِلَّا جَهِيرَ الصَّوْتِ جَيِّدَ الْحَلْقِ ، وَأَنْتَ دَقِيقُ الصَّوْتِ رَدِيءُ الْحَلْقِ (٢) ؛ وَلَا نَتَّخِذُهُ إِلَّا وَهُوَ وَافِرُ اللَّحْيَةِ عَظِيمُهَا وَأَنْتَ خَفِيفُ اللَّحْيَةِ صَغِيرُهَا ؛ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّا لَا نَخْتَارُ لِلجَثْلَقَةِ إِلَّا رَجُلًا زَاهِدًا فِي الرِّيَاسَةِ ، وَأَنْتَ أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْهَا كَلْبًا ، وَأَظْهَرُهُمْ لَهَا طَلِبًا . فَكَيْفَ لَا تَكُونُ أَجْهَلَ النَّاسِ وَخِصَالُكَ هَذِهِ كُلُّهَا تَمْنَعُ مِنَ الْجَثْلَقَةِ ، وَأَنْتَ قَدْ شَغَلْتَ فِي طَلِبِهَا بِأَلَاكَ ، وَأَسْهَرْتَ فِيهَا لَيْلَكَ .

وقال أبو الحَجَنَاء (٣) فِي شِدَّةِ الصَّوْتِ :

إِنِّي إِذَا مَارَيْتُ الْأَشْدَاقَ (٤) وَالتَّجَّ حَوْلِي التَّفْعُ وَاللَّقْلَاقُ (٥)

١٠ * ثَبَّتُ الْجَنَانِ مَرْجَمٌ وَدَّاقُ *

الْمَرْجَمُ : الْحَاذِقُ بِالْمِرَاجَةِ (٦) بِالْحِجَارَةِ . وَالْوَدَّاقُ : الَّذِي يُسِيلُ الْحِجَارَةَ كَالْوَدْقِ مِنَ الْمَطَرِ .

وجاء فِي الْحَدِيثِ : « مَنْ وَقَى شَرَّ لَقْلِقِهِ وَقَبَّعِهِ وَذَبَذَبَهُ وَقَى الشَّرَّ » .
يَعْنِي لِسَانَهُ وَبَطْنَهُ وَفَرْجَهُ .

١٥ وقال عمر بن الخطاب فِي بَوَاكِي خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ [بن المغيرة (٧)] : « وَمَا عَلَيْهِنَّ

(١) فِي هَامِشِ هـ : « الْجَائِلِيُّ عِنْدَهُمُ : الْقَسِيسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي لَا يَقْطَعُ الْأَمْرَ دُونَهُ وَالْمَطْرَانُ دُونِ ذَلِكَ » .

(٢) فِي النِّسْخِ : « الْحَلْقُ » بِالْحَاءِ الْمُعْجَمَةِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، تَصْغِيفٌ . وَفِي الْخِيَوَانِ (٣ : ٤٣٥) :

« وَفِي السِّنْدِ حُلُوقٌ جَيَادٌ » . وَفِي رِسَائِلِ الْجَاهِظِ ١١٨ : « وَمَنْ مَفَاخِرِ الزَّرْغِ حَسَنَ الْحَلْقِ وَجُودَةَ الصَّوْتِ » .

(٣) أَبُو الْحَجَنَاء ، هُوَ نَصِيبُ الْأَصْغَرِ ، مَوْلَى الْمُهَدِّي ، وَكَانَتْ لَهُ بِنْتُ تَسْمَى « حَجَنَاء » .

٢٠ وَهُوَ الْقَائِلُ فِي الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى :

مَا لَقِينَا مِنْ جُودِ فَضْلِ بْنِ يَحْيَى تَرَكَ النَّاسَ كُلَّهُمْ شِعْرَاءَ

الْأَغَانِي (٢٠ : ٢٥ — ٣٤) .

(٤) زَيْبُ الْأَشْدَاقِ : ظَهَرَ عَلَيْهَا الزَّيْدُ . وَالرَّجَزُ فِي اللِّسَانِ (زَيْبٌ ، لَقَقٌ) .

(٥) اللَّقْلَاقُ وَاللَّقْلَقَةُ : الصَّوْتُ وَالْجَلْبَةُ .

٢٥ (٦) ل : « بِالْمُؤَاجَهَةِ » صَوَابُهُ فِي سَائِرِ النِّسْخِ .

(٧) هَذَا مِمَّا عَدَلَ .

أَنْ يُرْقَنَ مِنْ دُمُوعِهِنَّ عَلَى أَى سُلَيْمَانَ مَا لَمْ يَكُنْ تَقَعُ أَوْ لَقَلَقَةً ^(١) .

وجاء في الأثر : « ليس منا مَنْ حَلَقَ أَوْ صَلَقَ ، أَوْ سَلَقَ ، أَوْ شَقَّ ^(٢) » .

ومما مَدَحَ به العُمَانِيُّ هَارُونَ الرَّشِيدَ ، بالقصيد دون الرجز ، قوله :

جَهِيرُ الْعَطَاسِ شَدِيدُ النَّيَاطِ جَهِيرُ الرُّوَاءِ جَهِيرُ النَّعَمِ

وَيَخْطُو عَلَى الْأَيْنِ خَطْوُ الظَّلِيمِ وَيَعْلُو الرِّجَالُ بِجِسْمِ عَمَمٍ

النَّيَاطُ : معاليق القلب . والأَيْنُ : الإعياء . والظَّلِيمُ : ذكر النعام .

ويقال إنه لَعَمَمَ الجسم ، وإن جَسَمَهُ لَعَمَمَ ، إذا كان تَأَمًّا . ومنه قيل نبتُ عَمَمٍ .

واعْتَمَّ النَّبْتُ ، إذا تَمَّ .

وكان الرَّشِيدُ إذا طَافَ بالبيت جعلَ لِإِزَارِهِ ذَنْبَيْنِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، ثُمَّ

طَافَ بِأَوْسَعِ مِنْ خَطْوِ الظَّلِيمِ ، وَأَسْرَعَ مِنْ رَجْعِ يَدِ الذَّنْبِ .

وقد أخبرني إبراهيم بن السُّنْدِيِّ بِمَحْصُولِ ذَرْعِ ذَلِكَ الْخَطْوِ ، إِلَّا أُنِيَ

أَحْسِبُهُ فَرَسَخَ فِيمَا رَأَيْتَهُ يَذْهَبُ إِلَيْهِ .

وقال إبراهيم : ونظر إليه أعرأى في تلك الحال [والهيئة ^(٣)] فقال :

* خَطْوُ الظَّلِيمِ رِيعٌ مُمَسَّى فَانْشَمَرْ *

رِيعٌ : فُرْعٌ . مُمَسَّى : حِينَ الْمَسَاءِ . انْشَمَرْ : جَدَّ فِي الْهَرْبِ .

١٥

وحَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ السُّنْدِيِّ قَالَ : لَمَّا أَتَى عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ وَفَدَّ الرُّومَ

وَهُوَ فِي بِلَادِهِمْ ^(٤) ، أَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ رِجَالًا فِي السَّمَاطِينَ لَهُمْ قَصْرٌ وَهَامٌ ، وَمَنَاكِبُ

وَأَجْسَامٌ ، وَشَوَارِبُ وَشُعُورٌ ، فَبَيْنَاهُمْ قِيَامٌ يَكْلُمُونَهُ وَمِنْهُمْ رَجُلٌ وَجْهُهُ فِي قَفَا

(١) فسر « النقع » في اللسان (١٠ : ٢٤١) بأنه رفع الصوت ، أو أصوات الحدود إذا ضربت ؛

أو وضعهن النقع ، وهو الغبار ، على رءوسهن ؛ أو شق الجيوب . وفي حواشي هـ : « ليس في الحديث

أو سلق بالسين ، وإنما جاء به ليعلم أنهما لغتان بمعنى »

(٢) الصلق : الصباح والولولة . والسلق مثله ، أو خمش الوجوه عند المصيبة .

(٣) هذه مما عدل .

(٤) فيما عدل : « في البلاد » .

البطريق إذ عطس عطسة ضئيلة ، فلحظه عبد الملك ، فلم يدر أى شئ أنكر منه ، فلما مضى الوفد قال له : ويلك ، هلا إذ كنت ضيق المنخر كثر الحيشوم ، أتبعثها بصيحة تخلع بها قلب العالج ؟!

وفي تفضيل الجهارة في الخطب يقول شبة بن عقال^(١) يعقب خطبته

عند سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس :

ألا ليت أم الجهم والله سامع ترى ، حيث كانت بالعراق ، مقامى
عشيّة بدّ الناس جهري ومنطقي وبذّ كلام الناطقين كلامى

وقال طحلاء يمدح معاوية بالجهارة وبجودة الخطبة :

ركوب المناير وثأبها معن بخطبته مجهر

تريع إليه هودى الكلام إذا ضلّ خطبته المهذر

معن : تعن له الخطبة فيخطبها مقتضياً لها . تريع : ترجع إليه . هودى

الكلام : أوائله . فأراد أن معاوية يخطب في الوقت الذى يذهب كلام المهذر

فيه . والمهذر : المكثر .

وزعموا أن أبا عطية عفيفاً النصري ، في الحرب التى كانت بين ثقيف

وبين بنى نصر ، لما رأى الخيل بعقوته يومئذ دوائس^(٢) نادى : يا صبا حاه !

أيتيم يابنى نصر . فألقت الحبالى أولادها من شدة صوته . قالوا : فقال ربيعة

ابن مسعود^(٣) يصف تلك الحرب وصوت عفيف^(٤) :

(١) هو شبة بن عقال المجاشعي ، من مجاشع ربط الفرزدق ، وهو زوج جعثن أخت الفرزدق ،

كما في النقائض ٨٥٥ . وروى ابن سلام ١٥٩ أنه بعث بدرهم وحملاًن وكسوة وخمر إلى الأخطل ، وذلك

ليفضل الفرزدق على جرير ويسبه .

(٢) العقوة : ما بين الدار والحلة . دوائس : جمع دائس . فيما عدل ، ه : « وأيس » .

(٣) في نهاية الجزء الأول من كامل ابن الأثير : « ربيعة بن سفيان » .

(٤) بضم العين وفتح الفاء ، كما ضبطه ابن الأثير . وضبط في ه بفتح العين .

- عُقَاماً ضُرُوساً بَيْنَ عَوْفٍ وَمَالِكٍ شَدِيداً لَظَاهَا تَتْرَكَ الطُّفْلَ أَشْيَا
وَكَانَتْ جُعِيلٌ يَوْمَ عَمْرٍو أَرَاكِيَّةٌ أَسْوَدَ الْعَضَى غَادِرْنَ لِحْماً مُتْرَباً (١)
وَيَوْمَ بِمَكْرُونَاءَ شَدَّتْ مُعْتَبٌ بِغَارَاتِهَا قَدْ كَانَ يَوْمًا عَصَبَصَبَا (٢)
فَأَسْقَطَ أَحْبَالَ النِّسَاءِ بِصَوْتِهِ عُفَيْفٌ وَقَدْ نَادَى بِنَصْرِ فَطْرَبَا (٣)
وكان أبو عروة ، الذى يقال له أبو عُرْوَةَ السَّبَاع (٤) ، يصيح بالسَّبْع
وقد احتمل الشَّاة ، فيخلِّها ويذهب هاربا على وجهه (٥) . فضرب به الشَّاعِرُ
المَثَل - وهو النابغة الجعدى - فقال :
وَأَزْجُرُ الْكَاشِخَ الْعَدُوَّ إِذَا اغْدَ تَابَلَكَ عِنْدَى زَجْرًا عَلَى أَضْمٍ (٦)
زَجْرَ أَى عُرْوَةَ السَّبَاعِ إِذَا أَشْفَقَ أَنْ يَلْتَبَسْنَ بِالْعَنَمِ
وَأُنشد أبو عمرو الشَّيبَانِي لرجل من الخوارج يصف صيحة شبيب بن
يزيد بن نَعِيم (٧) . قال أبو عبيدة وأبو الحسن (٨) : كان شبيب يصيح فى جنَّات

- (١) عمرو وأراكة : موضعان .
(٢) مكروءاء ، بفتح أوله : موضع . والعصيب : الشديد .
(٣) الأحبال : جمع حبل ، بالتحريك ، وهو حمل المرأة : هـ . « لذن نادى » .
(٤) كذا ولم أجد من ذكر هذا غيره . وفى التيمورية فقط : « السباح » .
(٥) فى اللسان : « وأبو عروة رجل زعموا كان يصيح بالسبع فيموت ، ويَزجر الذئب فيموت
مكانه ، فيشتق بطنه فيوجد قلبه قد زال عن موضعه وخرج من غشائه ! » .
(٦) الأضم : الغضب . وفى اللسان (١٩ : ٢٨٠) : « على وضم » تحريف .
(٧) شبيب بن يزيد بن نعيم الحارثي ، خرج بالموصل وبعث إليه الحجاج خمسة قواد قتلهم
واحداً بعد واحد . وفى إحدى حروبه نفر به فرسه على نهر دجيل - دجيل الأهواز لادجيل بغداد -
ففرق فيه . وكانت تشترك معه زوجته غزالة وكذا أمه جهيزة فى مقاومة الحجاج . ولما دخل هو وزوجته
غزالة على الحجاج فى الكوفة تحصن الحجاج منها وأغلق عليه قصره ، فكتب إليه عمران بن حطان - وكان
الحجاج قد لج فى طلبه - :

- أَسْدَ عَلَيَّ وَفَى الْحُرُوبِ نَعَامَةً رِبْدَاءَ تَجِفَلُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
هَلَا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةٍ فِى الْوَعْيِ بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِى جَنَاحِي طَائِرٍ
ولد شبيب سنة ٢٦ وتوفى سنة ٧٧ . المعارف ١٨٠ . والأغانى (١٦ : ١٤٩ / ٢١ : ٨) ووفيات الأعيان .
(٨) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى الأخبارى .

الجيش إذا أتاه ، فلا يلوى أحدٌ على أحد . وقال الشاعر فيه :
 إن صاح يوماً حسبت الصخر منحدرًا والريح عاصفةً والموج يلتطم
 قال أبو العاصي : أنشدني أبو محرز خلف بن حيّان ، وهو خلف
 الأحمر ^(١) مولى الأشعرين ، في عيب التشادق :

له حنجرٌ رَحْبٌ وقولٌ منقَحٌ وفصلٌ خطابٍ ليس فيه تشادقٌ ^(٢)
 إذا كان صوتُ المرءِ خلفَ كهاتِهِ وأُنحى بأشداقٍ لهنَّ شقاشقُ
 وقبَّ يَحكي مُقرماً في هبابِهِ فليس بمسبوقٍ ولا هو سابقٌ ^(٣)

وقال الفرزدق :

* شقاشقٌ بين أشداقٍ وهامٍ ^(٤) *

وأنشد خلفٌ :

وما في يديه غيرُ شِدْقٍ يُميله وشِقْشِقَةٌ خرساءٌ ليس لها نَعْبُ
 متى رامَ قولاً خالفتَهُ سَجِيَّةً وضررسَ كَقَعْبِ القَيْنِ ثَلَمَهُ الشَّعْبُ
 وأنشد أبو عمرو وابنُ الأعرى :
 وجاءت قريشٌ قريشُ البطّاح هي العُصْبُ الأوَّلُ الدّاخِلَةُ

١٥ (١) هو أبو محرز خلف بن حيّان ، المعروف بالأحمر البصري ، مولى أبي بردة بلال بن أبي موسى الأشعري ، وهو معلم الأصمعي وأهل البصرة ، وأستاذ أبي نواس . توفي في حدود ١٨٠ . إنباه الرواة وإرشاد الأرب (١١ : ٦٦) .

(٢) الحنجر : جمع حنجرة ، وهي رأس الغلصمة .

(٣) المقرم : الفعل المكرم . والهباب ، بالكسر : النشاط .

(٤) عجز بيت له من أبيات في ديوانه ٨٤٨ يمدح بها مالك بن المنذر بن الجارود ، وهي :

تمتلك قروم أولاد الملقى	وأبناء المسامعة الكرام
تخبط في ربيعة بين بكر	وعبد القيس في الحسب اللهام
إذا سمت القروم لهم علتهم	شقاشق بين أشداق وهام

يقودُهُمُ الْفِيلُ وَالزَّنْدِيلُ وذو الضَّرْسِ وَالشَّفَّةِ الْمَائِلَةُ (١)

ذو الضرس وذو الشفة ، هو خالد بن سلمة المخزومي الخطيب . الفيل والزنديل : أبان والحكم ابنا عبد الملك بن بشر بن مروان . يعنى دُخُولهم على ابن هبيرة . والزنديل : الأثنى من الفيلة ، فيما ذكر أبو اليقظان سحيم بن حفص . وقال غيره : هو الذكر . فلم يَقِفُوا من ذلك على شئ .

وقال الشاعر في خالد بن سلمة المخزومي :

فَمَا كَانَ قَائِلَهُمْ دَغْفَلٌ وَلَا الْحَيْقُطَانُ وَلَا ذُو الشَّفَّةِ

قوله « دَغْفَل » يريد دَغْفَل بن يزيد بن حنظلة الخطيب النَّاسِب .
وَالْحَيْقُطَانُ : عَبْدٌ أَسْوَدٌ ، وَكَانَ خَطِيئاً لَا يُجَارَى .

وَأَنشَدَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا (٢) :

وَقَافِيَةٌ لَجَلَجَتُهَا فَرَدَّتْهَا لَذَى الضَّرْسِ لَوْ أَرْسَلْتُهَا قَطَرْتُ دَمَا

وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعرُ العرب ، ولربما كان نزعُ ضرسٍ أيسرَ علىَّ من أن أقول بيت شعر .

قال : وَأَنشَدْنَا مَنِيعَ :

فَجِئْتُ وَوَهْبٌ كَالْخَلَاةِ يَضُمُّهَا إِلَى الشَّدَقِ أُنْيَابٌ لَهْنٌ صَرِيفٌ (٣)

فَقَعَقَعْتُ لَحْيِي خَالِدٍ وَاهْتَضَمَّتْهُ بِحُجَّةٍ خَصِمٍ بِالْخَصُومِ عَنِيفٍ

أبو يعقوب الثَّقَفِيُّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ ، قَالَ : سَتَلُ [الْحَارِثُ] بْنُ أَبِي رَيْعَةَ (٤)

(١) البيتان لخلف بن خليفة الأقطع ، يذكر الأشراف الذين يدخلون على ابن هبيرة . انظر

الحيوان (٧ : ٨١) .

(٢) هـ : « وَأَنشَدَ أَصْحَابِنَا » .

(٣) الخلاة : واحدة الخلى ، وهو الرطب من النبات . والصريف : الصوت .

(٤) كلمة « الحارث » مما عدل . وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، وكان يلقب

بالقباع ، وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، كان رجلاً صالحاً ديناً من سروات قريش ، وكان حاول

أن يصد أخاه عن قول الشعر فلم يفلح . انظر الأغاني (١ : ٤٧) .

عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : كم كان له ماشئت من ضرسٍ قاطع في العلم بكتاب الله ، والفقه في السنة ، والهجرة إلى الله ورسوله ، والبسطة في العشرة ، والنجدة في الحرب ، والبذل للماعون .

وقال الآخر :

ولم تُلفني فها ولم تُلف حُجتي ملججةً أبغى لها من يُقيمها (١)
ولا بتُّ أزعجها قضيباً وتلتوي أراؤها طوراً وطوراً أضيّمها (٢)
وأنشدني أبو الرّديني العُكلى :

فتيّ كان يعلو مفرق الحقّ قوله إذا الخطباء الصّيد عضّل قيلها (٣)
وقال الحرّميّ في تشادق عليّ بن الهيثم :

يا عليّ بن هيثم يا سُمّاقا قد ملأت الدُّنيا علينا نفاقا (٤)
خلّ لحبيك يسكنان ولا تضد رب على تغليب بلحبيك طاقا (٥)
لا تشادق إذا تكلمت واعلم أنّ للتّاس كلّهم أشدّاقا

وكان عليّ بن الهيثم جواداً ، بليغ اللسان والقلم .

وقال لي أبو يعقوب الحرّميّ (٦) : ما رأيت كثلثة رجالٍ يأكلون

الناس أكلاً حتّى إذا رأوا ثلاثة رجالٍ ذابوا كما يذوب الملح في الماء ، والرّصاص في النار : كان هشام بن محمد (٧) علامةً نسابة ، وراويّةً للمثالب عيّابة ، فإذا رأى

(١) الفه : العى الذى لا يبين . والملججة : المضطربة المختلطة . وانظر اللسان (قرن) .

(٢) أزعجها : أسوقها . والقضيب : المقتضبة ليس لها حسن . أضيّمها : أنقصها .

(٣) الصّيد : جمع أصيد ، وهو الذى يرفع رأسه كبيراً . عضّل ، هو من قوهم : عضلت الحامل ، إذا

صعب خروج ولدها . وكتب فوقها في هـ : « عضه » ، رواية أخرى .

(٤) سُمّاق : لقب عليّ بن الهيثم ، كما في حواشي هـ . فيما عدل ، هـ : « علينا بقاقا » .

(٥) الطاق : ما عطف من الأبنية .

(٦) الخبر في الأغاني (٢١ : ١٥٧) منقولاً عن الجاحظ .

(٧) فيما عدل ، وكذا في الأغاني : « هشام بن الكلبي » .

الهيثم بن عدى ذاب كما يذوب الرصاص في النار . وكان على بن الهيثم ^(١) مَفْقَعَانِيًّا ^(٢) صاحب تفقيع وتقدير ، ويستولى على كلام أهل المجلس ، لا يحفل بشاعر ولا بخطيب ، فإذا رأى موسى الضبي ذاب كما يذوب الرصاص عند النار . وكان علويه المغني ^(٣) واجد الناس في الرواية وفي الحكاية ، وفي صنعة الغناء وجودة الضرب ، وفي الإطراب وحسن الخلق ، فإذا رأى مُخَارِقًا ^(٤) ذاب كما يذوب الرصاص عند النار .

ثم رجع بنا القول إلى ذكر التشديق وبعده الصوت .
قال أبو عبيدة : كان عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، رديفاً للملوك ^(٥) ، ورحالاً إليهم ، وكان يقال له عروة الرّحال ، فكان يوم أقبل مع ابن العجّون ، يريد بنى عامر ، فلما انتهى إلى واردات مع الصّبح ^(٦) ، قال له عروة : إنك

- (١) في الأصول : « الهيثم بن عدى » صوابه من الأغاني . ولأجل « على بن الهيثم » ساق الجاحظ الخير .
(٢) كذا وردت مضبوطة في ل . وضبطت في هـ بفتح الميم ، ولعلها من لغة أهل البصرة ، مأخوذة من التفقيع ، وهو التشديق . وزاد قبل هذه الكلمة في الأغاني : « حريفاً » .
(٣) هو يوسف بن عبد الله بن يوسف ، وكان جده من السغد الذين سباهم عثمان بن الوليد زمن عثمان بن عفان ، واشتهر بعلمه ، وكنيته أبو الحسن . كان مغنياً حاذقاً ، ومؤدياً محسناً ، وضارباً متقدماً ، وكان إبراهيم علمه وخرجه وعنّى به جداً فبرع ، وغنى للأمين وعاش إلى أيام المتوكل ، ومات بعد إسحاق الموصلي بمديدة يسيرة ، الأغاني (١٠ : ١١٥ - ١٢٥) .
(٤) هو مخارق بن يحيى بن نائس الجزار ، مولى الرشيد ، وكان قبله لعاتكة بنت شهدة ، وهي من الغينيات المحسنات المتقدمات في الضرب ، ونشأ في المدينة ، وقيل بل كان منشؤه بالكوفة . وكان أبوه جزاراً مملوكاً ، وكان مخارق وهو صبي ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم ، فلما بان طيب صوته علمته مولاته طرفاً من الغناء ثم أرادت بيعه فاشترته إبراهيم الموصلي منها ، وأهداه إلى الفضل بن يحيى فأخذته الرشيد منه ثم أعتقه . الأغاني (٢١ : ١٤٣) .
(٥) المعروف في هذا « الردف » بالكسر ، واحد الأرداف ، وهم الذين يخلفون الملوك في القيام بأمر المملكة ، بمنزلة الوزراء في الإسلام . وأما الرديف فهو الراكب خلف صاحبه . وعروة الرّحال قتله البراض بن قيس . الحيوان (١ : ١٦٦) .
(٦) واردات ، قال ياقوت : موضع عن يسار طريق مكة وأنت قاصدها .

قد عَرَفْتُ طَوْلَ صَحْبَتِي لَكَ ، وَنَصِيحَتِي إِيَّاكَ ، فَأُثَذِّنُ لِي فَأَهْتِفَ بِقَوْمِي هَتَفَةً . قال : نعم ، وثلاثاً . فقام فنادى : يَا صَبَاخَاهُ ! ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . قال : فَسَمِعْنَا شَيْوَنَنَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أَسْمَعَ أَهْلَ الشَّعْبِ ، فَتَلَبَّيْنَا لِلْحَرْبِ ، وَبَعَثُوا الرَّبَّايَا ^(١) ، يَنْظُرُونَ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي الْقَوْمُ .

قال : وَتَقُولُ الرُّومُ : لَوْلَا ضَجَّةُ أَهْلِ رُومِيَّةٍ وَأَصْوَاتُهُمْ ، لَسَمِعَ النَّاسُ جَمِيعاً صَوْتَ وَجُوبِ الْقُرْصِ فِي الْمَغْرِبِ ^(٢) .

وَأَعْيَبُ عَنْهُمْ مِنْ دَقَّةِ الصَّوْتِ وَضِيقِ مَخْرَجِهِ وَضَعْفِ قُوَّتِهِ ، أَنْ يَعْتَرِيَ الْخَطِيبَ الْبُهْرُ وَالْإِنْتِعَاشُ ، وَالرُّعْدَةُ وَالْعَرَقُ .

قال أبو الحسن : قال سفيان بن عُيَيْنَةَ : تَكَلَّمَ صَعَصَعَةٌ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَعَرِقَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : بَهْرَكَ الْقَوْلُ ! فَقَالَ صَعَصَعَةٌ : « إِنَّ الْجِيَادَ نَضَّاحَةٌ بِالْمَاءِ » .
والفرس إذا كان سريع العرق ، وكان هَشًّا ، كان ذلك عَيْباً . وكذلك هو في الكثرة ، فإذا أبطأ ذلك وكان قليلاً قيل : قد كبا ؛ وهو فرس كاب . وذلك عيب أيضاً .

وَأُنْشِدُنِي ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ ، لِأَبِي مِسْمَارٍ الْعُكْلِيِّ ، فِي شَبِيهِ بِذَلِكَ قَوْلَهُ :
لِللَّهِ دَرٌّ عَامِرٍ إِذَا نَطَقَ فِي حَفْلِ إِمْلَاكَ وَفِي تِلْكَ الْحَلْقِ ^(٣)
لَيْسَ كَقَوْمٍ يُعْرَفُونَ بِالسَّرْقِ ^(٤) مِنْ نُحْطَبِ النَّاسِ وَمَا فِي الْوَرَقِ ١٥
يَلْفُقُونَ الْقَوْلَ تَلْفِيقَ الْحَلْقِ ^(٥) مِنْ كُلِّ نَضَّاحِ الذَّفَارِيِّ بِالْعَرَقِ
* إِذَا رَمَتْهُ الْخُطْبَاءُ بِالْحَدَقِ *

(١) الربايا : جمع ربيعة ، وهو العين والطليلة . وهذا ما في ل . وفي هـ : « وعبوا » . وفي سائر النسخ : « وعسبوا » . وهذه محرفة .

(٢) وجب قرص الشمس : وقع واختفى في مكان الغروب . وانظر اللسان (سفر ٣٦) .
(٣) الإملاك : التزويج وعقد النكاح . وحلقة القوم ، تقال بالفتح ، وبالتحريك ، وبالكسر ؛ وجهها خلق ، بالتحريك ، وبكسر ففتح .

(٤) السرقة ، بالتحريك ، وبفتح فكسر ، هو السرقة . فيما عدل ، هـ : « بالشدق » تحريف .

(٥) ل : « الخرق » .

[والدَفَارَى هنا : يعنى بدن الخطيب . والدَّفَرِيَانِ للبعير ، وهما اللَّحْمَتَانِ فِي قَفَاهُ ^(١)] .

٤ وإِنَّمَا ذَكَرَ خُطْبَ الْإِمْلَاقِ لِأَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ أَنَّهُ يَعْزِضُ لِلْخُطِيبِ فِيهَا مِنْ الْخَصَرِ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْزِضُ لِمُصَاحِبِ الْمَنِيرِ . وَلِذَلِكَ قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ : « مَا يَتَصَعَّدُنِي كَلَامٌ كَمَا يَتَصَعَّدُنِي خُطْبَةُ النِّكَاحِ » ^(٢) .

وَقَالَ الْعُمَانِيُّ :

لَا دَفِرٌ هَشٌّ وَلَا يَكَايِي وَلَا بِلْجَلَاچ وَلَا هَيَّابٌ

الْهَشُّ : الَّذِي يَجُودُ بِعَرَقِهِ سَرِيعاً ؛ وَذَلِكَ عَيْبٌ . وَالذَّفِرُ : الْكَثِيرُ الْعَرَقِ . وَالْكََايِي : الَّذِي لَا يَكَادُ يَعْرِقُ ، كَالزَّنْدِ الْكََايِي الَّذِي لَا يَكَادُ يُورِي . فَجَعَلَ لَهُ الْعُمَانِيُّ حَالاً بَيْنَ حَالَيْنِ إِذَا خَطَبَ ، وَخَبَّرَ أَنَّهُ رَابِطُ الْجَأْشِ ، مُعَاوِدٌ لِنَتْلِكَ الْمَقَامَاتِ .

وَقَالَ الْكَمِيتُ بْنُ زَيْدٍ - وَكَانَ خَطِيباً - : « إِنَّ لِلْخُطْبَةِ صَعْدَاءَ ^(٣) ، وَهِيَ عَلَى ذِي اللَّبِّ أَرْمَى » .

وَقَوْلُهُمْ : أَرْمَى وَأَرْبَى سَوَاءٌ ، يُقَالُ : فُلَانٌ قَدْ أَرْمَى عَلَى الْمَائَةِ وَأَرْبَى .

وَلَمْ أَرِ الْكَمِيتَ أَفْصَحَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى وَلَا تَخَلَّصَ إِلَى خَاصَّتِهِ . وَإِنَّمَا يَجْتَرِى عَلَى الْخُطْبَةِ الْغَرَّ ^(٤) الْجَاهِلُ الْمَاضِي ، الَّذِي لَا يَتَّيْنُهُ شَيْءٌ ، أَوْ الْمَطْبُوعُ الْحَازِقُ ، الْوَائِقُ بِغَزَارَتِهِ وَاقْتِدَارِهِ ، فَالْتِّقَةُ تَنْفِي عَنْ قَلْبِهِ كُلَّ خَاطِرٍ يُورِثُ اللَّجْلَجَةَ وَالنَّحْنَحَةَ ، وَالْإِنْقِطَاعَ وَالْبُهِرَ وَالْعَرَقَ .

وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ ، وَكَانَ خَطِيباً ، عَلَى لُكْنَةٍ كَانَتْ فِيهِ : « نِعَمَ الشَّيْءِ

(١) هذه التكملة مما عدل ل .

(٢) تصعده الأمر وتصاعده به : شق عليه . وانظر ما سبق في ص ١١٧ .

(٣) الصعداء ، بالفتح : المشقة . وأما الصعداء بفتح فضم ، فالتنفس الممدود .

(٤) فيما عدل ل : « الغمر » .

الإمارة ، لولا قَعَقَةُ الْبُرْدِ ^(١) ، والتَشْرُنُّ لِلْحُطْبِ ^(٢) .

وقيل لعبد الملك بن مَرْوَانَ : عَجَلْ عَلَيْكَ الشَّيْبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !
قال : « وكيف لَا يَعَجَلُ عَلَيَّ وَأَنَا أَعْرِضُ عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً
أو مرتين » . يعنى خطبة الجمعة وبعض ما يعرض من الأمور .

وقال بعض الكلبيين ^(٣) :

فَإِذَا خَطَبْتَ عَلَى الرِّجَالِ فَلَا تَكُنْ خَطَلُ الْكَلَامِ تَقُولُهُ مُخْتَالًا ^(٤)
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ مِنَ السُّكُوتِ إِبَانَةٌ وَمِنَ التَّكَلُّمِ مَا يَكُونُ خَبَالًا ^(٥)

كلام بشر بن المعتمر

مَرَّ بِبَشْرِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ ^(٦) بِإِبْرَاهِيمَ ^(٧) بْنِ جَبَلَةَ بْنِ مَحْرَمَةَ السَّكُونِيِّ
الخطيب ، وهو يعلم فتیانهم الخطابة ، فوقف بِشَرُّ فِظْنِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ إِنَّمَا وَقَفَ
لِاسْتِفِيدٍ أَوْ لِيَكُونَ رَجُلًا مِنَ النَّظَارَةِ ، فقال بِشَرُّ : اضْرِبُوا عَمَّا قَالَ صَفْحًا وَاطْوُوا
عنه كَشْحًا . ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِمْ صَحِيفَةً مِنْ تَحْيِيرِهِ وَتَنْمِيقِهِ ، وَكَانَ أَوَّلَ ذَلِكَ الْكَلَامِ :
تُحِذُ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةً نَشَاطِكَ وَفِرَاجَ بَالِكَ وَإِجَابَتِهَا إِيَّاكَ ، فَإِنْ قَلِيلَ
تِلْكَ السَّاعَةِ أَكْرَمَ جَوْهَرًا ، وَأَشْرَفَ حَسَبًا ، وَأَحْسَنَ فِي الْأَسْمَاعِ ، وَأَحْلَى فِي
الْصُّدُورِ ، وَأَسْلَمَ مِنْ فَاحِشِ الْخَطَاءِ ، وَأَجْلَبَ لِكُلِّ عَيْنٍ وَغَرَّةٍ ، مِنْ لَفِظٍ ١٥

(١) البرد : جمع بريد ، وأصل البريد : الدابة ، ثم جعل للرجل . وفي هامش ل : « خ : البريد » إشارة
إلى ما في نسخة أخرى . وفي هامش التيمورية ، ه : « وإنما قال هذا لأن الوالي لا يدري بما يأتيه من خير
أو شر ، فهو يجزع لرؤيته ويخاف » .

(٢) التشرن : التأهب والتهيؤ والاستعداد . والخبر في نهاية (شرن) في اللسان .

(٣) ب والتيمورية : « الكلبيين » ح : « الكلابيين » . ٢٠

(٤) ل : « الرجال » بالخاء المهملة .

(٥) ل ، ه : « التكلف » وكتب إزاءها : « خ : التكلم » . وهي رواية سائر النسخ .

(٦) سبقت ترجمته في ص ٤١ . وبعدها في ب والتيمورية : « حين مر » .

(٧) ح : « لإبراهيم » .

شريف ومعنى بديع . وأَعْلَمَ أَنَّ ذلك أجدى عليك ممَّا يُعطيك يومك
الأطول ، بالكُدِّ والمطاولَة ^(١) والمجاهدة ، وبالتكَلُّف والمعاودة . ومهما أخطأك
لم يُخطئك أن يكون مقبولاَ قَصْداً ، وخفيفاً على اللسان سهلاً ؛ وكما خرج من
يَنْبوعِهِ وَنَجَمَ من مَعْدِنِهِ . وإياك والتَوَعَّرَ ، فَإِنَّ التَوَعَّرَ يُسَلِّمُكَ إِلَى التعقيد ،
والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ، وَيَشِينُ أَلْفَاظَكَ . ومن أَرَاغَ معنى كريماً
فليلتبس له لفظاً كريماً ؛ فَإِنَّ حقَّ المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن
حقَّهما أن تصونهما عما يفسدُهما ويهجنُهما ، وعما تعودُ من أجله أن تكونَ
أسوأَ حالاً مِنْكَ قَبْلَ أن تلتبس إظهارُهما ، وترتهن نفسك بملاستهما وقضاء
حقَّهما . فَكُنْ فى ثلاثِ منازل ؛ فَإِنَّ أَوْلَى الثلاث أن يكونَ لفظُك رشيقيّاً
عذباً ، وفحماً سهلاً ، ويكونَ معنَاك ظاهراً مكشوفاً ، وقريباً معروفاً ، إمَّا عند
الخاصَّةِ إِنْ كُنْتَ للخاصَّةِ قَصَدْتَ ، وإمَّا عند العامةِ إِنْ كُنْتَ للعامةِ أَرَدْتَ .
والمعنى ليس يشرفُ بَأَن يكونَ من معانى الخاصَّةِ ، وكذلك ليس يَتَضَعُ بَأَن يكونَ
من معانى العامةِ . وإِنَّمَا مَدَارُ الشَّرَفِ على الصواب وإحرازِ المنفعة ، مع موافقةِ
الحال ، وما يجب لكلِّ مقامٍ من المقال . وكذلك اللفظ العامى والخاصى . فَإِنَّ
أَمَكْتَكَ أَنْ تبلغَ من بيان لسانِكَ ، وبلاغِ قلمِكَ ، ولُطْفِ مَدَاخِلِكَ ، واقتدارِكَ
على نفسك ، إِلَى أَنْ تُفْهِمَ العامةَ معانى الخاصَّةِ ، وتكسُوها الألفاظَ الواسطةَ ^(٢)
التي لا تَلُطِّفُ عن الدَّهْمَاءِ ، ولا تَجْفُو عن الأَكْفَاءِ ، فَأَنْتَ البليغُ التامُّ ^(٣) .

قال بشر : فلما قُرِئَتْ على إبراهيمَ قال لى : أنا أَحْوَجُ إلى هذا من
هؤلاءِ الفتيان .

(١) ل : « والمكابة » .

(٢) ل : « المبسطة » .

(٣) وقع فى سائر النسخ اضطراب فى صحيفة بشر . فقيما عدل ، ه قد وردت الصحيفه متتابعة لا يفصل بين فقرها شيء مما لى . ولا إخال ذلك إلا من عمل قارىء أو ناسخ .

- قال أبو عثمان : أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب ؛ فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً سوقياً . وإذا سمعتموني أذكر العوامَ فإنني لست أعني الفلاحين والحشوة ^(١) والصنّاع والباعة ، ولست أعني أيضاً الأكراد في الجبال ، وسكّان الجزائر في البحار ، ولست أعني من الأمم مثل البير ^(٢) والطيلسان ^(٣) ، ومثل موقان وجيلان ^(٤) . ومثل الرنج وأشباه الرنج . وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب ، وفارس ، والهند ، والروم . والباقون همج وأشباه الهمج . وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ، ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا ، فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا . على أن الخاصة تتفاضل في طبقات أيضاً ^(٥) .
- ثم رجع بنا القول إلى بقية كلام بشر بن المعتمر ، وإلى ما ذكر من الأقسام ^(٦)

قال بشر : فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح ^(٧)

-
- (١) الحشوة بالضم والكسر : رذال الناس وأسقاطهم
- (٢) ل : « البير » مع عدم نقط الحرف الثاني . وجاء في تاريخ الطبري (٥ : ٤٥) : « فأغار على أهل موقان والبير والطيلسان » . وضبطت في هـ بفتح أولها وكسره معاً .
- (٣) الطيلسان : إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحي الديلم والخزر ، افتتحه الوليد بن عقبة في سنة ٣٤ . معجم البلدان .
- (٤) قال ابن الكلبي : موقان وجيلان ، وهما أهل طبرستان ، ابنا كاشج بن يانث بن نوج . قال ياقوت في موقان : « ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركان للرعي ، فأكثر أهلها منهم » . وقال في جيلان : « اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان .. وليس في جيلان مدينة كبيرة ، إنما هي قرى في مروج بين جبال » .
- (٥) الكلام من « قال بشر : فلما قرئت » إلى هنا ، موضعه فيما عدل ، هـ قبل : « وقال : وينبغي للمتكلم أن يعرف » . وبذلك يختلط كلام بشر بكلام الجاحظ . وما أثبت من النسختين هو الصحيح .
- (٦) هذه العبارة من ل ، هـ فقط .
- (٧) فيما عدل ل : « تسمح » .

لك عند أول نظرك وفي أول تكلفك ، وتجد اللَّفظة لم تقع موقعها ولم تبصر إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ، ولم تتصل بشكلها ، وكانت قلقة في مكانها ، نافرة من موضعها ، فلا تكررهما على اغتصاب الأماكن ، والنزول في غير أوطانها ؛ فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنشور ، لم يعبك بترك ذلك أحد .
 ٥ فإن أنت تكلفتها (١) ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا مُحَكِّماً لسانك (٢) ، بصيراً بما عليك ومالك ، عابك من أنت أقل عيباً منه ، ورأى من هو دونك أنه فوقك .
 فإن ابتليت بأن تتكلف القول ، وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة (٣) ، وتعاصى عليك بعد إجماله الفكرة ، فلا تعجل ولا تضجر ، ودعه يياض يومك وسواد ليلتك ، وعادوه عند نشاطك وفراغ بالك ؛ فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة ، إن كانت هناك طبيعة ، أو جريت من الصناعة على عرق .
 فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ، ومن غير طول إهمال ، فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك ، وأخفها عليك ؛ فإنك لم تشتته ولم تنازع إليه إلا وبينكما نسب ، والشئ لا يحزن إلا إلى ما يشاكله ، وإن كانت المشكلة قد تكون في طبقات ؛ لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجود به مع الشهوة والمحبة . فهذا هذا .

وقال : ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل

(١) فيما عدل : « وإن أنت تكلفتها » .

(٢) ما عدا هـ : « لسانك » .

(٣) الطباع ، يكون مفرداً كالطبيعة ، ويكون جمع طبع أيضاً ، وهو في القول بإفراده يذكر ويؤنث . وفي اللسان : « والطباع كالطبيعة مؤنثة . وقال أبو القاسم الزجاجي : الطباع واحد مذكر ، كالحساس - بكسر النون فيهما - قال الأزهري : ويجمع طبع الإنسان طباعاً » .

- حالة من ذلك مقاماً ، حتّى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات .
- فإن كان الخطيب متكلماً تجنّب ألفاظ المتكلمين ، كما أنه إن عبّر عن شيء من صناعة الكلام واصفاً أو مجيئاً أو سائلاً ، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين ؛ إذ كانوا لتلك العبارات أفهم ، وإلى تلك الألفاظ أميل ، وإليها أحنّ وبها أشعّف ؛ ولأنّ كبار المتكلمين ورؤساء النظّارين كانوا فوق أكثر الخطباء ، وأبلغ من كثير من البلغاء . وهم تحيّرنا تلك الألفاظ لتلك المعاني ، وهم اشتقّوا لها من كلام العرب تلك الأسماء ، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم ، فصاروا في ذلك سلفاً لكلّ خلف ، وقُدوة لكلّ تابع . ولذلك قالوا: العَرَض والجوهر ، وأيّس وليس ، وفرقوا بين البطلان والتلاشي ، وذكروا الهذية والهوية ^(١) وأشباه ذلك . وكما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأرجاز ألقاباً لم تكن العرب تتعارف تلك الأعارض بتلك الألقاب ، وتلك الأوزان بتلك الأسماء ، كما ذكر الطويل ، والبسيط والمديد ، والوافر ، والكمال ، وأشباه ذلك ، وكما ذكر الأوتاد والأسباب ، والحرم والزحاف .
- وقد ذكرت العرب في أشعارها السناد والإقواء والإكفاء ، ولم أسمع بالإيطاء . وقالوا في القصيد والزجر والسجع والخطب ، وذكرُوا حروف الروى والقوافي ، وقالوا: هذا بيتٌ وهذا مصرع . وقد قال جندل الطهوي ^(٢) حين مدح شعره :
- * لم أقوِ فيهن ولم أسانِدِ *

وقال ذو الرمة :

- ٢٠ . وشعير قد أرقّت له غريب أجنبه المسانِد والمُحالا ^(٣)

(١) نسبة إلى هذا ، وهو ، وما هو .

(٢) هو جندل بن المنثى الطهوي .

(٣) ديوان ذي الرمة ٤٤٠ . فيما عدل : « أجانبه » .

وقال أبو حزام العُكَلِيُّ (١) :

بيوتاً نصبنا لتقويمها جُذولَ الرِّيِّثَيْنِ في المَرْبَأِ
بيوتاً على الهَا لَهَا سَجْحَةٌ بغير السَّنَادِ ولا المكْفَأِ

وكما سَمَّى النحويون ، فذكروا الحالَ والظُرُوفَ وما أشبه ذلك ؛ لأنَّهم لو لم يضعُّوا هذه العلاماتِ لم يستطيعوا تعريفَ القُرُويِّينَ وأبناء البلدَيْنِ علمَ العروض والنحو . وكذلك أصحابُ الحسابِ قد اجتلبوا أسماءَ جعلوها علاماتٍ للتفاهم . قالوا : وقبحُ بالخطيب أن يقوم بخطبة العيد أو يوم السَّمَّاطين ، أو على منبر جماعة ، أو في سُدَّة دار الخلافة ، أو في يوم جَمْعٍ وحفل ، إمَّا في إصلاح بين العشائر ، واحتمالِ دماء القبائل ، واستلالِ تلك الضَّغائنِ والسَّخائمِ ، فيقول (٢) كما قال بعضُ مَنْ خطبَ على منبرِ ضَخيمِ الشَّانِ ، رفيعِ المكانِ : « ثمَّ إنَّ الله عز وجل بعد أن أنشأ الخلقَ وسوَّاهم ومكَّنَ لهم ، لاشأهم فتلاشوا (٣) » . ولولا أنَّ المتكلمَ افتقرَ إلى أن يلفظ بالتلاشي لكان ينبغي أن يُؤخَذَ فوق يده . وخطبَ آخرُ في وسط دار الخلافة ، فقال في خطبته : « وأخرجه الله من باب الليسية ، فأدخله في باب الأيسية (٤) » .

وقال مرَّةً أخرى في حُطْبَةٍ له : « هذا فَرْقٌ ما بين السَّارِّ والضَّارِّ ، والدَّفَاعِ والنَّفَّاعِ » .

وقال مرَّةً أخرى : فدَلَّ ساتره على غامره ، ودَلَّ غامره على منحلِّه » .

(١) أبو حزام العكلى ، اسمه غالب بن الحارث ، كان أعرابياً فصيحاً يفد على أبى عبيد الله وزير

المهدي . قال الخوارزمي : « وشعره عويص ؛ لأنه أكثر فيه من الغريب فلا يقف عليه إلا العلماء ، وكان

يؤخذ عنه اللغة ، أدركه الكسائي واستشهد ببعض شعره . انظر شروح سقط الزند ١٤٦٥ - ١٤٦٧ .

(٢) بدلها في ل : « أن يكون » .

(٣) يراد بالملاشاة الإقفاء ، كأنه جعلهم كلا شيء .

(٤) نسبة إلى ليس وأيس . وفي اللسان : « أيس وليس ، أى من حيث هو وليس هو » .

فكاد إبراهيم بن السندی^(١) يطير شيقاً^(٢)، وينقذ غيظاً^(٣). هذا وإبراهيم من المتكلمين ، والخطيب لم يكن من المتكلمين .

وإنما جازت هذه الألفاظ في صناعة الكلام حين عجزت الأسماء عن اتساع المعاني . وقد تحسن أيضاً ألفاظ المتكلمين في مثل شعر أبي نواس وفي كل ما قالوه على وجه التظرف والتملح ، كقول أبي نواس :

وذا ت خدٌ مُوردٌ قوهية المتجرّد^(٤)
تأمل العين منها محاسناً ليس تنفذ
فبعضها قد تناهى وبعضها يتولّد
والحسن في كل عضو منها مُعاد مُردّد

٨٩

وكقوله^(٥) :

يا عاقد القلب مني هلاً تذكرت حلاً
تركت مني قليلاً من القليل أقلّاً
يكاد لا يتجزأ أقل في اللفظ من لا

وقد يتملح الأعرابي بأن يَدْخِل في شعره شيئاً من كلام الفارسية ،

كقول العُماني للرشيد ، في قصيدته التي مدحه فيها :

(١) هو إبراهيم بن السندی بن شاهك ، يروى الجاحظ عنه كثيراً . وأبوه السندی بن شاهك ، كان يلى الجسرين ببغداد للرشيد . انظر الجهشيارى ٢٢٦ - ٢٣٧ وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنين » الرسائل ٤٧ ساسى .

(٢) هذه عبارة عن المبالغة في الغضب . وفي حديث عائشة : « فطارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض » . هو مبالغة في الغضب والغيط ، كما في اللسان . ب ، ح : « شغفاً » ل : « شغفاً » صوابهما ما أثبت في التيمورية .

(٣) ينقد : ينشق . ل : « وينقد غيظاً » بمعنى يشتعل .

(٤) الأبيات يقولها في نعت « جنان » جارية آل عبد الوهاب الثقفى . انظر ديوانه ٣٧١ وأخبار أبي

نواس لابن منظور ١٣ . قوهية ، أراد بيضاء ، والقوهى : ضرب من الثياب بيض ، منسوبة إلى قوهستان . وفي

الديوان : « فتانة المتجرّد » .

(٥) أخبار أبي نواس ١٣ . وانظر فيه أشعاراً أخرى فيها دليل معرفة بألفاظ المتكلمين .

مَنْ يَلْقَهُ مِنْ بَطِيلٍ مُسَرَّنِدٍ (١) فِي زَغَفَةٍ مُحْكَمَةٍ بِالسَّرْدِ (٢)

* تحول بين رأسه و « الكرد » (٣) *

يعنى العنق . وفيها يقول أيضاً (٤) .

لما هوى بين غياض الأسد وصار في كف الهزير الورد

* آلى يذوق الدهر آب سرد (٥) *

وكقول الآخر :

ودلّهنى وقع الأسيّة والقنا وكافركوبات لها عجر قفد (٦)

بأيدي رجال ما كلامي كلامهم يسومونني مرداً وما أنا والمرد (٧)

ومثل هذا موجود في شعر [أبى] العذافر الكندى (٨) وغيره ، ويكون أيضاً

١٠ أن يكون الشعر مثل شعر بحر وشاذ (٩) ، وأسود بن أبى كريمة . وكما قال يزيد

(١) المسرندي : الذى يغلب ويعلو .

(٢) الزغفة : الدرع اللينة الواسعة المحكمة . والسرد : ستر الرزد .

(٣) أصله في الفارسية « گردن » كما في العرب ٢٧٩ ومعجم استينجاس ١٠٨٠ . وأقدم من قول العماني هذا قول الفرزدق :

١٥ وكنا إذا القيسى نب عتوده ضربناه دون الأنثيين على الكرد

(٤) فيما عدل : « ويقول فيه أيضاً » .

(٥) آب سرد : ماء بارد . آب : ماء ، ويكسر آخر الموصوف المتقدم على صفته في الفارسية . وسرد : بارد .

(٦) المدله : الساهى القلب الذاهب العقل . فيما عدل ، هـ : « ولفنى » . والوله : الحزن ، وذهاب العقل حزناً . وفي هامش ل : « كافر كوب هي المقرعة » . والعجر : جمع عجرة ، وهي العقدة في الخشبة ونحوها . والقفد : جمع أقفد ، وهو في أصله الغليظ العنق . ٢٠

(٧) سامه الشئ : كلفه إياه وجشمه وأراده عليه . ومرد ، بالفتح : رجل ، بالفارسية . ومن معانيه في الفارسية البطل ، والشجاع . استينجاس ١٢١١ . وفي هامش ل : المرد الرجل ، بالفارسية .

(٨) ذكره المرزبانى في معجمه في ذكر من غلبت كنيته على اسمه من الشعراء المجهولين والأعراب المغمورين . وفي الأصول : « العذافر الكندى » .

٢٥ (٩) هذا ما في هـ . وفي ل : « بحر وشار » وسائر النسخ : « الحر وشاذ » .

ابن ربيعة بن مفرغ (١) :

أَب اسْتِ نَبِيدَ اسْتِ عُصَارَاتِ زَيْبِ اسْتِ

* سُمِّيَ رُوسَيْدِ اسْتِ (٢) *

وقال أسود بن أبى كريمة :

لَزِمَ الْعُرَّامُ ثَوْبِي بُكْرَةً فِي يَوْمِ سَبْتِ (٣)

فَتَمَاسِلْتُ عَلَيْهِم مِثْلَ زَنْكِي بِمَسْتِي (٤)

قَدْ حَسَا الدَّادِي صِرْفًا أَوْ عُقَارًا بَايَحْسَتِ (٥)

- (١) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى : شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، وكان مولعا بهجاء بنى زياد ، وتعدى ذلك إلى أبى سفيان فقدذه بالزنا ، وأمر يزيد بن معاوية بطلبه فظل ينتقل من بلد إلى بلد ويستجير حتى وقع في يد عبيد الله بن زياد فأمر به فسقى نبيذاً حلوا قد خلط معه الشرم ، فأسهل بطنه وطيف به وهو في تلك الحال ، وقرن بهرة وخنزيرة فجعل يسلمح والصبيان يتبعونه ويصيحون « اين جيت » لما يسيل منه . أى هذا ماذا ؟ وهو يجيبهم بالأبيات التالية . انظر الأغاني (١٧ : ٥١ - ٧٣) والخزانة (٢ - ٢١٠ - ٢١٦) والاشتقاق ٣٠٩ - ٣١٠ والشعراء لابن قتيبة ، وتاريخ الطبرى (٦ : ١٧٧) .
- (٢) آب : ماء . واست : فعل من أفعال الكينونة في الفارسية . أراد أن النبيذ ما هو إلا ماء ، هو عصارات الزبيب . سمية هى أم زياد بن أبيه ، أو ابن أبى سفيان . انظر الإصابة ٦١١ من قسم النساء . وروسيد ، أى مشهورة ، . رو ، هو الوجه بالفارسية ؛ ويقال له أيضاً : « روى » . وسيد ، بفتح السين ، أى أبيض . في حواشى ه : « روسيد : زانية » .
- (٣) الغرام : جمع غريم ، وهو المطالب بالدين ، وهو جمع عزيز ، لأن فعلا لا يجمع على فعال . وأجاز ابن سيدة أن يكون جمع غرام على النسب ، أى ذو إغرام أو تغريم . انظر اللسان (١٥ : ٣٣٢) .
- (٤) ل . « عليه مثل زنكى » تحريف . والزنكى : الزنجى ، بالفارسية . مستى ، بالفارسية ، أى السكر وإدمان الشراب .
- (٥) الدادى : نبت له عنقود مستطيل وحيه على شكل حب الشعير ، يوضع منه مقدار رطل في الفرق فتعقب رائحته ويجود إسكاره . هذا ما في اللسان . وفي القاموس : « الدادى شراب للفسق » . والعقار بالضم : الخمر . بايخست ، كتب إزاءها في هامش ه ، ح : « بايخست الشراب على الريق بالفارسية » . وكتب المحقق الفاضل الدكتور إبراهيم أمين في مجلة كلية الآداب الجامعة المصرية (ديسمبر سنة ١٩٣٦) : « بايخست أو باى خست ، بمعنى موطوءة بالأقدام » .

- ثم كُفْتُم دُور باد ويحكم أَنْ خَرِ كُفْتِ (١)
 إِنَّ جِلْدِي دَبَعْتَهُ أَهْلُ صَنْعَاءَ بَجَفْتِ (٢)
 وَأَبُو عَمْرٍة عِنْدِي أَنْ كُورِيْدُ نَمَسْتِ (٣)
 جَالِسٌ أُنْدَرُ مَكْنَادُ أَيَا عَمْدُ بِيَهْشْتِ (٤)

* * *

وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ، وساقطاً سوقياً ، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً ؛ إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً ؛ فإن الوحش من الكلام يفهمه الوحش من الناس ، كما يفهم السوقي رِطَانَةَ السوقي . وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات . فمن الكلام الجزل والسَّخِيف ، والمليح والحسن ، والقيح والسَّمُج ، والخفيف والثقيل ؛ وكلُّه عربي ، ويكُلُّ قد تكلموا ، ويكُلُّ قد تَمَادَحُوا وتعايوا . فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل ، ولا بينهم في ذلك تفاوت ، فلم ذكروا العيى والبكى ، والحصر والمُفَحَم ، والخطل والمُسَهَّب (٥) ، والمتشدق ، والمتفهيق ، والمهمار ، والثَّرَار (٦) ، والمكثار والهمار (٧) ، ولم ذكروا الهجر والهدر ، والهديان ، والتخليط

(١) كُفْتُم ، أى قلت . دور باد أى معاذ الله ، وفى ل : « دوزياد » .. أن : اسم إشارة معناه ذلك . وخَر ، معناه الحمار ، أو البليد ، أو الأحمق . وكُفْت ، بمعنى قال .
 (٢) معجم استينجاس ٣٦٥ : « جفت بلوط ، أى ثمره البلوط » .
 (٣) أبو عمرو : كنية الجوع . گور ، أى أعمى أو أعور . بد أو بود بمعنى كان . نَمَسْت ، أى ليس ثملاً ، فمعناه كان أعمى وليس ثملاً .

(٤) هذا البيت لم يرد فى ل . فى هـ : « حابس آذر مكناد آبا عمد » . وقال الدكتور إبراهيم أمين : « هذا البيت مضطرب ، وبه تحريف . الكلمات الفارسية التى به هى اندر بمعنى فى ، ومكناد بمعنى لا تجعل . بيهشت ، أى فى الجنة » .

(٥) الخطل : ذو الخطل ؛ وهو الكلام الفاسد الكثير . والمسهب ، بضم الميم وكسر الهاء وفتحها : الكثير الكلام .

(٦) رجل مهمار : كثير الكلام ، كما فى اللسان (هـ) . وفيما عدا هـ : « المهاز » تحريف . يقال رجل همار ومهمار ومهمر ، أى مكثار للكلام .

(٧) فيما عدا هـ : « المهاز » . وانظر التنبيه السابق .

وقالوا : رَجُلٌ يَلْقَاكَ ^(١) ، وفلان يَتَلَهَّعُ في خطبته ^(٢) . وقالوا : فلان يُخْطِئُ في جوابه ، ويُحِيلُ في كلامه ، ويناقِضُ في خَبَرِهِ . ولولا أَنَّ هذه الأمور قد كانت تكون في بعضهم دونَ بعض لَمَا سَمِيَ ذلك البعض البعض الآخر بهذه الأسماء .

- وأنا أقول : إنه ليس في الأرض كلامٌ هو أمتَعُ ولا آتقُ ، ولا ألدُّ في الأسماع ، ولا أشدُّ اتصالاً بالعقول السليمة ، ولا أفقُّ للسان ، ولا أجودُ تقويماً للبيان ، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء ، والعلماء البلغاء . وقد أصاب القومُ في عَامَّةِ ما وَصَفُوا ، إلَّا أَنِّي أزعِمُ أَنَّ سَخِيفَ الألفاظ مشاكلٌ لسخيف المعاني . وقد يُحتاج إلى السَّخِيفِ في بعض المواضع ، ورُبَّما أمتَعُ بِأَكْثَرِ من إمتاع الجزلِ الفخم من الألفاظ ، والشريف الكريم من المعاني . كما أَنَّ النادرة الباردة جداً قد تكون أَطْيَبَ من النادرة الحارَّة جداً . وإِنَّمَا الكَرْبُ الذي يَحْتِمُ على القلوب ^(٣) ، ويأخذُ بالأنفاس ، النادرةُ الفاترة التي لا هي حارَّة ولا باردة ، وكذلك الشَّعر الوسط ، والغناء الوسط ؛ وإِنَّمَا الشَّانُ في الحارِّ جداً والباردِ جداً .
- وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول : والله لفلان أثقل من مُغْنٍ وسط ، وأبغض من ظريف وسط .

- ومتى سمعت - حفظك الله - بنادرة من كلام الأعراب ، فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها ؛ فَإِنَّكَ إِن غَيَّرْتَهَا بِأَن تَلَحَّنَ في إعرابها وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين ، خرجت من تلك الحكاية وعليك

(١) التلقاة والتلقاع ، بكسر التاء واللام وتشديد القاف : الكثير الكلام .

(٢) تلهيع في كلامه : أفرط فيه .

(٣) الحتم على القلب : أن لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء ، كأنه قد طبع . فيما عدل ، هـ : ٢٠

فضلٌ كبير . وكذلك إذا سَمِعْتَ بنادرةً من نوادر العوام ، ومُلْحَة من مُلَح الحُشوة والطَّعام ، فَإِنَّكَ وَأَنْ تَسْتَعْمَلَ فِيهَا الإِعْرَاب ، أَوْ تَتَخَيَّرَ لَهَا لَفْظاً حَسناً ، أَوْ تَجْعَلَ لَهَا مِنْ فِيكَ مَخْرَجاً سَرِيّاً ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَفْسِدُ الْإِمْتَاعَ بِهَا ، وَيُخْرِجُهَا مِنْ صَوْرَتِهَا ، وَمِنْ الَّذِي أُرِيدَتْ لَهُ ، وَيُذْهَبُ اسْتَطَابَتُهُمْ إِيَّاهَا وَاسْتِمْلَاحُهُمْ لَهَا ^(١) .

ثمَّ اعْلَمْ أَنَّ أَقْبَحَ اللَّحْنِ لَحْنُ أَصْحَابِ التَّقْعِيرِ وَالتَّقْعِيبِ ، وَالتَّشْدِيقِ وَالتَّمْطِيطِ وَالجَّهْوَةِ وَالتَّفْخِيمِ ^(٢) . وَأَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ لَحْنُ الْأَعَارِبِ النَّازِلِينَ عَلَى طُرُقِ السَّابِلَةِ ، وَيُقَرَّبُ مَجَامِعِ الْأَسْوَاقِ .

ولأهل المدينة أَلْسَنُ ذَلِيقَةً ، وَأَلْفَاظٌ حَسَنَةٌ ، وَعِبَارَةٌ جَيِّدَةٌ . وَاللَّحْنُ فِي عَوَامِّهِمْ فَاشٍ ، وَعَلَى مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي النَّحْوِ مِنْهُمْ غَالِبٌ .

وَاللَّحْنُ مِنَ الْجَوَارِي الظُّرَافِ ، وَمِنْ الْكَوَاعِبِ التَّوَاهِدِ ، وَمِنْ الشَّوَابِّ الْمِلَاحِ ، وَمِنْ ذَوَاتِ الْخُدُورِ الْغَرَائِرِ ، أَيْسَرُ . وَرَبَّمَا اسْتَمْلَحَ الرَّجُلُ ذَلِكَ مِنْهُمْ مَا لَمْ تَكُنِ الْجَارِيَةُ صَاحِبَةً تَكْلُفُ ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ اللَّحْنُ عَلَى سَجِيَّةِ سُكَّانِ الْبَلَدِ . وَكَأَيَّاسْتَمْلَحُونَ اللَّثْغَاءَ إِذَا كَانَتْ حَدِيثَةَ السِّنِّ ، وَمَقْدُودَةً مَجْدُولَةً ، فَإِذَا أَسْنَتْ وَاكْتَهَلَتْ تَغْيِيرَ ذَلِكَ الْاسْتِمْلَاحِ .

وَرَبَّمَا كَانَ اسْمُ الْجَارِيَةِ غُلَيْمٍ أَوْ صَبِيَّةً أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَإِذَا صَارَتْ كَهَلَةً جَزَلَةً ، وَعَجُوزاً شَهْلَةً ، وَحَمَلَتْ اللَّحْمَ وَتَرَكَمَ عَلَيْهَا الشَّحْمَ ، وَصَارَ بَنُوها رَجَالاً وَبَنَاتُهَا نِسَاءً ، فَمَا أَقْبَحَ حِينْتِ أَنْ يُقَالَ لَهَا : يَا غُلَيْمُ كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ وَيَا صَبِيَّةُ كَيْفَ أَمْسَيْتِ .

وَلَأَمْرٍ مَا كُنْتُ الْعَرَبُ الْبَنَاتِ فَقَالُوا : فَعَلْتُ أُمُّ الْفَضْلِ ، وَقَالَتْ أُمُّ عَمْرُو

(١) انظر هذا الرأي أيضاً في الحيوان (١ : ٢٨٢) .

(٢) الجَهْوَةُ : مصدر جَهْوَر : رفع الصوت وأعلنه . ل : « والجَهْوَرِيَّة » .

وزهدت أم حكيم . نعم حتى دعاهم ذلك إلى التقدّم في تلك الكنى . وقد
فسّرنا ذلك كله في كتاب الأسماء والكنى ، والألقاب والأنبار .

وقد قال مالك بن أسماء ^(١) في استعمال اللحن من بعض نسائه ^(٢):

أَمْعَطِي مِنِّي عَلَى بَصْرَى لَدِّ حُبِّ أُم أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنًا
وَحَدِيثُ أَلَذِّهُ هُوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا ^(٣)
مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نَأْ وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

وهم يمدحون الجذق والرفق ، والتخلّص إلى حَبَابِ القلوب ، وإلى إصابة
عيون المعاني . ويقولون : أصاب الهداف ، إذا أصاب الحقّ في الجملة . ويقولون :
قَرَطَسَ فلان ، وأصاب القِرطاس ، إذا كان أجود إصابة من الأول . فإن قالوا :

رمى فأصاب الغرة ، وأصاب عين القِرطاس ، فهو الذى ليس فوقه أحد .
ومن ذلك قولهم : فلان يَفْلُ الحَزْ ، ويصيب المَفْصِل ، ويضع الهناء
مواضع الثُّقْب ^(٤) .

وقال زُرَّارَةُ بن جَزْء ^(٥) ، حين أتى عُمَرَ بن الخطاب رحمه الله فتكلّم
عنده ، ورَفَعَ حاجته إليه :

أَتَيْتُ أَبَا حَفْصٍ وَلَا يَسْتَطِيعُهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا كَالسَّنَانِ طَرِيرٌ ^(٦)

(١) مالك بن أسماء الفزارى : شاعر إسلامي غزل ، وأخته هند بنت أسماء زوج الحجاج . وهو ممن
عرف بالجمال في العرب . الأغاني (١٦ : ٤٠ - ٤٦) .

(٢) كذا فهم الجاحظ في شعر مالك أنه أراد باللحن الخطأ في الكلام . وقد رجع عن هذا
الرأى بعد أن سار كتاب البيان والتبيين في الآفاق ، وفسر اللحن بأنه التعريض والتورية . انظر تاريخ
بغداد (١٢ : ٢١٤) ومعجم الأدباء (٦ : ٦٥) مرجليوث .

(٣) في هامش ل : « خ : تشبيه النفوس » .

(٤) انظر ما سبق في ١٠٨ .

(٥) زُرَّارَةُ بن جزء بن عمرو بن عوف بن كعب الكلبي : صحابي جليل عاش إلى خلافة مروان
ابن الحكم . انظر الإصابة ٢٧٨٨ حيث نقل ابن حجر نص الجاحظ هذا .

(٦) الطرير ، هو في الأمنة : المحدد ، وفي الناس : ذو الرواء والمنظر .

فوقفني الرحمن لما لقيته وللباب من دون الخصوم صرير
قروم غيارى عند باب ممتنع تنازع ملكاً يهتدى ويجور^(١)
فقلت له قولاً أصاب فؤاده وبعض كلام التاطقين غرور

وفي شبيه بذلك يقول عبد الرحمن بن حسان حيث يقول :

رجال أصحاء الجلود من الحنا وألسنة معروفة أين تذهب^(٢)

وفي إصابة فصّ الشئ وعينه ، يقول ذو الرمة في مدح بلال بن أبي
بردة الأشعرى :

تناخى عند خير فتى يمان إذا التكبأ عارضت الشمال^(٣)
وخيرهم مائر أهل بيت وأكرمهم وإن كرموا فعلا
وأبعدهم مسافة غور عليل إذا ما الأمر في الشبهات عالا^(٤)
وليس بين أقوام فكل أعد له الشعارب والمحالا^(٥)
وكلهم ألد له كظاظ أعد لكل حال القوم حالا^(٦)
فصلت بحكمة فأصبت منها فصوص الحق فانفصل انفصالا

وكان أبو سعيد الرأى ، وهو شيرشير المدنى^(٧) يعيب أبا حنيفة ، فقال الشاعر :

(١) الغيارى ، بفتح الغين وضمها جمع غيور . يجور ، في هامش ل : « خ : أى هو من البشر
يجوز أن يجور على الغلط » . فيما عدل ل : « وتجور » أى القروم . وهذا البيت لم يروه ابن حجر .
(٢) أى قد صحت وبرئت من الحنا .

(٣) انظر ديوان ذى الرمة ٤٤٢ - ٤٤٣ ثم ٤٤٥ والنكباء : كل ربح تهب بين ربحين .

(٤) عال : عظم وتفاقم . ل : « غالى » ، وفيما عدل ل : « غالا » صوابهما من الديوان

(٥) الشعارب : جمع شغزية وشغزى ، وهو ضرب من الحيلة في الصراع . والمحال ، بالكسر : الحيلة .

(٦) الألد : الشديد العداوة . والكظاظ : تجاوز الحد في العداوة .

(٧) كذا ورد اسمه مضبوطاً في الأصل . ولم أعر له على ترجمة .

عِنْدِي مَسَائِلُ لَا شِرْشِيرُ يُحْسِنُهَا عِنْدَ السُّؤَالِ وَلَا أَصْحَابُ شِرْشِيرٍ
وَلَا يُصِيبُ فُصُوصَ الْحَقِّ نَعْلَمُهُ إِلَّا خَنِيفِيَّةٌ كَوَقِيَّةُ الدُّورِ ^(١)
وَمَا قَالُوا فِي الْإِيْجَازِ ، وَبَلُوْغِ الْمَعَانِي بِالْأَلْفَاظِ الْيَسِيرَةِ ، قَوْلٌ ثَابِتٌ
قُطْنَةٌ ^(٢) .

مَا زِلْتُ بَعْدَكَ فِي هَمٍّ يَجِيْشُ بِهِ صَدْرِي وَفِي نَصَبٍ قَدْ كَادَ يُبْلِيْنِي ^(٣)
لَا أَكْثُرُ الْقَوْلَ فِيمَا يَهْضِيُونُ بِهِ مِنْ الْكَلَامِ ، قَلِيلٌ مِنْهُ يَكْفِينِي ^(٤)
إِنِّي تَذَكَّرْتُ قَتْلِي لَوْ شَهِدْتُهُمْ فِي غَمْرَةِ الْمَوْتِ لَمْ يَصَلُّوا بِهَا دُونَِي
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ طَيِّ وَمَدَحَ كَلَامَ رَجُلٍ [فَقَالَ ^(٥)] : « هَذَا كَلَامٌ يُكْتَفَى
بِأَوَّلِهِ ، وَيُسْتَقْفَى بِآخِرِهِ » .

وَقَالَ أَبُو وَجْزَةَ السَّعْدِيُّ ^(٦) ، مِنْ سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، يَصِفُ كَلَامَ رَجُلٍ :
يَكْفِي قَلِيلٌ كَلَامِهِ وَكَثِيرُهُ ثَبَتَ إِذَا طَالَ التَّنْضَالُ مُصِيبُ
وَمِنْ كَلَامِهِمُ الْمَوْجَزُ فِي أَشْعَارِهِمْ قَوْلُ الْعُكْلِيِّ ، فِي صِفَةِ قَوْسٍ :

(١) نَعْلَمُهُ ، جَمْلَةٌ حَالِيَّةٌ ، أَوْ نَعْلَمُهُ أَيْ أَحَدُ نَعْلَمُهُ ، حَذَفَ الْمَوْصُوفُ كَمَا فِي قَوْلِهِ :

• يَوْمِي بِكَفَى كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبِشْرِ •

فِيمَا عَدَالُ : « نَعْلَمُهُ » . خَنِيفِيَّةٌ ، أَيْ جَمَاعَةٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى أَيْ خَنِيفَةٍ . وَفِي مَعَ الْهَوَامِعِ (٢ : ١٩٥) :
« وَقَاسَ الْكَمَالَ أَبُو الْبَرَكَاتِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَنْبَارِيِّ ، الْخَنِيفِيُّ ، فِي النَّسْبَةِ إِلَى مَذْهَبِ أَيْ خَنِيفَةٍ ، فَرَقَا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْمَنْسُوبِ إِلَى قَبِيلَةِ بَنِي خَنِيفَةٍ حَيْثُ يُقَالُ فِيهِ حَنَفِيٌّ » .

(٢) هُوَ أَبُو الْعَلَاءِ ثَابِتُ بْنُ كَعْبٍ ، شَاعِرٌ فَارِسٌ شَجَاعٌ ، مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَكَانَ فِي صَحَابَةِ
يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَلَقِبَ « قُطْنَةٌ » ، لِأَنَّهُ سَهْمًا أَصَابَهُ فِي عَيْنِهِ فِي بَعْضِ حُرُوبِ التَّرِكِ ، فَكَانَ يَجْعَلُ عَلَيْهَا قُطْنَةً .
انْظُرِ الْأَغَانِي (١٣ : ٤٧ — ٥٤) وَالْخَزَانَةِ (٤ : ١٨٥) وَالشُّعْرَاءَ ٦١٢ وَالطَّبْرِيَّ (٨ : ١٨٥)

(٣) الْأَبْيَاتُ فِي الْأَغَانِي (١٣ : ٥١ — ٥٢) ، وَهِيَ فِي رِثَاءِ الْمُفْضِلِ بْنِ الْمُهَلَّبِ .

(٤) يَهْضِبُونَ فِي الْحَدِيثِ : يَخْوِضُونَ فِيهِ دَفْعَةً دَفْعَةً مَعَ ارْتِفَاعِ صَوْتٍ .

(٥) هَذِهِ مِمَّا عَدَالُ .

(٦) أَبُو وَجْزَةَ هُوَ يَزِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ بْنِ هَوَازِنَ ، أَطَارَ النَّبِيَّ ﷺ . وَكَانَ أَبُو وَجْزَةَ
مِنْ التَّابِعِينَ ، رَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَهُوَ أَحَدُ مَنْ شِيبَ بِعَجُوزِ انْظُرِ الْأَغَانِي (١١ : ٧٥ — ٨١)
وَتَهْدِيدِ التَّهْدِيدِ ، وَالشُّعْرَاءَ لِابْنِ قَتِيْبَةٍ .

فِي كَفِّهِ مُعْطِيَّةٌ مُنَوَّغٌ مُوَقَّعَةٌ صَابِرَةٌ جَزُوعٌ ^(١)

وقال الآخر ، ووصف سَهْمَ رَامٍ أَصَابَ حِمَارًا ، فقال :

* حَتَّى نَجَا مِنْ جَوْفِهِ وَمَا نَجَا ^(٢) *

« وقال الآخر [وهو ^(٣)] يَصِفُ ذُبَابًا :

أَطْلَسَ يَخْفَى شَخْصَهُ غُبَارُهُ ^(٤) فِي شِدْقِهِ شَفَرَتُهُ وَنَارُهُ ^(٥)

هُوَ الْحَبِيثُ عَيْنُهُ فَرَارُهُ ^(٦) بِهِمْ بَنَى مُحَارِبٍ مُزْدَارُهُ ^(٧)

ووصف الآخر ناقة فقال :

* خَرَقَاءُ إِلَّا أَنهَا صَنَاعٌ ^(٨) *

يَصِفُ سُرْعَةَ نَقْلِ يَدَيْهَا وَرَجْلَيْهَا ، أَنَّهَا تَشَبَّهُ الْمَرْأَةَ الْخَرَقَاءَ ، وَهِيَ الْخَرَقَاءُ فِي

أَمْرِهَا الطَّيَّاشَةُ ^(٩) . وقال الآخر ووصف سَهْمًا صَارِدًا ^(١٠) ، فقال :

أَلْقَى عَلَى مَفْطُوحِهَا مَفْطُوحًا ^(١١) غَادَرَ دَاءً وَنَجَا صَحِيحًا ١٠

(١) يقول : إنها تسهل على باريتها مرة وتصعب أخرى . ويعنى يجزعها رنينها وصوتها عند الإنباض . انظر الحيوان (٣ : ٧٢) .

(٢) وكذا في الحيوان (٣ : ٧٥) : « من جوفه » ، أى نجا السهم من جوف الحمار ولم ينبج الحمار من الهلاك . وفي ل : « من شخصه » .

(٣) هذه مما عدل . وانظر الرجز في الكامل ٢٠٨ وجمهرة العسكري ١٩ وديوان المعاني (٢ : ١٣٤) ومحاسن البيهقي (٢ : ١٣٤) والحيوان (٦ : ٤٣٨) . ١٥

(٤) الأطلس : مالهونه الطلسة ، وهى غيرة إلى سواد . وأراد أنه يسرع العدو فيثير من الغبار ما يخفى شخصه .

(٥) الشفرة : السكين العريضة العظيمة . عنى أنه قد استغنى بآنيابه عن معالجة مطعمه بالشفرة ثم بالنار .

(٦) هذا البيت وتاليه ليس في ل . والفارار ، مثلثة الفاء : أن يفر عن أسنان الدابة ليعلم سنه .

٢٠ أى تعرف خبثه في عينه إذا أبصرته . يضرب مثلا لمن يدل ظاهره على باطنه .

(٧) مزداره : موضع زيارته وسطوه .

(٨) الحيوان (٣ : ٧٢) والعمدة (١ : ١٦٨) .

(٩) هذا التفسير ساقط مما عدل .

(١٠) الصارد : النافذ المصيب ، وهو المخطئ أيضا . والمراد الأول .

٢٥ (١١) انظر العمدة (١ : ١٦٨) واللسان (قطع) . وفيه : « على فطحائها » . قال :

« وعنى بالقطحاء الموضع المنبسط منها ، كالفرصة » .

[المفطوح الأول للقوس، وهو العريض، وهو هاهنا موضع مقبض القوس. والمفطوح الثاني: السهم العريض. يعنى أنه ألقى على مقبض القوس سهما عريضاً^(١)].
وقال الآخر:

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ لَا تُفْلِحُ اللَّيْلُ أَخْفَى وَالتَّهَارُ أَفْضَحُ^(٢)
وقالوا في المثل: « اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ ». وقال رؤية يصف حمارة^(٣):
حَشْرَجَ فِي الْجَوْفِ سَحِيلًا وَشَهَقَ حَتَّى يُقَالُ نَاهَقٌ وَمَا نَهَقُ
الحشرجة: صوت الصلر. والسجيل: صوت الحمار إذا مدّه.
والشّهيق: أن يقطع الصوت.

وقال بعضُ ولدِ العباس بن مُرداس السُّلَمي، في فرس أُنَى الأعور السُّلَمي^(٤):
جَاءَ كَلْمُجَ الْبَرَقِ جَاشَ نَازِرُهُ^(٥) يَسْبَحُ أَوْلَاهُ وَيَطْفُو آخِرُهُ
٩٥ * فَمَا يَمَسُّ الْأَرْضَ مِنْهُ حَافِرُهُ *
قوله: جاش نازره، أى جاش بمائه. وناظر البرق: سحابه. يسبح،
يعنى يمد ضبعيه، فإذا مدّهما علا كفله. وقال الآخر:
* إِنْ سَرَّكَ الْأَهْوَنُ فَايْذَا بِالْأَشَدِّ *

وقال العجاج:
يَمَكُنُ السَّيْفُ إِذَا السَّيْفُ أَنْاطَرَ^(٦) مِنْ هَامَةِ اللَّيْلِ إِذَا مَا اللَّيْلُ هَرَّ^(٧)
١٥

(١) هذه مما عدل.
(٢) أنشد الجاحظ البيت الأول في الحيوان (١: ٢٨٥) والثاني في (٣: ٧٢).
(٣) ديوان رؤية ١٠٦.
(٤) أبو الأعور السلمي مشهور بكنيته. واسمه عمرو بن سفيان بن عبد شمس. وهو صحابي.
قائد، غزا قبرص سنة ٢٦ وكانت له مواقف بصفين مع معاوية. الإصابة ٥٨٤٦.
(٥) كتب في ل « ماطر » فوق « ناظر ».
(٦) أناطر: انعطف وانثنى. وانظر ديوان العجاج ١٨.
(٧) هر: زأر. فيما عدل، ه: « إذا الليث هتر » تحريف.

كَجَمَلِ الْبَحْرِ إِذَا خَاضَ جَسْرَ غَوَارِبِ الْيَمِّ إِذَا الْيَمُّ هَدَرَ (١)
* حَتَّى يُقَالَ حَاسِرٌ وَمَا حَسِرَ (٢) *

قالوا : جمل البحر سمكةٌ طولها ثلاثون ذراعاً . يقول : هذا الرجل يبعد كما
تبعد هذه السمكة بجساره ، لا يرُدُّها شيء ، حتى يقال كاشف وما انكشف
البحر . يقال : البحر حاسرٌ وجازرٌ . يقول : حتى يحسب الناس من ضيخم
ما يبدو من هذا الجمل ، أن الماء قد نضب عنه ، وأن البحر حاسرٌ . وقال آخر :

يَا دَارُ قَدْ غَيَّرَهَا بِلَاهَا كَأَنَّمَا بِقَلَمٍ مَحَاهَا (٣)
أَخْرَبَهَا عُمرَان مَن بَنَاهَا وَكَرُّ مُمَسَاهَا عَلَى مَغْنَاهَا (٤)
وطففت سحابةٌ تَغْشَاهَا تَبْكِي عَلَى عِرَاصِهَا عَيْنَاهَا

قوله : أَخْرَبَهَا عُمرَان مَن بَنَاهَا ، يقول : عَمَّرَهَا بِالْخَرَابِ . وَأَصْلُ الْعُمرَان
مَأْخُذٌ مِنَ الْعَمَرِ ، وَهُوَ الْبَقَاءُ ، فَإِذَا بَقِيَ الرَّجُلُ فِي دَارِهِ فَقَدْ عَمَّرَهَا . فيقول : إِنَّ
مُدَّةَ بَقَائِهِ فِيهَا أَبْلَتْ مِنْهَا ؛ لِأَنَّ الْأَيَّامَ مُؤَثَّرَةٌ فِي الْأَشْيَاءِ بِالتَّقْصِ وَالْبِلَى ، فَلَمَّا بَقِيَ
الْخَرَابُ فِيهَا وَقَامَ مَقَامَ الْعُمرَان فِي غَيْرِهَا ، سُمِّيَ بِالْعُمرَانِ . وقال الشاعر (٥) :

يَا عَجَّلَ الرَّحْمَنُ بِالْعَذَابِ لِعَامِرَاتِ الْبَيْتِ بِالْخَرَابِ

يعني الفار . يقول : هذا عُمرانها ، كما يقول الرجل : « مَاتَرَى مِنْ خَيْرِكَ » ٩٦

(١) غوارب اليم : أعالي موجه .

(٢) فيما عدل : « جاسر وما جسر » . ورويا في هـ بالخاء والجيم معا .

(٣) هذا التفسير كتب في هامش التيمورية ، وأشار إلى أنه في نسخة . في صلب سائر النسخ
بدل هذا التفسير تفسير آخر ، وهو « اليم : معظم الماء . وغوارب اليم : معظمه . جسر : قطع ، ومنه
٢٠ قيل للجسر جسر لأن الناس يقطعون عليه . وقوله حتى يقال جاسر وما جسر ، أى قطع الأمر وهو بعد
فيه ، لما يرون من مضائه فيه وقدرته عليه » .

(٤) ل فقط : « مغداهها » ، وهو الوجه الذى نرتضيه في رواية البيت ، لكن التفسير الذى سجد
فيما بعد يؤيد ما أثبت من سائر النسخ .

(٥) هو أعراني دخل البصرة فاشتري خبزاً فأكله الفار . انظر ديوان المعاني (٢ : ١٠) لحيوان

ورَفِدَكَ ، إِلَّا مَا يَبْلُغُنَا مِنْ حَظِّكَ عَلَيْنَا ^(١) ، وَفَتَكَ فِي أَعْضَادِنَا .

وقال الله عز وجل : ﴿ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ . والعذاب لا يكون نُزْلاً ، ولكن لما قام العذاب لهم في موضع النعيم لغيرهم ، سُمِّيَ باسمه .

وقال الآخر :

فقلتُ أَطْعِمْنِي عُمَيْرٌ ثَمراً فكان تمرى كَهْرَةً وَزَيْراً ^(٢) .

والتمر لا يكون كَهْرَةً ولا زَيْراً ، ولكنه على ذا . وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ، وليس في الجنة بُكْرَةً ولا عَشِيًّا ، ولكن على مقدار البكر والعشيَّات . وعلى هذا قول الله عز وجل : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزْنَةِ جَهَنَّمَ ﴾ . والخَزْنَةُ : الحَفَظَةُ . وجهتهم لا يضع منها شئاً فيحفظ ولا يختار دخولها إنسانٌ فيمنع منها ، ولكن لما قامت الملائكة مقامَ الحافظ الخازن سُمِّيَتْ به .

قوله : مُمْسَاهَا ، يعني مَسَاءَهَا . ومغناها : موضعها الذي أقيم فيه . والمقاني : المنازل التي كان بها أهلؤها . وَطَفِقَتْ - يعني ظَلَّتْ . تبكى على عراصها عيناها ، عيناها هاهنا للسحاب . وجعل المطر بكاءً من السحاب على طريق الاستعارة ، وتسمية الشئ باسم غيره إذا قام مقامه . ويقال لكل جَوِيَّةٍ مُنْفَتِقَةٍ ليس فيها بناءٌ : عَرَصَةٌ .

وقال أبو عمرو بن العلاء : اجتمع ثلاثة من الرواة فقال لهم قائل : أى نصف بيت شعرٍ أحكم وأوجز ؟ فقال أحدهم : قول حميد بن ثور الهلالي :

(١) ما يبلُغنا ، أى ما يصل إلينا . وفي اللسان : وحطب فلان بفلان : سعى به . ل :

خطتكت فينا . فيما عدل : « من خطبك علينا » والصواب ما أثبت من ه . ٢٠

(٢) الكهرة : الانتهار . والزهر : الزجر والمنع . وانظر للخلاف في رواية الرجز الحيوان (٤ :

٢٧٤ / ٥ : ٣٣) والمخصص (٢ : ١٣٤) .

* وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصَحَّ وَتَسْلَمَا ^(١) *

ولعلَّ حميداً أن يكون أخذَه عَن النَّمْرِ بن تولب ، فَإِنَّ النمر قال ^(٢) :

يُحِبُّ الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ وَالْغِنَى فَكَيْفَ تَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ ^(٣)
وقال أبو العتاهية :

* أَسْرَعَ فِي نَقْصِ امْرِئٍ تَمَامُهُ ^(٤) *

ذهب إلى كلام الأول : « كُلُّ مَا أَقَامَ شَخْصٌ ، وَكُلُّ مَا أَزْدَادَ نَقْصٌ ،

ولو كان النَّاسُ يُمِيتُهُمُ الدَّاءُ ، إِذَا لَأَعَاشَهُمُ الدَّوَاءُ » ^(٥) .

وقال الثاني من الرُّوَاةِ الثلاثة : [بل ^(٦)] قَوْلُ أُمِّ خِرَاشٍ الْهَذَلِيُّ ^(٧) : ٩٧

* نُوَكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمِضِي ^(٨) *

وقال الثالث من الرُّوَاةِ : بل قَوْلُ أُمِّ ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيُّ :

* وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ ^(٩) *

(١) صدره كما في ديوان حميد ٧ والحيوان (٦ : ٥٠٣) :

• أَرَى بَصْرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صَحَّةٍ •

(٢) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « قال النمر » فقط .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٣) والأغاني (١٩ : ١٥٩) والمعمرين ٦٣ .

(٤) ما عدا هـ : « نقص » ، بالضاد المعجمة ، وكذا ورد في الحيوان (٦ : ٥٠٢) لكن في

الحيوان (٣ : ٤٧٩) وعيون الأخبار (٢ : ٣٢٢) : « نقص » ، وهو الأمثل .

(٥) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٢) .

(٦) هذه مما عدا ل .

(٧) أبو خراش الهذلي : هو خويلد بن مرة ، مخضرم أدرك زمان عمر بن الخطاب وهاجر إليه ،

وغزا مع المسلمين ، ومات في زمان عمر . الإصابة ٢٤١ والأغاني (٢١ : ٣٨ - ٤٨) والخزانة (١ :

١١٢) والشعراء لابن قتيبة .

(٨) عجز بيت من مرثية له رواها أبو تمام في الحماسة (١ : ٣٢٦) يرى بها أخاه عروة بن مرة

الشاعر الهذلي ، أحد إخوته الشعراء العشرة . وصدره :

• عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكَلَامَ وَإِنَّمَا •

والقصيدة بتمامها في نسخة الشنقيطي من ديوان الهذليين .

(٩) من مرثيته المشهورة ، في أول ديوانه والمفضليات (٢ : ٢٢١ - ٢٢٩) . وصدره :

• وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا •

فقال قائل : هذا من مفاخر هُذيل : أن يكون ثلاثة من الرّواة لم يصيبوا في جميع أشعار العرب إلّا ثلاثة أنصاف ، اثنان منها لهذيل وحدها . فقليل لهذا القائل : إنّما كان الشرط أن يأتوا بثلاثة أنصاف مستغنيات بأنفسها ، والنّصف الذي لأبي ذؤيب لا يستغنى بنفسه ، ولا يفهم السامع معنى هذا النّصف حتّى يكون موصولاً بالنّصف الأوّل ؛ [لأنّك إذا أنشدت رجلاً لم يسمع بالنّصف الأوّل ^(١)] وسمع :

* وإذا تُردُّ إلى قليل تُقنع *

قال : من هذه التي تُردُّ إلى قليل فتقنع . وليس المضمّن ^(٢) كالماطلق وليس هذا النّصف مما رواه هذا العالم ، وإنّما الرّواية قوله :

* والدّهر ليس بمعتبٍ من يجزُع ^(٣) *

* * *

وممّا مدحوا به الإيجاز والكلام الذي هو كالوحي والإشارة ، قول أبي دؤاد بن حريز الإيادي ^(٤) :

يرمُونُ بِالْحُطْبِ الطَّوَالَ وتارةً وَحَى الْمَلَاظَ خِيْفَةَ الرُّقْبَاءِ

فمدح كما ترى الإطالة في موضعها ، والحذف في موضعه .

ومما يدل على شغفهم وكلفهم ، وشدة حبهم للفهم والإفهام ، قول الأسدى في صفة كلام رجل نعت له موضعاً من تلك السباسب التي لا أمانة فيها ، بأقلّ اللفظ وأوجزه ، فوصف إيجاز الناعث ، وسرعة فهم المنعوت له ، فقال :

(١) هذه مما عدل .

(٢) ل : « المضمّر » .

(٣) هو عجز مطلع مرثيته . وصدره :

• أمن المنون وريها تتوجع •

(٤) في الأصول : « بن حريز الإيادي » . وانظر ما سبق في ٤٢ ، ٤٤ .

بضربة نعت لم تُعد غير أنني عَقُولُ لأوصاف الرجال ذكورها^(١)
وهذا كقولهم لابن عباس : أتى لك هذا العلم ؟ قال : « قلب عَقُول ،
ولسان سؤول^(٢) » .
وقال الراجز^(٣) .

وَمَهْمَهَيْنِ قَدَفَيْنِ مَرَّتَيْنِ^(٤) جُبَيْتُهُمَا بِالنَّعْتِ لَا بِالنَّعْتَيْنِ^(٥)
ظَهَرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْنِ^(٦) قَطَعْتَهُ بِالْأَمِّ لَا بِالسَّمْتَيْنِ^(٧)

وقالوا في التحذير من ميسم الشعر ، ومن شدة وقع اللسان ، ومن بقاء أثره
على الممدوح والمهجور ، قال امرؤ القيس بن حجر :

ولو عن نكأ غيره جاءني وجرحُ اللسان كجرح اليد^(٨)

وقال طرفة بن العبد :

بحسام سيفك أو لسانك والك
لحم الأصيل كأرغب الكلم^(٩)

(١) ل فقط : « بغت » تحريف . على أنه قد كتب في هامشها « خ : نعت » .

(٢) انظر ما سبق من الكلام على الخلاف في نسبة هذا القول ص ٨٤ - ٨٥ .

(٣) هو خطاط المجاشعي ، أو هيمان بن قحافة . انظر الخزانة (٣ : ٣٧٤ - ٣٧٦) ، وكتاب
سبويه (١ : ٢٤١ / ٢ : ٢٠٢) .

(٤) المهمة : القفر المخوف . والقذف ، بالتحريك : البعيد . فيما عدا ل : « فدفعين » . وقد
نبه العيني على هذه الرواية . والمرت ، بالفتح : التي لا ماء فيها ولا نبات .
(٥) وصف نفسه بالحدق والمهارة . والعرب يفخرون بمعرفة الطرق .

(٦) يستشهد به النحويون على الجمع بين لغتي الثنية والجمع في المضاف إلى المثني إذا كان
بعض ما أضيف إليه . وهذا البيت وما بعده في ل فقط .

(٧) الرواية المعروفة : « بالسمت لا بالسمتين » .

(٨) النثا ، بتقديم النون : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء . وي بعده في الديوان ١٨٦ :

لقلت من القول ما لا يزا ل يؤثر عني يد المسند

(٩) حسام السيف : طرفه الذي يضرب به . والكلم ، بفتح فكسر : جمع كلمة . أرغب :

أوسع . والكلم : الجرح . ل « والكلم الرغب » صوابه في سائر النسخ وديوان طرفة ٦١ .

قال : وأنشدني محمد بن زياد ^(١) :

لَحِيْتُ شَمَاساً كَمَا تُلْحَى الْعِصَى سَبًّا لَوْ أَنَّ السَّبَّ يُدْمَى لَدِمَى
مِنْ نَفَرٍ كُلُّهُمْ نِكْسٌ ذَنِي مَحَامِدِ الرُّذُلِ مِشَاتِيمِ السَّرَى ^(٢)
مَخَابِطُ الْعِصَمِ مَوَادِيعِ الْمَطَى ^(٣) مَتَارِكِ الرَّفِيقِ بِالْحَرْقِ النَّطَى ^(٤)

وأنشد محمد بن زياد :

تَمَنَّى أَبُو الْعَفَّاقِ عِنْدِي هَجْمَةً تُسَهِّلُ مَأْوَى لَيْلِهَا بِالْكَلا كُلِّ ^(٥)
وَلَا عَقْلٌ عِنْدِي غَيْرُ طَعْنٍ نَوَافِدٍ وَضَرْبٍ كَأَشْدَاقِ الْفِصَالِ الْهَوَادِلِ
وَسِبِّ يَوْذُ الْمَرْءِ لَوْ مَاتَ قَبْلَهُ كَصَدْعِ الصِّفَا فَلَقَّتَهُ بِالْمَعَاوِلِ ^(٦)

الْهَجْمَةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ التُّوقِ فِيهَا فَحْلٌ . وَالْكَلْكُلُ : الصَّدْرُ . وَالْفِصَالُ :

١٠. جَمْعُ فَصِيلٍ ، وَهُوَ وَلَدُ الثَّاقَةِ إِذَا فَصِّلَ عَنْهَا . وَالْهَوَادِلُ : الْعِظَامُ الْمَشَافِرُ . وَالْعَقْلُ
هَآ هُنَا الدَّيَّةُ . وَالْعَاقِلَةُ : أَهْلُ الْقَاتِلِ الْأَدْنَوْنَ وَالْأَبْعَدُونَ . وَالصِّفَا : جَمْعُ صِفَاةٍ وَهِيَ
الصَّخْرَةُ . وَقَالَ طَرَفَةُ :

(١) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، الْكُوفِيُّ ، كَانَ رَاوِيَةً لِأَشْعَارِ الْقَبَائِلِ
نَاسِبًا ، وَأَحَدَ الْعَالِمِينَ بِاللُّغَةِ الْمَشْهُورِينَ بِمَعْرِفَتِهَا ، أَخَذَ عَنِ الْمَفْضَلِ وَالْكَسَائِيِّ ، وَأَخَذَ عَنْهُ ثَعْلَبُ وَابْنُ
السَّكَيْتِ . وَلَدَ لَيْلَةً وَفَاتَهُ أُمِّي حَنِيفَةً سَنَةَ ١٥٠ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٣١ . وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ وَبَغِيَّةُ الْوَعَاةِ . انْظُرْ مِثْلَ
الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فِي اللِّسَانِ (قِيضُ ٩٢) .

(٢) الْقِيَاسُ فِي مَفْرَدِ مُحَمَّدٍ ، مُحَمَّدٌ بِالْكَسْرِ ، وَفِي مَفْرَدِ مِشَاتِيمِ مُشْتَمٌ . وَلَمْ أَجِدْهُمَا فِي مَعْجَمِ .
(٣) الْعِصَمُ ، بِالْكَسْرِ : الْعَدْلُ مَا دَامَ فِيهِ الْمَنَاعُ . وَالْمَخَابِطُ ، مِنَ الْخِطِّ وَهُوَ طَلَبُ الْمَعْرُوفِ . هـ :
« مَخَابِطُ » : يَخِيطُونَ عِصَمَهُمْ . مَوَادِيعُ الْمَطَى ، أَيْ مَطْعَمُهُمْ مَوْدُوعَةٌ لَا يَجْهَدُونَهَا .

(٤) الْحَرْقُ ، بِالْفَتْحِ : الْغَفَرُ ، وَالْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ تَتَخَرَّقُ فِيهَا الرِّيحُ . وَالنَّطَى الْبَعِيدُ وَهَذَا الْبَيْتُ لَمْ يَرِدْ فِي ل .
(٥) أَبُو الْعَفَّاقِ ، لَعَلَّهُ أَرَادَ بِهِ الذُّبَّ ؛ لِأَنَّهُ يَعْفَقُ ؛ أَيْ يَسْرِعُ فِي الْعَدُوِّ . وَفِي الْحَيَوَانَ (٦) :
٤١٣ (وَحَوَاشِي هـ عَنْ نَسَخَةِ « أَبُو الْيَقْظَانِ » ، وَهِيَ كُنْيَةُ لِلذُّبِّ أَيْضًا ؛ لِأَنَّهُ :
يَنَامُ بِإِحْدَى مَقَاتِلِهِ وَيَتَّقَى بِأُخْرَى الْمَنَآيَا فَهُوَ يَقْظَانُ نَامٌ

وَلَمْ أَجِدْ هَاتَيْنِ الْكُنْيَتَيْنِ فِيمَا لَدَى مِنَ الْمَرَاجِعِ . وَفِي الْقَامُوسِ أَنَّ أَبَا الْيَقْظَانَ اسْمٌ لِلدِّيكِ .

(٦) فِي الْحَيَوَانَ : « كَوَقَعَ الْمُضَابُ صَدَعَتْ بِالْمَعَاوِلِ » .

رَأَيْتُ الْقَوَافِي يَتَلَجَّنَ مَوَالِجًا تَضَائِقُ عَنْهَا أَنْ تَوَلَّجَهَا الْإِبْرُ (١)

وقال الأخطل :

حَتَّى أَقْرَأُوا وَهَمَّ مِنْنِي عَلَى مَضَضٍ وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرُ (٢)

وقال العُمَانِيُّ :

إِذْ هُنَّ فِي الرِّبِطِ وَفِي الْمَوَادِعِ تُرْمَى إِلَيْهِنَّ كَبْذَرِ الزَّارِعِ (٣)

الرِّبْطُ : الثَّيَابُ ، وَاحِدُهَا رِبْطَةٌ ؛ وَالرِّبْطَةُ : كُلُّ مَلَاعِقَةٍ لَمْ تَكُنْ لِفَقِيرٍ . وَالْحَلَّةُ .
لَا تَكُونُ إِلَّا ثَوْبَيْنِ . وَالْمَوَادِعُ : الثَّيَابُ الَّتِي تَصُونُ غَيْرَهَا ، وَاحِدُهَا مِيدَعَةٌ .

وَقَالُوا : « الْحَرْبُ أَوَّلُهَا شَكْوَى ، وَأَوَسَطُهَا نَجْوَى ، وَآخِرُهَا بَلْوَى » .

وَكُتِبَ نَصْرُ بَنِ سَيَّارٍ ، إِلَى ابْنِ هَبِيرَةَ (٤) أَيَّامَ تَحَرُّكِ أَمْرِ السَّوَادِ
بِخُرَّاسَانَ (٥) :

أَرَى نَحْلَ الرَّمَادِ وَمِضْ جَمْرٍ فَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ اضْطِرَامٌ (٦)

فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودِينَ تُذَكِّي وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ (٧)

فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ : لَيْتَ شِعْرِي أَلْيَقَاطُ أُمِّيَّةٌ أَمْ نِيَامٌ (٨)

(١) القوافي : القصائد . يتلجن ، يدخلن ، أصله يوتلجن من الولوج . والبيت في ديوان طرفة ٤ .

(٢) في ديوان الأخطل ١٠٥ : « حتى استكانوا وهم مني على مضض » .

(٣) هـ : « مرمى » .

١٥

(٤) كان نصر بن سيار عامل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية على خراسان ، وكان ابن

هبيزة - وهو يزيد بن عمر بن هبيزة - عامله على العراق . وفي تاريخ الطبري (٩ : ٩٢) أنه كتب
بالشعر إلى مروان بن محمد . وانظر كتاب البغال ٢٧١ والعقد (٤ : ٢١ ، ٤٧٧) .

(٥) السواد : شعار العباسيين ، وأول من أظهر السواد أبو مسلم الخراساني ، داعي الدولة
العباسية في خراسان . ٢٠

(٦) الطبري : « بين الرماد » . ل : « لها ضرام » . وفي الطبري : « فأحج بأن يكون له ضرام »

أحج : أجدر . وانظر العقد (١ : ٩٤ و ٤ : ٢١٠ ، ٤٧٨) وعيون الأخبار (١ : ١٢٨) .

(٧) فيما عدا ل : « أولها كلام » . الطبري : « ميدؤها الكلام » .

(٨) ل : « أقول » .

فَإِنْ كَانُوا لِحَيْنِهِمْ نِيَامًا فَقُلْ قَوْمُوا فَقَدْ طَالَ الْمَنَامُ ^(١)
وقال بعض المولدين :

إِذَا نَلْتِ الْعَطِيَّةَ بَعْدَ مَطِيلٍ فَلَا كَانَتْ ، وَإِنْ كَانَتْ جَزِيلَةً
فَسَقِيًّا لِلْعَطِيَّةِ ثُمَّ سَقِيًّا إِذَا سَهَلَتْ ، وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَةً
وَلِلشُّعْرَاءِ أَلْسِنَةً حِدَادًا عَلَى الْعَوْرَاتِ مُوفِيَّةً دَلِيلَةً
وَمِنْ عَقْلِ الْكَرِيمِ إِذَا اتَّقَاهُمْ وَدَارَاهُمْ مُدَارَةً جَمِيلَةً ^(٢)
إِذَا وَضَعُوا مَكَائِبَهُمْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَذَبُوا ، فَلَيْسَ لَهُنَّ حِيلَةٌ ^(٣)

وقالوا : « مَذَاكِرَةُ الرِّجَالِ تَلْقِيحٌ لِأَلْبَابِهَا » .

ومما قالوا في صفة اللسان قول الأُسْدِيِّ ^(٤) ، أَنَشْدَنِيهَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

وَأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلنَّائِبَا تِ عِرْضًا بَرِيحًا وَعَضْبًا صَقِيلًا ^(٥)
وَوَقَعَ لِسَانٌ كَحَدِّ السَّنَا نِ وَرُحْمًا طَوِيلَ الْقَنَاقَةِ عَسُولًا ^(٦)

وقال الأعشى :

وَأَذْفَعُ عَنْ أَعْرَاضِكُمْ وَأُعِيرُكُمْ لِسَانًا كَمَقْرَاضِ الْخَفَاجِيِّ مَلْحَبًا ^(٧)
[الْمَلْحَبُ : الْقَاطِعُ ^(٨)] .

(١) فيما عدا ل : « حان القيام » . وهذا البيت لم يروه الطبري . وزاد الطبري في الخير : ١٥
« فكتب إليه : الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فاحسم التؤلؤل قبلك . فقال نصر : أما صاحبكم فقد
أعلمكم ألا نصر عنده » .

(٢) هذا البيت ساقط من ل .

(٣) المكاوي : جمع مكواة . أراد لوازح الهجاء . أي ليس لتلك المكاوي من حيلة وإن كانت كذبا .

(٤) هو عبد قيس بن خفاف اليربوعي . والبراجم من أسد بن ربيعة . انظر المفضليات (٢) : ٢٠

(١٨٦) حيث القصيدة ، والاشتقاق ١٩٧ .

(٥) العضب : السيف القاطع .

(٦) العسول : المضطرب للينه .

(٧) وكذا في الديوان ٩٠ . لكن فيما عدا ل : « أذفع » . وروى في هـ : « كمقراض »

و « كمقراض » . وفي حواشيا : « المقراض : حديدة يقطع بها الحديد والفضة » .

(٨) هذا الشرح ليس في ل .

الخفاجي : رَجُلٌ إِسْكَافٌ مَنْسُوبٌ إِلَى خَفَاجَةَ (١).

وقال ابنُ هَرْمَةَ :

قل للذي ظَلَّ ذَا لَوْنَيْنِ يَا كَلْنِي لقد خَلَوْتُ بِلَحْمٍ عَادِمِ الْبَشَمِ (٢)
إِيَّاكَ لَا أَلْزِمَنَّ لَحْيَيْكَ مِنْ لُجْمِي نِكْلًا يُنْكَلُ قَرَاصًا مِنَ اللَّجْمِ (٣)
إِنِّي أَمْرٌ لَا أَصَوِّغُ الْحَلَى تَعْمَلُهُ كَفَّائِي ، لَكِنْ لِسَانِي صَائِعُ الْكَلِمِ

وقال الآخر :

إِنِّي بَغَيْتُ الشَّعَرَ وَابْتَعَانِي حَتَّى وَجَدْتُ الشَّعَرَ فِي مَكَانِي

* فِي عَيْنِي مِفْتَاحُهَا لِسَانِي *

وَأُنْشِد :

١٠. إِنِّي وَإِنْ كَانَ رِدَائِي خَلَقًا (٤) وَبَرْنِكَانِي سَمِلًا قَدْ أَخْلَقًا (٥)

* قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِسَانِي مُطْلَقًا *

-
- (١) هذا الشرح ساقط مما عدل . وفي شرح الديوان : « نسبة إلى خفاجة بن معاوية بن عقيل » .
(٢) ذكر أبو الفرج في الأغاني (٤ : ٦) من سبب هذا الشعر أن المسور بن عبد الملك المخزومي كان يعيب شعر ابن هرمه ، وكان المسور هذا عالماً بالشعر والنسب ، فقال ابن هرمه فيه ما قال .
١٥. عادم البشم ، أي لا يشتم من أكله ، وذلك لعجزه عن مضغه . هـ : « عارم » . والعارم : الشديد لا يطاق . أي يشتم من طعمه ولا يطيق هضمه .
(٣) النكل ، بالكسر : اللجام أو حديدته . فراصاً : قطاعاً ؛ الفرس : القطع .
(٤) فيما عدل : « إزارى » . والأبيات في اللسان (برنك) .
(٥) البرنكان ، كزعران : قال ابن منظور : كساء من صوف له علمان . وفي القاموس :
٢٠. « ويقال للكساء الأسود البركان والبركاني - بتشديد الراء فيهما - والبرنكان كزعران والبرنكاني » . وفي العرب ٦٩ : « والبرنكان يقال كساء برنكاني ، وليس هو بعري ، والجمع برانك ، وقد تكلمت به العرب » . لكن فيه ٥٦ : « ابن دريد : والبرنكان بالفارسية وهو الكساء » . على أن نص ابن دريد في الجمهرة (٣ : ٣٠٨) : « والبرنكان أيضاً ، كساء برنكاني . ليس بعري » . فالنص الأخير من المعرب غريب .

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

قال أبو عثمان : والعَتَائِي حِينَ زَعِمَ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَفْهَمَكَ حَاجَتَهُ فَهُوَ بَلِيغٌ (٢) لَمْ يَغْنِ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَفْهَمَنَا مِنْ مَعَاشِرِ الْمُؤَلَّدِينَ وَالْبَلَدِيِّينَ قَصْدَهُ وَمَعْنَاهُ ، بِالْكَلامِ الْمَلْحُونِ ، وَالْمَعْدُولِ عَنْ جِهَتِهِ ، وَالْمَصْرُوفِ عَنْ حَقِّهِ ، أَنَّهُ مُحْكَمٌ لَهُ بِالْبَلَاغَةِ كَيْفَ كَانَ ، بَعْدَ أَنْ قَدْ فَهِمْنَا (٣) مَعْنَى كَلَامِ التَّبْطِطِيِّ الَّذِي قِيلَ لَهُ : لِمَ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ الْأَتَانِ ؟ قَالَ : « أُرْكِبُهَا وَتَلَدَ لِي » (٤) . وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مَعْنَاهُ كَانَ صَحِيحاً .

وقد فهمنا قول الشيخ الفارسي حين قال لأهل مجلسه : « ما من شر من دَيْنٍ » وَأَنَّهُ قَالَ حِينَ قِيلَ لَهُ : وَلَمْ ذَاكَ يَا أَبَا فَلَانٍ ؟ قَالَ : « مِنْ جَرَى يَتَعَلَّقُونَ » (٥) . وَمَا نَشْكُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ مَذْهَباً ، وَأَنَّهُ كَمَا قَالَ .

وقد فهمنا (٦) معنى قول أبي الجَهِير الخراساني النخاس ، حين قال له الْحِجَّاجُ : أَتَبِيعُ الدَّوَابَّ الْمَعِيَّةَ مِنْ جُنْدِ السُّلْطَانِ ؟ قَالَ : « شَرِيكَانَا » (٧) فِي هَوَازِهَا ، وَشَرِيكَانَا (٧) فِي مَدَائِنِهَا . وَكَأَنَّهُ نَكُونُ (٨) . قَالَ الْحِجَّاجُ : مَا تَقُولُ ،

(١) هذه مما عدل ل .

(٢) انظر ما سبق في ص ١١٣ من ٩ - ١٠ .

(٣) جملة « ونحن قد فهمنا » ، ساقطة مما عدل ل .

(٤) انظر ما سبق في ص ٧٤ من ٥ - ٧ . ل فقط : « وتولد لي » .

(٥) من جرأه ، أى من أجله . وفى اللسان (جرر) : « وربما قالوا من جرأك غير مشدد ، ومن جرائك بالمد من المعتل » . وكتب إزاءها فى التيمورية : « أى من أجل » أراد من جرى الدائنين الذين يتعلقون بمدنينهم » .

(٦) هاتان من ل ، هـ فقط .

(٧) جمع لفظ « شريك » على الطريقة الفارسية بزيادة الألف والنون ، كما يقولون فى جمع مرد ، بمعنى رجل : مردان . فيما عدل ل : « شريكائنا » .

(٨) فيما عدل ل : « تكون » ، بالتاء .

ويلك ! فقال بعض من قد كان اعتاد سماعَ الخطأِ وكلامِ العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك : يقول : شركاؤنا بالأهواز وبالمدائن ، يبعثون إلينا بهذه اللدواب ، فنحن نبيعها على وجوهها .

وقلت لخدّام لي : في أيّ صناعة أسلموا هذا الغلام ؟ قال : « في أصحابِ سِنْدِ نِعال » يريد : في أصحاب النعال السندية . وكذلك قول الكاتب المغلاق للكاتب الذي دُوّنَه : « اكتب لي قُلْ خَطِيبٌ ^(١) وريحني منه » .

فمن زعم أنَّ البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل ، جعل الفصاحة واللكنة ، والخطأ والصواب ، والإغلاق والإبانة ، والمحون والمُعرب ، كله سواءً ، وكلّه بياناً . وكيف يكون ذلك كله بياناً ، ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه للفاسد من الكلام ، لما عرّفه . ونحن لم نفهم عنه إلا للتقص الذي فينا . وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلّون على معاني هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رطانة الرومي والصقلي ، وإن كان هذا الاسم إنّما يستحقونه بأننا نفهم عنهم كثيراً من حوائجهم . فنحن قد نفهم بحمّحة الفرس كثيراً من حاجاته ، ونفهم بضغاء السنور كثيراً من إراداته ^(٢) . وكذلك الكلب ، والحمار ، والصبي الرضيع .

وإنّما عنى العتاني إفهامك العرب حاجتك على مجازي كلام العرب الفصحاء . وأصحاب هذه اللغة لا يفقهون قول القائل منّا : « مُكْرَهُ أَخَاكَ لَا بَطْل » . و : « إِذَا عَزَّ أَخَاكَ فَهَنْ ^(٣) » . ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم : ذهبْتُ إلى أبو زيد ، ورأيت أُنَى عمرو ^(٤) . ومتى وجد النحويون أعرايا يفهم هذا وأشباهه بهرجوه ولم

(١) فيما عدل ، هـ : « خطين » .

(٢) ب ، هـ : « إرادته » . وانظر الحيوان (١ : ٣٣) .

(٣) جاء هذا المثل وسابقه على لغة من يعرب الأب والأخ إعراب المقصور مطلقاً .

(٤) هذا على الحكاية . انظر مع الموامع (٣ : ١٥٤) .

يسمعوا منه ^(١) ؛ لأنّ ذلك يدلّ على طول إقامته في الدّار التي تُفسد اللّغة وتنقصّ البيان . لأنّ تلك اللّغة إنّما انقادت واستوت ، واطّردت وتكاملت ، بالخصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة [وفي تلك الجزيرة ^(٢)] ، ولقد خطّأ من جميع الأمم .

ولقد كان بين زيد بن كثوة ^(٣) يوم قدّم علينا البصرة ، وبينه يوم مات بونّ بعيد . على أنّه قد كان وضع منزله في آخر موضع الفصاحة وأوّل موضع العجمة ، وكان لا ينفكّ من رواية ومذاكرين .

وزعم أصحابنا البصريّون عن أبي عمرو بن العلاء أنّه قال : لم أر قرويّين أفصح من الحسن والحجاج ، وكان - زعموا - لا يبرّثهما من اللّحن .

وزعم أبو العاصي أنّه لم ير قرويّاً قط لا يلحن في حديثه ، وفيما يجري بينه وبين الناس ، إلّا ما تفقّده من أبي زيد النحويّ ، ومن أبي سعيد المعلّم . وقد روى أصحابنا أنّ رجلاً من البلديّين قال لأعرابيّ : « كيف أهلك » قالها بكسر اللام . قال الأعرابيّ : صلباً . لأنّه أجابه على فهمه ، ولم يعلم أنّه أراد المسألة عن أهله وعياله .

وسمعت ابن بشير ^(٤) وقال له أبو المفضل العنبريّ ^(٥) : إني عثرت البارحة بكتاب ، وقد التقطته ، وهو عندي ، وقد ذكروا أنّ فيه شعراً ، فإن أردته

(١) ل : « ولم يسمعوا كلامه » .

(٢) هذه مما عدل .

(٣) فيما عدل : « يزيد بن كثوة » تحريف ، جاء على الصواب ، في مواضع متعددة من الحيوان . وفي

اللسان (٢٠ : ٧٩) : « الجوهري وكثوة ، بالفتح : اسم أمّ شاعر وهو زيد بن كثوة ، وهو القائل :

ألا إن قومي لا تلط قدورهم
ولكنما يوقدن بالعذرات »

(٤) هو علي بن بشير ، كما سيأتي في (٢ : ٢٢١) .

(٥) أبو المفضل العنبري ، يبدو أنّه أحد الأعراب الذين كانوا يردون إلى البصرة ويروي عنهم

العلماء . ل : « أبو الفضل » .

وهبته لك . قال ابن بشير ^(١) : أريده إن كان مقيداً . قال : والله ما أدرى أمقيد هو أم مغلول ^(٢) . ولو عرف التقييد لم يلتفت إلى روايته .

وحكى الكسائي أنه قال لغلام بالبادية : من خلّقت ؟ وجزم القاف ، فلم يدر ما قال ، ولم يجبه ، فردّ عليه السؤال فقال الغلام : لعلك تريد من خلّقت . وكان بعض الأعراب إذا سمع رجلاً يقول نعم في الجواب ، قال : « نَعَمْ وشاء ؟ » ؛ لأنّ لغته نَعَمْ ^(٣) . وقيل لعمر بن لجأ ^(٤) : قُلْ « إنا من المجرمين متقين » . قال : ﴿ إنا من المجرمين متقِمون ﴾ .

وأنشد الكسائي كلاماً دار بينه وبين بعض فتيان البادية فقال :

عَجَبٌ مَا عَجَبٌ أعجبنى من غلامٍ حَكَمِيٍّ أَصْلاً ^(٥)
 قلت هل أحسست ركباً نَزَلُوا حَضَنًا ما دونه قال هَلَا ^(٦)
 قلت بَيْنَ ما هَلَا هل نزلوا قال حَوْبًا ثم وَلَّى عَجْلاً ^(٧)
 لستُ أدرى عندها ما قال لى أنعم ما قال لى أم قال لا
 تلك منه لغةٌ تعجبنى زادت القلب خبالاً خَبَلًا

* * *

(١) ل : « ابن يسير » .

(٢) فيما عدل : « أكان مقيدا أو مغلولا » .

(٣) نعم ، بكسر العين : لغة في نعم . وبهما قرئ .

(٤) هو عمر بن لجأ بن حدير ، شاعر راجز فصيح إسلامي ، وقعت المهاجاة بينه وبين جرير ، وكان جرير أسن منه ، وكان عارفا بمطالب القبائل . انظر الأغاني (١٩ : ٢٢) والنقائض ٤٨٧ - ٤٩١ ،

٩٠٧ والجمعي ١٥٠ - ١٥٣ والمرزبانى ٤٧٨ والموشح ١٢٧ - ١٢٩ والشعراء .

(٥) حكى : نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة . أصلاً ، أى وقت الأصيل ، وهو جمع الأصيل بمعنى العشي . ونقرأ أيضاً : « أصلاً » ككرم . أصل : صار ذا أصل .

(٦) حضن ، بالتحريك : جبل بنجد .

(٧) في حواشيه : « هلا هنا بمعنى نعم ، كما أن أجل تكون بمعنى نعم ، فلم يفهم الكسائي معناها » .

٢٥ وفي هامش ل : « هلا معناه تحرك لتدركهم » . وحوب بالفتح : زجر للبعير ليمضى .

قال أبو الحسن : قال مولى زياد : أهدوا لنا هِمَارَ وَهْش . قال : أى شئ تقول ويُلْك ؟ قال : « أهدوا لنا أيراً » ، يريد : أهدوا لنا غيرا . قال زياد : ويلك ، الأولُ خير (١) .

وقال الشاعر يذكر جارية له لکناء :

١٠٣ أكثر ما أسمعُ منها بالسَّحَر (٢) تذكيرُها الأُنثى وتأنيثُ الذكر
* والسَّوأة السَّوأة في ذكر القَمَر *

فزيادٌ قد فهم عن مولاه ، والشاعر قد فهم عن جاريته (٣) ولكنهما لم يفهما عنهما من جهة إفهامهما لهما ، ولكنهما لما طال مقامهما في الموضع الذى يكثر فيه سماعهما لهذا الضرب ، صارا يفهمان هذا الضرب من الكلام .

(١) سبق الخبر في ص ٧٣ .

(٢) فيما عدل « فى السحر » . والرجز مضى فى ص ٧٣ .

(٣) فيما عدل ، ه : « وصاحب الجارية قد فهم عن جاريته » .

ذكر ما قالوا في مديح اللسان

بالشعر الموزون واللفظ المشور ، وما جاء في الأثر وصح به الخبر

قال الشاعر :

- أرى الناس في الأخلاق أهلَ تخلق وأخبارهم شتى فَعُرِفَ ومُنْكَرُ (١)
 قريبا تدانيهم إذا ما رأيتهم ومختلفاً ما بينهم حين تُعْبِرُ
 فلا تحمدنّ الدهرَ ظاهرَ صفحة من المرء ما لم تُبْلُ ما ليس يظهرُ
 فما المرء إلا الأصغران : لسانه ومَعْقُولُهُ ، والجسم خَلْقٌ مُصَوَّرُ
 وما الزين في ثوب تراه وإثما يَزِينُ الفتى مَجْبُورُهُ حين يُخْبِرُ
 فإن طُرَّةً راقَتْكَ مِنْهُ فَرِيماً أَمَرَّ مَذَاقُ العود والعودُ أَخْضَرُ (٢)

وقال سويد بن أبي كاهل (٣) في ذلك :

- وَدَعَنْتَنِي بِرِقَاهَا إِنِّهَا تُنْزِلُ الْأَعْصَمَ مِنْ رَأْسِ الْيَفْعِ (٤)
 تُسْمِعُ الْحَدَاثَ قَوْلًا حَسَنًا لَوْ أَرَادُوا مِثْلَهُ لَمْ يُسْتَطِعْ (٥)

(١) التخلق : أن يظهر من خلقه خلاف ما ينطوى عليه . قال سالم بن وابصة :

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلق يأتي دونه الخلق

(٢) فيما عدا ل : « راقتك منهم » . أمر : صار مُرًا .

(٣) سويد بن أبي كاهل اليشكري ، نسبة إلى يشكر بن بكر بن وائل ، شاعر مخضرم عاش في الجاهلية دهرًا ، وعمر في الإسلام عمرًا طويلا : عاش إلى ما بعد سنة ٦٠ من الهجرة . الإصابة ٣٧١٦ والأغاني (١١ : ١٦٥ - ١٦٧) . وقصيدته هذه العينية مفضلية . انظر المفضليات (١ : ١٨٨) . وكانت العرب تسميها اليثيمة لما اشتملت عليه من الأمثال ، كما في الإصابة .

(٤) جعل حديثها كالرقية في قوة أثرها . والأعصم : الوعل الذي في يديه بياض . واليفع واليفاع : المرتفع من الأرض .

(٥) في المفضليات : « لو أرادوا غيره لم يستمع » .

ولساناً صَيَّرْتُمَا صارِماً كَذَّبَابِ السَّيْفِ مَا مَسَّ قَطَعٌ ^(١)

وقال جرير :

وليس لِسَيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ وَلِلسَّيْفِ أَشْوَى وَقَعَةٌ مِنْ لِسَانِيَا ^(٢)

وقال آخر :

وَجَرَحُ السَّيْفِ تَذْمُلُهُ فَيِّرَا وَيَقِي الدَّهْرَ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ ^(٣)

وقال آخر :

أَبَا ضُبَيْعَةَ لَا تُعْجَلْ بِسَيِّئَةٍ إِلَى ابْنِ عَمِكَ وَادْكُرْهُ بِإِحْسَانٍ

إِمَّا تَرَانِي وَأَتَوَلَّى مُقَارِبَةً لَيْسَتْ بِحَزٍّ وَلَا مِنْ حُرٍّ كَتَّانٍ ^(٤)

فَإِنْ فِي الْمَجْدِ هِمَاتِي وَفِي لُغَتِي عُلوِّيَّةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ لَحَّانٍ

وفيما مدحوا به الأعرابي إذا كان أديباً ، أنشدني ابنُ أبي كريمة ، أو ابنُ كريمة ، واسمه أسود ^(٥) :

أَلَا زَعَمْتَ غَفْرَاءَ بِالشَّامِ أَنَّنِي غُلَامٌ جَوَارٍ لَا غُلَامٌ حُرُوبٍ

وَأَنَّنِي لِأَهْدَى بِالْأَوَانِسِ كَالدَّمِي وَإِنِّي بِأَطْرَافِ الْقَنَا لِلْعُوبِ ^(٦)

(١) لا رابطة بين هذا البيت وسابقه ، فإن الأولين في التشبيب ، وفي الفخر ، وبينهما في القصيدة أكثر من ثمانين بيتاً . وقبل هذا البيت :

ورأى مني مقاما صادقا ثابت الموطن كتام الرجوع

ذباب السيف : حده . وفي المفضليات وسائر النسخ : « كحسام السيف » ، وهو حده .

(٢) أي سيفي مع قوته ، هو أشوى وقعة من لساني ، أي لساني أشد منه فتكا . وأشوى من

الشوى ، وهو إخطاء المقتل . فيما عدل : « ولا السيف » صوابه ما أثبت من ل والديوان ٦٠٦ .

(٣) البيت في اللسان (دمل) . وفي هـ : « وجرح » موضع « ويبقى » .

(٤) المقارب ، بكسر الراء : الرخيص ؛ أو الوسط بين الجيد والردئ .

(٥) انظر ما سبق في ص ١٤٣ .

(٦) هذى به : ذكره في هذائه ، وهو الهذيان . فيما عدل ، هـ : « لأهدى » .

وإني على ما كان من عُنْجُهَيْتِي ولُوثَةُ أَعْرَابِيَّتِي لأَدِيبُ (١)
وقال ابن هُرْمَةَ (٢) .

لله دَرْكٌ مِنْ فَتًى فَجَعَتْ بِهِ يَوْمَ الْبَقِيعِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ
هَشٍ إِذَا نَزَلَ الْوَفُودُ بِيَابِهِ سَهْلُ الْحِجَابِ مُؤَذَّبُ الْخُدَامِ
فَإِذَا رَأَيْتَ شَقِيقَهُ وَصَدِيقَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أَخُو الْأَرْحَامِ
وقال كَعْبُ بْنُ سَعْدِ الْغَنَوِيِّ (٣) :

حَبِيبٌ إِلَى الزُّوَارِ غَشِيَانُ بَيْتِهِ جَمِيلُ الْمُحَيَّا شَبٌّ وَهُوَ أَدِيبُ
إِذَا مَا تَرَاهُ الرِّجَالُ تَحْفَظُوا فَلَمْ تُنْطِقِ الْعَوْرَاءُ وَهُوَ قَرِيبُ (٤)
وقال الْحَارِثِيُّ :

وَتَعْلَمُ أَنِّي مَاجِدٌ وَتُرْوَعُهَا بَقِيَّةُ أَعْرَابِيَّةٍ فِي مُهَاجِرٍ
وقال الْآخَرُ :

وإِنَّ أَمْرًا فِي النَّاسِ يُعْطَى ظُلَامَةً وَيَمْنَعُ نِصْفَ الْحَقِّ مِنْهُ لِرَاضِعٍ (٥)
أَلَمَوْلَتْ يَحْشَى أَتَكَلَّ اللَّهُ أُمَّهُ أُمُ الْعَيْشِ يَرْجُو نَفْعَهُ وَهُوَ ضَائِعُ
وَيَطْعُمُ مَا لَمْ يَنْدَفِعْ فِي مَرِيئِهِ وَيَمْسَحُ أَعْلَى بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعُ
وإِنَّ الْعَقُولَ فَاعْلَمَنَّ أَسِنَّةً حِدَادُ النَّوَاجِي أَرْهَفَتْهَا الْمَوَاقِعُ (٦)
ويقولون : « كَأَنَّ لِسَانَهُ لِسَانُ ثَوْرٍ » .

(١) اللوثة ، بالفتح والضم : الحمقة . والأديب : ذو الأدب ، وهو الظرف .

(٢) الأبيات التالية نسبت في الحماسة (١ : ٣٣٤) إلى محمد بن يسير الخارجي .

(٣) كعب بن سعد الغنوي شاعر إسلامي ، الظاهر أنه تابعي . انظر المرزباني ٣٤١ والخزانه

٢٠ (٣ : ٦٢١) وسمط اللآل ٧٧١ والتيجان ٢٦٠ .

(٤) البيتان من قصيدة في الأصمعيات ٩٤ طبع المعارف . والعوراء : الكلمة القبيحة .

(٥) ل : « وإن أَمْرًا يُعْطَى عَلَيْهِ » . والنصف ، بالكسر : الإنصاف . وأنشد للفرزدق :

ولكن نصفاً لو سببت ومبني بنو عبد شمس من مناف وهاشم

والراضع : اللثيم ؟ رضع : لؤم ، وزنا ومعنى .

(٦) المواقع : جمع ميقعة : وهي المسن الطويل .

وحدَّثني مَنْ سَمِعَ أَعْرَابِيًّا يمدح رجلاً بِرِقَّةِ اللسان فقال : « كَانَ وَاللَّهِ لِسَانَهُ أَرْقَ مِنْ وَرَقَةٍ ، وَأَلْيَنَ مِنْ سَرَفَةٍ ^(١) » .

وقال النبي ﷺ لحَسَّانَ بنِ ثابت : ما بَقِيَ من لسانك ؟ فأخرج لِسَانَهُ حَتَّى ضَرَبَ بِطَرْفِهِ أَرْبَبَتَهُ . ثم قال : « وَاللَّهِ ما يَسُرُّني بِهِ مِقُولٌ من مَعَدٍّ ، وَاللَّهِ أَنْ لو وَضَعْتُهُ على حَجَرٍ ^(٢) لَفَلَقَهُ ، أو على شَعْرِ لَحْلَقِهِ » .

قال : وسمعتُ أَعْرَابِيًّا يصف لِسَانَ رجلٍ ، فقال : « كَانَ يَشُولُ بِلِسَانِهِ شَوْلَانَ الْبُرُوقِ ، ويتخلَّلُ به تَحْلَلُ الْحَيَّةِ » . وأظنَّ هذا الأعرابيَّ أبا الوجيه العُكْلِيَّ .
[يشول : يرفع . البروق : الناقة إذا طلبت الفحل فإنَّها حينئذ ترفع ذنبها .

- وإنَّما سُمِّيَ شَوْلٌ شَوْلًا لِأَنَّ التُّوقَ شالت بأذنانها فيه . فإن قال قائل : ١٠
قد يتفق أن يكون شَوْلٌ في وقتٍ لا تشول الناقة بذنبها فيه ، فلم بقى هذا الاسم عليه ، وقد ينتقل ماله لزم عنه ؟ قيل له : إنما جعل هذا الاسم له سمة حيث اتَّفَقَ ١٠
أَنَّ شالت التُّوقُ بأذنانها فيه ، فبقى عليه كالسَّمة ، وكذلك رمضان إنما سُمِّيَ لَرَمَضِ الماء فيه وهو في شِدَّةِ الْحَرِّ ، فبقى عليه في البرد . وكذلك ربيعٌ ، إنَّما سُمِّيَ لرعيهم الرِّبيع فيه ، وإن كان قد يَتَّفَقُ هذا الاسم في وقت البرد والحرِّ ^(٣)] . ١٥
قال : ووصف أعرابيٌّ رجلاً فقال : أتيناها فأخرج لِسَانَهُ كأنَّه مِخْرَاقٌ لالعب ^(٤) .

(١) السرق ، بالتحريك : شقائق من جيد الحرير أو أبيضه ؛ مغرب من الفارسية « سرو » . انظر

اللسان والمغرب ١٨٢ ، ومعجم استينجاس ٦٨٠ .

(٢) فيما عدا ل : « على صخر » . ٢٠

(٣) هذه العبارة جميعها ليست في ل .

(٤) المخرق : مندبل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف فيفزع به .

قال وقال العباس بن عبد المطلب للنبي ﷺ : يا رسول الله ، فيم الجمال ؟ قال : في اللسان .

قال : وكان مجاشع بن دارم ^(١) خطيباً سليطاً ، وكان نهشل ^(٢) بكياً متزوراً ^(٣) ، فلما خرجا من عند بعض الملوك عدله مجاشع في تركه الكلام ، فقال له نهشل : إني والله لا أحسن تكذابك ولا تأثامك ، تشول بلسانك شولان البروق ، وتخلل تخلل الباقرة .

وقالوا : أعلى جميع الخلق مرتبة الملائكة ، ثم الإنس ، ثم الجن . وإنما صار لهؤلاء المزية على جميع الخلق بالعقل ، وبالاستطاعة على التصرف ، وبالمنطق .
قال : وقال خالد بن صفوان : ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة ، أو بهيمة مهملة . ١٠

قال : وقال رجل لخالد بن صفوان : مالي إذا رأيتم تنذاكرون الأخبار وتندارسون الآثار ، وتتناشدون الأشعار ، وقع على التوم ؟ قال : لأئك حمار في مسلاخ إنسان ^(٤)

وقال صاحب المنطق : حد الإنسان الحي الناطق المبين ^(٥) .

وقال الأعور الشنّي ^(٦) :

(١) هو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم بن مر . المعارف ٣٥ وكان غالب بن صعصعة والد الفرزدق سيد بني مجاشع . الاشتقاق ١٤٧ .

(٢) نهشل : أخو مجاشع . المعارف ٣٧ والاشتقاق ١٩٣ .

(٣) المنزور : القليل الكلام ، لا يتكلم حتى ينزر ، أى يلح عليه .

(٤) المسلاخ : الجلد .

(٥) انظر ما سبق في ص ٧٧ ص ٥ .

(٦) الأعور الشنّي ، هو بشر بن منقذ ، أحد بني شن بن أفضى بن عبد القيس بن أفضى بن دهمى بن جديلة بن أسد . قال صاحب المؤلف ٣٨ : « شاعر خبيث ، وكان مع على رضي الله عنه يوم الجمل » . والبيتان التاليان ليسا له ، بل هما لزهير في معلقته .

١ وكائن ترى من صامت لك مُعجب زيادته أو نقصه في التَّكَلُّم
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده فلم يبقَ إلَّا صورةُ اللحمِ والدمِ

- ولما دخل ضَمْرَةُ بن ضَمْرَةَ ^(١) ، على النُّعْمان بن المنذر ، زَرَى عليه ،
للذى رأى مِنْ دَمَامَتِهِ وَقَصْرِهِ وَقِلَّتِهِ . فقال النُّعْمان ^(٢) : « تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيَّ »
لا أن تراه ^(٣) » . فقال : أَيْتَ اللَّعْنِ ! إِنَّ الرِّجَالَ لَا تُكَالُ بِالْقُفْزَانِ ^(٤) ،
ولا تُوزَنُ بِالْمِيزَانِ ، وليست بِمُسُوكٍ يُسْتَقَى بها ، وإِنَّمَا المرءُ بِأَصْغَرِيهِ : بقلبه
ولسانه ، إن صَالَ صَالَ بِجَنَانٍ ، وإن قال قال بَيَّانٍ » .
والبَيَّانِيَّةُ تجعل هذا للصَّقْعَبِ النَهْدِيِّ ^(٥) . فَإِنَّ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ
أَقْرُوا بِأَنَّ نَهْدًا مِنْ مَعْدٍ .

وكان يقال : « عَقْلُ الرَّجُلِ مَدْفُونٌ تَحْتَ لِسَانِهِ » .

- (١) قال ابن دريد في الاشتقاق ١٤٩ في ذكر رجال مجاشع : « ومن رجالهم ضَمْرَةُ بن ضَمْرَةَ ،
وكان من رجال بني تميم في الجاهلية لساناً وبيانا ، وكان اسمه شق بن ضَمْرَةَ فسماه بعض ملوك الحيرة
ضَمْرَةَ » . وفي أمثال الميداني (١ : ١١٨) أن اسمه كان « شقة » ، وهو الصواب إذ ورد فيه من الشعر :

١٥ صرمت إخاء شقة يوم غول وإخوته فلا حلت حلال

وانظر الفاخر ٦٥ وأمالى الزجاجي ٢٠٠ واللسان (معد ٤١٤) .

(٢) في أمثال الميداني أن صاحب الخير ، هو المنذر بن ماء السماء ، لا النُّعْمان .

(٣) المعيدى تصغير رجل منسوب إلى معد . وكان الكسائي يرى التشديد في الدال . انظر
اللسان (معد) . ويروى : « لَأَنْ تَسْمَعَ بِالْمُعَيْدِي خَيْرٌ » و : « أَنْ تَسْمَعَ » .

(٤) القفزان : جمع قفيز ، وهو مكيال قدره ثمانية مكايك عند أهل العراق

(٥) من بني نهد . قال ابن دريد في الاشتقاق ٣٢٠ : « ومن رجالهم الصَّقْعَبِ ، الوافد إلى
النُّعْمان . واسم الصَّقْعَبِ خَيْثَمُ بن عمرو ، وكان سيد بني نهد قد أخذ مرباعهم دهرًا ، وله حديث في
دخوله إلى النُّعْمان . وقال قوم : بل اسمه البراء بن عمرو » .

وباب آخر في ذكر اللسان

أبو الحسن : قال : قال الحسن : « لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام تفكّر ، فإن كان له قال ، وإن كان عليه سكّت . وقلّب الجاهل من وراء لسانه ، فإن همّ بالكلام تكلم به له أو عليه » .

قال أبو عبيدة : قال أبو الوجيه : حدّثنى الفرزدق قال : كنّا في ضيافة معاوية بن أبي سفيان ، ومعنا كعب بن جُعيل التَّغْلَبِيُّ ، فقال له يزيد : إنّ [ابن حسان - يريد (١)] عبد الرحمن بن حسان - قد فضّحنّا ! فاهجّ الأنصار . قال : أرادى أنت إلى الإشرّك بعد الإيمان (٢) ، لا أهجوّ قوماً نصّروا رسول الله ﷺ ، ولكنني أدلك على غلام منّا نصرانيّ كأنّ لسانه لسانُ نور . يعني الأخطل . ١٠

وقال سعد بن أبي وقاص ، لعمر ابنه (٣) حين نطق مع القوم فبدّهم ، وقد كانوا كلّموه في الرضا عنه . قال : هذا الذي أغضبني عليه ، أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون قوم يأكلون الدنيا بالسنيّتهم ، كما تُلحَس الأرض البقرة بلسانها » .

قال : وقال معاوية لعمر بن العاصي : « يا عمر ، إنّ أهل العراق قد أكرهوا علياً على أبي موسى ، وأنا وأهل الشام راضون بك ، وقد ضمّ إليك رجل طویل اللسان ، قصير الرأى ، فأجد الحزّ ، وطبق المفصّل ، ولا تلقه برأيك كلّه » . ١٥

(١) هذه مما عدل .

(٢) فيما عدل : « الإسلام » .

(٣) عمر بن سعد بن أبي وقاص ، تابعي ثقة ، وهو الذي قتل الحسين ، ولد في عصر النبي ﷺ وقيل سنة ٦٧ . انظر تهذيب التهذيب . ٢٠

- والعجب من قول ابن الزبير للأعراب : « سلا حُكم رث » ، وحديثكم غث . وكيف يكون هذا وقد ذكروا أنه كان من أحسن الناس حديثاً ، وأن أبا نضرة ^(١) وعبيد الله بن أبي بكرة ^(٢) إنما كانا يحكيانه . فلا أدري إلا أن يكون حُسن حديثه هو الذى ألقى الحسدَ بينه وبين كل حُسن الحديث .
- وقد ذكروا أن خالد بن صفوان تكلم في بعض الأمر ، فأجابه رجلٌ من أهل المدينة بكلامٍ لم يظنَّ خالد أن ذلك الكلام كان عنده ، فلما طال بهما المجلس كأنَّ خالداً ^(٣) عرض له ببعض الأمر ، فقال المدنى : « يا أبا صفوان ، مالي من ذنبٍ إلا اتفاق الصناعتين » . ذكر ذلك الأصمعي .
- قال فضالُّ الأزرق : قال رجلٌ من بنى منقر : تكلم خالد بن صفوان في صلح بكلامٍ لم يسمع الناس قبله مثله ، فإذا أعرأى في بَتٍّ ^(٤) ، ما في رجله حذاء ، فأجابه بكلامٍ وددت والله أننى كنت مُتُّ وأنَّ ذلك لم يكن ، فلما رأى خالد ما نزل بي قال : يا أخا منقر ، كيف تُجارِهم وإنما نحكيهم ، وكيف تُسابقهم وإنما نَجري على ماسبق إلينا من أعراقهم ؛ فليُفرخ روعك فإنه من مُقاعسٍ ، ومُقاعسٌ لك . فقلت : يا أبا صفوان ، والله ما أُلومك على الأولى ، ولا أدعُ حَمْدك على الأخرى .

١٥

- (١) أبو نضرة ، هو المنذر بن مالك بن قطعة العبدي . تابعي روى عن علي وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم ، وروى عنه قتادة وسعيد بن أبي عروبة ، وكان من فصحاء الناس . توفي سنة ١٠٩ . تهذيب التهذيب . وقطعة بضم ففتح كما في التقريب .
- (٢) أبو بكرة ، اسمه نفيح بن الحارث بن كلدة ، أسلم ومات في خلافة عمر ، وكان تدل إلى النبي ﷺ من حصن الطائف ببكرة ، فاشتر بأبي بكرة . الإصابة ٨٨٩٤ . وقد توفي عن أربعين ولداً من بين ذكر وأنثى ، أعقب فيهم سبعة : عبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد العزيز ، ومسلم ، ورواد ، وعتبة . فكان عبيد الله من أجمل الناس وأشجعهم . ولله الحجاج سجستان سنة ٨٧ فغزا بلاد العدو فهلك هناك في مجاعة المعارف ١٢٥ - ١٢٦ . ب : « بن أبي بكر » تحريف .
- (٣) كذا وردت العبارة مضبوطة في ل ، هـ : وفي سائر النسخ : « كان خالد عرض » .
- (٤) البَتُّ ، بالفتح : كساء غليظ مربع .

٢٥

قال أبو اليقظان : قال عمر بن عبد العزيز : « ما كلمنى رجلٌ من بنى أسيدٍ إلا تمنيت أن يُمدَّ له في حُجَّتِهِ حتَّى يكثُرَ كلامه فأسمعه » .

وقال يونسُ بن حبيب^(١) : ليس في بنى أسيدٍ إلا خطيبٌ ، أو شاعر ، أو قائف ، أو زاجر ، أو كاهن ، أو فارس . قال : وليس في هذيلٍ إلا شاعرٌ أو رام ، أو شديدُ العدو .

الترجمان بن هُرَيْم بن عدى بن أبى طحمة^(٢) قال : دُعِيَ رَقَبَةُ بْنُ مَصْقَلَةَ ، أو كَرِب بن رَقَبَة^(٣) إلى مجلسٍ ليتكلَّم فيه ، فرأى مكانَ أعرأى في شَمْلَةٍ^(٤) ، فأنكر موضعه ، فسأل الذى عن يمينه عنه فخبَّره أَنَّهُ الذى أعدَّوه لجوابه ، فنهض مسرعاً لا يَلْوِى على شيءٍ ؛ كراهةً أن يُجمعَ بين الدِّياجتين فيتضع عند الجميع .

وقال خَلَّاد بن يَزِيد : لم يكن أحدٌ بعد أبى نُضرة أحسنَ حديثاً من سَلَم بن قُتَيْبَة^(٥) . قال : وكان يزيد بن عمر بن هُبيرة يقول : احذفوا الحديث كما يحذفه سَلَم بن قُتَيْبَة .

(١) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبى ، إمام نخاة البصرة في عصره . أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه سيَّويه وروى عنه في كتابه . وعنه أخذ الكسائى والفراء وأبو عبدة وأبو زيد . ولد سنة ٨٠ ومات سنة ١٨٢ . معجم الأدباء وابن خلكان .

(٢) الترجمان بن هريم ، قال ابن قتيبة في المعارف ١٨٤ : إنه كان على الأهواز ، وعلى بنى حنظلة في فتنة ابن سهل . وأبوه هريم بن أبى طحمة كان شجاعاً كيساً ، وكان مع المهلب في قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة في قتال يزيد بن المهلب ، وكبر هريم فحول اسمه في أعوان الديوان ليرفع عنه الغزو ، فقبل له : إنك لا تحسن أن تكتب ! فقال : إلا أكتب فإنى أحمو الصحف ! وفي القاموس : « وأبو طحمة عدى بن حارثة من الشراء » .

(٣) ل : « كوز بن رقة » . وفي المعارف ١٧٧ من يسمى « كرب بن مصقلة بن رقة » ، وأنه كان خطيباً ، وله خطبة يقال لها العجوز .

(٤) الشملة ، بالفتح : كساء دون القطيفة يشتمل به .

(٥) سلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين الباهلى ، كان أبوه والى خراسان أيام الحجاج . وأما سلم فولها أيام هشام بن عبد الملك ، وولاه المنصور البصرة ، روى عنه الأصمعي ، وخلاد بن يزيد الأرقط ، وأبو عاصم النبيل وغيرهم . مات سنة ١٥٩ وصلى عليه المهدي . تهذيب التهذيب وجمهرة ابن حزم ٢٤٦ . ماعدا ل ، ه : « مسلم بن قتيبة » تحريف .

ويزعمون أنَّهم لم يَرَوْا محدَّثاً قطُّ صاحب آثارٍ كان أجودَ حَدَّثاً وأحسنَ
اختصاراً للحديث من سفيان بن عُيينة ^(١) . سألوهُ مرَّةً عن قول طاوُس ^(٢)
في ذكاة الجراد ، فقال : ابنه عنه ^(٣) : « ذكَّاه صَيِّدُهُ » ^(٤) .

★ ★ ★

-
- ٥ (١) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أنى عمران الهلال الكوفي ، وكان محدثاً كثير الرواية ثقة .
توفى سنة ١٩٧ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ١٣٠) .
- (٢) هو طاوُس بن كيسان البجلي الجندى ، وقيل اسمه ذكوان ، وطاوُس لقب له ، مولى من أبناء
الفرس . روى عن العبادلة الأربعة ، وأبى هريرة وعائشة ، وروى عنه ابنه عبد الملك وعمرو بن دينار وغيرهم .
وكان من عباد أهل اليمن وسادات التابعين توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١٦٠) .
- (٣) يريد « حدثنى ابن طاوُس عن طاوُس » وابنه الذى يعنيه هو عبد الله بن طاوُس ، روى عن
أبيه وعطاء ووهب بن منبه وغيرهم ، وروى عنه ابنه : طاوُس ومحمد ، وعمرو بن دينار ، والسفيانان .
توفى سنة ١٣٢ . تهذيب التهذيب .
- (٤) فيما عدل : « أخاه » . والمراد بالذكاة : الذبح ، ومثلها الذكاء والتذكية . فيما عدل ، ه :
« ذكاة » و « زكاته » بالزى ، تحريف . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٢١٠) .

وباب آخر

وكانوا يمدحون شدة العارضة ، وقوة المنة ، وظهور الحجة ، وثبات الجنان ، وكثرة الريق ، والعلو على الخصم ؛ ويهجون بخلاف ذلك . قال الشاعر :
 طباقاً لم يشهد خصوماً ولم يعيش حميداً ولم يشهد جلالاً ولا عظماً^(١)
 وقال أبو زبيد الطائي :

وخطيب إذا تمعرت الأوجهُ يوماً في ماقطٍ مشهود^(٢)

طباقاً ، يقال للبعير إذا لم يُحسِن الضراب : جملٌ عَيَاء ، وجمل طباقاً وهو هاهنا للرجل الذي لا يتجه للحجة . الحلال : الجماعات ؛ ويقال حتى حلالاً إذا كانوا متجاورين مقيمين^(٣) . والعطر هنا : العرس^(٤) . الماقط : الموضع الضيق ، والماقط : الموضع الذي يُقتل فيه . وقال نافع بن خليفة العنوي :
 ١٠ وحُصِمَ لَدَى بابِ الأمير كأنهم قُرومٌ فشنا فيها الزوائر والهذر
 دَلَفْتُ لهم دُونَ المُنَى بِلَمَةٍ من الدَّر في أعقاب جَوهرها شذر^(٥)
 إذا القومُ قالوا أَدِنَ منها وجدُّها مُطَبَّقةً يهماء ليس لها خَصَرُ
 القُروم : الجِمالُ المصاعب . الزوائر : الذين يَزْثرون^(٦) . والهذر : صوته عند هَيْجِه ، ويقال له الهدير . دلفت ، أى نهضت نهوضاً رُويدا . والدَّليف :
 ١٥

(١) أنشده في اللسان (طبق ٨٣) . وقد سبق نظيره في ١١٠ س ٢ .

(٢) البيت من قصيدة طويلة في جمهرة أشعار العرب ١٣٨ - ١٤١ . تمعرت بالعين المهملة . تغيرت وعلتها صفرة .

(٣) حلال : جمع حلة ؛ بالكسر ، وهم القوم النزول وفيهم كثرة .

(٤) فيما عدل ، هـ : الحرس ، تحريف .

(٥) عنى باللمة : القصيدة أو الخطبة .

(٦) فيما عدل ، هـ : يزأرون ، وكلاهما صواب ، يقال زأر يزأر ويَزْثُر .

المشيُّ الرَّوَيْدُ ^(١) . قوله أذِنَ منها ، أى قلَّلها واختَصَرها . وجدَّتها مُطَبِّقَةٌ ، أى قد طَبَّقَتْهم بالحُجَّة . واليَهْمَاءُ : الأرض التى لا يُهْتَدَى فيها لطريق . وبهَاء ١٠ هاهنا ، يعنى التى لا يُهْتَدَى إليها ويضِلُّ الخصومُ عِنْدَهَا ؛ [والأَيْهَمُ من الرجال : الحائِثُ الذى لا يهْتَدَى لشيءٍ . وأَرْضُ يَهْمَاءَ ، إذا لم يكن فيها علامة ^(٢)] .

وقال الأَسْلَعُ بن قِصَافِ الطُّهَوِيِّ ^(٣) :

فِدَاءٌ لِقَوْمِي كُلِّ مَعْشَرٍ جَارِمٍ طَرِيدٌ وَمُخْذُولٌ بِمَا جَرَّ مُسْلِمٌ ^(٤)
 هُمُ أَفْحَمُوا الْحَصْمَ الَّذِي يَسْتَقِيدُنِي وَهُمْ فَصَمُوا حِجْلِي وَهُمْ حَقَنُوا دَمِي ^(٥)
 بِأَيْدٍ يُفَرِّجْنَ الْمَضِيقَ وَالسِّنَّ سِلَاطٍ وَجَمْعٌ ذِي زُهَاءٍ عَرْمَرَمٍ
 إِذَا شِئَتْ لَمْ تَقْدَمْ لَدَى الْبَابِ مِنْهُمْ جَمِيلَ الْمُحْيَا وَاضِحاً غَيْرَ تَوَامٍ

الرُّهَاءُ : الكثرة ، هاهنا . والعَرْمَرَمُ من العَرَمَةِ ، وهى الشَّرَاسَةُ والشَّدَّةُ ^(٦) . ١٠
 التَّوَامَانُ : الْأَخَوَانِ المُولَدَانِ فى بطنٍ .

وقال التَّمِيمِيُّ فى ذلك :

أما رأيت الأَلْسُنَ السُّلَاطَا إن التَّنْدَى حيث ترى الضُّغَاطَا ^(٧)
 * وَالْجَاهَ وَالْإِقْدَامَ وَالنَّشَاطَا *

١٥ (١) بدل هذه العبارة فيما عدل : « دلفت : دنوت » .

(٢) هذه مما عدل .

(٣) فى الأصل : « الأَسْلَعُ بن قُطَاف » . صوابه من المُؤْتَلَفِ ٤٤ ونوادِرُ أُمِّ زَيْدٍ ١٩٩ . وقِصَافٌ ، ككتابٍ ، من أَسْمَائِهِمْ .

(٤) جر ، أى جَنَى جَنَايَةٍ . والمُسْلِمُ : الذى أسلمه قومه .

(٥) يستقيده : يطلب القود منه . فصموا : كسروا . فيما عدل : « قصموا » بالقاف .

٢٠ وحجلا القيد : حلقتاه .

(٦) فى اللسان : « وجيش عرمم : كثير ، وقيل هو الكثير من كل شيء . والعرمم : الشديد » .

(٧) التندى : الكرم . الضغاط ، بالكسر : الزحام ، وهو من القلب ، أراد : إن الزحام حيث

ترى الكرم . والبيت رواه الجاحظ فى البخلاء ٢٠٣ والحيوان (٥ : ٤٤٥) .

ذهب في البيت الأخير إلى قول الشاعر (١):

يسقط الطير حيث ينتثر الحد بٌ وتُعشى منازل الكرماء
وإلى قول الآخر :

يرفضُ عن بيت الفقير ضيوفهُ وترى الغنى يهدى لك الزوارا
وأنشدوا في المعنى الأول :

وخطيب قوم قدّموه أمامهم ثقةً به متخمطٌ تياح
جاوبتُ خطبته فظلّ كأنه لما خطبتُ مملحٌ بملاح (٢)

المتخمط : المتكبر مع غضب والتّياح : المتيح الذي يعرض في كل شيء
ويدخل فيما لا يعنيه وقوله مملحٌ بملاح ، أى متقبّض كأنه ملّح من الملح وأنشد أيضاً :
أرقتُ لضيء برق في نساوي تلاًلاً في مملأة غصاص (٣)

النساوي : السحاب الأبيض المرتفع بعضه فوق بعض ، وليس بمنبسط
تلاًلاً ، التلألؤ : البرق (٤) في سرعة . مملأة بالماء . غصاص : قد غصت بالماء
لواقع دُلج بالماء سُخم تمجّ الغيث من خلل الخصاص

الواقع : التي قد لقحت من الريح . والدُلج : الدانية الظاهرة المثقلة بالماء .
سُخم : سود . والخصاص ، هاهنا : خلل السحاب (٥) .

(١) هو بشار بن برد . والبيت في الحيوان (٥ : ٤٤٥) ، وهو من قصيدة يمدح فيها عقبة بن
سليم . وقبل البيت ، كما في الأغاني (٣ : ٤٣) :

إنما لذة الجواد ابن سلم في عطاء ومركب للقاء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو في ولكن يلد طعم العطاء

(٢) الملاح ، بالكسر : جمع ملح .

(٣) البيت مع تاليه في اللسان (نشص) .

(٤) ل : الظهور للبرق .

(٥) ورد هذا التفسير في ل بعد نهاية هذه الآيات .

سَلِ الْخُطْبَاءَ هَل سَبَّحُوا كَسَبَحِي بَحُورَ الْقَوْلِ أَوْ غَاصُوا مَغَاصِي
لساني بالنَّثِيرِ وبِالْقَوَافِي وبِالْأَسْجَاعِ أَمَّهْرُ فِي الْغَوَاصِي ^(١)
[النَّثِيرُ : الكلام المنثور . القوافي : خواتم أبيات الشعر . الأسجاع :

الكلام المزدوج على غير وزن ^(٢)] .

٥ مِنْ الْحُوتِ الذِي فِي لُجٍّ بِحْرِ مُجِيدِ الْعَوْصِ فِي لُبَجِّ الْمَعَاصِ
لِعَمْرُكَ إِنَّنِي لِأَعِيفُ نَفْسِي وَأَسْتُرُ بِالتَّكْرُمِ مِنْ خِصَاصِي ^(٣)

وَأَنْشُدَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي نَاشِبِ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :

لَنَا قَمَرُ السَّمَاءِ وَكُلُّ نَجْمٍ يُضِيءُ لَنَا إِذَا الْقَمَرَانِ غَارَا ^(٤)
وَمَنْ يَفْخَرُ بِغَيْرِ ابْنِي نِزَارٍ فَلَيْسَ بِأَوَّلِ الْخُطْبَاءِ جَارَا ^(٥)

١٠ وَأَنْشُدَ لِلْأَقْرَعِ ^(٦) :

إِنِّي أَمْرٌ لَا أَقِيلُ الْخِصَمَ عَثْرَتُهُ عِنْدَ الْأَمِيرِ إِذَا مَا خَصِمُهُ ظَلَعَا
يُنِيرُ وَجْهِي إِذَا جَدَّ الْخِصَامُ بَنَا وَوَجْهَهُ خَصِمِي تَرَاهُ الدَّهْرُ مُلْتَمَعَا ^(٧)
وَأَنْشُدَ :

١٥ تَرَاهُ بِنَصْرِي فِي الْخَفِيطَةِ وَائْتَقَا وَإِنْ صَدَّ عَنِي الْعَيْنُ مِنْهُ وَحَاجِبُهُ ^(٨)
وَإِنْ خَطَرْتُ أَيْدِيَ الْكُفَاةِ وَجَدْتَنِي نَصُورًا إِذَا مَا اسْتَيْسَسَ الرِّيْقُ عَاصِبُهُ

(١) لم أجد هذا المصدر ، وفيه شذوذ تصريفي . وقد ذكر في القاموس : « الغياص » .

(٢) هذا التفسير مما عدل ل .

(٣) الخصاص هنا بمعنى الفقر وسوء الحالة والحاجة .

(٤) القمران : الشمس والقمر ، على التغليب .

٢٠ (٥) ابنا نزار : ربيعة ومضر . فيما عدل ل : « أي نزار » . جار : ظلم

(٦) الأقرع القشيري ، وهو الأشيم بن معاذ بن سنان ، وقيل هو معاذ بن كليب بن حزن . كان

يناقض جعفر بن عتبة الخارثي اللص ، وكان في أيام هشام بن عبد الملك . المرزبانى ٣٨ .

(٧) التمع لونه ، بالبناء للمفعول : ذهب وتغير . وفي هامش ل : « خ : متنعقا » يقال انتقع لونه بالبناء

للمفعول : تغير .

٢٥ (٨) البيتان لأشرس بن بشامة الحنظلي . انظر نوادر أبي زيد ٢٠ واللسان (عصب ٩٨) .

عاصبه : يابسه ، يعتصم به ^(١) حَتَّى يُتِمَّ كَلَامَهُ . الكَمَاةُ : جمع كَمَى ؛
والكَمَى الرجل المتكَمَّى بالسلاح ، يعنى المتكفّر به المتستّر . ويقال كَمَى الرَّجُلُ ^{١١}
شهادته يَكْمِيها ، إِذَا كَتَمَهَا وَسْتَرَهَا . وقال ابنُ أَحْمَرَ وذكر الرِّيقَ والاعتصامُ به :
هذا الثَّنَاءُ وأَجِدُ أَنْ أَصَاحِبَهُ . وقد يُدَوِّمُ رِيْقَ الطَّامِعِ الأَمْلُ ^(٢)

وقال الزُّبَيْرُ بن العَوَّامِ ، وهو يُرْقِصُ عروَةَ ابنته :
أَيُّضُ مِنْ آلِ أُمِّ عَتِيقٍ مَبَارَكُ مِنْ وَلَدِ الصَّدِّيقِ
* أَلَذَّهُ كَمَا أَلَذَّ رَيْقِي *

وقالت امرأة من بنى أسد ^(٣) :

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدٍ بَعْمَرُ بْنُ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ ^(٤)
فَمَنْ كَانَ يَغْيَا بِالْجَوَابِ فَإِنَّهُ أَبُو مَعْقِلٍ لَا حَجَرَ عَنْهُ وَلَا صَدَدَ ^{١٠}
أَنَارُوا بِصَحْرَاءِ الثَّوِيَّةِ قَبْرَهُ وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَنَأَى بِهِ الْبَلَدُ
[تَنَأَى : تَبَعُدَ ^(٥)] . وَالثَّوِيَّةُ : مَوْضِعٌ بِنَاحِيَةِ الْكُوفَةِ ^(٦) . وَمَنْ قَالَ
الثَّوِيَّةُ فَهِيَ تَصْغِيرُ الثَّوِيَّةِ .

وقال أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ فِي فَضَالَةِ بْنِ كَلْدَةَ :

أَبَا ذُلَيْجَةَ مَنْ يُوصَى بِأَرْمَلَةٍ أَمْ مَنْ لِأَشْعَثَ ذِي طِمْرَيْنِ طِمْلَالٍ ^(٧) ^{١٥}
أَمْ مَنْ يَكُونُ خَطِيبَ الْقَوْمِ إِنْ حَفَلُوا لَدَى الْمُلُوكِ أُولَى كَيْدٍ وَأَقْوَالٍ ^(٨)

(١) ل : « طالبه ليعتصم به » تحريف .

(٢) انظر الحيوان (١ : ٣٢١ / ٣ : ٤٧) .

(٣) هي هند بنت معبد بن فضلة ، ترى عمرو بن مسعود وخالد بن فضلة . معجم البكري ٩٩٦ .

(٤) رواه في المخصص (١٧ : ١٥٢) : « بخيرى بنى أسد » . وفي (١٢ : ٣٠١) ذكر أن هذه ^{٢٠}

الرواية الأخيرة هي رواية أُمِّ عمرو . وهي رواية اللسان (صمد) . وانظر شروح سقط الزند ١٧١٦ .

(٥) هذه مما عدل ل .

(٦) فيما عدل ل : « موضع يقال له صحراء الثوية » .

(٧) ديوان أوس بن حجر ٢٣ . وفي ل : « من توصى » . وفيما عدل ل : « ذى هدمين » .

(٨) هذا البيت لم يرو في الديوان . ^{٢٥}

و « هدمين »^(١) ، وهما ثوبان خَلَقَان ^(٢) . يقال ثوبٌ أَهْدَامٌ ، إذا كان خَلَقًا .
وَالْطَّمْلَالُ : الفقير . وقال أيضاً فيه ^(٣) :

أَلْهَمِي عَلَى حُسْنِ آلائِهِ عَلَى الْجَائِرِ الْحَيِّ وَالْحَارِبِ ^(٤)

وَرَقَبَتِهِ حَتَمَاتِ الْمَلُوكِ لِكِ بَيْنِ السَّرَادِقِ وَالْحَاجِبِ ^(٥)

وَيَكْفِي الْمَقَالَةَ أَهْلَ الدَّحَا لِ غَيْرِ مَعِيْبٍ وَلَا عَائِبِ ^(٦)

رَقَبَتِهِ ، أى انتظاره إِذْنَ الْمَلُوكِ . وجعله بَيْنَ السَّرَادِقِ وَالْحَاجِبِ لِيُذِلَّ
عَلَى مَكَانَتِهِ مِنَ الْمَلُوكِ ^(٧) . وَأَنْشُدْ أَيْضاً :

وَحَصَمَ غَضَابٍ يُنْعِضُونَ رِعَوسَهُمْ أُولَى قَدَمٍ فِي الشَّعْبِ صُهْبٍ سِيَالُهَا ^(٨)
ضَرَبْتُ لَهُمْ إِنْطَ الشَّمَالِ فَأَصْبَحَتْ يَرُدُّ غَوَاةً آخِرِينَ نَكَالُهَا

إِنْطَ الشَّمَالِ ، يَعْنِي الْفَوَادِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ ^(٩) . وقال ١٠
شَتِيمُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ^(١٠) :

وَقُلْتُ لِسَيِّدِنَا يَا حَلِيْبُ مُمْ إِنَّكَ لَمْ تَأْسُ أَسْوَأَ رَفِيقَا ^(١١)

(١) أى ويروى : « ذى هدمين » .

(٢) فيما عدا ل : « هدمين : ثوبين خلقين » .

(٣) فيما عدا ل : « وقال أيضاً في فضالة بن كعدة » . ١٥

(٤) وهذه الأبيات الثلاثة لم ترو في ديوان أوس . الحارب : المحارب ، أو الذى يحرب للغير ماله ، يسلبه .

(٥) الحتات ، لم أجد لها إلا هنا ، فإن صحت كانت جمع حتمة ، مرة من الحتم بمعنى القضاء

وإيجابه . ثم وجدت في حواشى هـ : « حتات الملوك : أفضيتهم التى لا ترد . والحاتم : القاضى » .

(٦) الدحال : المراوغة والمخادعة . فيما عدا ل : « أهل الرجال » .

(٧) هـ : « من الملك » . ٢٠

(٨) يقال نغض رأسه ينغضه ، وأنغضه ينغضه : حركه . والصهب السبال ، كناية عن الأعداء .

وصهب السبال من خواص الروم . والصهبية : الشقرة والحمرة .

(٩) فيما عدا ل : « لأنه يكون في تلك الناحية » .

(١٠) هو شتيم بن خويلد ، أحد بنى غراب بن فزارة ، شاعر جاهلى ، وهو بهيمة التصغير ، كما

في الخزنة (٤ : ١٦٤) .

(١١) الأبيات في الحيوان (٣ : ٨٢ / ٥ : ٥١٧) ومعجم المرزبانى ٣٩٢ . والأول منها في

الأضداد لابن الأثيرى ٢٢٥ والأخير في المخصص (٢ : ٨٩) والميدانى (١ : ٥٧) والإنصاف ١٨٧ ، ٢٥

والخزنة (٢ : ٣٥٨) واللسان (١١ : ٣٨٢) .

أَعْنَتَ عِدِيًّا عَلَى شَاوِهَا تُعَادِي فَرِيقًا وَتُبْقَى فَرِيقًا
 زَحَرْتَ بِهَا لَيْلَةً كُلَّهَا فَجِئْتَ بِهَا مُؤِيدًا خَنْفَقِيهَا
 تَأْسُو : تُدَاوِي ، أَسْوَأُ وَأَسَى ، مُصْدِرَان . وَالْأَسَى : الطَّبِيب . وَمُؤِيدٌ :
 دَاهِيَةٌ . خَنْفَقِي : دَاهِيَةٌ أَيْضًا . الشَّأَوُ : الْعُلُوَّةُ لِرُكُضِ الْفَرَسِ .

وَأُنْشِدَ لَأَدَمَ مَوْلَى بَلْعَنْبَرٍ ، يَقُولُهَا لِأَنَّهُ (١) :

يَا بَأَى أَنْتَ وَيَافُوقَ الْبِسَبِّ (٢) يَا بَأَى خُصْيِكَ مِنْ خُصْيِ وَزُبِّ (٣)
 أَنْتَ الْحَيِيبُ وَكَذَا قَوْلُ الْمُحِبِّ (٤) جَنَّبَكَ اللَّهُ مَعَارِضَ الْوَصَبِ
 حَتَّى تُفِيدَ وَتُدَاوِيَ ذَا الْجَرَبِ (٥) وَذَا الْجُنُونِ مِنْ سُعَالٍ وَكَلْبٍ
 وَالْحَذَبِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ ذُو الْحَذَبِ وَتَحْمِلَ الشَّاعِرَ فِي الْيَوْمِ الْعَصَبِ
 عَلَى مَبَاهِيرِ كَثِيرَاتِ التَّعَبِ (٦) وَإِنْ أَرَادَ جِدِلُ صَغَبٍ أَرَبِ
 خُصُومَةً تَنْقُبُ أَوْسَاطَ الرُّكْبِ (٧) أَضْلَعَتْهُ مِنْ رَبِّ إِلَى رَبِّ
 حَتَّى تَرَى الْأَبْصَارَ أَمْثَالَ الشُّهُبِ يُرْمَى بِهَا أَشْوَسُ مُلْحَاحٍ كَلْبِ
 * مَجْرَبُ الشَّدَاتِ مَيْمُونٌ مَذَبٌ (٨) *

الْوَصَبُ : الْمَرَضُ . وَالْعَصَبُ : الشَّدِيدُ . يَقَالُ يَوْمٌ عَصِيبٌ وَعَصِيبٌ وَعَصِيبٌ ،
 إِذَا كَانَ شَدِيدًا . مَبَاهِيرُ : مَتَاعِيبٌ قَدْ عَلَاهُمُ الْبُهِرُ . أَرَبٌ ، يَقَالُ رَجُلٌ أَرِيبٌ ١٥

(١) الرجز التالي أنشده ابن منظور في اللسان (١٨ : ١٠ - ١١) وذكر روايته عن الجاحظ في البيان والتبيين .

(٢) أى فوق قولك : « بَأَى أَنْتَ » . ويروى : « البيب » بالتسهيل .

(٣) فيما عدل ، هـ : « خصبيك » . وفي اللسان : « خصياك » .

(٤) في اللسان : « فعل الحب » .

(٥) في حواشي هـ : « تفيد مالا » عن نسخة .

(٦) كذا جاءت الرواية ، وتفسيرها فيما بعد يقيدها . لكن في اللسان : « على نهائير »
 والنهائير : الأمور الشداد الصعبة ، واحداً منها نهيرة .

(٧) فيما عدل ، هـ : « خصومة تنقب » . والبيت لم يرو في اللسان .

(٨) في اللسان : « مجرب الشكات » .

١١١ وأرب ، وله إرب ، إذا كان عاقلاً أديباً حازماً . أطلعتُهُ ^(١) يقال ظَلَعَ الرَّجُلُ ، إذا خَمَعَ في مَشْيِهِ . الرَّيْبَةُ : واحدة الرُّبِّبِ والرَّيْبَات ، وهى الدَّرَج . أى تُخْرِجُهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ . والأشُّوس : الذى ينظر بمؤخِرِ عينه . ملحاح : مُلِحٌ ، من الإلحاح على الشَّيْء . كَلَبٌ ، أى الذى قد كَلَبَ . مَذَبٌ : أى يَذُبُّ عن حريمه وعن نفسه .

وقالت ابنة وَثِيمَةَ ، تَرثى أباهَا وَثِيمَةَ بن عثمان :

الواهب المال التَّلا دَ نَدَى ويكفينا العَظِيمَةَ ^(٢)
ويكون مِذْرَهَنَّا إذا نَزَلَتْ مَجْلَحَةٌ عَظِيمَةُ
واحمرَّ آفاق السَّما ء ولم تَقَعْ فى الأرض دِيمه
وَتَعَذَّرَ الآكُلُ ح تَى كَانَ أَحْمَدُهَا الْهَشِيمَةُ
لا ثَلَّةٌ تُرْعَى ولا إِبِلٌ ولا بَقَرٌ مُسِيمَةُ
أَفْيَيْتِهِ مَأْوَى الْأَرا مِلْ والمدْفَعَةُ الْيَتِيمَةُ
والدافعُ الْخَصْمُ الْأَلِ دَ إِذَا تُفَوِّضَ فى الْخُصُومَةِ
بِلِسَانِ لُقْمَانَ بن عا دَ وفصل حُطْبَتِهِ الْحَكِيمَةُ
أَلْجَمْتُهُمْ بعد التدا فُع والتجاذبُ فى الْحُكُومَةِ

١٥ التَّلاذُ ^(٣) : القديم من المال . والطارف : المستفاد . والمِذْرَه : لسان القوم المتكلم عنهم . مَجْلَحَةٌ ، أى داهية مصممة . احمرَّ آفاقُ السَّماء ، أى اشتدَّ البرد وقَلَّ المطر وكثُرَ القَحْطُ . ودِيمَةٌ : واحدة الدَّيَم ، وهى الأمطار الدائمة مع سكون . تعذَّر : تمتَّع . الآكُل : جمع أُكُل ، وهو مايؤكل . والهِشِيمَةُ : ما تَهَشَّم

(١) كذا جاءت بالطاء المعجمة فى التفسير والشعر قبله . ورواية اللسان : « أطلعت » .

(٢) فيما عدا ل : « لنا ويكفينا » .

(٣) وقع التفسير التالى فيما عدا ل ، هـ متخللاً للأبيات .

من الشَّجَر ، أى وقع وتكسَّر (١) . الثَّلَّة : الضَّان الكثيرة ، ولا يقال للمِعْزَى ثَلَّة ، ولكن حَيْلَةً (٢) ، فإذا اجتمعت الضَّان والمِعْزَى قيل لهما: ثَلَّة . مُسِيمةٌ ، أى صارت فى السَّوْم ودخلت فيه ، والسَّوْم : الرعى . وسامت تسوم ، أى رعت تُرعى . ومنه قول الله: ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ (٣) .

وكانت العربُ تُعْظِمُ شَأْنَ لُقْمَانَ بنِ عادٍ الأكبر والأصغر لَقِيمِ بنِ ١٤
لُقْمَانَ (٤) فى الثَّباهة والقَدْر ، وفى العلم والحُكْم ، وفى اللِّسان والجَلَم .
وهذان غيرُ لُقْمَانَ الحكيم المذكور فى القرآن (٥) على ما يقوله المفسِّرون .
ولارتفاع قَدْرِهِ وعِظَمُ شَأْنِهِ ، قال النَّمْرُ بنُ تَوَلَّب :

لُقِيمُ بنُ لُقْمَانَ من أُختِهِ فكان ابنُ أُخْتٍ له وابْنُما (٥)
لِإِلَى حَمَقٍ فاستَحْصَنَتْ عليه فَعَرَّ بها مُظْلِمًا (٦)
فَعَرَّ بها رَجُلٌ مُحْكِمٌ فجاءت به رَجُلًا مُحْكِمًا (٧)

وذلك أَنَّ أُخْتَ لُقْمَانَ قالت لامْرَأَةٍ لُقْمَانَ : إِنِّى امرَأَةٌ مُحْكِمَةٌ ، ولُقْمَانَ
رَجُلٌ مُحْكِمٌ مُنْجِبٌ ، وأنا فى لَيْلَةٍ طَهْرَى ، فَهَبْى لى لَيْلَتِكَ . ففعلتْ فبات

(١) فيما عدا ل : « ما يهشم من الشجر ، أى يكسر » .

(٢) الحيلة ، يفتح الحاء وسكون الياء المثناة التحتية . ١٥

(٣) بدل هذه العبارة الطويلة فيما عدا ل : « الثلة : ما بين الست إلى العشر من الغنم .
مسيمة : راعية » .

(٤) فى الأصول : « ولقيم بن لقمان » وقد محيت الواو فى ب فقط . ولقمان بن عاد ، هذا هو
المعمر صاحب حديث النسر . انظر أخبار عبيد بن شربة ٣٥٦ - ٣٦٧ . ٢٠ . والتيجان ٧٥ - ٧٨
والمعمرين ٣ - ٤ وثمار القلوب ٣٧٦ - ٣٧٧ والميداني (١ : ٣٩٣ - ٣٩٤) . ٢٠

(٥) لقمان الحكيم المذكور فى القرآن ، قيل كان عبداً حبشياً لرجل من بنى إسرائيل فأعتقه
وأعطاه مالا ، وكان فى زمن داود . وقيل كان حرا وكان اسمه لقمان بن باعورا ، وقيل هو ابن أخت أيوب
أو ابن خالته . انظر المعارف ٢٥ وتفسير أبى حيان (٨ : ١٨٦) .

(٦) وكذا فى الحيوان . وفى الأمثال : « لىلى حمق فما استحققت » .

(٧) الحيوان وحواشي هـ : « فأحبلها رجل محكم » وفى الأمثال : « فأحبلها رجل نابه » . ٢٥

في بيت امرأة لقمان ، فوقع عليها فأحبها بلقيس ، فلذلك قال التمر بن تolib ما قال .
والمرأة إذا ولدت الحمقى فهي مُحِمَّةٌ ، ولا يعلم ذلك حتى يرى ولدَ
زَوْجِها من غيرها أكياساً .

وقالت امرأة ذات بنات :

وما أبالي أن أكون مُحِمَّةً إذا رأيتُ حُصِيَّةً مُعَلِّقَةً (١)

وقال آخر :

أُزْرَى بِسَعْيِكَ أَنْ كُنْتُ امراً حَمِيقاً مِنْ نسل ضاويَّةِ الأعراقِ مِحمَاقٍ

ضاوية الأعراق ، أى ضعيفة الأعراق نحيفتها . يقال رجل ضاو ، وفيه
ضاويَّةٌ ، إذا كان نحيفاً قليل الجسم . وجاء في الحديث : « اغتربوا لا تُضْئُوا » .

أى لا يتزوج الرجل القرابة القريبة ، فيجىء ولده ضاويًا . والفعل منه ضَوَّى
يَضْوِي ضَوًى . والأعراق : الأصول . والمحماق : التى عادت أن تلد الحمقى .

ولبعضهم البنات قالت إحدى القوالب :

أيا سَحَابُ طَرَّقِي بخير (٢) وطَرَّقِي بِحُصِيَّةٍ وَأَيْرِ

* ولا تُرِينَا طَرَفَ البُظَيْرِ *

وقال الآخر (٣) في إنجاب الأمهات ، وهو يخاطب بنى إخوته :

عفاريتاً عَلَى وَأُخَذَ مَالِي وَعَجَزاً عَنْ أَناسي آخِرِينَا (٤)

(١) الرجز في المخصص (١٦ : ١٢٩) .

(٢) طرقت المرأة : نشب ولدها ولم يسهل خروجه ، يقال طرقت ثم خلصت . والرجز وقصته في

الحَيوان (٥ : ٥٨١) . وانظر شرح المروزق للحماسة ١٨٥١ .

(٣) هو رافع بن هرم . شاعر قديم أدرك الإسلام وأسلم . انظر الخزائن (١ : ٢٧٧) .

والأبيات الأربعة الأولى منسوبة في اللسان (كيس) إليه . وأما البيت الأخير فقد نسب في نوادر أئى
زيد ١١١ ، ١٩١ واللسان (أخا) إلى عقيل بن علفة .

(٤) فيما عدل : « وحلما عن أناس » . وفي اللسان : « وجينا عن رجال » .

- فَهَلَّا غَيْرَ عَمَّكُمْ ظَلَمْتُمْ إِذَا مَا كُنْتُمْ مُتَظَلِّمِينَ
 فَلَوْ كُنْتُمْ لَكَيْسَةٍ أَكَّاسَتْ وَكَيْسَ الْأُمِّ أَكَيْسُ لِلنِّينَا ^(١)
 وَلَكِنْ أُمُّكُمْ حَمَقَتْ فَجِئْتُمْ غِثَاءً مَا تَرَى فِيكُمْ سَمِينًا ^(٢)
 وَكَانَ لَنَا فَزَارَةُ عَمِّ سَوِيٍّ وَكُنْتُ لَهُ كَثْرُ بَنِي الْأَخِينَا ^(٣)
 ٥ وَلِبْغُضِ الْبَنَاتِ هَجَرَ أَبُو حَمْرَةَ الضُّبَى خَيْمَةَ امْرَأَتِهِ ، وَكَانَ يَقِيلُ وَيَبِيتُ عِنْدَ
 جِيرَانٍ لَهُ ، حِينَ وَلَدَتْ امْرَأَتَهُ بِنْتًا ، فَمَرَّ يَوْمًا بِجَبَائِهَا وَإِذَا هِيَ تَرْقُصُهَا وَقُولُ :
 مَا لِأُمِّي حَمْرَةَ لَا يَأْتِينَا يَظُلُّ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِينَا
 غَضَبَانِ إِلَّا نَلْدُ الْبَنِينَ تَاللَّهِ مَا ذَلِكَ فِي أَيْدِينَا
 وَإِنَّمَا نَأْخُذُ مَا أُعْطِينَا وَنَحْنُ كَالْأَرْضِ لِلزَّرَاعِينَا
 * نُبْتُ مَا قَدْ زَرَعُوهُ فِينَا ^(٤) *
- ١٠ قال : فَعَدَا الشَّيْخُ حَتَّى وَلَجَ الْبَيْتَ فَقَبَّلَ رَأْسَ امْرَأَتِهِ وَابْنَتِهَا .
 وَهَذَا الْبَابُ يَقَعُ فِي كِتَابِ الْإِنْسَانِ ^(٥) ، وَفِي فَصْلِ مَا بَيْنَ الذَّكَرِ
 وَالْأُنْثَى ، تَأْمًا ، وَلَيْسَ هَذَا الْبَابُ مِمَّا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ ^(٦) ، وَلَكِنْ
 قَدْ يَجْرِي السَّبَبُ فَيُجْرَى مَعَهُ بِقَدْرِ مَا يَكُونُ تَنْشِيطًا لِقَارِئِ الْكِتَابِ ، لِأَنَّ
 ١٥ خُرُوجَهُ مِنَ الْبَابِ إِذَا طَالَ لِبَعْضِ الْعِلْمِ ^(٧) كَانَ ذَلِكَ ^(٨) أَرْوَحَ عَلَى قَلْبِهِ ،
 وَأَزِيدَ فِي نَشَاطِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) فِي الْخَزَانَةِ : « كَيْسُ لِلنِّينَا » . وَفِي اللِّسَانِ : « يَعْرِفُ فِي الْبَنِيَا » .

(٢) هَذَا الْبَيْتُ سَاقِطٌ مِمَّا عَدَا لَ . وَقَدْ رَوَى فِي الْخَزَانَةِ عَنِ الْبَغْدَادِيِّ .

(٣) يَسْتَشْهَدُ بِهِ عَلَى أَنْ « أَخَا » يَجْمَعُ عَلَى « أَخِينِ » جَمْعُ مَذْكَرٍ سَالِمًا . وَرَوَايَةُ اللِّسَانِ :

وَكَانَ بَنُو فَزَارَةَ شَرِّ قَوْمٍ وَكُنْتُ لَهُمْ كَثْرُ بَنِي الْأَخِينَا

(٤) الْبَيْتُ الرَّابِعُ وَالسَّابِعُ لَيْسَ فِي لَ ، هـ .

(٥) فِيمَا عَدَا لَ : « فِي كِتَابِ الْإِنْسَانِ مِنْ كِتَابِ الْخَيَوَانِ » .

(٦) لَ ، هـ : « التَّبْيِينُ » مَعَ ضَبْطِهِ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ الْمَضْمُومَةِ .

(٧) فِي لَ : « لِبَعْضِ الْكَلَامِ الْعِلْمِ » .

(٨) كَانَ ذَلِكَ ، سَاقِطٌ مِنْ لَ .

وقد قال الأول ^(١) في تعظيم شأن لُقَيْم بن لقمان :

قومي اصْبَحْنِي فما صَبَّحَ الفتى حجراً لكن رَهِيْنَةً أَحْجَارٍ وَأَرْمَاسٍ
قومي اصْبَحْنِي فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو غَيْرٍ أَفْنَى لُقَيْمًا وَأَفْنَى آلِ هِرْمَاسٍ ^(٢)
اليَوْمَ خَمْرٌ وَيَبْدُو فِي غَدٍ خَبْرٌ والدَّهْرُ مِنْ بَيْنِ إِنْعَامٍ وَإِبَاسٍ
فاشْرَبْ عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مَرْتَفِعًا لا يَصْحَبُ الْهَمُّ قَرَعَ السَّنِّ بِالْكَاسِ ١١٠

وقال أبو الطَّمَحَان ^(٣) القيني في ذكر لُقمان :

إِنَّ الزَّمَانَ وَلَا تَفْنِي عَجَائِبُهُ فِيهِ تَقْطَعُ الْأَلْفَ وَأَقْرَانِ
أُمَسْتُ بَنُو الْقَيْنِ أَفْرَاقًا مَوْزَعَةً كَأَنَّهُمْ مِنْ بَقَايَا حَيٍّ لُقْمَانٍ ^(٤)
وقد ذكرت العرب هذه الأمم البائدة ، والقرون السالفة . ول بعضهم بقايا قليلة ،
وهم أشلاء في العرب متفرقون مغمورون ، مثل جُرْهُم ، وجاسم ، ووبار وعِملاق ،
وأميم ، وطسّم وجديس ، ولُقمان والهَرَمَاس ، وبنى الناصور ، وقيل بن عتر ^(٥) ،
وذى جَدَن . وقد يقال في بنى الناصور إن أصلهم من الرُّوم ، فأما ثُمُود فقد
خبر الله عز وجل عنهم فقال : ﴿ وَثُمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴾ ^(٦) ، وقال : ﴿ فَهَلْ

(١) في حواشي هـ عن الخشنى : « ذكر الحاتمي أنه لبشار » .

(٢) الهرماس ، بالكسر : نهر نصيبين ، مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ ، مسدودة بالحجارة والرصاص ، بنتها الروم فلا تغرق هذه المدينة . وبعد هذا البيت فيما عدل هذا التفسير : « اصبحيني ، الصبوح : شرب الغداة . والغبوق : شرب العشي . الروس : القبر ؛ ويقال رمست الميت وأرسته ، إذا دفنته » .

(٣) أبو الطمحنان ، بفتح الطاء والميم : هو حنظلة بن الشرق ، أحد المعمرين ، كان في الجاهلية نديما للزبير بن عبد المطلب ، وأدرك الإسلام وأسلم . الإصابة ٢٠٠٧ والخزانة (٤٢٦:٣) والمعمرين ٥٧ والمؤتلف ١٤٩ .
(٤) بنو القين بن جسر ، قبيل أئى الطمحنان . والأفراق : جمع فرق ، بالكسر ، وهو القسم من الأقسام . وفي الكتاب (: فكان كل فرق كالطود العظيم) .

(٥) فيما عدل ، هـ : « وعتر » .

(٦) فيما عدل ، هـ : « ثُمُودٌ » بدون تنوين في هذا الموضع والموضعين بعده ، وهى قراءة عاصم وحمزة ويعقوب . وقرأ باقي القراء : « وثُمُودا » بالتنوين ، كما أثبت من ل ، هـ . انظر إتحاف فضلاء البشر ٤٠٤ .
وتفسير أئى حيان (٨ : ١٦٩) . فمن صرفه ذهب به إلى الحى ، ومن لم يصرفه ذهب به إلى القبيلة . اللسان .

تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿١٠﴾ . فَأَنَا أَعْجَبُ مِنْ مُسْلِمٍ يَصَدِّقُ بِالْقُرْآنِ ، يَزْعُمُ أَنَّ قِبَائِلَ الْعَرَبِ مِنْ بَقَايَا ثَمُودَ .

وكان أبو عبيدة يتأول قوله : ﴿ وَثُمُوداً فَمَا أَبْقَى ﴾ ، أن ذلك إنما وقع على الأكثر ، وعلى الجمهور الأكبر . وهذا التأويل أخرجه من أى عبادة سوء الرأي في القوم ، وليس له أن يحجى إلى خبر عام مرسل غير مقيد ، وخبر مطلق غير مستثنى منه ، فيجعله خاصاً كالمستثنى منه . وأى شئ بقى لطاعن أو متأول بعد قوله : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ . فكيف يقول ذلك إذا كنا نحن قد نرى منهم في كل حى باقية ، معاذ الله من ذلك .

وَرَوَوْا أَنَّ الْحِجَااجَ قَالَ عَلَى الْمُنْبَرِ يَوْمًا : تَزْعُمُونَ أَنَا مِنْ بَقَايَا ثَمُودَ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَثُمُوداً فَمَا أَبْقَى ﴾ . ١٠

فأما الأمم البائدة من العجم ، مثل كنعان ويونان وأشياء ذلك ، فكثير ، ولكن العجم ليس لها عناية بحفظ [شأن ^(١)] الأموات ولا الأحياء . وقال المسيب بن علس ^(٢) ، في ذكر لقمان :

وَإِلَيْكَ أَعْمَلْتُ الْمَطِيَّةَ مِنْ سَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَنْتَ بِالْفَقْرِ ^(٣)

أَنْتَ الرَّئِيسُ إِذَا هُمْ نَزَلُوا وَتَوَاجَهُوا كَالْأَسَدِ وَالْتُمِرِ

لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتُ الْمُنُورَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ

(١) هذه مما عدل .

(٢) المسيب ، بفتح الياء المشددة . ولس ، بالتحريك . والمسيب لقب لقب به بيت قاله :

فَإِنْ سَرَكُمُ أَلَا تَوُوبُ لِقَاحِكُمْ غَرَارًا فَقُولُوا لِلْمَسِيبِ يَا الْحَقِّ

واسمه زهير بن علس . وهو خال أعشى قيس ، وكان الأعشى راوبته ، وكان يطرى شعره ويأخذ منه ، وهو

جاهل لم يدرك الإسلام . انظر الخزانة (١ : ٥٤٥ - ٥٤٦) والاشتقاق ١٩٢ والموشح ٥١ . ٢٠

(٣) الأبيات تنسب إلى الأعشى ، وإلى المسيب بن علس . ديوان الأعشى ٣٥١ . والثالث

والخامس ينسبان إلى زهير . ديوانه ٨٩ ، ٩٥ . وانظر تعليقات الميمنى على الخزانة (٣ : ٢١٦)

السلفية . وفي حواشى هـ : « كذا وقع في النسخ . وفي الجمهرة : القفر : اسم موضع . وأنشد هذا :

سفل العراق وأنت بالفقر . » .

ولأنت أجودّ بالعطاء من الـ رِيَّانٍ لما جادَ بالقَطْرِ (١)
ولأنت أشجعُ من أسامةٍ إذْ نَقَعَ الصُّرَاخُ وَلَجَ في الدُّعْرِ (٢)
ولأنت أبينُ حينَ تنطقُ من لَقمانٍ لما عَيَّى بالأمرِ

وقال لبيدُ بن ربيعةَ الجعفرى :

- وأخلفَ قسًا ليتنى ولو أننى وأعيا على لُقمانَ حُكْمَ التدبِيرِ (٣)
فإن تسألينا كيف نَحْنُ فإننا عَصافِيرُ من هذا الأنامِ المسحَّرِ (٤)
السَّحَرُ : الرِّثَّةُ (٥) . والمسحَّرُ : المعلَّلُ بالطعامِ والشَّرابِ . [والمسحَّرُ :
المخدوعُ (٦)] ، كما قال امرؤ القيس :
أرانا مُوضِعِينَ لأمرٍ غَيْبٍ ونُسحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرابِ (٧)
[أى نُعلَّلُ . فكأنا نخدع ونسحر بالطعام والشَّرابِ (٨)] .

وقال الفرزدق :

- (١) الريان ، عنى به السحاب الممتع . ح فقط : « الرياب » .
(٢) نَقَعَ الصراخ : ارتفع . قال لبيد :
فمتى ينقع صراخ صادق يجلبها ذات جرس وزجل
(٣) البيتان في ديوان لبيد طبع ١٨٨٠ . قس ، هو ابن ساعدة الإيادى . أى أخلف قسا ما تمناه
بقوله ليتنى ، ولو أننى . لم يظفر بما عنى . وأما لقمان فلم تغن عنه حكمته وتدبره شيئا . ويروى :
« وأخلفن قسا » يعود الضمير على « بنات الدهر » في بيت سابق . وهو :
وأفنى بنات الدهر أريابَ ناعط بمستمع دون السماء ومنظر
(٤) عَصافِيرُ ، أى صغار ضعاف مثلها . انظر الحيوان (٥ : ٢٢٩ / ٧ : ٦٣) . وقد نسب
هذا البيت في أمالي المرتضى (٣ : ٣٧) إلى أمية بن أبى الصلت .
(٥) في الحيوان عند إنشاد البيت : « وقال قوم : المسحر يعنى كل ذى سحر ، يذهب إلى الرِّثَّة » .
(٦) هذه مما عدل .
(٧) البيت في ديوان امرؤ القيس ١٣٢ واللسان (٦ : ١٢) . الإيضاع : ضرب من السير
السريع . وفى الديوان : « لحتم غيب » .
(٨) هذه مما عدل . وقد فسر السحر في البيت بأنه الغذاء ، كما فى اللسان وشرح الديوان .

لئن حَوَمَتِي هَابَتْ مَعْدٌ حِيَاضُهَا لقد كان لقمان بنُ عادٍ يهابُها ^(١)
وقال الآخر ^(٢) :

إذا ما مات مَيَتْ من تميم فسرك أن يعيش فجىء بزاز
بخبز أو بلحم أو بتمر أو الشيء الملقف في البجاد ^(٣)
تراه يطوف الآفاق حرصاً ليأكل رأس لقمان بن عادٍ ^(٤)
وقال أفنون التغلبي :

لو أننى كنتُ من عادٍ ومن إرم ربيتُ فيهم ولقمانٍ وذى جدنٍ ^(٥)
وقال الآخر ^(٦) :

ما لذة العيش والفتى للـ لدهرٍ والدهرُ ذو فنونٍ
أهلك طسماً وقبل طسيم أهلك عاداً وذا جُدونٍ
وأهل جاسٍ ومأربٍ بعد دحى لقمان والتقون ^(٧)

(١) وكذا جاءت الرواية في الديوان ٦٩ . وفيما عدا ل : « صانت معد » .

(٢) وهو يزيد بن الصق الكلابي كما في معجم المرزبانى ٤٩٤ وكتابات الجرجاني ٧٣ والاعتضاب ٣٨٨ . أو أبو مهوش الفقعسي ، كما في حواشي الكامل ٩٨ ليسك . ولأبيات خير فيما عدا الأول ، وكذا في العقد (٢ : ٤٦٢ تأليف) وأخبار الطراف ٢٤ .

(٣) الشيء الملقف في البجاد ، هو وطب اللبن ، يلف فيه ليحمى ويدرك . والبجاد ، بالكسر : الكساء . انظر اللسان والمقاييس (مجد) والحيوان (٣ : ٦٧) .

(٤) في ثمار القلوب للثعالى ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر ، كذلك تصف رأسه بالعظم وتضرب به المثل » . وأنشد البيت . ومثل هذا الكلام لابن السيد في الاعتضاب ٤٩ . وزاد : « كما يقال لمن يزهى بما فعل ، ويفخر بما أدركه : كأنه قد جاء برأس خاقان » .

(٥) سبق البيت في أبيات ص ٩ .

(٦) هو سليمان بن ربيعة بن دباب بن عامر بن ثعلبة ، كما في اللسان (تقن) . وفي الحماسة (٢ : ١٢) ومعجم ما استعجم (١ : ٣٥٨) أنه « سلمى بن ربيعة » . يختلف في اسمه يقال « سلمان » و « سلمى » بفتح السين والميم ، و « سلمى » بضم السين وسكون اللام ، كالمنسوب .

(٧) جاس ، وردت بالسين المهملة في ل ، هـ والتميمورية . وهو موضع ذكره ياقوت ، لكن في معجم ما استعجم : « جاش » ، قال : « بالعين تلقاء مأرب » . وأنشد البيت =

وَالْيُسْرَ لِلْعُسْرِ ، وَالتَّغْنَى لِلْفَقْرِ ، وَالْحَيُّ لِلْمُنُونِ ^(١)

- قال : وهم وإن كانوا يحبون البيان والطلاقة ، والتَّحْبِيرَ والبلاغة ، والتَّخْلُصَ والرَّشَاقَةَ ، فَإِنَّهُمْ كانوا يكرهون السَّلاطَةَ والهُذَرَ ، والتَّكْلُفَ ، والإِسْهَابَ والإِكْثَارَ ؛ لما في ذلك من التَّزْيِيدِ والمِباهاةِ ، واتباع الهوى ، والمنافسة في الغلو ^(٢) .
- وكانوا يكرهون الفُضُولَ في البلاغة ، لأنَّ ذلك يدعُو إلى السَّلاطَةِ ، والسَّلاطَةُ تدعو إلى البذاء ^(٣) . وكلُّ مِرَاءٍ في الأرض فَإِنَّمَا هو من نِتاجِ الفُضُولِ .
- وَمَنْ حَصَلَ كلامه ومِيزَه ، وحاسب نفسه ، وخاف الإثمَ والذمَّ ، أشفق من الضراوة وسوء العادة ، وخاف ثَمَرَةَ العُجْبِ وهُجْنَةَ النَفَجِ ^(٤) ، وما في حُبِّ السُّمْعَةِ من الفِتْنَةِ ، وما في الرِّياءِ من مِجانِبَةِ الإخلاصِ .
- ولقد دعا عِبَادَةَ بَنِ الصَّامِتِ ^(٥) بالطعام ، بكلامٍ تَرَكَ فيه المحاسنة ^(٦) ، فقال شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ ^(٧) : إِنَّهُ قد تَرَكَ فِيهِ المحاسنة ^(٨) ، فاسترجع ثم قال : « ما تَكَلَّمْتُ

- = وَأَهْلُ جَاشٍ وَأَهْلُ مَأْرِبٍ وَحَى لَقِمَانُ وَالتَّقُونُ
وكذا أنشدَه أَبُو تمام « جاش » بدون همز . وروى في اللسان (جاش) قول السليك :
- أَمَعْتَلَى رَبِّ الْمُنُونِ وَلَمْ أَرَعْ عَصَافِيرَ وَادٍ بَيْنَ جَاشٍ وَمَأْرِبٍ
- وفي سائر النسخ : « جاسم » . وأما التقون ، بضم التاء ، فهم بنو تقن بن عاد ، بكسر التاء ، منهم عمرو بن تقن ، وكعب بن تقن . وبه يضرب المثل : « أرمى من ابن تقن » . هـ : « ومأرب وحى لقمان » .
- (١) التغنى : الغنى ، كالتغاني والاعتناء . الحماسة واللسان : « والغنى كالعلم » .
- (٢) فيما عدل : « في الغلو والقدر » .
- (٣) ل : « البلاء » .
- (٤) النفع : أن يفخر بما ليس عنده . فيما عدل ، هـ : « القبح » تحريف .
- (٥) أبو الوليد عبادَةَ بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي ، شهد بلرا ، وكان أحد التَّجْبَاءِ بالعقبة ، كان قوياً في دين الله ، قائماً بالأمر بالمعروف . توفي بالرملة سنة ٣٤ . الإصابة ٤٤٨٨ وتهذيب التهذيب .
- (٦) فيما عدل : « ظن أن ترك فيه المحاسنة » وفيه إقحام وتحريف .
- (٧) في الأصول : « أوس بن شداد » تحريف ، وفي حواشي هـ للخشني : « صوابه شداد بن أوس » .
- وهو شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي ، ابن أخى حسان . وفيه يقول عبادَةُ بن الصامت : « شداد بن أوس من الذين أوتوا العلم والحلم » . الإصابة ٢٨٤٢ . وقد روى الجاحظ خطبة له في الجزء الثالث من البيان .
- (٨) فيما عدل : « المحاسنة » تحريف .

- بكلمة منذ بايعت رسول الله ﷺ إلا مزمومة مخطوطة .
- قال : وروى (١) حماد بن سلمة ، عن أبي حمزة (٢) ، عن إبراهيم (٣)
- قال : « إنما يهلك الناس في فضول الكلام ، وفضول المال » .
- وقال (٤) : « دع المعاذير ، فإن أكثرها مفاجر » . وإنما صارت المعاذير
- كذلك لأنها داعية إلى التخلص بكل شيء .
- وقال سلام بن أبي مطيع (٥) : قال لي أيوب (٦) : « أياك وحفظ الحديث » . خوفاً عليه من العُجب .
- وقال إبراهيم النخعي : « دع الاعتذار ؛ فإنه يخالط الكذب (٧) » .
- قالوا : ونظر شاب وهو في دار ابن سيرين إلى فرش (٨) في داره ، فقال :
- ما بأل تلك الآجرة أرفع من الآجرة الأخرى ؟ فقال ابن سيرين : « يا ابن أخي إن فضول النظر تدعو إلى فضول القول » .

(١) فيما عدل : « ورووا عن » .

(٢) أبو حمزة هذا ، هو ميمون الأعور القصاب الكوفي ، روى عن سعيد بن المسيب والشعبي وإبراهيم النخعي ، وعنه منصور بن المعتمر والثوري . تهذيب التهذيب وصفه الصفوة (٣ : ٤٨) في ترجمة إبراهيم النخعي . ١٥

(٣) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي الفقيه ، روى عن مسروق وعلقمة وشرح ، وروى عنه الأعمش ومنصور وحماد بن سليمان ، ولد سنة ٥٠ وتوفي سنة ٩٦ . التهذيب وصفه الصفوة (٣ : ٤٧) . وفي عيون الأخبار (١ : ٢٣٠) : « وحمل الناس عن إبراهيم النخعي وهو ابن ثمان عشرة سنة » ونحوه في المعارف ٢٠٤ .

(٤) ل : « وقالوا » . ٢٠

(٥) فيما عدل : « سلام بن مطيع » .

(٦) هو أبو بكر أيوب بن أبي تيمية كيسان السخيتاني البصري ، روى عن نافع وعطاء وعكرمة والأعرج وغيرهم ، وروى عنه الأعمش وقتادة وخلق كثير ، وكان حجة أهل البصرة ، وله أقوال كريمة في صفة الصفوة (٣ : ٢١٢ - ٢١٧) . وانظر تهذيب التهذيب .

(٧) في عيون الأخبار (٣ : ١٠١) : « اعتذر رجل إلى إبراهيم فقال له : قد عذرتك غير معتذر من المعاذير يشوبها الكذب » . ٢٥

(٨) المراد بالفرش هنا أن قد بلطت الأرض وفرشت . وفي اللسان : « فرش فلان داره ، إذا بلطها . قال أبو منصور : كذلك إذا بسط فيها الآجر والصفيح فقد فرشها . وتفرش الدار : تلبطها » .

- وزعم إبراهيم بن السندی قال: أخبرني من سمع عيسى بن علي^(١) يقول:
- « فضول النظر من فضول الخواطر ، وفضول النظر تدعو إلى فضول القول ، وفضول القول تدعو إلى فضول العمل ؛ ومن تعود فضول الكلام ثم تدارك استصلاح لسانه ، خرج إلى استكراه القول ، وإن أبطأ أخرجه إبطاؤه إلى أقبح من الفضول . »
- قال أبو عمرو بن العلاء : أنكح ضرار بن عمرو الضبي ابنته معبد بن زرارة ، فلما أخرجها إليه قال لها : « يا بنية أمسكي عليك الفضلين » .
- قالت : وما الفضلان ؟ قال : فضل العُلَمة ، وفضل الكلام .
- وضرار بن عمرو ، هو الذي قال : « من سرّه بنوه ساءتة نفسه ^(٢) » .
- وهو الذي لما قال له المنذر : « كيف تخلّصت يوم كذا وكذا ، وما الذي نجاك ؟ قال : « تأخير الأجل ، وإكراهي نفسي على المَقِّ الطوال » .
- المَقَّاء : المرأة الطويلة . والمَقِّ : جماعة النساء الطوال . والمَقِّ أيضاً : الخيل الطوال .
- وكان إخوته قد استشألوه حتى ركب فرسه ورفع عقيرته بعكاظ ، فقال :
- « ألا إن خير حائل أم ^(٣) فزوجوا الأمهات » . وذلك أنه صرّح بين القنا ، فأشبل عليه إخوته لأُمّه حتى أنقذوه ^(٤) .

١٥

- (١) هو عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس ، عم السفاح والمنصور ، وكان ابن المقفع يكتب له ، وقد أمره بعمل نسخة الأمان لأخيه عبد الله الخارج على المنصور ، وهو الذي أرسل ابن المقفع إلى سفيان بن معاوية فغدر هذا به ، وقطعه عضواً عضواً وألفاء في التنور . وكان المنصور يجل عيسى ويعظمه في مجلسه . انظر الجهشيارى ١٠٣ - ١٠٧ . ومات في خلافة المهدي . المعارف ١٦٣ .
- (٢) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٦) . وفي عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) : « رأى ضرار بن عمرو الضبي له ثلاثة عشر ذكراً قد بلغوا ، فقال ... » .
- (٣) الحائل : التي لم تحمل .
- (٤) أشبل عليه : عطف عليه وأعانه . حد : « فأنشبل » تحريف . وبعد هذه الكلمة في ل : « أى عطف » . ب : « إخوته وأمه » : ل : « فأنقذوه » .

٢٠

باب في الصمت

قال : وكان أعرابى يجالس الشعبي^(١) فيطيل الصمت ، فسئل عن طول صمته فقال : « أسمع فأعلم ، وأسكت فأسلم » .

وقالوا : « لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب » .

وقالوا : مقتل الرجل بين لحيته وفكيه » .

وأخذ أبو بكر الصديق ، رحمه الله ، بطرف لسانه وقال : « هذا الذى أوردنى الموارد » .

وقالوا : ليس شئ أحق بطول سجن من لسان .

وقالوا : اللسان سبع عقور .

وقال النبي عليه السلام : « وهل يكب الناس على مناخرهم في نار

جهنم إلا حصائد ألسنتهم » . ١٠

وقال ابن الأعرابي ، عن بعض أشياخه : تكلم رجل عند النبي عليه السلام

فخطل في كلامه ، فقال النبي ﷺ : « ما أعطى العبد شراً من طلاقة اللسان » .

وقال العائشي^(٢) ، وخالد بن خدّاش^(٣) : حدثنا مهدي بن ميمون^(٤) ، عن

(١) الشعبي ، هو عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبي الحميري ، ونسبته إلى « شعب » بالفتح :

بطن بن همدان . كان من كبار الحفاظ ، واستقضاه عمر بن عبد العزيز . ولد بالكوفة سنة ١٩ وتوفى سنة ١٥

١٠٣ تذكرة الحفاظ (١ : ٧٤ - ٨٢) وتهذيب التهذيب (٥ : ٦٥) وصفة الصفوة (٣ : ٤٠) .

(٢) هو عبيد الله بن محمد بن حفص ، المعروف بابن عائشة . والعائشي ، تقدمت ترجمته في

ص ١٠٢ .

(٣) هو خالد بن خدّاش بن عجلان الأزدي المهلبى البصرى ، كان ثقة صدوقا . توفى سنة

٢٢٤ . تاريخ بغداد ٤٤٠٥ وتهذيب التهذيب . ٢٠

(٤) هو مهدي بن ميمون الأزدي المعول أبو يحيى البصرى ، أحد الرواة الثقات . توفى سنة

١٧١ . تهذيب التهذيب .

غيلان بن جرير ^(١) ، عن مطرف بن عبد الله بن الشَّحِير ، عن أبيه قال :
 قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَفْدٍ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْتَ سَيِّدُنَا ، وَأَنْتَ
 ١٢ أَطْوَلُنَا عَلَيْنَا طَوْلًا ^(٢) ، وَأَنْتَ الْجَفْنَةُ الْغَرَاءُ ^(٣) . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَيُّهَا
 النَّاسُ ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَفْزِنَكُمُ الشَّيْطَانُ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » .

قال : وقال خالد بن عبد الله القسريّ ، لعمر بن عبد العزيز : من كانت
 الخلافة زانته فقد زينتها ، ومن [كانت ^(٤)] شرفته فقد شرفتها . فأنت كما
 قال الشاعر :

وَنَزِيدُنِ أَطْيَبَ الطَّيْبِ طَيِّبًا أَنْ تَمَسِّيهِ أَيْنَ مَثْلُكَ أَيْنَا
 وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنٍ وَجُوهٍ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَيْنَا

فقال عمر : إِنَّ صَاحِبَكُمْ أُعْطِيَ مَقُولًا ، وَلَمْ يُعْطَ مَعْقُولًا . ١٠

وقال الشاعر :

لَسَائِكَ مَعْسُولٌ وَتَفْسُكَ شَحَّةٌ وَذُونُ الثُّرَيَّا مِنْ صَدِيقِكَ مَالِكَا ^(٥)

وأخبرنا ^(٦) بإسناده له ، أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِبْنِ عُمَرَ : ادْعُ اللَّهَ لَنَا بَدْعَوَاتٍ . فَقَالَ :

(١) هو غيلان بن جرير المعولّي البصري ، نسبة إلى « مَعْوَلَة » بطن من الأزد . روى عن أنس ومطرف

والشعبي ، وروى عنه مهدي بن ميمون وشعبة . توفي سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب وأنساب السمعاني ٥٣٨ . ١٥

(٢) الطول ، بالفتح : الفضل .

(٣) في اللسان (جفن) : « كانت العرب تدعو السيد المطعام جَفْنَةً ؛ لِأَنَّهُ يَضَعُهَا وَيَطْعَمُ

الناس فيها ، فَسُمِّيَ بِاسْمِهَا . والغراء : البيضاء ، أَيْ إِنَّمَا مَمْلُوءَةٌ بِالشَّحْمِ وَالذَّهْنِ » .

(٤) التكملة من عيون الأخبار (١ : ٩٣) حيث الخبر .

(٥) الشحّة ، بفتح الشين : الشحيرة . والبيت في الحيوان (٥ : ٤٣٠) . وأنشدته في اللسان ٢٠

(شحح) مع قرين بعده ، وهو :

وَأَنْتَ أَمْرٌ خَلَطَ إِذَا هِيَ أُرْسِلَتْ يَمِينُكَ شَيْئًا أَمْسَكَتَهُ شَمَالُكَ

(٦) يعني ابن الأعرابي ، كما في حواشي هـ .

« اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا » . فقالوا : لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن . قال :
نعوذ بالله من الإسهاب .

وقال أبو الأسود الدؤلى ، فى ذكر الإسهاب ، يقولها فى الحارث بن
عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة ^(١) ، والحارث هو القُبَاع ، وكان خطيباً من
وُجوه قريش ورجالهم . وإِنَّمَا سَمِيَ الْقُبَاعُ لِأَنَّهُ أَتَى بِمِثْل ^(٢) لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ،
فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الْمِثْلَ لَقُبَاعٌ ! فَسَمِيَ بِهِ . وَالْقُبَاعُ : الْوَاسِعُ الرَّأْسِ الْقَصِيرُ .
وقال الفرزدق فيه لجرير ^(٣) :

وَقَبْلَكَ مَا أَعْيَيْتُ كَاسِرَ عَيْنِهِ زِيَاداً فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى حِبَائِلِهِ
فَأَقْسَمْتُ لَا آتِيهِ سَعِينَ حِجَّةً وَلَوْ كُسِرَتْ عُنُقُ الْقُبَاعِ وَكَاهَلُهُ ^(٤)

وقال أبو الأسود :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جُزَيْتَ خَيْراً أَرِحْنَا مِنْ قُبَاعِ بَنَى الْمُغِيرَةَ
بَلُونَاهُ وَلُئْمَنَاهُ فَأَعْيَا عَلَيْنَا مَا يُمِرُّ لَنَا مَرِيرَةٌ ^(٥)
عَلَى أَنَّ الْفَتَى نِكْحٌ أَكُولٌ وَمِسْهَابٌ مَذَاهِبُهُ كَثِيرَةٌ

وقال الشاعر ^(٦) :

(١) ويقال فيه أيضاً الحارث بن عياش بن أبى ربيعة ، وأبو ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم .
وكان الحارث أحد ولادة البصرة ، استعمله عليها ابن الزبير ، روى عن عمر وعائشة وحفصة وأم سلمة ، وروى عنه
سعيد بن جبير والشعبي والزهرى . تهذيب التهذيب ، والإصابة ٢٠٣٩ . وانظر ما سبق فى حواشى ١٣٠ .
(٢) المِثْل : زَنْبِيلٌ كَبِيرٌ يَسَعُ خَمْسَةَ عَشَرَ صَاعاً .

(٣) هذا الإنشاد هو فيما عدل ، ه متأخر عن قول أبى الأسود التالى .

(٤) فى الديوان ٧٣٩ : « سبعين حجة » .

(٥) المَرِيرَةُ : الْحَبْلُ الطَوِيلُ الدَّقِيقُ ، وَإِمْرَارُ الْحَبْلِ : إِحْكَامُ فَتْلِهِ . عَنِ أَنَّهُ لَا يَمْضِي أَمْرًا .

(٦) هو الفضل بن عبد الرحمن القرشى ، يقوله لابنه القاسم بن الفضل . الخزانة (١ : ٤٦٥) .

إِيَّاكَ إِيَّاكَ المراءَ فإنه إلى الشر دعَاءٌ وللصَّرم جالبٌ (١)
وقال أبو العتاهية :

والصمت أجملُ بالفتى من منطقٍ في غيرِ حِينِهِ (٢)
كلُّ امرئٍ في نفسهِ أعلى وأشرفُ من قرينه

وكان سهلُ بنُ هارونَ يقولُ : « سياسةُ البلاغةِ أشدُّ من البلاغةِ ، كما أنَّ التَّوقىَ على الدَّواءِ أشدُّ من الدَّواءِ » .

وكانوا يأمرُون بالتَّبيين والتَّثبت ، وبالتحرز من زَلَلِ الكلام ، ومن زَلَلِ الرَّأى ، ومن الرَّأى الدَّبرى . والرأى الدَّبرىُّ هو الذى يَعْرِضُ من الصَّوابِ بعد مُضَى الرَّأى الأوَّلِ وقَوِّتِ استدراكه .

وكانوا يأمرُون بالتَّحَلُّمِ والتَّعلُّمِ ، وبالتقدُّمِ فى ذلك أشدَّ التَّقدُّمِ . ١٠

وقال الأحنفُ : قال عمر بن الخطاب : « تفقَّهوا قَبْلَ أن تُسودوا » .

وكان يقولُ رحمه الله : « السُّودُ مع السُّود (٣) » .

وأنشدوا لكثيرِ عَزَّة :

وفى الحِلْمِ والإسلامِ للمرءِ وازعٌ وفى تركِ طاعاتِ القُوادِ المتيِّمِ
بصائرُ رُشدٍ للفتى مستبينةٌ وأخلاقُ صِدْقٍ عِلْمُها بالتَّعلُّمِ ١٥

الوازعُ : الناهى ؛ والوزعةُ : جمع وازع ، وهم الناهون والكافون .

وقال الأفوه الأودى :

أضحَّتْ قُرِينَةُ قَدْ تَغَيَّرَ بِشْرُهَا وَتَجَهَّمَتْ يَتَحَيَّةُ الْقَوْمِ الْعِدَا

(١) يستشهد به النحويون على حذف الواو قبل « المراء » . انظر الخزانة وسيبويه (١ : ١٤١) .

ويروى : « فإياك » و « للشر جالب » . المراء : المجادلة . الصرم : القطيعة . ٢٠

(٢) ل : « زين للفتى » . والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٣) فى حواشئ هـ : « يريد مع الشباب إذا كان الشعر أسود ، لأنه يمكنه فى ذلك الوقت أن

يدرك ما يسود به فى طلب علم أو فروسة ، فإذا جاز حد الشباب لم يمكنه » .

أَلَوْتُ بِإِصْبَعِهَا وَقَالَتْ إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِمَّا لَا تَرَى مَا قَدْ تَرَى ^(١)
وَأَنْشُد :

أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَأَنْتَ عَنْ غَيْبِهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ ^(٢)
فَهَنَّاكَ تُعَذِّرُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ

قالوا : وكان الأحنف بن قيس أشدَّ الناس سلطاناً على نفسه .

وقالوا : وكان الحسن أترك النَّاسِ لما نُهِى عنه . وقال الآخر :

لا تعذراني في الإساءة إِنَّهُ شِرَارُ الرِّجَالِ مَنْ يُسِيءُ فَيُعَذِّرُ ^(٣)

وقال الكُميت بن زيد الأسدي :

وَلَمْ يُقَلِّ بَعْدَ زَلَّةٍ لَهُمْ عُدُّوا الْمَعَاذِيرَ إِنَّمَا حَسِبُوا ^(٤)

وَأَنْشُدُنِي مُحَمَّدَ بْنَ يَسِيرٍ ، لِلأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدٍ ^(٥) :

قَامَتْ تَخَاصُرُنِي بِقُنَّتَيْهَا خَوْدٌ تَأْطُرُ غَادَةً بِكُرٍ
كُلٌّ يَرَى أَنَّ الشَّبَابَ لَهُ فِي كُلِّ مُبْلِغٍ لَذَّةٌ عُذْرُ

تَخَاصُرُنِي : آخُذُ بِيَدِهَا وَتَأْخُذُ بِيَدِي . وَالْقَنَّةُ : الْمَوْضِعُ الْغَلِيظُ مِنَ الْأَرْضِ
فِي صَلَابَةٍ . وَالْخَوْدُ : الْحَسَنَةُ الْخَلْقُ . تَأْطُرُ : تَتَشَتَّى . وَالْغَادَةُ : النَّاعِمَةُ اللَّيْنَةُ .

وقال جريرٌ فِي قَوْتِ الرَّأْيِ :

وَلَا يَتَّقُونَ الشَّرَّ حَتَّى يُصِيبَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدْبِيرًا ^(٦)

(١) البيتان لم يرويا في ديوانه المخطوط .

(٢) البيتان من قصيدة لأبي الأسود الدؤلي في شرح شواهد المغنى ١٩٤ . ومنها :

يَأْيَاهَا الرَّجُلُ الْمَعْلَمُ غَيِّوْ هَلَا لَغَيْرِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ

٢٠ ويروى بعضها للمتوكل اللبني . انظر حماسة البحري ١٧٣ .

(٣) البيت في الحيوان (٣ : ١١١ ، ٤٨٢ / ٧ : ٢٦٠) .

(٤) أى عقولهم الصحيحة لا تدعهم يخطئون ويزلون ، لأنهم يفتنون للأمر قبل وقوعه ، ويصدق

في ذلك ظنهم . انظر الهاشميات ٦٣ والحيوان (٣ : ٤٨٢) .

(٥) فيما عدل : « وَأَنْشُدُ الْأَحْوَصَ بْنَ مُحَمَّدٍ » تحريف .

(٦) في الديوان ٢٤٦ :

قال : ومدح التابغة ناساً بخلاف هذه الصفة ، فقال :
 ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب
 لازب ولازم ، واحد ، واللازب في مكان آخر : اليابس . قال الله عز
 وجل : ﴿ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ . واللزبات : السنون الجذبة .
 وأنشد :

هفا هفوة كانت من المرء بدعة وما مثله من مثلها بسليم
 فإن يك أخطا في أخيكم فربما أصاب التي فيها صلاح تميم
 قال : وقال قائل عند يزيد بن عمر بن هبيرة ^(١) : والله ما أئني ^(٢) الحارث
 ابن شرح بيوم خير قط . قال : فقال الترجمان بن هريم : « إلا يكن أئني بيوم خير
 فقد أئني بيوم شر » . ذهب الترجمان بن هريم إلى مثل معنى قول الشاعر :
 وما خلقت بنو زمان إلا أخيراً بعد خلق الناس طراً ^(٣)
 وما فعلت بنو زمان خيراً ولا فعلت بنو زمان شراً

* * *

ومن هذا الجنس من الأحاديث ، وهو يدخل في باب المُلح ، قال الأصمعي :
 « وصلت بالعلم ، ونلت بالملح ^(٤) » .

- = لقد كنت يا ابن القين ذا خيرة بكم وعوف أبو قيس بكم كان أخيراً
 فلا تتقون الشر حتى يصيبكم ولا تعرفون الأمر إلا تدبراً
- (١) يزيد بن عمر بن هبيرة : قائد من قواد الأمويين ، ولي قنسرين للوليد بن يزيد ، ثم جمعت له ولاية
 العراق في أيام مروان بن محمد ، ثم لما ظهر أمر العباسيين أرسل السفاح أخاه المنصور لحربه ، فأعياده أمره ، ثم بعث
 إليه السفاح من قتله بقصر واسط سنة ٣٢ هـ ما بين خلكان . وكان جواداً نبيلاً جميل المرأة عظيم الخطر . المعارف ١٧٩ .
- (٢) فيما عدل ، هـ : « أتاني » تحريف . والخبر في الحيوان (٢ : ٨٧) .
- (٣) زمان ، بكسر أوله وتشديد الميم ، اسم لعدة قبائل من العرب : زمان بن مالك بن صعيب بن
 بكر وائل ، وزمان بن مالك بن جديلة ، وزمان بن تيم الله ، والأولى أعرفهن . انظر المعارف ٤٧ - ٤٨
 ومختلف القبائل ومؤلفها ٣٦ - ٣٧ .
- (٤) في حواشي هـ : يريد وصلت به إلى المراتب عند الملوك .

وقال رجلٌ مرَّةً ^(١) : « أَيْ الذِي قَادَ الْجُيُوشَ ، وَفَتَحَ الْفُتُوحَ ، وَخَرَجَ عَلَى ٣
الْمُلُوكِ ، وَاعْتَصَبَ الْمَنَابِرَ » . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ . لَا جَرَمَ ، لَقَدْ أُسِرَ وَقُتِلَ
وَصُلِبَ ! قَالَ : فَقَالَ لَهُ الْمُفْتَخِرُ بِأَيِّهِ : دَعْنِي مِنْ أَسْرِ أَيْ وَقْتَهُ وَصُلْبِهِ ، أَبُوكَ
أَنْتَ حَدَّثْتَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا قَطُّ ؟

* * *

قَدْ سَمِعْنَا رَوَايَةَ الْقَوْمِ وَاحْتِجَاجَهُمْ ، وَأَنَا أُوصِيكَ أَلَّا تَدَعَ التَّمَّاسَ
الْبَيَانَ وَالتَّبْيِينَ ^(٢) . إِنْ ظَنَنْتَ أَنَّ لَكَ فِيهِمَا طَبِيعَةً ، وَأَنْتَهُمَا يَنَاسِبَانِكَ بَعْضَ
الْمُنَاسِبَةِ ، وَيَشَاكِلَانِكَ فِي بَعْضِ الْمَشَاكِلَةِ ؛ وَلَا تُهْمِلْ طَبِيعَتَكَ فَيَسْتَوْلِيَ
الْإِهْمَالُ عَلَى قُوَّةِ الْقَرِيحَةِ ، وَيَسْتَبِدُّ بِهَا سُوءُ الْعَادَةِ . وَإِنْ كُنْتَ ذَا بَيَانٍ
وَأَحْسَسْتَ مِنْ نَفْسِكَ بِالتُّفُؤِ فِي الْحُطَابَةِ وَالْبَلَاغَةِ ، وَبِقُوَّةِ الْمُتَّةِ يَوْمَ الْحَقْلِ ،
فَلَا تُقْصِرْ فِي التَّمَّاسِ أَعْلَاهَا سُورَةُ ^(٣) ، وَأَرْفَعْهَا فِي الْبَيَانِ مَنْزِلَةً . وَلَا يَقْطَعَنَّكَ
تَهْيِيبُ الْجُهْلَاءِ ، وَتَخْوِيفُ الْجُبْنَاءِ ؛ وَلَا تَصْرِفَنَّكَ الرُّوَايَاتُ الْمَعْدُولَةُ عَنْ
وُجُوهِهَا ، الْمَتَّالُوةُ عَلَى أَقْبَحِ مَخَارِجِهَا .

وَكَيْفَ تُطِيعُهُمْ بِهَذِهِ الرُّوَايَاتِ الْمَعْدُولَةِ ، وَالْأَخْبَارِ الْمَدْخُولَةِ ، وَهَذَا الرَّأْيِ
الَّذِي ابْتَدَعُوهُ مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِهِمْ ، وَقَدْ سَمِعْتَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، ذَكَرَ دَاوُدَ
النَّبِيَّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ^(٤) ﴾
إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَفُصِّلَ الْخِطَابُ ﴾ . فَجَمَعَ لَهُ بِالْحِكْمَةِ الْبِرَاعَةَ فِي الْعَقْلِ ، وَالرَّجَاحَةَ
فِي الْحِلْمِ ، وَالِاتِّسَاعَ فِي الْعِلْمِ ، وَالصَّوَابَ فِي الْحُكْمِ ، وَجَمَعَ لَهُ بِفَصْلِ

(١) الْخَيْرُ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (١ : ٢٣٣) .

(٢) ل ، هـ : « وَالتَّبْيِينَ » .

(٣) السُّورَةُ ، بِالضَّمِّ : الْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ ، جَمْعُهَا سُورٌ ، بِالضَّمِّ .

(٤) تَمَامُ ثَلَاثَةِ آيَاتٍ وَمَا بَعْدَهَا : (اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِنَّا
سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُثَى وَالْإِشْرَاقِ . وَالظُّرَى مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَهَا أَوَّابٌ . وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ
وَفُصِّلَ الْخِطَابُ) . الْآيَاتُ ١٧ - ٢٠ مِنْ سُورَةِ ص .

الخطابِ تفصيلَ الجَمَلِ ، وتلخيصَ الملتبسِ ، والبَصَرَ بالحزِّ في موضعِ الحزِّ ،
والحسَمَ في موضعِ الحَسَمِ .

وذكر رسولُ الله ﷺ شعيباً النبيَّ عليه السلام ، فقال : « كان شعيبٌ
خطيبَ الأنبياءِ » . وذلك عندَ بعضٍ ما حكاه الله في كتابه ، وجَلَّاهُ لَأَسْماعِ عبادِهِ .

- فكيف تَهَابَ منزلةَ الخطباءِ ودأودَ عليه السلام سَلْفُكَ ، وشعيبُ
إمامُكَ ، مع ما تلوناهُ عليك في صدرِ هذا الكتابِ من القرآنِ الحكيمِ ، والآيِ
الكريمِ . وهذه خطبُ رسولِ الله ﷺ مدوَّنةٌ محفوظةٌ ، ومَحَلَّةٌ ^(١) مشهورةٌ ،
وهذه خطبُ أبى بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ ، رضى الله عنهم .

- وقد كان لرسولِ الله شعراءُ ينافحُونَ عنه وعن أصحابِهِ بأمرِهِ ، وكان ثابتُ بن
قيس بن الشَّماسِ الأنصارى ^(٢) خطيبَ رسولِ الله ﷺ ، لا يدفعُ ذلك أحدٌ .
فأَمَّا ما ذكرتم من الإسهابِ والتكلفِ ، والخطَلِ والتزَيُّدِ ، فإنما يخرجُ
إلى الإسهابِ المتكلفِ ، وإلى الخطَلِ المتزَيِّدِ .

- فأما أربابُ الكلامِ ، ورؤساءُ أهلِ البيانِ ، والمطبوعونَ المعادونَ ،
وأصحابُ التحصيلِ والمحاسبةِ ، والتوقى والشَّفَقَةِ ، والذين يتكلمونَ في صَلَاحِ
ذاتِ البَينِ ، وفي إطفاءِ نائرةٍ ، أو في حَمالةٍ ^(٣) ، أو على مِنبرِ جَماعةٍ ، أو في عَقْدِ
إِملاكٍ بينَ مسلمٍ ومسلمةٍ - فكيف يكونُ كلامُ هؤلاءِ يدعو إلى السَّلاطَةِ والمِرَاءِ ،

(١) ل ، ب : « مجلدة » بالجيم ، وأثبت ما في هـ ، جـ والتميمورية .

(٢) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير الأنصارى الخزرجى ، أحد الصحابة المبشرين بالجنة ،
وقد نفذ أبو بكرٍ وصيةً له بعد موته أوصى بها رجلاً رآه في نومه . الإصابة ٩٠٠ وتهذيب التهذيب ،
وصفة الصفوة (١ : ٢٥٧) .

(٣) النائرة ، بالنون : العداوة والشحناء والفتنة . ل : « نائرة » تحريف . والحَمالة كسحابة :
الدية يحملها قوم عن قوم .

وإلى الهذر والبذاء ، وإلى التفجج والرياء . ولو كان هذا كما يقولون لكان على بن أئى طالب ، وعبد الله بن عباس أكثر الناس فيما ذكرتم . فلم خطب صمصمة ابن صوحان عند علي بن أئى طالب ، وقد كان ينبغي للحسن البصري أن يكون أحق التابعين بما ذكرتم ؟

قال الأصمعي : قيل لسعيد بن المسيب ^(١) : هاهنا قوم نساك يعيبون إنشاد الشعر . قال : « نَسَكُوا نُسْكَأَ أَعْجَمِيًّا » .

وقد زعمتم أن رسول الله ﷺ قال : « شُعْبَتَانِ مِنْ شُعْبِ التَّفَاقِ : الْبَدَاءُ وَالْبَيَانُ . وَشُعْبَتَانِ مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ : الْحَيَاءُ ، وَالْعِيَّ » . ونحن نعوذ بالله أن يكون القرآن بحث على البيان ورسول الله ﷺ يُحْتُّ على العيِّ ، ونعوذ بالله أن يجمع رسول الله ﷺ بين البداء والبيان . وإنما وقع التَّهْيُّ على كل شيء جاوزَ المقدار ، ووقع اسم العيِّ على كل شيء قصّر عن المقدار . فالعيُّ مذمومٌ والخطل مذموم ، ودين الله تبارك وتعالى بين المقصر والغالى .

وهاهنا روايات كثيرة مدخولة ، [وأحاديث معلولة ^(٢)] . رَوَوْا أَنَّ رَجُلًا مَدَحَ الْحَيَاءَ عِنْدَ الْأَخْنَفِ ، [وَأَنَّ الْأَخْنَفَ] قَالَ ثُمَّ ^(٣) : يَعُودُ ذَلِكَ ضَعْفًا . والخير لا يكون سبباً للشر . ولكننا نقول : إِنَّ الْحَيَاءَ اسْمٌ لِمَقْدَارٍ مِنَ الْمَقَادِيرِ [مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ الْمَقْدَارِ فَسَمُّهُ مَا أَحْبَبْتَ . وَكَذَلِكَ الْجُودُ اسْمٌ لِمَقْدَارٍ مِنَ الْمَقَادِيرِ ^(٤)] ، فَالْشَّرَفُ اسْمٌ لِمَا فَضَّلَ عَنْ ذَلِكَ الْمَقْدَارِ . وَلِلْحِزْمِ مَقْدَارٌ ، فَالْجُبْنَ اسْمٌ لِمَا فَضَّلَ عَنْ ذَلِكَ الْمَقْدَارِ . وَلِلْاِقْتِصَادِ مَقْدَارٌ ، فَالْبُخْلُ اسْمٌ لِمَا خَرَجَ ^(٥) عَنْ ذَلِكَ الْمَقْدَارِ .

(١) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي ، وكان من أئقه التابعين ، وكان يسمى راوية عمر ، وكان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته ، كما كان من أئبر الناس للرؤيا . ولد لستين مضتاً من خلافة عمر ، وتوفى سنة ٩٤ . تهذيب التهذيب ، وصفه الصفوة (٢ : ٣٤) ، والمعارف ١٩٣ . والمسيب ، بكسر الياء وفتحها ، كما فى القاموس .

(٢) هذه مما عدا ل . (٣) فيما عدا ل : « بم » .

(٤) هذه مما عدا ل . (٥) ل فقط : « لما فضل » .

وللشجاعة مقدار ، فالتهور والخدب اسم لما جاوز ذلك المقدار .

- وهذه أحاديث ليست لعامتها أسانيد متصلة ، فإن وجدتها متصلة لم تجدها محمود ، وأكثرها جاءت مطلقة ليس لها حامل محمود ولا مذموم . فإذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحسن . فإن أردت أن تتكلف هذه الصناعة ، وتنسب إلى هذا الأدب ، فقرضت قصيدة ،
 أو حبرت خطبة ، أو ألقت رسالة ، فإياك أن تدعوك ثقتك بنفسك ، أو يدعوك عجبك بثمرة عقلك إلى أن تنتحل وتدعيه ؛ ولكن اعرضه على العلماء في عرض رسائل أو أشعار أو خطب ؛ فإن رأيت الأسماع تُصغى له ، والعيون تُحدج إليه ، ورأيت من يطلبه ويستحسنه ، فانتحله . فإن كان ذلك في ابتداء أمرك ، وفي أول تكلفك فلم تر له طالباً ولا مستحسناً ، فلعله أن يكون ما دام رياضاً قضيباً ^(١) ، أن يحل عندهم محل المتروك . فإذا عاودت أمثال ذلك مراراً ، فوجدت الأسماع عنه منصرفة ، والقلوب لاهية ، فخذ في غير هذه الصناعة ، واجعل رائدك الذي لا يكذبك حرصهم عليه ، أو زهدهم فيه .
- وقال الشاعر ^(٢) :

١٥ إن الحديث تغر القوم خلوته حتى يلج بهم عي وإكثار ^(٣)

وفي المثل المضروب : « كل مجر في الخلاء مُسر ^(٤) » ، ولم يقولوا

مسرور. وكل صواب .

(١) الرضى : الذى ابتدئ فى رياضته . والقضيب : الذى لم يمهر فى الرياضة . وأصل هذين الوصفين

للحيوان الذى يراض ، كالناقة والفرس . وبعد هذه الكلمة فى ب ، ح : « تعنيسا » وفى التيمورية : « تغيسا » !

(٢) هو ابن همة كما فى الحيوان (٢ : ٢٠٧) ورسائل الجاحظ ١٧١ ساسى . وانظر الحيوان

(١ : ٨٨) ، وأدب الكتاب للصوى ١٥٧ وأمثال الميدانى (٢ : ٧٣) .

(٣) ب والتيمورية : « حتى يلج » بالخاء .

(٤) فى الحيوان (١ : ٨٨ / ٤ : ٢٠٧) والميدانى (٢ : ٧٣) والقال (٢ : ٨٩) :

« يسر » . وأصله أن الرجل يجزى فرسه فى المكان الخال لا مسابق له فيه ، فهو مسرور =

فلا تثق في كلامك برأى نفسك ؛ فأئني ربما رأيت الرجل متماسكاً
وفوق التماسك ، حتى إذا صار إلى رأيه في شعره ، وفي كلامه ، وفي ابنه ،
رأيتهُ مُتَهافتاً وفوق المتهافت .

وكان زهير بن أبي سلمى ، وهو أحد الثلاثة المتقدمين ، يسمّى كبار
قصائده : « الحوليات » .

وقال نوح بن جرير : قال الخطيئة : « خير الشعر الحول المنقح » .
قال : وقال البعيث الشاعر ^(١) ، وكان أخطب الناس : « إئني والله
ما أرسل الكلام قضيباً خشيباً ^(٢) ، وما أريد أن أخطب يوم الحفل إلا
بالبايت المحكك » . وكنت أظن أن قولهم « محكك » كلمة مولدة ، حتى
سمعت قول الصَّعب بن عليّ الكِناني :

أبلغ فزارة أن الذئب آكلها وجائع سغب شر من الذئب
أزل أطلس ذو نفسي محككة قد كان طار زماناً في العاسيب ^(٣)
وتكلم يزيد بن أبيان الرقاشي ^(٤) ، ثم تكلم الحسن ، وأعرابيان حاضران

= بما يرى من فرسه . يضرب مثلاً للرجل تكون فيه الخلطة يحمدها من نفسه ، ولا يشعر بما في الناس
من الفضائل . و « مسر » اسم مفعول من « أسره » أى أفرجه ، وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنما توهمه
القاتل ، كما أنشد للآخر في عكسه :

وبلد يغضى على النعوت يغضى كإغضاء الروى المثبوت

أراد « المثبت » . فهوهم « ثبته » . انظر اللسان (سرر) .

(١) البعيث لقب له . واسمه خلداس بن بشر ، من بني مجاشع ، وأمه أصهبانية يقال لها « مرده » .
وسمى البعيث بقوله :

تبعث منى ما تبعث بعد ما امسحتم فؤادى واستمر عزيمى

وكان أخطب نعيم ، وكان يهاجى جبراً . الشعراء لابن قتيبة والمؤتلف ٥٦ .

(٢) الخشيب : الذى لم يحكم ولم يجد ، من السيف الخشيب الذى لم يصقل .

(٣) الأزل : السريع ، والخفيف الوركين . والأطلس : ما لونه الطلسة ، وهى غيرة إلى سواد .
واليعسوب : أمير النحل . يقول : هو فى سرعتة مثله .

(٤) هو أبو عمرو : يزيد بن أبيان الرقاشى البصرى القاص الزاهد الواعظ البكاء ، روى =

فقال أحدهما لصاحبه : كيف رأيت الرجلين ؟ فقال : أما الأول فقصصٌ مُجيدٌ ، وأما الآخر فعرفى مُحككٌ .

قال : ونظر أعرابى إلى الحسن ، فقال له رجل : كيف تراه ؟ قال : أرى حَيْشُومَ حَرٍّ .

- قالوا : وأرادوا عبد الله بن وهب الراسبي^(١) على الكلام يوم عقدت له الخوارجُ الرئاسة فقال : « وما أنا والرأى الفطير^(٢) ، والكلام القضيبي ! ولما فرغوا من البيعة له قال : « دَعُوا الرَّأى يَغِبْ ؛ فَإِنْ غُبُوهُ يَكْشِفْ لَكُمْ عَنْ مَحْضِهِ » .

وقيل لابن التَّوَّامِ الرَّقَاشِيَّ^(٣) : تَكَلَّمْ . فقال : « ما أَشْتَهَى الحُبْزَ إِلَّا بَائِئاً » .

١٠

قال : وقال عُبيد الله بن سالم^(٤) لرؤية : مُتْ يَا أَبَا الجَحَافِ إِذَا شِئْتَ . قال : وكيف ذاك ؟ قال رأيتُ اليوم عُقْبَةَ بن رُؤْبَةَ ينشد شعراً له أعجبني . قال : فقال رؤية : نعم [إِنَّهُ لَيَقُولُ^(٥)] ولكن ليس لشعره قِرَانٌ . وقال الشاعر :
مِهَادِبَةٌ مَنَاجِبَةٌ قِرَانٌ مَنَادِبَةٌ كَأَنَّهُمُ الْأَسْوَدُ

١٥ = عن أبيه وأنس بن مالك والحسن البصري ، وروى عنه ابن أخيه الفضل بن عيسى بن أبان وقتادة والأعمش .

تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢١٠ : ٢٥٠) وعيون الأخبار (٣ : ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩) .

(١) عبد الله بن وهب الراسبي : نسبة إلى راسب بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد ، وكان قد خرج على علي في أربعة آلاف . بايعه الخوارج لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ وقتل يوم النهروان سنة ٣٨ . انظر الطبري (٦ : ٤٢) والتنبيه والإشراف ٢٥٦ وجمهرة ابن حزم ٣٨٦ .

(٢) الفطير : كل ما أعجل عن إدراكه وإنضاجه . ل : « القصير » تحريف .

(٣) ابن التَّوَّامِ الرَّقَاشِيَّ أحد البخلاء ، وقد أثبت له الجاحظ في البخلاء رسالة طويلة . انظر ١٤١ -

١٦٣ . وروى ابن قتيبة له أخباراً في عيون الأخبار (١ : ٢٩٩ ، ٣١٣ / ٣ : ١٧٠) .

(٤) سبقت كنيته في ص ٦٨ : « أبو نرفل » . فيما عدل ، هـ : « عبد الله بن سالم » .

(٥) هذه مما عدل ل . وقد سبق الخبر في ص ٦٨ .

يريد بقوله « قِرَان » التشابُه والموَافقة .

وقال عُمر بن لجأ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك ! قال : وبم ذاك ^(١) ؟
قال : لأننى أقول البيت وأخاه ، وأنت تقول البيت وابن عمه .

قال : وذكر بعضهم شعر التابغة الجعدى ، فقال : « مُطَرَفٌ بآلاف ،
وخِمارٌ بواف ^(٢) » . وكان الأصمعى يفضله من أجل ذلك . وكان يقول :
« الخطيئة عبدٌ لشعره » . عاب شعره حين وجدّه كله متخيّراً منتخباً مستويّاً ،
لمكان الصنعة والتكلف ، والقيام عليه .

وقالوا : لو أنّ شعرَ صالح بن عبد القدوس ^(٣) ، وسابق البربرى ^(٤)
كان مفترقاً فى أشعار كثيرة ، لصارت تلك الأشعار أرفعَ ممّا هى عليه
بطبقاتٍ ولصار شعرهما نواذرَ سائرةٍ فى الآفاق . ولكن القصيدة إذا كانت
كلّها أمثالاً لم تسر ، ولم تجر مجرى النّوادر . ومتى لم يخرج السامع من شيء
إلى شيء لم يكن لذلك عنده موقع .

قال : وقال بعضُ الشعراء لرجل ^(٥) : أنا أقول فى كلِّ ساعة قصيدة ، ٢٧

(١) ل : « ولم ذلك » .

(٢) المطرف بضم الميم وكسرهما : واحد المطارف ، وهى أردية من خز مربعة لها أعلام . والوافى :
الدرهم الذى يزن مثقالاً . ١٥

(٣) هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس ، كان شاعراً حكيماً من المتكلمين ،
ومن الوعاظ بالبصرة ، اتهم عند المهدي بالزندقة فقتله ببغداد ، ضربه بيده بالسيف فجعله نصفين . وكان أضرب
آخر عمره . نكت الهميان ١٧١ وفوات الوفيات (١ : ٢٤٥) وتاريخ بغداد ٤٨٤٤ ولسان الميزان .

(٤) هو أبو سعيد سابق بن عبد الله البربرى : له أشعار حسنة فى الزهد ، وهو من موالى بنى
أمية ، سكن الرقة ووفد على عمر بن عبد العزيز . والبربرى نسبة إلى بلاد فى المغرب ، قيل إنّما هو لقب
له . خزنة الأدب (٤ : ١٦٤) ل : « اليزيدى » ، وفيما عدا ل : « البربرى » صوابهما ما أثبت . ٢٠

(٥) ل : « لبعض » .

وَأَنْتَ تَقْرِضُهَا فِي كُلِّ شَهْرٍ . [فلم ذلك ^(١)] ؟ قال : لِأَنِّي لَا أَقْبِلُ مِنْ شَيْطَانِي مِثْلَ الَّذِي تَقْبِلُ مِنْ شَيْطَانِكَ .

قال : وَأَنْشُدْ عُقْبَةَ بْنِ رُؤْيَةَ [أَبَاهُ رُؤْيَةَ ^(١)] بَنَ الْعَجَاجِ شِعْراً وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَرَاهُ ؟ قال : يَا بُنَيَّ إِنَّ أَبَاكَ لَيَعْرِضُ لَهُ مِثْلُ هَذَا يَمِيناً وَشِمَالاً فَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ .
وقد رَوَوْا مِثْلَ ذَلِكَ فِي زَهِيرٍ وَابْنِهِ كَعْب .

قال : وَقِيلَ لَعَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ : لِمَ لَا تُطِيلُ الْهَجَاءَ ؟ قال : « يَكْفِيكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ ^(٢) » .

وقيل لأبي المَهْشُوشِ ^(٣) : لِمَ لَا تُطِيلُ الْهَجَاءَ ؟ قال : لَمْ أَجِدْ الْمَثَلَ النَّادِرَ إِلَّا بَيْتاً وَاحِداً ، وَلَمْ أَجِدِ الشَّعْرَ السَّائِرَ إِلَّا بَيْتاً وَاحِداً .

قال : وَقَالَ مُسْلِمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِنُصَيْبِ الشَّاعِرِ : وَيَحْكُ يَا أَبَا الْحَجَنَاءِ ، أَمَا تُحَسِّنُ الْهَجَاءَ ؟ قال : أَمَا تَرَانِي أَحْسِنُ مَكَانَ عَافَاكَ اللَّهُ : لَا عَافَاكَ اللَّهُ !

ولاموا الْكَمِيثَ بْنَ زَيْدٍ عَلَى الْإِطَالَةِ ، فَقَالَ : « أَنَا عَلَى الْقِصَارِ أَقْدَرُ » .

وقيل لِلْعَجَّاجِ : مَالِكَ لَا تُحَسِّنُ الْهَجَاءَ ؟ قال : هَلْ فِي الْأَرْضِ صَانِعٌ

إِلَّا وَهُوَ عَلَى الْإِفْسَادِ أَقْدَرُ .

وقال رُؤْيَةُ : « الْهَدْمُ أَسْرَعُ مِنَ الْبِنَاءِ » .

وهذه الْحَجْجُجُ الَّتِي ذَكَرُوهَا عَنْ نُصَيْبٍ وَالْكَمَيْثِ وَالْعَجَّاجِ وَرُؤْيَةَ ، إِنَّمَا

ذَكَرُوهَا عَلَى وَجْهِ الْإِحْتِجَاجِ لَهُمْ . وَهَذَا مِنْهُمْ جَهْلٌ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ

(١) هذه مما عدل .

(٢) انظر الحيوان (٣ : ٩٩) وأمثال الميداني (١ : ١٧٩) ونهاية الأرب (٣ : ٢٧)

(٣) أبو المهوش الأسدي : هو حوط بن رثاب ، أو ربيعة بن رثاب ، من المخضرمين الذين أدرکوا النبي ولم يروه . انظر الإصابة ٢٠١٥ والشعراء ٢٢ والخزانة (٣ : ٨٦ ، ١٤٢) والبخلاء للجاحظ : « لأبي الهوس » ، صوابه بالشين .

صادقة . وقد يكون الرَّجُل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في الكلام ؛
وتكون له طبيعة في التجارة ^(١) وليست له طبيعة في الفلاحة ؛ وتكون له طبيعة
في الحُداء أو في التعبير ^(٢) ، أو في القراءة بالألحان ، وليست له طبيعة في
الغناء وإن كانت هذه الأنواع كُلُّها ترجع إلى تأليف اللحن . وتكون له
طبيعة في النّاي وليس له طبيعة في السُّرناي ^(٣) ؛ وتكون له طبيعة في قصبة
الرّاعي ولا تكون له طبيعة في القصبتين المضمومتين ؛ ويكون له طبع في
صناعة اللحن ولا يكون له طبع في غيرها ؛ ويكون له طبع في تأليف الرسائل
والخطب والأسجاع ولا يكون له طبع في قرض بيت شعر . ومثل هذا كثير جداً .

وكان عبد الحميد الأكبر ^(٤) ، وابن المقفع ، مع بلاغة أقلامهما
والسّتيماء ، لا يستطيعان من الشّعْر إلا ما لا يُذكر مثله . ١٠

وقيل لابن المقفع في ذلك ، فقال : « الذي أرضاه لا يجيئني ، والذي
يجيئني لا أرضاه ^(٥) » .

وهذا الفرزدق وكان مستهتراً بالنساء ^(٦) ، وكان زير غوان ، وهو في ذلك ٢٨

(١) في نسخة : « التجارة » بالنون ، كما في حواشي هـ .

(٢) قال الأزهري : « وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله تغييراً ، كأنهم إذا تناشدوها
بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا ، فسموا مغيرة » . ل : « التغيير » ، وفيما عدل : « التعبير » ، صوابهما
ما أثبت . ١٥

(٣) السرناي ، بضم السين : كلمة فارسية ، معناها البوق الذي يتفخ فيه ويزمر . استينجاس ٦٧٨ .

(٤) هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، الذي قيل فيه : « فتحت الرسائل بعبد الحميد ،
وختمت بابن العميد » ، وهو من أهل الشام ، وكان في أول أمره معلّم صبية يتنقل في البلدان ، وكان
كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وقتل معه في مدينة بوضير المصرية سنة ١٣٢ . وفيات
الأعيان ، وشرح العيون (١ : ٢٥٦) . ٢٠

(٥) فيما عدل ، هـ : « يجيئني » في الموضعين .

(٦) ما عدل هـ : « مشتهراً » ، وكلاهما متجه .

ليس له بيتٌ واحدٌ في النَّسِيبِ مذكور . مَعَ حسده لجرير . وجريرٌ عفيفٌ لم يَعشَقْ امرأةً قطّ ، وهو مع ذلك أغزَلُ الناسِ شعراً .

وفي الشعراء مَنْ لا يستطيع مجاوزة القصيد إلى الرّجز ، ومنهم من لا يستطيع مجاوزة الرّجز إلى القصيد ، ومنهم من يجمعهما كجرير وعمر بن لُجأ ، وأبى النّجم ، وحُميد الأرقط ، والعُمانيّ . وليس الفرزدق في طَوَالِهِ بأشعر منه في قصاره .
وفي الشعراء مَنْ يخطب وفيهم من لا يستطيع الخطابة ، وكذلك حال الخطباء في قريض الشعر . والشّاعر نفسه قد تختلف حالاته .

وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعرُ الناسِ ورُبّما مرّت على ساعةٍ ونزغُ ضربي أهونُ علىّ من أن أقول بيتاً واحداً .

وقال العجاج : لقد قلتُ أرجوزتي التي أولها :

بكيتُ والمُحتَرَنُ البكيُّ وإنما يأتي الصّبأ الصّبِيُّ

أطرباً وأنتَ قنْسرِي (١) والدّهْرُ بالإنسانِ دَوَارِي (٢)

وأنا بالرّمْل ، في ليلةٍ واحدة (٣) ، فانتألتُ علىّ قوافيها انتيالا ، وإني لأريد اليومَ دونها في الأيامِ الكثيرة ، فما أقدر عليه .

وقال لي أبو يعقوب الخُرَمي : خرجتُ من منزلي أريد الشَّماسِيَّة (٤) ،

فابتدأت القول في مرثيةٍ لأبي التّختاخ ، فرجعت والله وما أمكنني بيتٌ واحد .

وقال الشاعر :

وقد يقرض الشعرَ البكيُّ لسانه وتعيى القوافي المرء وهو خطيبٌ

(١) القنسري : الكبير المسن . وقيل : لم يسمع هذا إلا في بيت العجاج . وفي حواشي هـ عن

ابن دريد : « تنفسر الإنسان : شاخ وتقبط . وأنشده . وأنشد أيضا :

« وقنسرته أمور فاقسان لها »

(٢) دَوَارِي : يدور بالناس أحوالا . انظر ديوان العجاج ٦٦ .

(٣) هـ : « وأنا بالرمل » فقط .

(٤) الشَّماسية : موضع في أعلى بغداد مجاور لدار الروم .

باب

من القول في المعاني الظاهرة باللفظ الموجز ^(١) ،

من ملتقطات كلام الناس ^(٢)

قال بعض الناس : « من التوقى ترك الإفراط في التوقى » .

وقال بعضهم : « إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون ^(٣) » .

وقال الشاعر :

قَدَّرَ اللهُ وَارِدًا حِينَ يُقْضَى وَرُودُهُ

فَأَرَدَ مَا يَكُونُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَا تَرِيدُهُ ^(٤)

وقيل لأعرابي في شكائته : كيف تَجِدُكَ ؟ قال : « أَجِدُنِي أَجَدُ مَا لَا

أَشْتَهِي وَأَشْتَهِي مَا لَا أَجِدُ ، وَأَنَا فِي زَمَانٍ مِنْ جَادٍ لَمْ يَجِدْ ، وَمَنْ وَجَدَ لَمْ يَجِدْ ^(٥) » .

وقيل لابن المقفع : ألا تقول الشعر ؟ قال : الذي يجيئني لا أرضاه ، ٢٩
والذي أرضاه لا يجيئني ^(٦) .

وقال بعض النساك : « أَنَا لَمَّا لَا أَرْجُو أَرْجَى مِنِّي لَمَّا أَرْجُو » .

وقال بعضهم : « أَعْجَبُ مِنَ الْعَجَبِ ، تَرَكُ التَّعَجُّبَ مِنَ الْعَجَبِ » .

(١) فيما عدل : « في القوافي الظاهرة واللفظ الموجز » تحريف .

(٢) ما عدل ، هـ : « كلام النساك » تحريف .

(٣) هذه الكلمة لأبيوب بن أبي تميمه السخيتاني الذي سبقت ترجمته في ص ١٩٢ . انظر صفة

الصفوة (٣ : ٢١٤) والحيوان (٦ : ٨) .

(٤) هذان البيتان لم يرويا في ل .

(٥) الخبر في الحيوان (٣ : ١٣٢ / ٦ : ٥٠٣) . وقد نسب في عيون الأخبار (٣ : ٤٩)

إلى أبي الدقيش . وما بعد كلمة « ما لا أجِدُ » هو مما عدل .

(٦) هذا الخبر من ل ، هـ فقط . ورواية هـ : « الذي أرضاه » . وقد سبق قريبا في ص ٢٠٨ .

قال عمر بن عبد العزيز لعبد بنى مخزوم : « إني أخاف الله فيما تقلدت » .

قال : لست أخاف عليك أن تخاف ، وإنما أخاف عليك ألا تخاف .

وقال الأحنف لمعاوية : أخافك إن صدقتك ، وأخاف الله إن كذبتك .

وقال رجل من التُّسَّاك لصاحب له وهو يَكِيدُ بِنَفْسِهِ ^(١) : أما ذنوبى

فإني أرجو لها مغفرة الله ، ولكنى أخاف على بناتى الضيعة . فقال له صاحبه :
فالذى ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه لحفظ بناتك ^(٢) .

وقال رجل من التُّسَّاك لصاحب له : ما لى أراك حزينا ؟ قال : كان

عندى يَتِيمٌ أَرَبِيهِ لأَوْجَرَ فيه ، فمات وانقطع عنا أجره ، إذ بطل قيامنا بمؤنته .

فقال له صاحبه : فاجتلب يتيما آخر يقوم لك مقام الأول . قال : أخاف

ألا أصيب يتيما فى سوء خُلُقِهِ ! قال له صاحبه : أما أنا فلو كنت فى
موضعك منه لما ذكرت سوء خُلُقِهِ .

وقال آخر ، وسمعه أبو هريرة النحوى وهو يقول : ما يمنعنى من تعلم

القرآن إلا أنى أخاف أن أضيّعه . قال : أما أنت فقد عجلت له التضييع ،

ولعلك إذا تعلمته لم تضيّعه .

وقال عمر بن عبد العزيز لرجل : من سيّد قومك ؟ قال : أنا . قال : ١٥

لو كنت كذلك لم تُقله ^(٣) !

(١) يكيد بنفسه : يجد بها عند النزاع فى حال الموت .

(٢) ب : « تحفظ بناتك » ، ح : « يحفظ » . وأثبت ما فى ل ، هـ و التيمورية .

(٣) فيما عدل ل : « لم تقل » .

باب آخر

وقالوا في حُسن البيان ، وفي التخلص من الحُصْن بالحقِّ والباطل ، وفي
تخليص الحقِّ من الباطل ، وفي الإقرار بالحقِّ ، وفي ترك الفخر بالباطل .
قال أعرابيٌّ وذكر حِمَّاس بن ثَامِلٍ فقال (١) :

برئت إلى الرحمن من كلِّ صاحبٍ أصابجه إلا حِمَّاسَ بنِ ثَامِلٍ
وظنَّني به بين السُّمَّاطِينَ أَنَّهُ سَيَنْجُو بِحَقِّي أَوْ سَيَنْجُو بِبَاطِلٍ
وقال العُجَيْر السُّلُولِيَّ (٢) :

وإنَّ ابنَ زَيْدٍ لابنُ عَمِّي وإِنَّهُ لَبَلَّالٌ أَيْدَى جِلَّةِ الشُّوْلِ بِالْدَمِّ (٣)
طُلُوعِ الثَّنَايَا بِالْمَطَايَا وإِنَّهُ غَدَاةُ الْمُرَادِي لِلْخَطِيبِ الْمَقْدَمِ (٤)
يَسْرُكُ مَظْلُومًا وَيَرْضِيكَ ظَالِمًا وَيَكْفِيكَ مَا حُمِّلْتَهُ حِينَ تَغْرُمُ ١٠

الشُّوْل : جمع شائلة ، وهي التافة التي قد جفَّ لبنُها . وإذا شالت بذنبا
بعد اللقاح فهي شائل ، وجمعها شُوْل . المُرَادِي : المُصَادِم والمُقَارِع ؛ يقال
رَدَيْتُ الْحَجَرَ بِصَخْرَةٍ [أَوْ بِمَعْوَلٍ (٥)] ، إِذَا ضَرَبْتَهُ [بِهَا (٥)] لَتَكْسِرَهُ .
والمِرْدَاة : الصخرة التي يكسَّر بها الحجارة . وقال ابن رِيْع الهَذَلِيَّ (٦) :

(١) هذه الكلمة ساقطة مما عدل . وحماس بن ثامل ، أحد شعراء الحماسة ، أنشد له أبو تمام : ١٥

ومستبح في لج ليل دعوته بمشيوبة في رأس صمد مقابل
وقلت له : أقبل فإنك راشد وإن على النار الندى وابن ثامل

(٢) سبق ترجمته في ١٢٣ .

(٣) يبل أيديها بالدم ، أي ينحرها أو يعرقها . والجللة : المسان من الإبل ، جمع جليل كصبي وصبية .

(٤) الثنايا : جمع ثنية ، وهي العقبة في الجبل . ٢٠

(٥) هذه مما عدل . والتفسير في ه متخلل لهذه الآيات الثلاثة .

(٦) هو عبد مناف بن ربع الهذلي الجري . وربع ، بكسر الراء . والجري نسبة إلى =

أَعَيْنَ أَلَا فَابِكِي رُقِيَّةَ إِنَّهُ وَصُولٌ لِأَرْحَامٍ وَمِغْطَاءُ سَائِلٍ ^(١)
 فَأَقْسِمَ لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَحَمِيَّتُهُ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَتْرَكَ مَقَالاً لِقَائِلٍ
 وَقَالَ بَعْضُ الْيَهُودِ ، وَهُوَ الرَّبِيعُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ ^(٢) مِنْ بَنِي النَّضِيرِ ^(٣) :
 سَائِلٌ بِنَا خَابَرَ أَكْثَانَا وَالْعِلْمُ قَدْ يَلْقَى لَدَى السَّائِلِ ^(٤)
 إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّمْعُ لِلْقَائِلِ
 وَاعْتَلَجَ النَّاسُ بِالْبَاهِمِ نَقْضِي بِحُكْمٍ عَادِلٍ فَاصِلِ ^(٥)
 لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا نُلْطُ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ ^(٦)
 نَكْرَهُ أَنْ تُسَنَّفَ أَحْلَامُنَا فَتَنْخُمَلَ الذَّهَرُ مَعَ الْخَامِلِ
 وَقَالَ آخَرُ وَذَكَرَ حِمَاساً أَيْضاً :

- ١٠ = جريب كقريش ، وهو بطن من هذيل . وعبد مناف شاعر جاهلي . انظر الخزائن (٣ : ١٧٤)
 وأما قصيدته التي منها البيتان فهي في بقية أشعار الهذليين ٧ ونسخة الشنقيطي من الهذليين ٥٢ . وهو
 يرقى بالقصيدة « دية السلمي » . وديية بضم الدال وفتح الباء وتشديد الياء .
 (١) ل : « أعين » . وفي ديوان الهذليين : « فعيني ألا فابكي دية » .
 (٢) ذكر أبو الفرج في الأغاني (٢١ : ٦١) أنه كان أحد الرؤساء في يوم بعث وكان يوم
 بعث آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام .
 (٣) وكذا ذكر ابن سلام في طبقاته ١١٠ . وزعم أبو الفرج أنه من بني قريظة . وجاء فيما عدا
 ل زيادة : « وبعثه رسول الله ﷺ إلى خير فقتلوه » . وفي هذه العبارة خطأ وتحريف ، فإن الذي في
 كتب السير أن الذي قتل بخير هو سلام بن أبي الحقيق ، وذلك أن الأوس بعد قتلهم لكعب بن
 الأشرف ، استأذنوا الرسول في قتل سلام بن أبي الحقيق ، فأذن لهم فخرجوا ، وأمروهم عبد الله بن
 عتيك ، إلى خير فقتلوا سلاماً . وفي ذلك يقول حسان :
 ٢٠ لله در عصابة لاقيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
 انظر السيرة ٧١٣ - ٧١٦ جوتنجن ، وديوان حسان ٢٧٢ - ٢٧٣ .
 (٤) الخابر : الذي يخبر ويختبر . والأكباء : جمع كمي ، وهو الشجاع الجري . قال :
 تركت ابنتيك للمغيرة ، والقنا شوارع والأكباء تشرق بالدم
 ٢٥ وفي الأصول : « أكفأنا » صوابه من ابن سلام ١١٠ حيث أنشد الأبيات . و « يلقي » بالقاف ، كما في ل
 وابن سلام . وفي سائر النسخ « يلقي » ، سيان .
 (٥) فيما عدا ل : « واصطرع » . وفي الطبقات : « نرضى بحكم العادل الفاصل » .
 (٦) لط به وألط : لزمه .

أتانى جِساسٌ بابينِ ماہِ يسوقُهُ لِيَنْبَغِيهِ خيراً وليس بفاعل^(١)
 لِيُعْطِي عِسا ما لنا ، وصدورنا من العَيْظِ تَغْلِي مثل غَلِي المَراجِلِ
 وقافيةٌ قِيلَتْ لَكُمْ لم أَجِدْ لها جواباً إذا لم تُضَرِّبُوا بالمَناصِلِ
 فأَنْطَقَ في حَقِّ بَحَقٍّ ولم يكن لِيَرْحَضَ عنكم قالة الحق باطلي^(٢)

٥. ليرحض ، أى ليغسل . والراحض : الغاسل . والمرحاض : الموضع
 الذى يُغَسَّل فيه . وقال عمرو بن معد يكرب :

فلو أن قومى أنطقتنى رماحُهم نطقْتُ ولكنَّ الرِّماحَ أجَرَّتْ^(٣)
 الجرار^(٤) : عودٌ يُعْرَضُ في فم الفصيل ، أو يُشَقُّ به لسانه ، لئلا يرضع .
 فيقول : قومى لم يَطْعَنُوا بالرِّماحِ فأُثْنِي عليهم ، ولكنهم قَرُّوا فأسَكْتُ^(٥)
 كالمَجَرِّ الذى في فمه الجرار^(٦) . ١٠

وقال أبو عبيدة : صاح رُؤْيَةٌ في بعض الحروبِ التى كانت بين تميم
 والأزد : يامعشر بنى تميم ، أطلقوا من لسانى^(٧)

قال : وأبصر رجلاً منهم قد طعن فارساً طعنةً ، فصاح : « لا عِيًّا

(١) ابن ماه ، هذا ما أثبت في هامش ل ، ولهذا العلم اشتقاق في اللغة من قولهم : رجل ماهى القلب ،
 أى جبان كأن قلبه في ماء . وفي هو صلب ل : « بابين ماهى » . وفيما عدل : « بابين ماها » .
 (٢) فيما عدل : « قالة الخزى » .
 (٣) البيت من قصيدة له في الأصمعيات ١٧ - ١٨ . وأبيات منها في الحماسة (١ : ٤٣) .
 وانظر اللسان .

(٤) لم أجِد هذا اللفظ في المعاجم المتداولة . والمعروف « الخلال » انظر المعاجم في مادة (خلل)
 ٢٠ . والمختصص (٧ : ٣٢) . كما أن المعروف في المصدر « الجر » و « الإجرار » .
 (٥) أسكت الرجل إسكاتاً : انقطع كلامه فلم يتكلم . هـ : « فأسكت » .
 (٦) ما عدل ، هـ : « جرار » .

(٧) نظير قول عبد يغوث بن وقاص الحارثي في المفضليات (١ : ١٥٥) :

أقول وقد شذوا لسانى بنسعة أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا

ولا شللاً^(١) ! » . والعرب تقول : « عِيٌّ أُنَاسٌ من شَلَلٍ^(٢) » . كأنَّ العِيَّ فوق كلِّ زمانةٍ .

وقالت الجُهَنِيَّةُ^(٣) :

- ألا هَلَكَ الحُلُو الحَلَالُ الحُلَاحِلُ وَمَنْ عِنْدَهُ حِلْمٌ وَعِلْمٌ وَنَائِلُ^(٤)
 وذو حُطْبٍ يوماً إذا القومُ أَفْجَمُوا تُصِيبُ مَرَادِي قَوْلِهِ مَا يَحَاوُلُ
 بَصِيرٌ بِعَوَارِثِ الكلامِ إذا التَّقَى شَرِيحَانِ بَيْنَ القومِ : حَقٌّ وَبَاطِلُ
 أَتَيْتُ لَمَّا يَأْتِي الكَرِيمُ بِسَيْفِهِ وَإِنْ أَسْلَمْتُهُ جَنْدُهُ وَالْقَبَائِلُ^(٥)
 وَلَيْسَ بِمِعْطَاءِ الظَّالِمَةِ عَنْ يَدِ وَلَا دُونَ أَعْلَى سَوْرَةِ المَجْدِ قَابِلُ^(٦)
 الحُلَاحِلُ : السَّيِّدُ . شَرِيحَانِ : جَنْسَانِ مُخْتَلِفَانِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ^(٧) .
 ١٠ وَأَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي الخُطْبِ يَطُولُ كَلَامُهُ ، وَيَكُونُ ذَكَوْرًا لِأَوَّلِ
 خُطْبَتِهِ وَلِلَّذِي بَنَى عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَإِنْ شَعَبٌ شَاغِبٌ فَقَطَعَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ ،
 أَوْ حَدَثَ عِنْدَ ذَلِكَ حَدَثٌ يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى تَدْبِيرٍ آخَرَ ، وَصَلَ الثَّانِي مِنْ
 كَلَامِهِ بِالْأَوَّلِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ أَحَدٌ كَلَامِيهِ أَجْوَدَ مِنَ الْآخَرِ ، فَأَنْشَدَ :
 وَإِنْ أَحَدَثُوا شَعْبًا يُقَطِّعُ نَظْمَهَا فَإِنَّكَ وَصَّالٌ لَمَّا قَطَعَ الشَّعْبُ
 ١٥ وَلَوْ كُنْتُ نَسَاجًا سَدَدْتُ خَصَاصَهَا بِقَوْلِ كَطْعَمِ الشَّهْدِ مَا زَجَّهُ الْعَذْبُ^(٨)

(١) فِي اللِّسَانِ : « وَيَقَالُ لِمَنْ أَجَادَ الرَّمْيَ أَوْ الطَّعْنَ : لَا شَلْلًا وَلَا عَمِي » .

(٢) ل : « أَيْسٌ مِنْ شَلَلٍ » .

(٣) ب فَقَط : « الجُهَنِيَّةُ » .

(٤) الحَلَالُ : الَّذِي لَا رِيَّةَ فِيهِ . وَالْحُلَاحِلُ : السَّيِّدُ الشَّجَاعُ الرَّاكِبُ فِي مَجْلِسِهِ .

(٥) هـ عَنْ نَسْخَةٍ : « وَالْقَبَائِلُ » ، وَهِيَ الطَّوَائِفُ مِنَ النَّاسِ .

(٦) عَنْ يَدِ : عَنْ قَهْرٍ وَذِلٍّ وَاسْتِسْلَامٍ . وَفِي هَامِشِ ل : « نَازِلٌ » رَايَةً فِي « قَابِلٍ » .

(٧) فِيمَا عَدَا ل : « شَرِيحَانِ : جَنْسَانِ . يَقَالُ : النَّاسُ شَرِيحَانِ وَشَرِيحَانِ ، أَيْ فَرَقَتَانِ . وَمِنْهُ حَدِيثُ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ الْكَدِيدَ أَمَرَ النَّاسَ بِالْفَطْرِ فَأَصْبَحَ النَّاسُ شَرِيحِينَ ، أَيْ بَعْضُهُمْ صَائِمًا وَبَعْضُهُمْ مَفْطَرًا .

(٨) الْخَصَاصُ بِالْفَتْحِ : خَلَلُ الشَّيْءِ . ل : « نِسَاءٌ » تَحْرِيفٌ . وَفِيمَا عَدَا ل ، هـ : « سِدَوَاتُ »

تَحْرِيفٌ أَيْضًا ؛ إِنَّمَا يَقَالُ سَدَى الثَّوْبِ يَسْدِيهِ ، يَأْتِي . فِيمَا عَدَا ل : « بِالْبَارِدِ الْعَذْبُ » وَفِيهِ الْإِقْوَاءُ . وَفِي

حَوَاشِي هـ : « وَفِي رَايَةِ الْبَارِدِ الْعَذْبُ . خ : شَيْبٌ بِهِ الْعَذْبُ » .

وقال نُصَيْب :

وما ابتذلتُ ابتذالَ الثوبِ ودَّكُم
وعائِدٌ خَلَقاً ما كان يُبتَذَلُ
وعِلْمُكَ الشَّيءَ تهوَّى أن تَبَيَّنَهُ
أشْفَى لقلبك من أخبار من تُسَلُّ (١)

وقال آخر :

لعمرك ما وُدُّ اللسانِ بنافع
إذا لم يكن أصلُ المودَّةِ في الصِّدرِ
وقال آخر (٢) :

تعلَّم فليس المرءُ يُولد عالماً
وليس أخو عِلْمٍ كَمَنْ هو جاهلٌ
وأن كبيرَ القوم لا عِلْمَ عنده
صغيرٌ إذا التفت عليه المحافلُ (٣)

وقال آخر :

فتى مثل صفو الماء ليس بياخِل
ولا قائل غوراء تؤذى جليسه
ولا مُسَلِّم مولى لأمرٍ يُصيبه
ولا رافع أحلوثة السوء مُعجِباً
يُرى أهله في نعمةٍ وهو شاحبٌ
طوى البطنَ مخمَّصُ الضُّحى والأصائل (٥)

وقالت أخت يزيد بن الطُّرَيْيَّة (٦) :

(١) يقال : سألت أسأل ، وسلت أسل ، كما في اللسان . ل : « يسل » .

(٢) هو رجل من قيس ، كما في لباب الآداب لأسامة بن منقذ ٢٢٨ .

(٣) بعده :

ولا ترض من عيش بلدون ولا يكن
نصيبك إرث قدمته الأوائل

(٤) العوراء : الكلمة القبيحة . فيما عدل : « تؤذى رفيقه » .

(٥) طوى البطن ، على وزن فعل ، أى ضامره . والخمصاص : الجائع . ٢٠

(٦) هو يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر . والطرية

أمه ، وهى من الطئر ، بالفتح ، حى من اليمن ، قال ابن خلكان : « الطرية بفتح الطاء المهملة وسكون

الهاء المثناة » وضبطها صاحب القاموس بالحريك . وكان يزيد جميلاً وسيماً شريفاً متلاقاً. توفى سنة

١٢٦. انظر تحقيق ذلك في حواشى الحيوان (٦ : ١٣٧) . واسم أخت يزيد زينب ، كما في اللسان

٢٥ (١٣ : ٤٣) وحامسة أى تمام (١ : ٤١٧) والبحترى ٤٣٣ .

أَرَى الْأَثْلَ مِنْ بَطْنِ الْعَقِيقِ مُجَاوِرِي قَرِيْباً وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهُ
 فَتَى قَدْ قَدَّ السَّيْفُ لَا مَتَضَائِلُ وَلَا رَهْلٌ لَبَّائِهِ وَبَادِلُهُ (١)
 فَتَى لَا يُرَى خَرَقُ الْقَمِيصِ بِخَصْرِهِ وَلَكِنَّمَا تُوْهِى الْقَمِيصَ كَوَاهِلُهُ (٢)
 إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عَذَوْرًا عَلَى الْحَى حَتَّى تُسْتَقْلَ مَرَاجِلُهُ (٣)
 مَضَى وَوَرِثَاهُ دَرِيْسَ مُفَاضَةٍ وَأَبْيَضَ هَنْدِيًّا طَوِيلًا حَمَائِلُهُ (٤)
 يَسْرُكُ مَظْلُومًا وَيُضْرِيكَ ظَالِمًا وَكُلُّ الذِي حَمَلْتُهُ فَهُوَ حَامِلُهُ
 أَخُو الْجِدِّ إِنْ جَدَّ الرُّجَالِ وَشَمَّرُوا وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شَتَّ أَهْلَاكَ بَاطِلُهُ (٥)

يصير هذا الشعر وما أشبهه مما وقع في هذا الباب ، إلى الشعر الذى فى أول

الفصل .

(١) اللبة واللبب : المنحر . والبأدلة : اللحم بين الإبط والشدو . وفى حماسة أبى تمام : « وأباجله » .

(٢) لا يخرق قميصه بخصره لضمره ، ويخرق قميصه بكاهله لكثرة حمله نجاد السيف .

(٣) العذور : النسيء الخلق . تستقل : تحمل وترفع . يقول : إنه يسوء خلقه على أهله عند نزول

الضيف ؛ حتى يطمنن إلى إمكان قراره . وعند البحترى : « حتى تستقر » .

(٤) المفاضة : الدرع الواسعة . والدرع الدريس : الخلق . أضاف الصفة إلى الموصوف . ١٥

(٥) انظر ما سأتى فى ٤ : ٧٥ .

باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل في باب الخطب

قال الشاعر :

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ يَعْيُونَ خُطْبَتِي وما منهم في موقفٍ بخطيبٍ
وقال آخر (١) :

• إِنَّ الْكَلَامَ مِنَ الْفَوَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا (٢)
لَا يُعْجِبُكَ مِنْ خُطِيبٍ قَوْلُهُ حَتَّى يَكُونَ مَعَ الْبَيَانِ أَصِيلًا (٣)
وَأَنْشُدْ آخَرَ :

أَبْرَ فَمَا يَزْدَادُ إِلَّا حِمَاقَةً وَتَوَكُّأً وَإِنْ كَانَتْ كَثِيرًا مَخَارِجُهُ (٤)
وقد يكون ردىء العقل جيء اللسان .

وقال أبو العباس الأعمى (٥) :

• إِذَا وَصَفَ الْإِسْلَامَ أَحْسَنَ وَصَفَهُ بِفِيهِ ، وَيَأْنِي قَلْبُهُ وَبِهَاجِرُهُ (٦)
وَإِنْ قَامَ قَالَ الْحَقُّ مَا دَامَ قَائِمًا تَقَىُّ اللِّسَانِ كَافِرٌ بَعْدُ سَائِرُهُ (٧)
وقال قيس بن عاصم المِنَقَرِيُّ (٨) يَذْكُرُ مَا فِي بَنِي مَنَقَرٍ مِنَ الْخَطَابَةِ :

(١) هو الأخطل كما نص ابن هشام في شرح شذور الذهب ٢٧ .

(٢) الرواية المعروفة : « لَفَى الْفَوَادِ » . والبيتان ليسا في الديوان .

(٣) عند ابن هشام : « خُطِيبٌ خُطْبَةٌ » . وفيما عدل : « مَعَ اللِّسَانِ » .

(٤) أَبْرَ : غَلَبَ . وَتَوَكُّأً ، بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ : الْحَمَقُ .

(٥) أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَعْمَى ، هُوَ السَّائِبُ بْنُ فُرُوخٍ ، مَوْلَى جَذِيمَةَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الدَّيْلِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ ، وَكَانَ مِنْ شُعْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةِ الْمَعْدُودِينَ الْمَقْدَمِينَ فِي مَدْحِهِمْ وَالتَّشْيِيعِ لَهُمْ ، رَوَى الْحَدِيثَ عَنْ صُلَيْمٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَرَوَى عَنْهُ عَطَاءٌ وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ . تَوَفَّى بَعْدَ ١٢٦ . الْأَغَانِي (١٥ : ٥٧ - ٦١) وَنَكَتُ الْهَمِيَانِ ١٥٣ - ١٥٥ وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ .

(٦) جَاءَ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ فِيمَا عَدَلَ : « يَقُولُ أَنَّهُ يَتَّبِعُهُ عَنْ قَوْلِهِ وَيَأْبَاهُ وَبِهَاجِرُهُ وَيَقُولُ بِحَقِّ عَلَى مَنِيهِ يَلْسَانُهُ وَسَائِرُهُ كَافِرٌ » .

(٧) هَامِشٌ لَ : « خَ : وَإِنْ قَالَ قَالَ الْحَقُّ مَا دَامَ قَائِلًا » .

(٨) هُوَ أَبُو عَلِيٍّ قَيْسُ بْنُ عَاصِمِ بْنِ سَنَانِ بْنِ خَالِدِ بْنِ مَنَقَرٍ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ مِقَاعَسَ = ٢٥

- إِنِّي امْرُؤٌ لَا يَعْتَرِي خُلُقِي دَنْسٌ يُفْنِدُهُ وَلَا أَفْنُ (١)
 مِنْ مَنَقَرٍ فِي بَيْتٍ مَكْرُمَةٍ وَالْأَصْلُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْقُصْنُ (٢)
 خُطْبَاءٌ حِينَ يَقُومُ قَائِلُهُمْ بِيضُ الْوُجُوهِ مَصَاقِعَ لُسْنُ (٣)
 لَا يَقْطُنُونَ لَعِيبَ جَارِهِمْ وَهُمْ لِحْفَظِ جَوَارِهِمْ فُطْنُ (٤)

ومن هذا الباب وليس منه في الجملة ، قول الآخر :

- أشارت بِطَرْفِ الْعَيْنِ خِيفَةً أَهْلَهَا إِشَارَةً مَذْعُورٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ
 فَأَيَّقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَباً وَأَهْلاً وَسَهْلاً بِالْحَبِيبِ الْمُسْلِمِ (٥)
 وَقَالَ نُصِيبٌ ، مَوْلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ (٦) :

يَقُولُ فَيُحْسِنُ الْقَوْلَ ابْنُ لَيْلَى وَيَفْعَلُ فَوْقَ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ (٧)

= واسم مقاعس الحارث - بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعر فارس شجاع ، وكان سيداً في الجاهلية والإسلام ، صاحب النبی في حياته وعاش بعده زماناً ، وهو أحد من وأد بناته في الجاهلية ، بل يزعمون أنه أول من وأد . وفيه يقول الأحنف : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم . الإصابة ٧١٨٨ والأغاني (١٢ : ١٤٣ - ١٥١) . وروى ابن قتيبة في عيون الأخبار (١ : ٢٨٦) أنه أنشد الشعر التالي ، حينما علم بأن أخيه قد قتل ابنه .

(١) فنده : لاهه وضعف رأيه . والأفْن : ضعف الرأي والعقل . وفي أمالي القائل (١ : ٢٣٩) :

« لَا يَعْتَرِي حَسْبِي » .

(٢) في الحماسة (٢ : ٢٦٣) و« عيون الأخبار » : « والغصن ينبت حوله » . وفي الأمالي : « والفرع » .

(٣) في الأمالي و« عيون الأخبار » : « حين يقول » .

(٤) هـ : « لحسن جواره » . وفي الحماسة والأمالي و« عيون الأخبار » : « لحفظ جواره » ، وفطن : جمع

فطن .

(٥) سبق البيتان في ص ٧٨ . وروى هناك كما ورد في هـ : « بالحبيب التميم » .

(٦) نصيب هذا هو نصيب الأكبر ، وقد سبقت ترجمة الأصغر في ١٢٥ . وهذا هو نصيب بن رباح ، وكان ابن نوبين ، اشتراه عبد العزيز بن مروان ، وكان شاعراً فحلاً فصيحاً ، وله شعر كثير في الاحتجاج للسواد . انظر الأغاني : (١٢٥ - ١٤٥) . وكنيته أبو محجن ، وجاء في (١ : ١٣٥) أنه كان يكنى أبا الحجناء ، وهي كنية مشتركة بينه وبين نصيب الأصغر . انظر ما سبق في ص ٢٠٧ .

(٧) البيت من أبيات في الأغاني (١ : ١٣٥) . وبعدة :

فَنِي لَا يَرِزُّا الْخِلَانَ إِلَّا مَوْدَتُهُمْ وَيَرْزُوهُ الْخَلِيلُ
 فَبَشِّرْ أَهْلَ مِصْرَ فَقَدْ أَتَاهُمْ مَعَ النَّيْلِ الَّذِي فِي مِصْرَ نَيْلُ

وقال آخر :

أَلَا رَبُّ نَحْصِمُ ذِي فُنُونٍ عَلَوْتُهُ وَإِنْ كَانَ أَلَوَى يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ (١)
فهذا هو معنى قول العتّائي : « البلاغة إظهار ما غمض من الحق ،
وتصوير الباطل في صورة الحق » (٢) . وقال الشاعر (٣) ، وهو كما قال :
عَجِبْتُ لِإِدْلَالِ الْعَيْسَى بِنَفْسِهِ وَصَمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْقَوْلِ أَعْلَمًا (٤)
وَفِي الصَّمْتِ سِتْرٌ لِلْعَيْسَى وَإِنَّمَا صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ

وموضع « الصحيفة » من هذا البيت ، موضع ذكر « العنوان » في
شعره (٥) الذي رثى عثمان بن عفّان ، رحمه الله ، به حيث يقول :
ضَحَّحُوا بِأَشْمَطِ عُتُونِ السُّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا (٥)
وَأُنْشَدَ أَيْضًا :

تَرَى الْفَتَيَانَ كَالنَّحْلِ وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ (٦)
وَكُلٌُّ فِي الْهَوَى لَيْثٌ وَفِيمَا نَابَهُ فَسْلٌ
وَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الْوَصْلِ وَلَكِنْ أَنْ يُرَى الْفَصْلُ (٧)

(١) الألوى : الشديد الخصومة الجدل السليط .

(٢) انظر ما سبق في ص ١١٣ س ١١ - ١٢ .

(٣) هو الخطفي جد جرير ، واسمه عوف ، انظر اللسان (خطف) حيث أنشد البيتين ، وكذا
عيون الأخبار (٢ : ٢٧٥) . والبيتان بدون نسبة في تاريخ بغداد (١٤ : ٢٤٨) .

(٤) في اللسان وتاريخ بغداد : « لإزراء العيسى » . وفي عيون الأخبار : « قد كان بالحق » .

(٥) أى في شعر الشاعر ، ولم يقصد به معينا . والبيت التالي لحسان بن ثابت في ديوانه ٤١٠

واللسان (عن ١٦٨) . وسيأتى في (٣ : ٢٦٢) .

(٦) الشعر لابنة الحس ، كما في اللسان (١٨ : ١٧٩ - ١٨٠) . وقبله

قالت قالة أختي وحجواها لها عقل

وقد ضمنت ابنة الحس هذا المثل في شعرها ، وأما المثل « ترى الفتیان » الخ : فقائله هو عثمة

بنت مطرود البجلي . انظر أمثال الميداني (١ : ٢٢٣) .

(٧) فيما عدا ل : « الفضل » بالضاد المعجمة .

وقال كِسرى أنوشِروان ، لُبُّزْرِجِمَهْر (١) . أئى الأشياء خير للمرء العى (٢) ؟ قال : عقل يعيش به . قال : فإن لم يكن له عقل ؟ قال : فإخوان يسترون عليه . قال : فإن لم يكن له إخوان ؟ قال : فمال يتحبب به إلى الناس . قال : فإن لم يكن له مال ؟ قال : فعى صامت . قال : فإن لم يكن له (٣) ؟ قال : فموت مُريح .

وقال موسى بن يحيى بن خالد : قال أبو على (٤) : « رسائل المرء في كتبه أدل على مقدار عقله ، وأصدق شاهداً على غيبه لك (٥) ، ومعناه فيك ، من أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة . »

- ١٠ (١) سبقت ترجمته في ص ٧ ، حيث ورد الخبر التالى ببعض خلاف .
 (٢) هذا ما فى ب ، وهو يطابق ما سبق . وفيما عداها : « العى » .
 (٣) فيما عدا ل : « ذلك » بدل « له » .
 (٤) هذه إحدى كنى العتائى ، وكنيته المشهورة أبو عمرو . وجاء فى عيون الأخبار (١ : ٣٩٠) « قال يحيى بن خالد للعتائى فى لباسه ، وكان لا يبالى ما لبس - يا أبا على ، أخزى الله أمراًضى أن يرفعه هيتاه من جماله وماله » والعتائى هو كلثوم بن عمرو بن أيوب ، وجده السابع هو عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة . والعتائى شاعر مترسل بليغ مطبوع ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان منقطعا إلى البرامكة فوصفوه للرشد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ . انظر الأغانى (١٢ : ٢ : ٩) وتاريخ بغداد ١٩٦١ ومعجم الأدباء (١٧ : ٢٦) .
 ٢٠ (٥) فيما عدا ل : « وأصدق شاهد على غيبه لك » .

وباب منه آخر

ووصفوا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرودِ العصب ، وكالحُلِّ والمعاطف ، والدِّياجِ والوشى ، وأشباه ذلك .

وأنشدني أبو الجماهر جُنْدَب بن مدرك الهلالي :

لا يُشْتَرَى الحمدُ أُمْنِيَّةٌ ولا يُشْتَرَى الحمدُ بالمَقْصِرِ ^(١)
ولكنما يُشْتَرَى غالباً فمن يُعْطِ قيمته يَشْتَرِ
ومن يعتطفه على مِثْرِ فنعم الرِّداءُ على المِثْرِ
وأنشدني لابن مِيَادَةَ ^(٢) :

نَعَمْ إِنِّي مُهِدٍ ثَنَاءً وَمِدْحَةً كَبُرْدُ الْيَمَانِي يُرْبِحُ الْبَيْعَ تاجره
وأنشد :

فإِنْ أَهْلِكَ فَقَدْ أَبْقَيْتُ بَعْدِي قَوافِي تُعْجِبُ الْمُتَمَثِّلِينَ ^(٣)
لذِيذَاتِ الْمَقَاطِعِ مُحْكَمَاتٍ لَوْ أَنَّ الشَّعْرَ يُلْبَسُ لَارْتَدِينَا

وقال أبو قُرْدُودَةَ ، يرثي ابنَ عَمَارٍ ^(٤) قَتِيلَ النُّعْمَانِ وَنَدِيمَهُ ^(٥) ،
ووصف كلامه ، و [قد ^(٦)] كان نهاه عن منادمته :

١٥ (١) المقصر ، بفتح الصاد وكسرها : الشيء الدون اليسير اللسان (٦ : ٤٠٩ ، ٤١٥) .
(٢) ابن ميادة ، هو الرماح بن أبرد . وميادة أمه ، وهو شاعر مخضرم من شعراء الدولتين ، وكان من مدح المنصور ، ومات في صدر خلافته . الأغاني (٢ : ٨٥ - ١١٦) .
(٣) البيتان لابن ميادة ، كما في حماسة ابن الشجري ٢٣٧ - ٢٣٨ . وانظر ديوان المعاني (١ : ٨) ودلائل الإعجاز ٣٦٨ .

٢٠ (٤) هو عمرو بن عمار الطائي ، كان شاعرا خطيبا ، فبلغ النعمان حديثه فحملة على منادمته . وكان النعمان أحمر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العريضة قتالا للندماء ، فنهاه أبو قردودة عن منادمته ، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر التالي . انظر الحيوان (٤ : ٢٤٣ / ٥ : ٣٣٢) . ومعجم المرزباني ٢٣٦ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .
(٥) هذه الكلمة في ل فقط .
(٦) هذه مما عدا ل .

إِنِّي نَهَيْتُ ابْنَ عَمَّارٍ وَقُلْتُ لَهُ لَا تَأْمَنْ أَحْمَرَ الْعَيْنِينَ وَالشَّعْرَةَ
 إِنَّ الْمَلُوكَ مَتَى تَنْزِلُ بِسَاحَتِهِمْ تَطْرُ بِنَارِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَّهُ
 يَا جَفْنَةُ كِإِزَاءِ الْحَوْضِ قَدْ هَدَمُوا وَمِنْطَقًا مِثْلَ وَشْيِ الْيَمْنَةِ الْجَبْرِه (١)
 وَقَالَ الشَّاعِرُ (٢) فِي مَدِيحِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادَ :

وعويص من الأمور بهيم غامض الشَّخصي مظلم مستور (٣)
 قد تسهَّلت ما توَعَّر منه بلسان يزينه التحبير (٤)
 مثل وشي البرود هلهله النَّسْ حُ وعند الحجاج دُرٌّ نثير
 حسن الصَّمْتِ والمَقَاطِعِ إِمَّا نطق القوم والحديث يدور (٥)
 ثمَّ من بَعْدُ لَحْظَةٌ ثَوْرَتْ إِلَيْ سَرٍّ وَعِرْضٌ مَهْدَبٌ مَوْفُورُ

ومما يُضَمُّ إلى هذا المعنى وليس منه ، قول جميل بن مَعْمَر :
 نَمَتْ فِي الرَّوَّانِي مِنْ مَعَدٍّ وَأُفْلِحَتْ عَلَى الْخَفِرَاتِ الْعُرِّ وَهِيَ وَلِيدُ
 أَنَاةٍ عَلَى نِيرِينَ أَضْحَى لِدَانِهَا بَلِينَ بَلَاءَ الرِّيطِ وَهِيَ جَدِيدُ (٦)
 نمت : شَبَّتْ . الرَّوَّانِي مِنْ مَعَدٍّ : البيوت الشريفة . وأصل الرابية والرَّابَاةُ :
 ما ارتفع من الأرض . أَفْلِحَتْ : أَظْهَرَتْ (٧) . وَالْخَفِرَاتُ : الْحَيَّاتُ . الْأَنَاةُ :
 الْمَرْأَةُ الَّتِي فِيهَا فُتُورٌ عِنْدَ الْقِيَامِ . وَقَوْلُهُ عَلَى نِيرِينَ ، وَصَفَهَا بِالْقُوَّةِ ، كَالثَّوْبِ الَّذِي

(١) إِزَاءُ الْحَوْضِ : مُصَبِّ الدَّلْوِ فِيهِ .

(٢) هُوَ الْجَاهِظُ ، كَمَا وَرَدَ فِي تَرْجُمَةِ يَاقُوتَ لَهُ فِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ (١٦ : ٨٠ - ٨١) .

(٣) فِي الْبَيْتِ إِقْوَاءٌ . لَكِنْ رَوَى فِي هـ بَرْقُعٌ « عُوَيْصُ » وَمَا بَعْدَهُ .

(٤) فِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ : « قَدْ تَسَمَّتْ » . وَهِيَ رَوَايَةٌ لِإِحْدَى النُّسخِ كَمَا فِي حَوَاشِي هـ . وَفِي

حَوَاشِيهَا أَيْضًا : « يُقَالُ تَسَمَّ الرَّجُلُ الْخَاطِطُ ، إِذَا عَلَاهُ مِنْ عَرَضٍ » .

(٥) فِيمَا عَدَا لَ : « أَنْصَتِ الْقَوْمُ » . وَفِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ : « نَصَتْ » ، وَهِيَ صَحِيحَةٌ يُقَالُ :

نَصْتُ وَأَنْصَتُ ، وَالْأَخِيرَةُ أَعْلَى .

(٦) فِي الْمَخْصَصِ (٣ : ١٥٦) :

ضَنَّاكَ عَلَى نِيرِينَ أَضْحَى لِدَانِهَا بَلِينَ بِلَى الرِّيطَاتِ وَهِيَ جَدِيدُ

(٧) فِيمَا عَدَا لَ : « أَفْلِحَتْ : ظَهَرَتْ وَقَهَرَتْ » . وَتَقَرَأُ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ .

يَنْسَجُ عَلَى نِيرِينَ ، وَهُوَ الثَّوبُ الَّذِي لَهُ سَدَيَانِ ، كَالدِّيَابِجِ وَمَا أَشْبَهَهُ . أَضْحَى لِدَائِهَا ، اللَّدَّةُ : الْقَرِينَةُ فِي الْمَوْلِدِ وَالْمَنْشَأِ . فَيَقُولُ : إِنَّ أَقْرَانَهَا قَدْ بَلَيْنَ ، وَهِيَ جَدِيدٌ لِحُسْنِ غِذَائِهَا وَدَوَامِ نَعْمَتِهَا .

وَمِنْ هَذَا الشَّكْلِ وَلَيْسَ مِنْهُ بَعِينُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

٥ . عَلَى كُلِّ ذِي نِيرِينَ زَيْدٌ مَحَالُهُ مَحَالًا وَفِي أَضْلَاعِهِ زَيْدٌ أَضْلَعًا
الْمَحَالُ : مَحَالُ الظَّهْرِ ، وَهِيَ فَقَارُهُ ، وَاحِدُهَا مَحَالَةٌ .

وَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ الْحَرَمِيُّ الْأَعْوَرُ : أَوَّلُ شَعْرِ قَلْتُهُ هَذَانِ الْبَيْتَانِ :
بِقَلْبِي سَقَامٌ لَسْتُ أَحْسِنُ وَصْفَهُ عَلَى أَنَّهُ مَا كَانَ فَهُوَ شَدِيدٌ
تَمُرُّ بِهِ الْأَيَّامُ تَسْحَبُ ذَيْلَهَا قَتَبَلِي بِهِ الْأَيَّامُ وَهُوَ جَدِيدٌ
وَقَالَ الْآخَرُ (١) :

أَنِى الْقَلْبُ إِلَّا أَمَّ عَمْرُو وَحُبُّهَا عَجُوزًا وَمَنْ يُحِبُّ عَجُوزًا يُفْنَدُ
كَبِيرُ الْيَمَانِي قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ وَرَفَعَتْهُ مَا شَتَّتْ فِي الْعَيْنِ وَالْيَدِ
وَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ :

إِنَّ الْأَدِيمَ الَّذِي أَصْبَحَتْ تَعْرُكُهُ جَهْلًا لَذُو نَعْلٍ بَادٍ وَذُو حَلَمٍ (٢)
وَلَنْ يَنْطُ بِأَيْدِي الْحَافِلِينَ وَلَا أَيْدِي الْخَوَالِقِ إِلَّا جَيِّدُ الْأَدَمِ (٣)

٣٧

وَفِي غَيْرِ هَذَا الْبَابِ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ ذُو الرُّمَّةِ :
وَفِي قَصْرِ حَجَرٍ مِنْ ذَوَابَةِ عَامِرٍ إِمَامٌ هَدَى مُسْتَبْصِرُ الْحَكَمِ عَادِلُهُ (٤)

(١) فِيمَا عَدَلَ ، هـ : « وَقَالَ آخَرُ ، هُوَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ » . وَالْبَيْتَانِ فِي الْحِمَاسَةِ (٢) :
(١٢٨) مَنْسُوبَانِ إِلَى أُنَى الْأَسْوَدِ . وَفِي حَوَاشِي هـ : « هُوَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ » .

(٢) النُّعْلُ : فِسَادُ الْأَدِيمِ . وَالْحَلَمُ ، بِالتَّحْرِيكِ : فِسَادُهُ وَوُقُوعُ الدَّوْدِ فِيهِ . ٢٠

(٣) يَنْطُ : يَصُوتُ . وَالْخَوَالِقُ : الَّذِي يَخْلُقُ الْأَدِيمَ ، يَقْدِرُهُ وَيُقَيِّمُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْطَعَهُ . وَالْأَدَمُ بِالتَّحْرِيكِ : اسْمُ جَمْعٍ لِلْأَدِيمِ ، وَهُوَ الْجِلْدُ الْمَدْبُوعُ . وَيَقْرَأُ أَيْضًا « الْأَدَمُ » بِضَمَّتَيْنِ جَمْعُ أَدَمٍ .

(٤) الْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِ ذِي الرُّمَّةِ ٤٧٤ : وَفِي شَرْحِ الدِّيْوَانِ : « الْحَجَرُ سَوْقُ الْبَيَامَةِ وَقَصْبَتُهَا » .

ب : « فَرَّ حَجَرٌ » : « قَصْرُ قَفَرٍ » مُحَرَّفَتَانِ . وَفِي هـ : « مُسْتَبْصِرُ الْحَكَمِ » .

كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ مَاءً مُذْهَبٍ إِذَا سَمَلُ السَّرْبَالِ طَارَتْ رَعَابِلُهُ
الرَّعَابِلُ : الْقِطْعُ . وَشَوَاءُ مُرْعَبِلٌ : مَقْطَعٌ . وَرَعَبَلْتُ الشَّيْءَ أَيْ قَطَعْتَهُ .
وَيُقَالُ ثَوْبٌ سَمَلٌ وَأَسْمَلٌ . وَيُقَالُ سَمَلُ الثَّوْبِ وَأَسْمَلُ ، إِذَا خُلِقَ ^(١) .
وهو الذي يقول :

حوراءُ في دَعَجٍ صفراءُ في نَعَجٍ كأنها فضَّةٌ قد مَسَّهَا ذهبُ
الحور : شِدَّةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ . وَالْدَّعَجُ : شِدَّةُ سَوَادِ الْخَدَقَةِ . وَالنَّعَجُ :
اللَّيْنُ . قَالُوا : لِأَنَّ الْمَرْأَةَ الرَّقِيقَةَ اللَّوْنُ يَكُونُ بَيَاضُهَا بِالْغَدَاةِ يَضْرِبُ إِلَى الْحُمْرَةِ ،
وَبِالْعَشْيِ يَضْرِبُ إِلَى الصَّفْرِ . وَلِذَلِكَ قَالَ الْأَعَشَى :
بَيَضاءُ ضَحَوَتْهَا وَصَفْ — رَاءَ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَاةِ ^(٢)
وقال آخر :

قد علمتُ بَيَضاءَ صَفْرَاءِ الْأَصْلِ ^(٣) لِأُغْنِيَنَّ الْيَوْمَ مَا أَغْنَى رَجُلٌ
وقال بشار بن بُرْد :

وَخِذِي مَلَابِسَ زِينَةٍ وَمُصَيَّغَاتٍ فَهِيَ أَفْخَرُ
وَإِذَا دَخَلْتُ تَقْنَعِي بِالْحُمْرِ إِنَّ الْحَسَنَ أَحْمَرُ ^(٤)

وهذان أَعْمِيَانِ ^(٥) قد اهْتَدَيَا مِنْ حَقَائِقِ هَذَا الْأَمْرِ إِلَى مَا لَا يُلْفَهُ تَمْيِيزُ
الْبَصِيرِ ^(٦) . وَلِبَشَارٍ خَاصَّةٌ فِي هَذَا الْبَابِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ ، وَلَوْلَا أَنَّهُ فِي كِتَابِ
الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ وَفِي بَابِ الْقَوْلِ فِي الْإِنْسَانِ مِنْ كِتَابِ الْحَيَوَانِ ، أَلْيَقُ وَأَرْكَى ^(٧)
لِذِكْرَانِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

(١) هـ : « أخلق » .

(٢) ديوان الأعشى ١١١ واللسان (عرر) .

(٣) الأصل : جمع أصيل ، وهو آخر النهار

(٤) في حواشي هـ : « أبو علي : يقال في مثل للعرب : الحسن أحمر ، أي من أراد الحسن صبر

على أشياء يكرهها » . وفي اللسان : « يلقي منه المشقة والشدة كما يلقي من القتال » .

(٥) في حواشي هـ : « خشى : كان الأعشى قد عمى ، فلذلك قال : أعميان » .

(٦) ل : « البصر » .

(٧) أركى : أصلح . فيما عدل ل ، هـ : « أذكى » تحريف .

وبما ذكروا فيه الوزنَ قوله :

زَيْي الْقَوْمَ حَتَّى تَعْرِفَى عِنْدَ وَزَنِهِمْ إِذَا رَفَعَ الْمِيزَانُ كَيْفَ أَمِيلُ ^(١)

وقال ابن الزَّيْير الأَسَدِيُّ ، واسمه عَبْدُ اللَّهِ ^(٢) :

أَعَاذِلْ غُضَّيَّ بَعْضَ لَوْمِكِ إِنَّنِي أَرَى الْمَوْتَ لَا يَرْضَى بَدِينِي وَلَا رَهْنِي ٨
وَإِنِّي أَرَى دَهْرًا تَغَيَّرَ صَرْفُهُ وَدُنْيَا أَرَاهَا لَا تَقُومُ عَلَى وَزْنِ ٥

★ ★ ★

(١) ل : « حتى تعرفى عند وزنه » . وكلمة « واسمه عبد الله » ساقطة من ه .

(٢) الزبير ، هذا ، بفتح الزاى . وهو عبد الله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة ينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمه ، وهو شاعر كوفى المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأموية ومن شيعتهم والمتعصبين لهم ، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيرا ، فمِن عليه ووصله ، فمدحه وأكثر من مدحه وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قتل وعمى بعد ذلك ، ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان . ١٠
وكان أحد المهجائين يخاف الناس شره . الأغاني (١٣ : ٣١ - ٤٧) والخزانة (١ : ٣٤٥) ومعاهد التنصيص (١ : ٢٠) . ولم يذكره الصفدى فى نكت الهميان .

وباب آخر

ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ، ويفضّلون إصابة المقادير ،
ويذمّون الخروج من التعديل ^(١) .

قال جعفر بن سليمان : ليس طيبُ الطّعام بكثرة الإنفاق وجودة
التّوابل ، وإنّما الشّأن في إصابة القدر . وقال طارق بن أثال الطائي ^(٢) :

ما إن يزأل ببغداد يزاحمنا على البراذين أشباه البراذين
أعطاهم الله أموالاً ومنزلةً من الملوك بلا عقل ولا دين
ما شئت من بغلة سفواء ناجية ومن أثاث وقول غير موزون ^(٣)
وأنشدني بعض الشعراء ^(٤) .

رأى رجلاً أودى السّفار بجسمه فلم يبق إلّا منطق وجناجن ^(٥)
[الجناجن : عظام الصّدر ^(٦)] .

إذا حُسِرَتْ عنه العمامة راعها جميل الحفوف أغفلته الدّواهن ^(٧)
فإن أكّ معروق العظام فأتنى إذا ما وزّنت القوم بالقوم وازن ^(٨)

وقال مالك بن أسماء في بعض نسائه ، وكانت تصيب الكلام كثيراً ،

وربما لحنت :

١٥

(١) فيما عدا ل : « التّويل » محرف . وكلمة : « من التعديل » ليست في هـ .

(٢) فيما عدا ل : « وقال الشاعر وهو طارق بن أثال الطائي » .

(٣) سفواء : خفيفة سريعة . فيما عدا ل : « سفواء : ناجية سريعة » .

(٤) الشعر التالي لكثير عزة ، كما في الأغاني (١٤ : ٥٧) .

(٥) السفارة : مصدر سافر ، كالسّافرة .

(٦) هذه مما عدا ل . والمفرد جنجن ، بكسر الجيمين وفتحهما .

(٧) الحفوف : الشعث وبعد العهد بالدهن . فيما عدا ل : « الحفوف » تحريف .

(٨) معروق العظام : قليل اللحم .

٢٠

أَمْعُطِي مِنِّي عَلَى بَصَرِي لِلْحُبِّ أَمْ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنًا (١)
 وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مِمَّا يَنْعُتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا
 مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نَأً وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحَنًا
 وَقَالَ طَرَفَةُ فِي الْمَقْدَارِ وَإِصَابَتِهِ :

٥ فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّيِّعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي (٢)
 طَلَبَ الْغَيْثَ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ ، لِأَنَّ الْفَاضِلَ ضَارَّ . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي
 دَعَائِهِ (٣) : « اللَّهُمَّ اسْقِنَا سَقِيًّا نَافِعًا » . لِأَنَّ الْمَطَرَ رَيْمًا جَاءَ فِي غَيْرِ إِبَانِ
 الزَّرْعَاتِ ، وَرَيْمًا جَاءَ وَالتَّمَرُ فِي الْجُرْنِ ، وَالطَّعَامُ فِي الْبِيَادِرِ ، وَرَيْمًا كَانَ فِي
 الْكُثْرَةِ مَجَاوِزًا لِمَقْدَارِ الْحَاجَةِ . وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا (٤) » .
 ١٠ وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ لِصَاحِبِهِ : أَنَا أَشْعُرُ مِنْكَ . قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لِأَنِّي
 أَقُولُ الْبَيْتَ وَأَخَاهُ ، وَأَنْتَ تَقُولُ الْبَيْتَ وَابْنَ عَمِّهِ .

وَعَابَ رُؤْيُ شَعْرِ ابْنِهِ فَقَالَ : « لَيْسَ لَشَعْرِهِ قِرَانٌ (٥) » . وَجَعَلَ الْبَيْتَ أَخَا
 الْبَيْتِ إِذَا أَشْبَهَهُ وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يُوضَعَ إِلَى جَنْبِهِ . وَعَلَى ذَلِكَ التَّأْوِيلِ قَالَ الْأَعَشَى :
 أَبَا مِسْمَعٍ أَقْصَرَ فَإِنَّ قَصِيدَةً مَتَى تَأْتِكُمْ تَلْحَقُ بِهَا أَخَوَاتُهَا
 ١٥ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ .
 وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرَبَ :

وَكُلُّ أَخٍ مَفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَيْبِكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ (٦)

(١) سَبَقَتِ الْآيَاتُ وَالْكَلَامُ عَلَيْهَا فِي ص ١٤٧ . وَانْظُرْ كَذَلِكَ أَمَالِي ثَلَب ٥٩٩ وَالْقَالَ (١ : ٥)
 وَالْمُرْتَضَى (١ : ١٠) .

٢٠ (٢) دِيْوَانُ طَرَفَةَ ٦٢ وَمَعَاهِدُ التَّنْصِيفِ (١ : ١٢٢) مِنْ قَصِيدَةِ يَمْدَحُ بِهَا قِتَادَةَ بْنِ مُسْلِمَةَ الْخَنْفَى .
 (٣) الْكَلَامُ مِنْ هُنَا إِلَى نَهَايَةِ قَوْلِهِ : « ﷺ » مِنْ ب ، هـ فَقَطْ .
 (٤) الْكَلِمَةُ الْأُولَى مِنَ الْحَدِيثِ سَاقِطَةٌ مِنْ ل ، هـ .
 (٥) انْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ٦٨ .

(٦) انْظُرِ الْخِزَانَةَ (٢ : ٥٢) وَالْكَامِلَ ٧٦٠ وَسَيَبُوه (١ : ٣٧١) . وَالْبَيْتُ يَنْسَبُ أَيْضًا إِلَى
 حَضْرَمِيِّ بْنِ عَامِرٍ . الْمُؤْتَلَفُ ٨٥ . ٢٥

وقالوا فيما هو أبعد معنى وأقل لفظاً . قال الهذلي^(١) :
 أعامرُ لا آلوك إلا مهنداً وجلد أئى عجل وثيق القبائل^(٢)
 ويعنى بأئى عجل الثور .

وقالوا فيما هو أبعد من هذا . قال ابن عسلة الشيباني ، واسمه عبد المسيح^(٣) :
 وسَمَاعٌ مُدَجِّنَةٌ تَعْلُنَا حَتَّى نَنَامَ تَنَاوَمَ الْعُجَمِ^(٤)
 فصحوت والتَمَرُ يُحْسِبُهَا عَمَّ السَّمَاءِ وَخَالَةَ النَّجْمِ^(٥)
 النجم واحدٌ وجمع^(٦) . والنَّجْم : الثَّوْبُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ . مدجنة ، أى
 سحابة دائمة .

وقال أبو النَّجْم فيما هو أبعد من هذا ، ووصف العَيْرَ والمَعْيُورَاءَ ، وهو
 الموضع الذى يكون فيه الأعيار^(٧) :
 ١٠

- (١) أبو خراش الهذلي . انظر نسخة الشنقيطي من الهذليين ٧١ .
 (٢) في ديوان الهذليين : « أواقد » . وفي المخصص (١٣ : ١٧٤) :
 أَوَاقِدُ لَا آلُوك إِلَّا مَهْنَدًا وجلد أئى العجل الشديد القبائل
 قال : « يعنى ترسا عمل من جلد ثور مسن شديد قبائل الرأس » .
 (٣) هو عبد المسيح بن حكيم بن عفير . وعسلة أمه نسب إليها ، وهى عسلة بنت عامر بن
 ١٥ شراكة الغساني . انظر المؤلف ١٥٧ - ١٥٨ والمرزباني ٣٨٥ وكتاب من نسب إلى أمه من الشعراء .
 وقد نشرته محققاً بمجلة المقتطف مايو سنة ١٩٤٥ ونوادير المخطوطات ١ : ٨١ - ٩٦) وقصيدة البيتين
 في الفضليات (٢ : ٧٩) .
 (٤) المدجنة : القينة تغنى في يوم الدجن ، يفتح الدال ، وهو تكاثف الغيم . تعللنا : تلهينا بصوتها .
 قال الأصمعي : « كانت الأعاجم إذا نامت لم يجترأ عليها أن تنبه . ولكن يعرف حولها ويضرب حتى تنبيه » .
 ٢٠ والآمدى يرويه : « تناوَمَ العجم » . قال « تناوَمَ من النسيم ، أى تتكلم بما لا يفهم » .
 (٥) التمرى ، هو كعب ، أحد بني التمر بن قاسط . أى يحسب القينة فى عظيم قدرها عما
 للسماك ، وخالة للثريا . وفى جميع النسخ : « فصحوت » . وكذا فى الحيوان (١ : ٢١٢ ، ٢٨٦) .
 وصواب روايته : « لصحوت » . لأن البيت جواب لبيت سابق ، وهو :
 ٢٥ يا كعب إنك لو قصرت على حسن الندام وقلة الجرم
 (٦) هذا الكلام مما عد ل . وقد ورد أيضاً فى الحيوان (١ : ٢٨٦) .
 (٧) ل : « الذى يكون فيه » . على أن المعروف أن « المعيراء » جمع من جموع العير .

* وَظَلَّ يُوفِي الْأَكَمَّ ابْنُ خَالِهَا *

فهذا مما يدلُّ على توسُّعهم في الكلام ، وَحَمَلِ بعضه على بعض ،
واشتقاق بعضه من بعض (١)

وقال النبي ﷺ : « نِعِمَّتِ الْعَمَّةُ لَكُمْ النَّحْلَةُ » ، حين كَانَ بينها وبين
الناس تشابهٌ وتشاكل ونسبٌ من وجوه . وقد ذكرنا ذلك في كتاب الزُّرع
والنَّحْل .

وفي مثل ذلك قال بعض الفصحاء :
شَهِدْتُ بِأَنَّ التَّمَرَ بِالزَّيْدِ طَيِّبٌ وَأَنَّ الْحُبَارَى خَالَةَ الْكَرَوَانِ (٢)
لأنَّ الْحُبَارَى ، وإن كانت أعظمَ بدنًا من الْكَرَوَانِ ، فَإِنَّ اللَّوْنَ وَعُمُودَ الصُّورَةِ
واحد ، فلذلك جعلها خالته ، ورأى أَنَّ ذلك قَرَابَةٌ تستحقُّ بها هذا القول .

(١) هذه الجملة مما عدا ل .

(٢) في الحيوان (٦ : ٣٧٢) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ الزَّيْدَ » .

باب آخر من الشعر مما قالوا في الخطب
واللّسن والامتداح به والمدح عليه

قال كعب الأشقرى^(١) :

إلا أكنُ في الأرض أخطب قائما فأئني على ظهر الكُميت خطيبُ
وقال ثابت قُطنة :

فإلا أكنُ فيهم خطيباً فإنني بسُمر القنا والسيف جدُ خطيب^(٢)
وقالت ليلي الأخيلية :

حتّى إذا رُفِع اللّواء رأيتَه تحت اللّواء على الخميس زعيما^(٣)
وقال آخر :

عجبتُ لأقوامٍ يعيئون خطبتي وما منهم في مَأْقِطٍ بخطيب^(٤)
وهؤلاء يفخرون بخطبهم التي عليها يعتمدون ، بالسُّيُوف والرُّماح^(٥) ،
وإن كانوا خطباء . وقال دُرَيْدُ بن الصَّمّة^(٦) :

أبلغُ نُعيماً وأوفى إن لقيتَهُما إن لم يكن كان في سمعيهما صمُ
فلا يزالُ شهابٌ يُستضاء به يَهْدِي المَقَانِبَ ما لم تَهْلِك الصَّمَمُ^(٧)

(١) هو كعب بن معدان الأشقرى ، شاعر فارس خطيب ، من أصحاب المهلب ، مذكور في
حروب الأزارقة . الأغاني (١٣ : ٥٤ - ٦١) ومعجم المرزبانى ٣٤٦ .

(٢) فيما عدل : « أكن فيكم » و « جد لعوب » .

(٣) من مقطوعة لها رواها أبو تمام في الحماسة (٢ : ٢٧٦ - ٢٧٧) . وقيله :

ومخرق عنه القميص تخاله وسط البيوت من الحياء سقيما

(٤) ل : « في موقف » . وكتب في هامشها « خ : مَأْقِط » . وانظر ص ٢١٨ .

(٥) ل : « بأن خطبهم التي عليها يعتمدون السيوف والرماح » تحريف .

(٦) الأبيات التالية يري بها أخاه عبد يغوث بن الصمة . الأغاني (٩ : ٨) .

(٧) في الأغاني : « فلا يزال شهابا » . وبين هذا وسابقه في الأغاني :

فما أخى بأخى سوء فينقصه إذا تقارب بابين الصادر القسم

والصمم : جمع صمة ، بكسر الصاد وتشديد الميم : وهو الشجاع : في الأغاني : « الأثم » .

(١٧ - البيان - أول)

- عارى الأشاجع معصوبٌ بلمّته أمرُ الرّعاة في عرينه شمّم
- المقانب : جمع مقنّب ؛ والمقنب : الجماعة من الخيل ليست بالكثيرة . والأشاجع :
 عروقُ ظاهرِ الكفّ ، وهى مغرز الأصابع . واللّمة : الشعرة التى ألّمت بالمنكب . ١
- وزعيم القوم : رأسهم وسيّدهم الذى يتكلّم عنهم . والرّعاة : مصدر الرّعيم الذى
 يسود قومه . وقوله « معصوبٌ بلمّته » أى يُعصّب برأسه كلُّ أمر . عرينه : أنفه . ٥
- وقال أبو العباس الأعمى ^(١) ، مولى بنى بكر بن عبد مناة فى بنى عبد شمس :
- ليت شعرى أفاح رائحة المسك لك وما إن أخال بالخيّف إنسى ^(٢)
 حين غابت بنو أميّة عنه والبهاليل من بنى عبد شمس
 خطباء على المنابر فرسا نّ عليها وقالسة غير خرس
 لا يُعابون صامتين وإنّ قا لوا أصابوا ولم يقولوا بلسن
 بحلوم إذا الحلوم استخفّت ووجوه مثل الدنانير مُلس ^(٣)
- وقال العجاج :
- وحاصين من حاصنات مُلس من الأذى ومن قِرافِ الوقس ^(٤)
 المحصنة : ذوات الزوج . والحاصن : العفيف . والوقس : العيب . ١٥
- وقال امرؤ القيس :
- وياربّ يوم قد أروح مُرجلاً حبيباً إلى البيض الكواعب أملسا ^(٥)

- (١) سبقت ترجمته فى ص ٢١٨ . والأبيات التالية فى مروج الذهب (٣ : ٢٩٥) والأغانى (١٥) :
 (٥٧) ونكت الحميان للصنفى ١٥٤ . وقد ذكر فيها قصة الشعر .
- (٢) الخيف : موضع فى الحجار . وفى حواشى هـ : « أراد أنسيا فخفف ياء النسب ضرورة فى
 الشعر » . ٢٠
- (٣) فى الأغانى : « إذا الحلوم تقضت » . قال : « ويروى مكان تقضت : اضمحلت » .
- (٤) وكذا جاءت نسبتها فى اللسان (وقس) . وجاء فى (حصن) بدون نسبة . وليس فى ديوان
 العجاج ولا ملحقاته .
- (٥) فيما عدل : « العفيفة » . والحاصن يقال للمذكر والمؤنث . ٢٥
- (٦) فيما عدل : « الجرب » .
- (٧) ديوان امرئ القيس ١٤١ .

وقال أبو العباس الأعمى :

ولم أرَ حَيًّا مِثْلَ حَيٍّ تَحْمَلُوا إلى الشام مَظْلُومِينَ مِنْذُ بُرَيْثُ
أَعَزَّ وَأَمْضَى حِينَ تَشْتَجِرُ الْقَنَا وأَعْلَمَ بِالْمَسْكِينِ حَيْثُ يَبِيتُ
وَأَرْفَقَ بِالْدُّنْيَا بِأَوَّلَى سِيَاسَةٍ إِذَا كَادَ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ يَفُوتُ
إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ سَيِّدٌ بِصِيرٍ بِعَوَارَاتِ الْكَلَامِ زَمِيتُ ٥

وقال آخر :

لَا يُغَسَّلُ الْعَرَضُ مِنْ تَدْنِسِهِ والثوب إن مَسَّ مَدْنَسًا غُسِيلًا
وَزَلَّةُ الرَّجُلِ تُسْتَقَالُ وَلَا يكاد رأى يُقِيلُكَ الزَّلَّلَا

وقال آخر في الزَّلَل :

أَلْهَفَى إِذْ عَصَيْتُ أَبَا يَزِيدٍ ولَهْفَى إِذْ أَطَعْتَ أَبَا الْعَلَاءِ ١٠
وَكَانَتْ هَفْوَةٌ مِنْ غَيْرِ رِيحٍ وَكَانَتْ زَلَّةٌ مِنْ غَيْرِ مَاءٍ

وقال آخر (١) :

فإِنَّكَ لَمْ يَنْذِرْكَ أَمْرًا تَخَافُهُ إِذَا كُنْتَ فِيهِ جَاهِلًا مِثْلَ خَابِرٍ
وقال ابن وابصة [اسمه سالم (٢)] ، في مقامٍ قَامَ فِيهِ مَعَ نَاسٍ مِنَ الْخُطَبَاءِ :

يَأْيَاهَا الْمُتَحَلَّى غَيْرَ شِيمَتِهِ وَمَنْ سَجِيَّتُهُ الْإِكْثَارُ وَالْمَلَكُ ١٥
اعْمِدْ إِلَى الْقَصْدِ فِيمَا أَنْتَ رَاكِبُهُ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْحُلُقُ
صَدَّتْ هُنَيْدَةٌ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا عَنِّي بِمَطْرُوفَةٍ إِنْسَانُهَا غَرَقُ
وَرَاعَهَا الشَّيْبُ فِي رَأْسِي فَقُلْتُ لَهَا كَذَلِكَ يَصْفَرُّ بَعْدَ الْخُضْرَةِ الْوَرَقُ

(١) في حواشي هـ : هو جران العود .

(٢) هذه مما عدل . ونسبة الشعر إلى سالم بن وابصة هي كذلك في الحماسة (١ : ٢٩٥) ونوادر أبي زيد ١٩١ والمؤتلف ١٩٧ . ونسب في الحيوان (٣ : ١٢٧) والعقد (٢ : ٢٤) وزهر الآداب (١ : ٧٧) والشعراء ١٢٨ إلى العرجي ، وفي حماسة البحرى ٣٥٨ إلى ذى الإصبع ، وورد بدون نسبة في أمالي ثعلب ٣٠٠ . وسالم بن وابصة ، شاعر فارس من شعراء عبد الملك بن مروان . انظر المؤلف وشرح شواهد المغنى للسيوطى ١٤٣ .

بل موقِفٌ مثل حَدِّ السيفِ قمتُ به أحببى الذُّمارَ وترمينى به الحدُّقُ (١)
فما زِلْتُ ولا أُلْفِيْتُ ذا حَظَلٍ إذا الرِّجالُ على أمثالها زَلَقُوا
قال : وأنشدنى لأعرابيٍّ من باهلة :

سأُعِملُ نَصَّ العيسِ حتى يَكفُنِي غنى المالِ يوماً أو غنى الحدَثانِ (٢)
فللموتِ خيرٌ من حياةٍ يُرى لها على الحرِّ بالإقلالِ وسَمُّ هوانِ
متى يتكلَّمُ يُلغِ حسنُ حديثه وإن لم يَقُلْ قالوا: عديمٌ بيانِ (٣)
كَأَنَّ الغنىَ عَن أَهله ، بُوركَ الغنى ، بغيرِ لسانٍ ناطقٍ بلسانِ (٤)
وفى مثلها فى بعض الوجوه قال عروة بن الورد (٥) :

ذرينى للغنى أسعى فأُنِى رأيتُ الناسَ شَرَّهم الفقيرُ
وأهونَهُم وأحقرَهُم لديهم وإن أَمسى له كَرَمٌ وخيرُ (٦)
ويُقَصِّى فى الندى وتزدرِيه حليته وينهَرُ الصَّغِيرُ (٧)
وتلقَى ذا الغنى وله جلالٌ يكاد فؤادُ صاحبه يطيرُ (٨)
قليلٌ ذنبه والسَّذنبُ جَمٌّ ولكنَّ الغنى ربُّ غفورُ (٩)

(١) بل ، هنا ، بمعنى رب ، تعمل عملها ، كما فى قوله :

• بل يجوز تباه كظهر الحجفت •

(٢) الأبيات فى عيون الأخبار (١ : ٢٣٩) . العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ، جمع أعيس وعيساء . ونصها : تحريكها حتى تستخرج أقصى ما عندها من الجرى . والحدثان : الحوادث .
(٣) هـ : • حكم كلامه • . وأشير فى حاشيتها إلى رواية : • مقاله • .

(٤) أى ناطق بلسان أهله . فيما عدل : • فى أهله • . وما أثبت من ل أجود ، وهو المطابق لما فى عيون الأخبار .

(٥) الأبيات مما لم يرو فى ديوان عروة . وقد رويت له فى عيون الأخبار (١ : ٢٤٢) .

(٦) الخير ، بالكسر : الشرف والأصل . فيما عدل : • نسب وخير • .

(٧) الندى : مجلس القوم ، كالنادى والمنتدى . التيمورية : • ويقضى فى الندى • .

(٨) فيما عدل : • ويلقى ذو الغنى • .

(٩) كذا فى ل ، هـ والتيمورية . وفى ب ، جـ : • ولكن للغنى • . وأنشده المرتضى فى أماليه (١ :

٣٨) : • ولكن الغنى • ، وقال : • أراد غنى رب غفور • .

وقال ابن عباس رحمه الله : « الهوى إله معبود » . وتلا قول الله عز وجل :
﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ .

وقال أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ^(١) :

- تلك عرسائى تنطقان على عَمْدٍ لى اليوم قول زور وهتر ^(٢)
 سالتانى الطلاق أن رأنا ما لي قليلاً قد جئتانى بُنكر ^(٣)
 فلعلنى أن يكثر المأل عندى ويعرى من المقارم ظهرى
 وترى أعبد لنا وأواق ومناصيف من خوادم عشر ^(٤)
 ونجر الأذيال فى نعمة زو ل تقولان: ضع عصاك لدهر ^(٥)
 وئى كأن من يكن له نشب يُحسب ومن يفقر يعيش عيش ضر ^(٦)
 ويُجنّب سِرّ النجى ولك من أخوا المال مُحضّر كل سِرّ
 المناصيف : الحدم واجدهم منصف وناصيف ، وقد نصف القوم ينصفهم نصافة ،

(١) أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، أحد العشرة المبشرين ، وهو أحد الصحابة الذين أسلموا قديماً . وفى بيته أسلم عمر بن الخطاب ، لأنه كان زوج أخته فاطمة . توفى سنة ٥٠ . الإصابة ٣٢٥٤ وتهذيب التهذيب . وأبوه زيد بن عمرو أحد الصحابة الذين آمنوا بالرسول قبل أن يبعث . الإصابة ٢٩١٧ والخزانة (٣ : ٩٩) . والأبيات التالية تروى حيناً لسعيد ، وحيناً لوالده . وتروى كذلك لنبيه بن الحجاج ، كما فى الخزانة وشرح أبيات الكتاب للشنتمرى (٢ : ١٧٠) . ونسبت لزيد فى عيون الأخبار (١ : ٢٤٢) .

(٢) اهتر ، بالكسر : الكذب والخطأ فى الكلام .

(٣) استشهد به سيويه على إبدال الألف فى « سالتانى » من الهجزة . وفى سيويه (١ : ٢٩٠) / ٢ : ٣٩٠ : « أن رأناى قل مالى » . وأشار إلى هذه الرواية فى حواشى هـ .
 (٤) أواق ، فسر البغدادي بأنه جمع أوقية من الذهب أو الفضة . وقال : ويروى بدله : وجياد .
 (٥) ب فقط : « دع عصاك » تحريف . ضع عصاك ، كناية عن الإقامة ؛ لأن المقيم يضعها عن يده ، والمسافر يحملها . لدهر ، أى إلى انقضاء دهر . وفى هامش ل : « خ : مثل قول الشاعر . فألقت عصاه واستقر بها النوى » .
 (٦) النشب ، بالتحريك : المال الأصيل من الناطق والصامت . وانظر مجالس تلعب ٣٨٩ . ٢٥

إذا خدَمهم . نعمة زَوَلٌ : حسنة . [والزَوَل : الخفيف الظريف ، وجمعه أَزْوال ^(١)] .

وقال عبيد بن الأبرص في نحو هذا وليس كمثله :

تلك عرسي غصبي تريد زِيَالِي ألبين تريدُ أمَ لَدَالِ ^(٢)
 إن يكن طُبُّكَ الفراقَ فلا أَحْ فُلْ أَنْ تَعْطِفِي صُدُورَ الْجَمَالِ ^(٣)
 أو يكن طُبُّكَ الدَّلَالُ فلو في سالف الدهرِ والليالي الخوالِ
 كنتَ بِيضَاءَ كَالْمَهَاةِ وَإِذْ آ تيكِ نَشْوَانٌ مُرْخِيَاءُ أَذْيَالِ
 فاتركي مَطَّ حَاجِبِيكِ وَعِيشِي مَعَنَا بِالرَّجَاءِ وَالتَّأْمَالِ
 زَعَمْتُ أَنَّنِي كَبِرتُ وَأَنْتِي قَلَّ مَالِي وَضَنَّ عَنِي الْمَوَالِ
 وصحا باطِلِي وَأَصْبَحْتُ شَيْخًا لَا يُؤَاتِي أُمَثَالَهَا أُمَثَالِ
 إِنْ تَرِنْتِي تَغْيِرُ الرَّأْسُ مِنِّي وَعَلَا الشَّيْبُ مَفْرَقِي وَقَدَالِ
 فِيمَا أَدْخَلَ الْخِجَاءَ عَلَى مَهْضُومَةٍ الْكَشِجِ طَفْلَةٍ كَالْغَزَالِ
 فتعاطيتُ جِيْدَهَا ثُمَّ مَالَتْ مَيْلَانَ الْكُثِيبِ بَيْنَ الرَّمَالِ
 ثم قالت : فِدَى لِنَفْسِكَ نَفْسِي وَفِدَاءٌ لِمَالِ أَهْلِكَ مَالِي
 الْكَشِجُ : الْحَصْرُ . وقوله : « مهضومة » ، أراد لطيفة . وَالطَّفْلَةُ :

الرَّخِصَةُ النَّاعِمَةُ ^(٤) .

* * *

قال : وخرج عثمانُ بن عفانَ - رحمه الله - من داره يوماً ، وقد جاء عامر ابن عبد قيس ^(٥) ، فقعده في دهليزه ، فلما خرج رأى شيخاً دميماً أشعَى نَطًّا ، في عباءة ، فأنكره وأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابي ، أين ربُّكَ ؟ فقال : بِالْمِرْصَادِ ! [وَالشَّعَى : تراكب الأسنان واختلافها . نَطٌّ : صغير اللحية ^(٦)] .

(١) هذه مما عدل ل .

(٢) الأبيات من قصيدة له في مختارات ابن الشجرى ١٠٢ . والزِيَال : المفارقة .

(٣) هذا البيت في ل ، هـ و التيمورية فقط . (٤) هذا التفسير من هـ .

(٥) سبقت ترجمته في ص ٨٣ . (٦) هذا مما عدل ل .

- ويقال إن عثمان بن عفان لم يُفجِّمه أحدٌ قط غير عامر بن عبد قيس .
ونظر معاوية إلى النُّخَّار بن أوس العُدْرِيَّ (١) ، الخطيب الناسب ، في
عبادة في ناحية من مجلسه ، فأنكره وأنكر مكانه زرايةً منه عليه ، فقال : من هذا ؟
فقال النُّخَّار : يا أمير المؤمنين ، إنَّ العبادة لا تكلمك ، وإنما يكلمك مَنْ فيها !
قال : ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى هَرَم بن قُطَيْبَة (٢) ،
ملتقىً في بَيْتٍ في ناحية المسجد ، ورأى دمامته وقَلَّتْه ، وعَرَفَ تقديمَ العرب له ١٤
في الحُكْم والعِلْم ، فأحَبُّ أن يكشفه ويَسْبُر ما عنده ، فقال : أرأيت لو
تنافرا إليك اليومَ أيُّهما كنت تنفّر ؟ يعنى علقمة بن عُلائة ، وعامر بن
الطُّفَيْل . فقال : يا أمير المؤمنين : لو قلتُ فيهما كلمةً لأعدتُها جَذَعَةً . فقال
عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لهذا العقل تحاكت العربُ إليك . ١٠
ونظر عمر إلى الأحنف وعنده الوَفْدُ (٣) والأحنف ملتفٌ في بَيْتٍ له (٤) ،
فترك جميع القوم واستنطقه ، فلما تبعَّق منه ما تبعَّق ، وتكلم بذلك الكلام
البليغ المصيب ، وذهب ذلك المذهب ، لم يَزَلْ عنده في علياء ، ثم صار إلى
أن عقد له الرِّياسة ثابتاً له ذلك (٥) ، إلى أن فارَقَ الدنيا .
ونظر النُّعْمَانُ بن المنذر إلى ضَمْرَةَ بن ضَمْرَةَ (٦) ، فلما رأى دمامته ١٥
وقَلَّتْه قال : « تَسْمَعُ بالمُعَيْدِيَّ لا أن تراه » ، هكذا تقوله العرب . فقال
ضمرة : « أبيت اللعن ، إنَّ الرجال لا تُكَالُ بالقُفْران ، ولا تُوزَنُ في الميزان (٧) ،
ولأنما المرءُ بأصغرَيْه : قلبه ولسانه » .

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٥ . (٢) سبقت ترجمته في ص ١٠٩ .

(٣) هم وفد العراق ، أهل البصرة والكوفة . وخبر هذا الوفد في العقد (١ : ١٩١) . ٢٠

(٤) البت : كساء غليظ مربع .

(٥) ل : « ثابتة له » فقط .

(٦) سبقت ترجمته في ص ١٧١ ، حيث مضى الخبر .

(٧) في حواشي ه : « وقع في بعض النسخ : « لا تُكَالُ بالقُفْران ، ولا تُوزَنُ بالميزان ، ولا تعرف

وكان ضَمْرَةُ خَطِيْباً ، وكان فارساً شاعراً شريفاً سيِّداً .
 وكان الرَّمَقُ بن زيد ^(١) مدح أبا جُبَيْلَةَ الغَسَّانِي ^(٢) ، وكان الرَّمَقُ دَمِيماً
 قصيراً ، فلما أنشدته وحاوَره ، قال : « عَسَلٌ طَيِّبٌ فِي ظَرْفِ سَوِيءٍ » .
 قال : وَكَلَّمَ عِلْبَاءُ بْنُ الْهَيْثَمِ السَّدُوسِي ^(٣) عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وكان عِلْبَاءُ
 أَعْوَرَ دَمِيماً ، فَلَمَّا رَأَى بَرَاعَتَهُ وَسَمِعَ بَيَانَهُ ، أَقْبَلَ عَمْرٌ يَصْعَدُ فِيهِ بَصَرَهُ وَيَحْدُرُهُ ،
 فلما خرج قال عمر : « لِكُلِّ أَنْاسٍ فِي جُمَيْلِهِمْ يُخْبِرُ » ^(٤) .

* * *

وقال أبو عثمان : وأنشدتُ سَهْلَ بْنَ هَارُونَ ، قَوْلَ سَلَمَةَ بْنِ الْخُرْشُبِ ^(٥)
 وشعره الذي أرسل به إلى سُبَيْعِ التَّغْلَبِيِّ ^(٦) في شأن الرُّهْنِ التي وضعت على
 يديه في قتال عَبْسٍ وَذُبْيَانٍ ، فقال سَهْلُ بْنُ هَارُونَ . والله لَكَأَنَّهُ قَدْ سَمِعَ رِسَالَةَ عَمْرٍ

-
- (١) في الاشتقاق ٢٧٠ : « ومنهم الرَّمَقُ بن زيد بن غنم الشاعر ، جاهلي . والرَّمَقُ معروف ، وهو
 باقٍ النفس » . وذكر في حواشيه عن العسكري أنه « الدمق » واسمه عبيد بن سالم بن مالك . وفي الأغاني
 (١٩ : ٩٦) أن الرَّمَقَ لقب له ، واسمه عبيد بن سالم بن مالك .
- (٢) أبو جبيلة الغساني ، أحد ملوك الغساسنة بالشام . وفي ملوكهم جبيلة بن الأيهم الغساني
 آخر ملوك الغساسنة . وكان الرَّمَقُ قد مدح أبا جبيلة بشعر قال فيه :
 وَأَبُو جَبِيلَةَ خَيْرٌ مِنْ يَمْشِي وَأَوْفَاهُمْ يَمِينَا
 وَأَبْرَهُ بَرَا وَأَعْبَى لِمَنْ يَعْلَمُ الْأُولَيْنَا
- وهذا الشعر هو الذي يشير إليه الجاحظ . انظر الأغاني (١٩ : ٩٦) . ب والتيمورية : « أبا جبيلة الغساني » .
- (٣) فيما عدال ، هـ : « وتكلم علباء » . وفي ب فقط بعد كلمة « السدوسي » : « عند » وما في
 أمثال الميداني (٢ : ١١٥) يطابق ما أثبت من ل ، ح . وهو علباء بن الهيثم بن جرير ، وأبوه من
 الرؤساء الذين حاربوا كسرى في وقعة ذي قار . وأدرك علباء الجاهلية والإسلام ، وشهد الجمل واستشهد
 بها . الإصابة ٦٤٤٣ . وسيأتي الخبر في (٣ : ٢٩٩ - ٣٠٠) .
- (٤) الجميل : تصغير الجمل . والخبر ، بضم الخاء وكسرهما : العلم والمعرفة . فيما عدال : « خيرة » ،
 وهي بضم الخاء وكسرهما كالخبر . وفي أمثال الميداني : « لكل أناس في بيعهم خير » . وضبط في هـ « خير »
 بالتحريك . وأنشد التبريزي في شرح الحماسة ١ : ٢٧٤ بيتا في شعر يتحتم معه هذا الضبط ، وهو قوله :
 فَأَلَيْتَ لَا أَشْرِي بَعِيراً بغيره لكل أناس في بيعهم خير
- (٥) سلمة بن الخرشب ، أحد شعراء المفضليات ، واسمه سلمة بن عمرو بن نصر ، والخرشب
 لقب أبيه ، وأصل معناه الطويل السمين .
- (٦) ب فقط : « التغلبي » مع أثر تصحيح .

ابن الخطاب إلى أنى موسى الأشعري في سياسة القضاء وتدير الحكم (١).
والقصيدة قوله :

أبلغ سُبُعاً وأنت سَيِّدنا قَدْماً وأوفى رجالنا ذِمَّما
أَنْ بَغِيضاً وَأَنْ إِخْوَتَهَا ذُبْيَانٌ قَدْ ضَرُّمُوا الَّذِي اضْطَرُّمُوا
نَبِيتٌ أَنْ حَكْمُوكَ بَيْنَهُمْ فَلَ يَقُولُنَّ بِئْسَ مَا حَكَمَّا
إِنْ كُنْتَ ذَا خُبْرَةٍ بِشَأْنِهِمْ تَعْرِفُ ذَا حَقِّهِمْ وَمَنْ ظَلَمَّا
وَتُنْزِلُ الْأَمْرَ فِي مَنَازِلِهِ حُكْماً وَعِلْماً وَتَحْضُرُ الْفَهْمَا (٢)
وَلَا تُبَالِي مِنَ الْمُحِقِّ وَلَا الْمُبِّ طَلِيلٌ لَا إِلَهَ وَلَا ذِمَّما
فَاحْكُمْ وَأَنْتَ الْحَكِيمُ بَيْنَهُمْ لَنْ يَعْذَمُوا الْحُكْمَ ثَابِتاً صَتِّمًا
الصَّتْمُ : الصحيح القوى ؛ يقال رجلٌ صَتْمٌ ، إذا كان شديداً (٣).

واصدغ أديم السَّوَاءِ بَيْنَهُمْ عَلَى رِضَا مَنْ رَضِيَ وَمَنْ رَغِمَا
إِنْ كَانَ مَالاً فَقَضَ عِدَّتُهُ مَالاً بِمَالٍ وَإِنْ دَمًا قَدْماً (٤)
حَتَّى تُرَى ظَاهِرُ الْحُكُومَةِ مِثْلَ الصُّبْحِ جَلَى نَهَارِهِ الظُّلَمَا
هَذَا وَإِنْ لَمْ تُطِيقْ حُكُومَتَهُمْ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَمًا

وقال العائشي (٥) : كان عمر بن الخطاب - رحمه الله - أعلم الناس
بالشعر ، ولكنه كان إذا ابْتُلِيَ بِالْحُكْمِ بَيْنَ النَّجَاشِيِّ وَالْعَجَلَانِي (٦) ، وبين

(١) ستأتي في (٢ : ٤٩ - ٥٠) . وهي في أوائل كامل المجلد ٩ ليسك .

(٢) ل : « وتخصر » بالصاد المهملة ، واستعاد الأبيات في (٣ : ٣١٤) .

(٣) هذه مما عدل .

(٤) فيما عدا هـ ، ب « قفض عدته » والوجه ما أثبت منهما .

(٥) هو عبيد الله بن محمد بن حفص ، المترجم في ص ١٠٢ .

(٦) النجاشي هو قيس بن عمرو ، من بنى الحارث بن كعب ، روى أنه شرب الخمر في رمضان فجلده

على مائة سوط ، فلما رآه زاد على الثاينين صاح به : ما هذه العلالة يا أبا الحسن ؟ =

الخطيئة والزَّيرقان ، كره أن يتعرَّضَ للشُّعراء ، واستشهد للفريقين رجالاً ، مثل
حسان بن ثابت وغيره ، ممن تهون عليه سيئاتهم ، فإذا سمع كلامهم حَكَمَ بما
يعلم ، وكان الذى ظَهَرَ من حُكْمِ ذلك الشاعر مُقْنِعاً للفريقين ، ويكون هو
قد تَخَلَّصَ بعرضه سليماً . فلَمَّا رآه مَنْ لا عِلْمَ له يسأل هذا وهذا ، ظَنَّ أن
ذلك لجهله بما يعرف غيره .

وقال : ولقد أنشدوه شعراً لزهير - وكان لشعره مقدماً - فلما انتهوا إلى قوله :
وإنَّ الحقَّ مَقْطَعُهُ ثلاثٌ يمينٌ أو نِفَارٌ أو جِلَاءٌ ^(١)

قال عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ، وإقامته أقسامها :
وإنَّ الحقَّ مقطعه ثلاثٌ يمينٌ أو نِفَارٌ أو جِلَاءٌ

يردُّ البيت من التعجب .

وأنشدوه قصيدة عَبْدَةَ بنِ الطَّيِّبِ ^(٢) الطويلة التي على اللام ^(٣) ،
فلما بلغ المنشد إلى قوله :

والمرء ساعٍ لشيء ليس يدركه والعيش شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميلٌ

قال عمر متعجباً :

١٥ = فقال : لجراعتك على الله في رمضان ! فهرب إلى معاوية ومجا عليا . الإصابة ٧٣٠١ ، ٨٨٥٤ والخزانة
(١٠٧ : ٢) . وفي الإصابة أنه إنما سُمي النجاشي لأن لونه كان يشبه لون الحبشة . وحكى ابن الكلبي أن

جماعة من بني الحارث بن كعب وفلوا على رسول الله ﷺ فقال : « من هؤلاء الذين كأنهم من الهند » . وأما
العجلاني ؛ فهو تميم بن أُنَى بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان . أدرك الإسلام فأسلم ،
٢٠ وكان يكيى أهل الجاهلية ، وعمر مائة وعشرين سنة . الإصابة ٨٥٨ والخزانة (١ : ١١٣) . وانظر الحكومة
بينهما في المرجعين المتقدمين والعمدة (٢٧ : ١) وأمالى ثعلب ١٨٠ - ١٨١ وزهر الآداب (١ : ١٩) .

(١) النفار : أن يتنافروا إلى حاكم يحكم بينهم . والجلاء ، بالكسر كما ضبط في أصول الديوان ٧٥ ، وكا
نبه عليه الصغاني . انظر حواشي اللسان (جلا ١٦٣) .

(٢) سبقت ترجمته في ص ١٢٢ .

(٣) هي إحدى المفضليات . انظر (١ : ١٣٣ - ١٣٤) .

* والعيش شُحَّ وإشفاقٌ وتأميلٌ *

يعجبهم من حسن ما قسم وما فصل^(١).

وأنشدوه قصيدةً أُنِيَ قيس بن الأسلت التي على العين ، وهو ساكت ،
فلما انتهى المنشد إلى قوله :

الْكَيْسُ والقُوَّةُ خيرٌ من الـ إشفاقِ والفَهَّةِ والهِاعِ^(٢)

أعاد عمر البيت وقال :

الْكَيْسُ والقُوَّةُ خيرٌ من الـ إشفاقِ والفَهَّةِ والهِاعِ

[وجعل عمر يردد البيت ويتعجب منه^(٣)] .

قال محمد بن سلام ، عن بعض أسياخه قال . كان عمر بن الخطاب

رضي الله عنه لا يكاد يعرض له أمرٌ إلَّا أنشد فيه بيتَ شعر .

وقال أبو عمرو بن العلاء : كان الشاعر في الجاهلية يُقدِّم على الخطيب ،

لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يُقْبَد عليهم مآثرهم ويفخّم شأنهم ، ويهول على

عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ، ويهابهم

شاعرٌ غيرهم فيراقب شاعرهم . فلما كثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر

مَكْسَبَةً ورحلوا إلى السوق ، وتسرعوا إلى أعراض الناس ، صار الخطيبُ عندهم

فوق الشاعر . ولذلك قال الأول : « الشعر أدنى مروءة السريِّ ، وأسرى مروءة الدنيِّ » .

قال : ولقد وضع قول الشعر من قدر التابغة الذبيانيِّ ، ولو كان في

الدهر الأول ما زاده ذلك إلَّا رفعة .

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤٦) .

(٢) البيت من قصيدة مفضلية (٢ : ٨٤ - ٨٦) . الفهة : العى والسقطة والجهلة . والهِاع : شدة

الحرص . ويروى :

الحرص والقوة خير من الـ إدهان والفكّة والهِاع

(٣) هذه مما عدل .

وروى مجالد (١) عن الشعبي قال : ما رأيت رجلاً مثلي (٢) ، وما أشاء
أن ألقى رجلاً أعلم مني إلا لقيته .

وقال الحسن البصري : يكون الرجل عابداً ولا يكون عاقلاً ، ويكون
عابداً عاقلاً ولا يكون عالماً . وكان مسلم بن يسار (٣) عاقلاً عالماً عابداً .

قال : وكان يقال : « فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل
مطّرف ، وحفظ قتادة » .

قال : وذكرت البصرة ، فقليل : شيخها الحسن ، وفتاها بكر بن عبد الله المزني (٤) .

قال : والذين بقوا العلم في الدنيا أربعة : قتادة (٥) ، والزهرى (٦) ، ٤٨
والأعمش (٧) ، والكلبي (٨) .

١٠ (١) هو مجالد بن سعيد الهمداني ، أبو عمرو الكوفي النسابة ، يروى عن الشعبي ومسروق ،
ويروى عنه الهيثم بن عدى . توفي سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب (١٠ : ٣٩ - ٤٠) والمعارف ٢٣٤ .
وفي حواشي هـ عن نسخة : « جناب بن موسى عن مجالد »
(٢) هـ « ما رأيت مثلي » .

(٣) مسلم بن يسار البصري الأموي المكي ، روى عن أبيه وابن عباس وابن عمر ، وروى عنه
١٥ ابنه عبد الله وثابت البناني وابن سيرين . وكان مفتي أهل البصرة قبل الحسن . توفي في خلافة عمر بن
عبد العزيز سنة ١٠٠ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (١ : ١٦١) .
(٤) سبق الخبر في ص ١٠١ .

(٥) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، أحد المحدثين العباد الزهاد الثقات . ولد سنة ٦١
وتوفي سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٨٢) ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١١٥)
٢٠ وابن خلكان ، ونكت الهميان .

(٦) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، نسبة إلى زهرة بن كلاب : حافظ مدني . ولد
سنة ٥٠ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٧٧) وتذكرة الحفاظ (١ : ١٠٢) وابن خلكان .
(٧) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش ، كان قارئاً حافظاً عالماً بالفرائض ، ولد يوم قتل
الحسين ، يوم عاشوراء سنة ٦١ . وتوفي سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٦٥) وتذكرة
الحفاظ (١ : ١٤٥) وابن خلكان .

(٨) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث بن عبد العزيز الكلبي
٢٥ الكوفي النسابة المفسر ، قالوا : ليس لأحد أطول من تفسيره . وتوفي بالكوفة سنة ١٤٦ . تهذيب
التهذيب ، وابن خلكان ، وابن النديم ١٣٩ .

- وجمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزهرى ، فغلب قتادة الزهرى ،
فقليل لسليمان في ذلك ، فقال : إنه فقيه مليح . فقال القحذمي^(١) : لا ،
ولكنه تعصب للقرشية ، ولا نقطاعه كان^(٢) إليهم ، ولروايته فضائلهم .
وكان الأصمعي يقول : « وصلت بالعلم ، ونلت بالمُلج^(٣) » .
- وكان سهل بن هارون يقول : « اللسان البليغ والشعر الجيد لا يكادان
يجتمعان في واحد ؛ وأعسر من ذلك أن تجتمع بلاغة الشعر ، وبلاغة القلم » .
والمسجديون^(٤) يقولون : من تَمَتَّى رجلاً حَسَنَ العقل ، حَسَنَ البيان ،
حَسَنَ العلم ، تَمَتَّى شيئاً عسيراً .

★ ★ ★

(١) هو أبو عبد الرحمن الوليد بن هشام بن قحذم القحذمي ، ثقة من أهل البصرة ، يروى عن
جزيير بن عثمان ، وعنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ، توفي سنة ٢٢٢ . السماعات ٤٤٣ ولسان
الميزان (٦ : ٢٢٧) .

(٢) كلمة « كان » من هـ .

(٣) سبق هذا القول في ص ١٩٩ . وانظر الحيوان (٣ : ٤٦٧) .

(٤) في حواشي هـ : « المسجديون هم الذين يلتزمون مسجد البصرة والكوفة . وانظر الحيوان
(٣ : ٦٣) وما سيأتي في ٤ : ٢٣ .

باب

وكانوا يعيرون الثوك والعمى والحمق، وأخلاق النساء والصبيان . قال الشاعر :

إذا ما كنت متخذاً خليلاً فلا تتقن بكل أخى إخاء
وإن حُيرت بينهم فالصيق بأهل العقل منهم والحياء
فإنَّ العقل ليس له إذا ما تفاضلت الفضائل من كفاء
وإنَّ الثوك للأحساب داءً وأهونُ دأئه داءُ العيَاء
ومن ترك العواقب مهملاً فأيسر سعيه سعى العنَاء
فلا تتقن بالثوكى لشيء وإن كانوا بنى ماء السماء^(١)
فليسوا قابلي أدب فدعهم وكن من ذاك منقطع الرجاء

وقال آخر في التضييع والثوك :

ومن ترك العواقب مهملاً فأيسر سعيه أبداً تَبَابٌ^(٢)
فِعْشٌ في جد أنوك ساعدته مقاديرٌ يخالفها الصواب^(٣)
ذهاب المال في حميد وأجر ذهابٌ لا يقال له ذهاب

وقال آخر في مثل ذلك :

أرى زمناً نوكاه أسعد أهله ولكنما يشقى به كل عاقل^(٤)

(١) هـ : « ولو » . وفي حواشيها عن نسخة : « فلا تقن من الثوكى بشيء » . وبنو ماء السماء ، هم ملوك الشام ، أبوهم ماء السماء بن حارثة الأزدي . قال :

أنا ابن مزقي عمرو ، وجدى أبوه عامر ماء السماء

يقال أيضاً للملك العراق بنو ماء السماء . وهو لقب أم المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن

ربيعة بن نصر اللخمي . قال زهير :

ولازمت الملوك من آل نصر وبعدهم بنى ماء السماء

(٢) هذا البيت من ل فقط . والتباب : الخسران والهلاك .

(٣) في عيون الأخبار (١ : ٣٢٩) « خالفته » مقادير يساعدها .

(٤) عيون الأخبار (١ : ٣٢٩) . وسيأتي في ٤ : ٢٠ .

مَشَى فَوْقَهُ رَجُلَاهُ وَالرَّأْسُ تَحْتَهُ
وَقَالَ الْآخَرُ :

فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى
وَلَمْ أَرْ عِزًّا لِمَرْءٍ كَعَشِيرَةٍ
وَلَمْ أَرْ مِنْ عُدْمِ أَصَرٍّ عَلَى امْرَأَةٍ
وَقَالَ آخَرُ :

تَحَامَقْتُ مَعَ الْحَقْمِيِّ إِذَا مَا لَقَيْتَهُمْ
وَخَلَطْتُ إِذَا لَاقَيْتُ يَوْمًا مُخَلِّطًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَشْقَى بِعَقْلِهِ
وَقَالَ آخَرُ (٥) :

وَأَنْزَلَنِي طَوْلُ النَّوَى دَارَ غَرَبَةٍ
فَحَامِقْتُهُ حَتَّى يَقَالَ سَجِيَّةً
وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ :

وَإِذَا الْغَبِيُّ رَأَيْتَهُ مُسْتَغْنِيًّا
وَأَنْشَدَنِي آخَرُ :

وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ فَكُنْ فِي لِبَاسِهِ
وَكُنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى إِذَا مَا لَقَيْتَهُمْ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى
وَلَمْ أَرْ عِزًّا لِمَرْءٍ كَعَشِيرَةٍ
وَلَمْ أَرْ مِنْ عُدْمِ أَصَرٍّ عَلَى امْرَأَةٍ
وَقَالَ آخَرُ :

تَحَامَقْتُ مَعَ الْحَقْمِيِّ إِذَا مَا لَقَيْتَهُمْ
وَخَلَطْتُ إِذَا لَاقَيْتُ يَوْمًا مُخَلِّطًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَشْقَى بِعَقْلِهِ
وَقَالَ آخَرُ (٥) :

وَأَنْزَلَنِي طَوْلُ النَّوَى دَارَ غَرَبَةٍ
فَحَامِقْتُهُ حَتَّى يَقَالَ سَجِيَّةً
وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ :

وَإِذَا الْغَبِيُّ رَأَيْتَهُ مُسْتَغْنِيًّا
وَأَنْشَدَنِي آخَرُ :

وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ فَكُنْ فِي لِبَاسِهِ
وَكُنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى إِذَا مَا لَقَيْتَهُمْ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى
وَلَمْ أَرْ عِزًّا لِمَرْءٍ كَعَشِيرَةٍ
وَلَمْ أَرْ مِنْ عُدْمِ أَصَرٍّ عَلَى امْرَأَةٍ
وَقَالَ آخَرُ :

تَحَامَقْتُ مَعَ الْحَقْمِيِّ إِذَا مَا لَقَيْتَهُمْ
وَخَلَطْتُ إِذَا لَاقَيْتُ يَوْمًا مُخَلِّطًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَشْقَى بِعَقْلِهِ
وَقَالَ آخَرُ (٥) :

وَأَنْزَلَنِي طَوْلُ النَّوَى دَارَ غَرَبَةٍ
فَحَامِقْتُهُ حَتَّى يَقَالَ سَجِيَّةً
وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ :

وَإِذَا الْغَبِيُّ رَأَيْتَهُ مُسْتَغْنِيًّا
وَأَنْشَدَنِي آخَرُ :

وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ فَكُنْ فِي لِبَاسِهِ
وَكُنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى إِذَا مَا لَقَيْتَهُمْ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى
وَلَمْ أَرْ عِزًّا لِمَرْءٍ كَعَشِيرَةٍ
وَلَمْ أَرْ مِنْ عُدْمِ أَصَرٍّ عَلَى امْرَأَةٍ
وَقَالَ آخَرُ :

(١) الأبيات في عيون الأخبار (٣ : ١٩) وأمالى ثعلب ٤٨٨ .

(٢) ما أثبت من ل يطابق رواية ثعلب . وفيما عدال : « عن الأهل » . وأشير في حاشية هـ إلى رواية « الأصل » .

(٣) فيما عدال : « ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل » .

(٤) هذا البيت في ل فقط .

(٥) البيتان في عيون الأخبار (٣ : ٢٤) . وسيأتيان في (٢ : ٢٣٥ ، ٤ : ٢١) .

(٦) البيتان لعقيل بن علفة ، كما في الحماسة (٢ : ١٧) . ورواهما ثعلب في مجالسه مع ثالث

منسويين إلى ماجد الأمسدي . ص ٥٠٢ .

(٧) في الحماسة والأمالى وفيما عدال : « إذا كنت فيهم » .

وأنشدني آخر :

ولا تقرى يا بنت عمى بوهة
وإن كان أعطى رأس ستين بكرة
ألا فاحذرى لا ثور ذلك هجمة
وأنشدني آخر (٤) :

كسا الله حى تغلب ابنة وائل
إذا ارتحلوا عن دار ضميم تعاذلوا
من اللؤم أظفاراً بطيناً نصوها
عليها وردوا وفدھم يستقبلها
وأنشدني آخر :

وإن غناء أن تفھم جاهلاً
ويحسب جهلاً أنه منك أفھم (٦)
وقال جرير :

ولا يعرفون الشر حتى يصبھم
وقال الأعرج المعنى الطائى (٨) :

(١) البوهة : الرجل الضعيف الطائش . والدفناس : الأحمق . والمفند : الضعيف الرأى والجسم .
(٢) عنى بالرأس الروس .
(٣) الهجمة من الإيل : قريب من المائة . يقول : لا تغترى بهذا الصداق . الجيس ، بالكسر : الجبان القدم .
والقعد ، بضم العين والذال وفتحهما ، وضم القاف وفتح الدال : الجبان اللقيم القاعد عن الحرب والمكارم .
(٤) فى حواشى هـ للخشنى : « هو عميرة بن جعيل أخو كعب بن جعيل ، فيما ذكر ابن قتيبة » . وانظر الشعراء ٦٣٢ .

(٥) حيا تغلب ، الأرجح أنه أراد بهما أحياء تغلب كلها ، فعبر بالمشى عن الجمع . ويجوز أن يكون أراد بهما أوساً وغنماً ابني تغلب بن وائل . وفى نهاية الأرب (٢ : ٢٣٣) : « فالعقب فى ثلاثة أفخاذ لصلبه : عمران وهم قليل ، وأوس وغنم وفيه العدد والبيت » .

(٦) البيت لصالح بن عبد القدوس ، كما سيأتى فى (٤ : ٢٢) .

(٧) سبق البيت والكلام عليه فى ١٩٨ .

(٨) هو عدى بن عمرو بن سويد بن زيان بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن الطائى . شاعر جاهلى إسلامى . وهو القائل :

تركك الشعر واستبدلت منه إذا داعى الصبح قاما

كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والنداما

انظر الإصابة ٣٧١٣ و٦٤٠٩ ومعجم المرزبانى ٣٥١ وفى حماسة البحترى ٤٧ أن قائل الشعر الأعرج بن مالك المرى .

لقد علمَ الأقوام أن قد فررتُم ولم تبدعوهُم بالمَظالمِ أَوَّلا (١)
فكونوا كداعِي كَرَّةٍ بعد فَرَّةٍ أَلَا رَبُّ من قد فَرَّ ثُمَّتْ أَقبَلا
فإن أنتم لم تفعلوا فتبدَّلوا بكلِّ سِنانٍ مَعَشَرَ العَوثِ مِعْزَلا (٢)
وأعطُوهم حُكَمَ الصَّبِيِّ بأهله وإِنِّي لأرجو أن يقولوا بأنَّ لا (٣)

ويقال : « أَظَلُّمٌ من صَبِيٍّ » (٤) و « أَكْذَبٌ من صَبِيٍّ » و « أُحْرَقٌ من صَبِيٍّ » . وأنشد :

ولا تحكِّمَّا حُكَمَ الصَّبِيِّ فَإِنَّهُ كَثِيرٌ على ظَهرِ الطَّرِيقِ مجاهِلُهُ (٥)

قال : وسُئِلَ دَغْفَلُ بن حنْظَلَةَ ، عن بَنِي عامر فقال : « أَعَنَاقُ طِبَاءٍ ، وأَعْجَازُ نِساءٍ » . قيل : فما تقول في أَهلِ اليَمَنِ ؟ قال : « سَيِّدٌ وَأَتَوَكُّ (٦) » .

★ ★ ★

١٠

(١) في جميع النسخ : « أن قد قدرتم » ، صوابه من حماسة البحتري .

(٢) الغوث ، هم بنو الغوث بن أدد ، إخوة طيء بن أدد . فيما عدل : « معشر العرب » صوابه في ل وحماسة البحتري .

(٣) كتب بعد هذا البياض في ب ، ج : « أصله بياض » .

(٤) انظر الحيوان (٣ : ٤٧١) .

(٥) في حواشي : « أى انه يظهر ما يجب أن يخفى ، ولا يبالي بذلك » .

(٦) الأنوك : الأحق ، وجمعه النوكي .

باب

في ذكر المعلمين (١)

ومن أمثال العامة : « أحمق من معلم كُتّاب » . وقد ذكرهم صِقْلَابُ فقال :

وكيف يُرَجَى الرَّأْيُ والعقلُ عند مَنْ يُرَوِّحُ على أنثى ويغدو على طِفْلٍ (٢)

وفي قول بعض الحكماء : « لا تستشيروا معلماً ولا راعى غَنَمٍ ولا كثيرَ ١٥

الْقَعُودِ مع النساء » . وقالوا : « لا تدغْ أُمَّ صَبِيٍّ تضرُّه ؛ فَإِنَّهُ أَعْقَلُ منها وإن

كانت أَسَنَ منه » . وقد سمعنا في المثل : « أحمق من راعى ضأن ثمانين (٣) » .

فأما استحماق رُعاة الغنم في الجملة فكيف يكون ذلك صواباً وقد رعى الغنم

عِدَّةٌ من جِلَّةِ الأنبياء صلى الله عليهم . ولعمري إنَّ الفُتَدَّادِينَ من أهل الوَبَرِ ورُعاةِ

الإبلِ لَيَتَنَبَّلُونَ (٤) على رعاة الغنم ، ويقول أحدهم لصاحبه : « إن كنت كاذباً

١٠ فحلبت قاعدا » . وقال الآخر :

ترى حَالِبَ المِعْزَى إذا صرَّ قاعدا وحالِبُهُنَّ القائمُ المتطاولُ (٥)

(١) كتبت بحثاً بعنوانه « الجاحظ والمعلمون » في عدد أغسطس سنة ١٩٤٦ من مجلة الكتاب .

(٢) ورد البيت بدون نسبة في عيون الأخبار (٢ : ٥٤) .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٤٨٨) . وروى الميداني في (١ : ٢٠٥) روايتين أخريين عن الجاحظ في

هذا المثل : « أشقى من راعى ضأن ثمانين » و « أشغل من مرضع بهم ثمانين » . وروى عن الجاحظ في

١٥ اللسان (ثمن) : « أشقى من راعى ضأن ثمانين » . ولم أجد هاتين الروايتين فيما بين يدي من كتبه . وروى

في اللسان عن ابن خالويه : « أحمق من طالب ضأن ثمانين » . وذكر أصل المثل . وهذه الرواية الأخيرة رويت

في الميداني عن أبي عبيد ، وذكر لها أصلاً غير أصل ابن خالويه .

(٤) ب ، ج : « ليتلون » ، التيمورية « ليتلون » صوابهما ما أثبت من ل ، هـ .

(٥) الصر : أن يشد الضرع بالصرار لئلا يرضعها ولدها . وفي النسخ : « إذا سر » وليس له وجه .

وقال امرأة من غامد ، في هزيمة ربيعة بن مكدّم ^(١) ، لَجَمْعُ غَامِدٍ وَحْدَهُ :
 أَلَا هَلْ أَتَاهَا عَلَى نَائِيهَا بِمَا فَضَحَتْ قَوْمَهَا غَامِدُ
 تَمْنَيْتُمْ مَائَتِي فَارِسٍ فَرَدَّكُمْ فَارِسٌ وَاحِدُ ^(٢)
 فَلَيْتَ لَنَا بَارْتِبَاطَ الْخِيُو لَ ضَانًا لَهَا حَالِبٌ قَاعِدُ

* * *

وقد سمعنا قول بعضهم : الحُمَقُ فِي الْحَاكَةِ وَالْمُعَلِّمِينَ وَالْغَزَّالِينَ . قَالَ :
 وَالْحَاكَةُ أَقْلٌ وَأَسْقَطُ مِنْ أَنْ يُقَالَ لَهَا حَمَقَى . وَكَذَلِكَ الْغَزَّالُونَ ؛ لِأَنَّ الْأَحْمَقَ
 هُوَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالصَّوَابِ الْجَيِّدِ ثُمَّ يَجِيءُ بِخَطِئٍ فَاحِشٍ ، وَالْحَائِكُ لَيْسَ عِنْدَهُ
 صَوَابٌ جَيِّدٌ فِي فَعَالٍ وَلَا مَقَالٍ ، إِلَّا أَنْ يُجْعَلَ جَوْدَةُ الْحَيَاكَةِ مِنْ هَذَا الْبَابِ ،
 وَلَيْسَ هُوَ مِنْ هَذَا فِي شَيْءٍ .

* * *

(١) ربيعة بن مكدّم بن عامر ، أحد فرسان مضر المعدودين ، وشجعانهم المشهورين . انظر
 أخباره في الأغاني (١٤ : ١٢٥ - ١٣٤) .
 (٢) انظر الرسالة المصرية لأبي الصلت الأندلسي في نوارذ المخطوطات (١ : ٣٦) وإخبار
 العلماء للقفطي ١٤٣ .

وباب منه آخر (١)

ويقال : فلان أحمق . فإذا قالوا مائق ، فليس يريدون ذلك المعنى بعينه ، وكذلك إذا قالوا أئوك . وكذلك إذا قالوا رقيق . ويقولون : فلان سليم الصدر ؛ ثم يقولون عيى ، ثم يقولون أبله . وكذلك إذا قالوا معتوه ومسلوس وأشبه ذلك . ٥٢

قال أبو عبيدة : يقال للفارس شجاع ، فإذا تقدّم [في (٢)] ذلك قيل بطل ، فإذا تقدّم شيئاً قيل بهمة ، فإذا صار إلى الغاية قيل أليس . وقال العجاج :
* أليس عن حوائيه سخي (٣) *

وهذا المأخذ يجري في الطبقات كلها : من جود وبخل ، وصلاح وفساد ، ونقصان ورجحان . ومازلت أسمع هذا القول في المعلمين .
والمعلمون عندى على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة . فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل على بن حمزة الكسائي ، ومحمد بن المستنير الذى يقال له قطرب (٤) ، وأشبه هؤلاء يقال لهم حقمى . ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التى دونهم . فإن ذهبوا إلى معلّمى

(١) هـ : وهذا باب آخر .

(٢) ليست في جميع النسخ .

(٣) ديوان العجاج ٧١ واللسان (ليس) . والحوياء : النفس .

(٤) سمي قطرباً لأنه كان يكر إلى سيويه للأخذ عنه ، فإذا خرج سيويه سحرأ رآه على بابه ، فقال له يوما : ما أنت إلا قطرب ليل . والقطرب : دويبة تدب ولا تقتر . وأخذ عن النظام مذهب الاعتزال ، ولما صنف كتابه في التفسير أراد أن يقرأه في الجامع فخاف من العامة وإنكارهم عليه ؛ لأنه ذكر فيه مذهب أهل الاعتزال ، فاستعان بجماعة من أصحاب السلطان ليتمكن من قراءته في الجامع . وأخذ عنه ابن السكيت . وهو أول من ألف في المثلثات . توفي ببغداد سنة ٢٠٦ . معجم الأدباء ، وبغية الوعاة ، ووفيات الأعيان ، وتاريخ بغداد ١٣٨٦ .

- كتاتيب القرى فإن لكل قوم حاشية وسفلة ، فما هم في ذلك إلا كغيرهم . وكيف تقول مثل ذلك في هؤلاء وفيهم الفقهاء والشُعراء والخطباء ، مثل الكميت ابن زيد ، وعبد الحميد الكاتب ، وقيس بن سعد ^(١) ، وعطاء بن أُنَى رباح ^(٢) ، ومثل عبد الكريم أُنَى أمية ^(٣) ، وحسين المعلم ^(٤) ، وأُنَى سعيد المعلم .
- ومن المعلمين : الضحّاك بن مزاحم ^(٥) . وأُمّامعبد الجهني ^(٦) وعامر الشعبي ^(٧) ، فكان يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان . وكان معبد يعلم سعيداً ^(٨) . ومنهم

- (١) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري ، كان من النبي ﷺ وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير ، وكان من دهاة العرب ، حارب في صفين مع علي ، ثم هرب من معاوية ، وتوفي في ولاية عبد الملك بن مروان . الإصابة ٧١٧١ وتهذيب التهذيب .
- (٢) هو عطاء بن أُنَى رباح - واسمه أسلم - القرشي المكي . أدرك مائتين من الصحابة . وكان معلم كتاب فقيها ثقة . ولد سنة ٣٧ وتوفي سنة ١١٤ . تهذيب التهذيب ونكت الهميان ١٩٩ وابن خلكان .
- (٣) هو عبد الكريم بن أُنَى المخارق - واسمه قيس ويقال طارق - أبو أمية المعلم البصري ، روى عن أنس وطاوس ونافع ، وعنه : عطاء ومجاهد وأبو حنيفة . توفي سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب . وفي الأصول : « عبد الكريم بن أُنَى أمية » تحريف . انظر أيضاً المعارف ٢٣٨ .
- (٤) هو الحسين بن ذكوان المعلم العوذى البصري . ترجم له ابن حجر في تهذيب التهذيب وأرجح وفاته سنة ١٤٥ . وانظر المعارف ٢٣٨ ، والسمعاني ٥٤٠ ب .
- (٥) هو أبو القاسم الضحّاك بن مزاحم الهلالي الخراساني ، روى عن ابن عمر وابن عباس وأُنَى هريزة وغيرهم ، وكان معلم كتاب ، ذكر ابن قتيبة أنه كان لا يأخذ أجراً ، واشتهر بالتفسير . وهو ممن ولد وهو ابن ثلاثة عشر شهراً . توفي سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب والمعارف ٢٣٨ ، ٢٠١ ، ٢٥٧ والعقد ٦ : ٢٣٤ .
- (٦) هو معبد بن خالد - أو ابن عبد الله بن حكيم ، أو ابن عبد الله بن عويمر - الجهني القدري . كان يجالس الحسن البصري ، وهو أول من تكلم بالبصرة في القدر فسلك أهل البصرة مسلكه . قتله الحجاج ابن يوسف صبراً . وذلك في سنة ٨٠ . تهذيب التهذيب . (١٠ - ٢٢٥) والسمعاني ١٤٥ والمعارف ١٩٥ - ٢٣٨ ، ٢٦٨ .
- (٧) سبقت ترجمته في ص ١٩٤ .
- (٨) سعيد بن عبد الملك بن مروان ، كان يلقب بسعيد الخير ، وإليه ينسب نهر سعيد ، وهو دون الرقة من ديار مضر ، وكان موضعه غيبة ذات سباع أقطعه إياها الوليد أخوه ، فحفر النهر وعمر ما هناك ، المعارف ١٥٧ ، ومعجم البلدان .

أبو سعيد المؤدب^(١) ، وهو غير أبي سعيد المعلم ، وكان يحدث عن هشام بن عروة^(٢) وغيرهم . ومنهم: عبد الصمد بن عبد الأعلى^(٣) ، وكان معلم ولد عتبة بن أبي سفيان . وكان إسماعيل بن علي^(٤) ألزم بعض بني عبد الله بن المقفع ليعلمه . وكان أبو بكر عبد الله بن كيسان معلما . ومنهم: محمد بن السكن^(٥) .

وما كان عندنا بالبصرة رجالان أروى لصنوف العلم ، ولا أحسن بيانا ، من أبي الوزير وأبي عدنان المعلمين ، وحالهما من أول ما أذكر من أيام الصبا وقد قال الناس في أبي البيداء^(٦) ، وفي أبي عبد الله الكاتب^(٧) ، وفي الحجاج ابن يوسف وأبيه ما قالوا . وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهداً من الشعر على أن الحجاج وأباه كانا معلمين بالطائف^(٨)

* * *

١٠

(١) اسمه محمد بن مسلم بن أبي الوضاح ، أبو سعيد المؤدب الجزري نزيل بغداد . ضمه المتصور إلى المهدي ، ثم ضم بعده إليه سفيان بن حسين ، وكان كذلك معلم موسى الهادي الخليفة قبل أن يستخلف . ومات في خلافته . تاريخ بغداد ١٣٤٦ وتهذيب التهذيب والمعارف ٢٣٩ .

(٢) هو أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ، ولد هو والأعمش سنة مقتل الحسين ٦١ وتوفي سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب . ١٥

(٣) عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني ، كان يهتم بالزندقة ، وكان يؤدب أيضا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويقال إنه هو الذي أفسده ، ذكر ذلك الطبري في تاريخه . لسان الميزان (٤ : ٢١) والطبري (٨ : ٢٨٨) .

(٤) هو إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس ، وهو عم السفاح والمنصور . ولي لأبي جعفر فارس والبصرة . المعارف ١٦٣ .

(٥) محمد بن السكن مؤذن مسجد بني شقرة ، من ضعاف المحدثين . لسان الميزان (٥ : ١٨١ - ١٨٢) . هذا ، وإن هذه التكملة التي بدأت في ص ٢٥١ ص ٥ لم ترد في ل ، وهي ثابتة في سائر النسخ .

(٦) أبو البيداء الرياحي ، سبقت ترجمته في ص ٦٦ .

(٧) ذكره ابن قتيبة في أسماء المعلمين ، في المعارف ٢٣٨ ، بلقب « كاتب الرسائل » .

(٨) روى هذا الشعر في المعارف ٢٣٨ - ٢٣٩ والشعراء (١ : ٣١٤) طبع الحلبي ، والكمال

٢٩٠ . قال مالك بن الربيع :

٢٥

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا حفير زياد

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف كما كان عبداً من عبيد إباد

=

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأول .

قالوا : أحقُّ الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكمٌ جاهل .

قال : وكتب الحجاج إلى المهلب يُعجله في حرب الأزارقة ويسمعه ^(١) ، فكتب إليه المهلب : « إن البلاء كلُّ البلاء أن يكون الرَّأى لمن يملكه دون من يُبصره » .

= زمان هو العبد المقر بذله يراوح غلمان القرى ويغادى وقال آخر فيه :

أينسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ما ترى وآخر كالقمر الأزهر

١٠

(١) التسميع : أن يندد به ويشهره ويفضحه ويسمعه القبيح .

وباب آخر

وقال بعض الرِّبَانِيِّينَ ^(١) من الأدباء ، وأهل المعرفة من البلغاء ممن يكره التشاؤق والتعمق ، ويُبغض الإغراق في القول ، والتكلف والاجتلاب ^(٢) ، ويعرف أكثر أدواء الكلام ودوائه ، وما يعترى المتكلم من الفتنة بحسن ما يقول ، وما يعرض للسامع من الافتتان بما يسمع ، والذي يورث الاقتدار من التهكم والتسلط ، والذي يمكن الحاذق والمطبوع من التحويل للمعاني ، والخلابة وحسن المنطق ، فقال في بعض مواعظه : « أُذِرْكُمْ حُسْنَ الْأَلْفَاظِ ، وَحِلَاوَةَ مَخَارِجِ الْكَلَامِ ؛ فَإِنَّ الْمَعْنَى إِذَا اكْتَسَى لَفْظًا حَسَنًا وَأَعَارَهُ الْبَلِغُ مَخْرَجًا سَهْلًا ، وَمَنْحَهُ الْمَتَكَلِّمَ دَلًّا مُتَعَشِّقًا ، صَارَ فِي قَلْبِكَ أَخْلَى ، وَلَصَدْرُكَ أَمَلًا . وَالْمَعْنَى إِذَا كُسِيتِ الْأَلْفَاظُ الْكَرِيمَةُ ، وَأَلْبِسَتْ ^(٣) الْأَوْصَافَ الرَّفِيعَةَ ، تَحَوَّلَتْ فِي الْعَيْنِ عَنْ مَقَادِيرِ صُورِهَا ، وَأَزْبَتْ عَلَى حَقَائِقِ أَقْدَارِهَا ، بِقَدْرِ مَا زُيِّنَتْ ، وَحَسِبَ مَا زُخْرِفَتْ . فَقَدْ صَارَتْ الْأَلْفَاظُ فِي مَعَانِي الْمَعَارِضِ ^(٤) وَصَارَتْ الْمَعْنَى فِي مَعْنَى الْجَوَارِي وَالْقَلْبِ ضَعِيفٌ ، وَسُلْطَانُ الْهَوَى قَوِيٌّ ، وَمَدْخَلُ خُدْعِ الشَّيْطَانِ خَفِيٌّ » .

فاذكر هذا الباب ولا تنسه ، ولا تفرط فيه ؛ فَإِنَّ عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ يَقُلْ لِلْأُحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ - بعد أن احتبسه حَوْلًا مُجْرَمًا ^(٥) ؛ لَيْسَتْ كَثْرَ مِنْهُ ، وَلِيَبَالِغَ فِي تَصْفُحِ حَالِهِ وَالتَّنْقِيرِ عَنْ شَأْنِهِ - : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ خَوْفَنَا كُلَّ مَنَافِقٍ عَلِيمٍ ، وَقَدْ خِفْتُ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ » إِلَّا لَمَّا كَانَ

(١) الرِّبَانِيُّ : العالم الراسخ في العلم ، أو العالم العامل المعلم . ل ، هـ : « الديانين » . والديان : الحاكم والقاضي . حـ والتيمورية : « الرِّبَانِيُّ » تحريف . والصواب ما أثبت من ب .

(٢) الاجتلاب : أن يجتلب معاني سواه لفقره في معانيه . ل : « الاختلاب » .

(٣) ل : « وأكسبت » .

(٤) المعارض : جمع معرض ، وهو كمنبر ، ثوب تحلى فيه الجارية .

(٥) حول مجرم : تام كامل .

رَاعَهُ مِنْ حُسْنِ مَنْطِقِهِ ، وَمَالَ إِلَيْهِ لَمَّا رَأَى مِنْ رِفْقِهِ وَقَلَّةِ تَكْلُفِهِ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِرَجُلٍ أَحْسَنَ فِي طَلَبِ حَاجَةٍ وَتَأْتَى لَهَا بِكَلَامٍ وَجِيزٍ ، وَمَنْطِقٍ حَسَنٍ : « هَذَا وَاللَّهِ السِّحْرُ الْحَلَالُ » . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا خِلَابَةَ ^(١) » .

- فَالْقَصْدُ فِي ذَلِكَ أَنْ تَجْتَنِبَ السُّوقَى وَالْوَحْشَى ، وَلَا تَجْعَلَ هَمَّكَ فِي تَهْذِيبِ الْأَلْفَاظِ ، وَشُغْلَكَ فِي التَّخَلُّصِ إِلَى غَرَائِبِ الْمَعَانِي . وَفِي الْاِقْتِصَادِ بِلَاغٍ ، وَفِي التَّوَسُّطِ مَجَانِبَةٌ لِلْوَعُورَةِ ، وَخُرُوجٌ مِنْ سَبِيلٍ مَنْ لَا يَحَاسِبُ نَفْسَهُ .
- وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ وَلَا تَرْكَبْ ذُلُولًا وَلَا صَعْبًا

وَقَالَ الْآخَرُ :

- لَا تَذْهَبَنَّ فِي الْأُمُورِ فَرَطًا ^(٢) لَا تَسْأَلَنَّ إِنْ سَأَلْتَ شَطَطًا ^{١٠}
- وَكُنْ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا وَسَطًا

وَلَيْكِنْ كَلَامُكَ مَا بَيْنَ الْمُقَصِّرِ وَالْغَالِي ؛ فَإِنَّكَ تَسْلَمُ مِنَ الْمِحْنَةِ ^(٣) عِنْدَ الْعُلَمَاءِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الشَّيْطَانِ .

- وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ لِلْحَسَنِ : عَلَّمَنِي دِينًا وَسُوطًا ، لَا ذَاهِبًا شَطُوطًا ، وَلَا هَابِطًا هَبُوطًا . فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : لَقَدْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنْ خَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا . ^{١٥}
- وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « خَالِطُوا النَّاسَ وَزَايِلُوهُمْ » .

(١) الْخِلَابَةُ ، بِالْكَسْرِ : الْخِدَاعَةُ ، وَقِيلَ الْخِدْيَةُ بِاللَّسَانِ . وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ كَانَ يَخْدَعُ فِي بَيْعِهِ : « إِذَا بَايَعْتَ فَقُلْ لَا خِلَابَةَ » .

(٢) الْفَرَطُ ، بِالتَّحْرِيكِ : الْمَقْدَمُ ، رَجُلٌ فَرَطٌ ، وَقَوْمٌ فَرَطٌ .

(٣) فِيمَا عَدَا لَ : « الْمِحْنَةُ » .

وقال على بن أبى طالب رحمه الله : « كن فى الناس وَسْطاً وَاَمْشِ جَانِباً » .

وقال عبد الله بن مسعود فى خطبته : « وخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ، وَمَا قَلَّ
وكفى خيراً ممَّا كثر وأهَى . نفسٌ تُنَجِّيها ، خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيها » .
وكانوا يقولون : اكره الغلو كما تكره التقصير .

وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه : « قولوا بقولكم ولا يَسْتَحْذِرَنَّ
عليكم الشيطان » . وكان يقول : « وهل يكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فى نارِ
جهنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » .

باب

من الخطب القصار من خطب السلف ، ومواعظ من مواعظ
التسك ، وتأديب من تأديب العلماء

قال رجل لأبي هريرة النحوي : أريد أن أتعلّم العلم وأخاف أن أضيعه .
فقال : « كَفَى بترك العلم إضاعة » .

وسمع الأحنف رجلاً يقول : « التعلّم في الصغر كالنقش في الحجر » ،
فقال الأحنف : « الكبير أكبر عقلاً ، ولكنه أشغل قلباً » .

وقال أبو الدرداء : مالى أرى علماءكم يذهبون وجهاً لكم لا يتعلّمون .

وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ ،

١٥ ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُساءَ جُهالاً فَسُئِلُوا
فأفتوا بغير علم ، فضلّوا وأضلّوا » .

قالوا : ولذلك قال عبد الله بن عباس رحمه الله ، حين دلى زيد بن

ثابت في القبر ، رحمه الله : « من سرّه أن يرى كيف ذهابُ العلم فليُنظر ،
فهكذا ذهابه ^(١) » .

١٥ وقال بعضُ الشعراء في بعض العلماء :

أَبْعَدْتَ مِنْ يَوْمِكَ الْفِرَارَ فَمَا جَاوَزْتَ حَيْثُ انْتَهَى بِكَ الْقَدْرُ ^(٢)
لو كان يُنَجِّى مِنَ الرَّذَى حَذَرٌ نَجَّاكَ مِمَّا أَصَابَكَ الْحَذَرُ
يرحمك الله مِنْ أَخِي ثَقَةٍ لَمْ يَكُ فِي صَفْوِ وَدِّهِ كَدْرٌ
فهكذا يَفْسُدُ الزَّمَانُ وَيَفْنَى الدِّ
عِلْمٌ مِنْهُ وَيَذْرُسُ الْأَثَرُ ^(٣)

٢٠ (١) ل : « ذهابه » .

(٢) الأبيات اختارها أبو تمام في الحماسة (١ : ٤٣٧) ونسبها لرجل من بني أسد. ونسبت في

وفيات الأعيان (١ : ١٦٥) إلى أبي يحيى محمد بن كناسة . وانظر ابن النديم ١٣٥ .

(٣) في الحماسة : « فهكذا يذهب الزمان » .

قال : وقال قتادة : لو كان أحد مكثياً من العلم لا كتفى نبي الله موسى عليه السلام ، إذ قال للعبد الصالح : ﴿ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ .

أبو العباس التميمي قال : قال طاوس : « الكلمة الصالحة صدقة » .
 وقال ثمامة بن عبد الله بن أنس ^(١) ، عن أبيه ، [عن جده ^(٢)] ،
 عن رسول الله ﷺ أنه قال : « فضل لسانك تُعبر به عن أخيك الذي لا لسان له صدقة ^(٣) » .

وقال الخليل : « تكثّر من العلم لتعرف ، وتقلّل منه لتحفظ » .
 وقال الفضيل ^(٤) : « نعمت الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها إلى أخيه » .

وكان يقال : يكتب الرجل أحسن ما يسمع ، ويحفظ أحسن ما يكتب .
 وكان يقال : اجعل ما في كتبك بيت مال ، وما في قلبك للتفقة .
 وقال أعرابي : حَرَفٌ في قلبك خير من عشرة في طومارك ^(٥) .
 وقال عُمر بن عبد العزيز : « ما قرّن شيء إلى شيء أفضل من جلم إلى علم ، ومن عفو إلى قُدرة » .

(١) ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري البصري القاضي ، روى عن جده أنس وإلى هريّة . تهذيب التهذيب . وفي الأصل : « عبد الله بن ثمامة بن أنس » تحريف .
 وجاء الحديث بسنده في (٢ : ٣٩) . ولفظه هناك « ثمامة بن أنس » ، نسبة إلى جده .
 (٢) التكملة مما سيأتي في (٢ : ٣٩) .

(٣) كلمة « الذي لا لسان له » ليست في ل . وستأتي في (٢ : ٣٩) .

(٤) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ، الزاهد الخراساني ، ولد بخراسان وقدم الكوفة وهو كبير ، ثم انتقل إلى مكة ، ومات بها سنة ١٨٧ ، وكان في أول أمره شاطرا ، ثم صار إلى الزهد والعبادة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١٣٤) .

(٥) الطومار : الصحيفة ، قال ابن سيده : « أراه عربيا محضا ؛ لأن سيوريه قد اعتد به في الأبنية » .

وكان ميمون بن سيّاه ^(١) ، إذا جلس إلى قوم قال : إِنَّا قومٌ مُنْقَطِعٌ بنا ، فحدثونا أحاديث نتجمل بها .

قال : وفخر سلّيم مولى زياد ، بزيادٍ عند معاوية ، فقال معاوية : اسكت ، فوالله ما أدرك صاحبك شيئاً بسيفه إلّا وقد أدركت أكثر منه بلساني . ١٥٠

و ضرب الحجاج أعناق أسرى ، فلما قدّموا إليه رجلاً لتضرب عنقه قال : ٥
والله لكنّ كُنّا أسأنا في الذنب فما أحسنت في العفو ! فقال الحجاج : أفٍ لهذه الجيف ، أما كان فيها أحدٌ يحسن مثل هذا الكلام ! وأمسك عن القتل .
وقال بشير الرّجال ^(٢) : « إِنِّي لَأَجِدُ في قلبي حراً لا يُذهبه إلّا برد العدل أو حرُّ السّنان » .

قال : وقدّموا رجلاً من الخوارج إلى عبد الملك بن مروان لتضرب عنقه ، ١٠
ودخل على عبد الملك ابن له صغير قد ضربته المعلم ، وهو ييكي ، فهمّ عبد الملك بالمعلم ، فقال له الخارجي : دَعُوهُ ييكي فإنه أفتح لجِرمه ^(٣) ، وأصحّ لبصره ، وأذهب لصوته . قال له عبد الملك : أَمَا يشغلك ما أنت فيه عن هذا ؟ قال الخارجي : ما ينبغي لمسلّم أن يشغله عن [قول ^(٤)] الحقّ شيء ! فأمر بتخيلة سبيله .
قال : وقال زيادٌ على المنبر : « إِنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة لا يُقْطَع بها ١٥
ذئبٌ عنزٍ مّصوّر ^(٥) ، لو بلّغَتْ إمامه سفكٌ بها دمه ^(٦) » .

(١) سيّاه ، بكسر السين وفتح الياء المخففة ، كما في التقريب . وميمون بصرى ، كنيته أبو بحر ، روى عن أنس والحسن ، وكان يقال إنه سيد القراء . تهذيب التهذيب ، وضفة الصفوة (٣ : ١٥٤) .

(٢) فيما عدل : « الرجال » بالخاء المهملة .

(٣) الجرم ، بالكسر : الخلق . والخبر في البخلاء ٦ معزو إلى بعض الحكماء ٢٠

(٤) هذه مما عدل .

(٥) المصور : التي انقطع لبنها ، والمصر ، بالفتح : قلة اللبن .

(٦) وكذا جاء الخبر في اللسان (٧ : ٣٣) . ل : « سفك دمه » . وهذا الخبر في هرورد بعد

قال : وقال إبراهيم بن أدهم ^(١) : « أعرينا كلامنا فما نلحن ^(٢) ،
ولحنّا في أعمالنا فما نُعرب حرفاً » . وأنشد :

نرُقع دُنْيَانَا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقَى ولا ما نرُقع ^(٣)

قال : وعزّل عمرُ زياداً عن كتابة أبنى موسى الأشعري ، في بعض
قَدَمَاتِهِ ، فقال له زياد : أعن عجز أم عن خيانة ؟ قال : لا عن واحدةٍ منهما ،
ولكنّي أكره أن أُحِمَلَ على العامة ^(٤) فَضَّلَ عقلك .

قال : وبلغ الحجاج موتُ أسماء بن خازجة فقال : هل سمِعْتُم بالذي
عاش ما شاء ومات حين شاء !

قال : وكان يقال « كَدُرُ الجماعة خيرٌ من صَفْوِ الفرقة » .

قال أبو الحسن : مرَّ عمر بن ذر ^(٥) ، بعبد الله بن عيَّاش
المنتوف ^(٦) ، وقد كان سَفِهَ عليه فأعرَضَ عنه ، فتعلّق بثوبه ثم قال له :
« يا هَنَاهُ ، إنا لم نَجِدْ لك أنْ عَصَيْتَ اللهَ فينا خيراً من أنْ نطيعَ اللهَ فيك » .
وهذا كلامُ أخذه عُمر بن ذر ، عن عمر بن الخطاب رحمه الله . قال عُمر :

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن منصور العجلي البلخي الزاهد ، وكان ذا ثروة عريضة ، ثم
رفض الدنيا وصار إلى الزهد . توفي في بلاد الروم سنة ١٦١ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٤ : ١٢٧) .

(٢) في جميع النسخ : « فما نلحن حرفاً » . وكلمة « حرفاً » مقحمة ، لم ترد في رواية ابن
الجوزي (٤ : ١٣١) ولا فيما سيأتي في (٢ : ٢٢٠) .

(٣) البيت منسوب إلى ابن أدهم في العقد (٢ : ١١٥) وعيون الأخبار (٢ : ٣٣٠) . وانظر
محاسن البيهقي (٢ : ٤٧) والحليان (٦ : ٥٠٦) .

(٤) هـ عن نسخة : « الرعية » .
(٥) هو أبو ذر عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني الكوفي ، كان رأساً في الإرجاء ،
اختلف في توثيقه . توفي سنة ١٥٣ . تهذيب التهذيب .

(٦) هو أبو الجراح عبد الله بن عيَّاش بن عبد الله الهمداني الكوفي ، المعروف بالمنتوف ، روى
عن الشعبي وغيره ، وروى عنه الهيثم بن عدي ، وكان راوية للأخبار والآداب ، وكان ينادم المنصور
ويضحكه . لسان الميزان (٣ : ٣٢٢) .

- « إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَدْعُ حَقًّا لِلَّهِ لَشِكَايَةِ تَظْهَرُ ، وَلَا لَضَبِّ يُحْتَمَلُ ^(١) ، وَلَا لِحَابَةِ بَشَرٍ ، وَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا عَاقَبْتَ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَبِمِثْلِ أَنْ تُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ » .
- قال : وكتب عمرُ بن الخطاب إلى سعد أبي وقاص ^(٢) : « يَا سَعْدُ سَعْدَ بَنِي أَهْنَب ^(٣) ، إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَبَّهَ إِلَى خَلْقِهِ ، فَاعْتَبِرْ مَنْزِلَتَكَ مِنَ اللَّهِ بِمَنْزِلَتِكَ مِنَ النَّاسِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالَكَ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلُ مَالِهِ عِنْدَكَ » .
- قال : ومات ابنُ لُعمَرَ بن ذَرٍّ فقال : « أَيْ بُنَيَّ ، شَغَلَنِي الْحَزَنُ لَكَ ، عَنِ الْحَزَنِ عَلَيْكَ » .
- وقال رجلٌ من بني مُجَاشِع : جاءَ الحَسَنُ في دمٍ كانَ فينا ، فخطب ^(٤) فأجابه رجلٌ فقال : قد تركتُ ذلكَ لِلَّهِ وَلِوُجُوهِكُمْ . فقال الحَسَنُ : لَا تَقُلْ هَكَذَا ، بَلْ قُلْ : لِلَّهِ ثُمَّ لَوُجُوهِكُمْ . وَاجْرِكَ اللَّهَ .
- وقال : ومَرَّ رجلٌ بِأَبِي بَكْرٍ ومعه ثوبٌ ، فقال : أَتَبِيعُ الثَّوبَ ؟ فقال : لَا عَافَاكَ اللَّهُ . فقال أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَقَدْ عَلِمْتُمْ ^(٥) لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . قل : لَا ، وَعَافَاكَ اللَّهُ .
- قال : وسألَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رجلاً عن شيءٍ فقال : اللَّهُ أَعْلَمُ . فقال عمر : لَقَدْ شَقِينَا إِنْ كُنَّا لَا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ . إِذَا سُئِلَ أَحَدُكُمْ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ فَلْيَقُلْ : لَا أَدْرِي ^(٦) .

(١) الضب ، بالفتح والكسر : الغيظ والحقد . فيما عدل : « لضب » . وأشير في حواشي هـ إلى رواية « لضب » عن نسخة .

(٢) هو سعد بن مالك بن أهيب - ويقال وهيب - بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري ، أحد العشرة وآخرهم موتاً ، وهو كذلك أحد الستة أهل الشورى . وله عمر الكوفة ثم ولاة عثمان ، ثم عزله بالوليد بن عقبة . توفي بالمدينة سنة ٥٥ الإصابة ٣١٨٧ .

(٣) ل ، هـ : « وهيب » والخبر في رسائل الجاحظ (١ : ٢٩٥) .

(٤) فيما عدل : « جاء الحسن بخطب في دم فيينا » . لكن في هـ : « كان الحسن » .

(٥) ل : « فقال قد علمته » .

(٦) فيما عدل : « لا أعلم لي » .

وكان أبو الدرداء يقول : أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى أَنْ أَظْلِمَهُ مَنْ لَا يَسْتَعِينُ عَلَى
بِأَحَدٍ إِلَّا بِاللَّهِ .

وذكر ابن ذَرٍّ ^(١) الدُّنْيَا فقال : كَأَنْكُمْ زَادَكُمْ ^(٢) فِي حِرْصِكُمْ عَلَيْنَا ذَمُّ اللَّهِ لَهَا .
ونظر أعرابيٌّ إِلَى مَالٍ لَهُ كَثِيرٍ ، مِنْ الْمَاشِيَةِ وَغَيْرِهَا ، فَقَالَ : « يَنْعَةُ ،
وَلِكُلِّ يَنْعَةٍ اسْتِحْشَافٌ ^(٣) » . فَبَاعَ مَا هُنَاكَ مِنْ مَالِهِ ، ثُمَّ يَمَّمُ ^(٤) ثَغْرًا عَنْ
ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْمَوْتُ ^(٥) .

قال : وَتَمَنَّى قَوْمٌ عِنْدَ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ ^(٦) ، فَقَالَ : أَمَتْنِي كَمَا تَمَنَّيْتُمْ ؟ قَالُوا :
تَمَنَّهُ . قَالَ : « لَيْتَنَا لَمْ نُخْلَقْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ خُلِقْنَا لَمْ نَعْصِ ، وَلَيْتَنَا إِذْ عَصَيْنَا لَمْ
نُؤْمَرْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ مُؤْتَا لَمْ نُبْعَثْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ بَعَثْنَا لَمْ نُحَاسَبْ ، وَلَيْتَنَا إِذْ حُوسِبْنَا لَمْ
نُعَذَّبْ ، ، وَلَيْتَنَا إِذْ عَذَّبْنَا لَمْ نُخَلَّدْ » . ١٠

وقال الْحِجَّاجُ : « لَيْتَ اللَّهِ إِذْ خَلَقْنَا لِلْآخِرَةِ كَفَانَا أَمَرَ الدُّنْيَا ، فَرَفَعَ عَنَّا
الْهَمَّ بِالْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَنْكَحِ . أَوْ لَيْتَهُ إِذْ أَوْفَعَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَفَانَا
أَمَرَ الْآخِرَةِ ، فَرَفَعَ عَنَّا الْإِهْتِمَامَ بِمَا يَنْجِي مِنْ عَذَابِهِ » .

فبلغ كلامُهما عَبْدَ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ بْنِ حَسَنٍ ، أَوْ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ،
فَقَالَ : مَا عَلِمَا ^(٧) فِي التَّمَنَّى شَيْئًا ، مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ فَهُوَ خَيْرٌ ^(٨) . ١٥

وقال أبو الدرداء : مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا ، ٥٨
وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا .

(١) هو عمر بن ذر ، المترجم في ص ٢٦٠ .

(٢) هذا ما في هـ . وفي ل : « كَأَنَّهُ زَادَ » وفي سائر النسخ : « كَأَنَّمَا زَادَكُمْ » .

(٣) الاستحشاف : اليبس والتقبض . ل : « استحفاف » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « لزم » .

(٥) فيما عدا ل : « حتى مات فيه » .

(٦) سبقت ترجمته في ص ٢٠٤ .

(٧) ل : « ما عملا » .

(٨) كلمة « فهو » بما عدا ل .

قال شُريح^(١) : « الحِدة كناية عن الجهل » .

وقال أبو عبيدة : « العارضة كناية عن البذاء »^(٢) .

قال : وإذا قالوا فلانٌ مقتصدٌ فتلك كناية عن البخل ، وإذا قالوا

للعامل مستقصٍ فتلك كناية عن الجور .

وقال الشاعر^(٣) ، أبو تمام الطائي :

كذبتُم ليس يُزهى من له حسبٌ ومن له نسبٌ عمن له أدبٌ
إني لذو عجبٍ منكم أرددهُ فيكم ، وفي عجبى من زهوكم عجبٌ
لجاجةٍ لي فيكم ليس يشبهها إلا لجاجتكم في أنكم عربٌ
وقيل لأعرابية مات ابنها : ما أحسنَ عزاءكِ عن ابنك ؟ قالت : إن

مصيبته أمتنتني من المصائب بعده .

قال : وقال سعيد بن عثمان بن عفان رحمه الله لطويس المعنى^(٤) : أينا

أسنُّ أنا أم أنت ياطاوس^(٥) ؟ قال : « بأني أنت وأمي ؛ لقد شهدت زفاف أمك

المباركة إلى أبيك الطيب^(٦) » . فانظر إلى حذقه وإلى معرفته بمخارج الكلام ،

(١) هو أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس الكندي الكوفي القاضي ، كان من أولاد الفرس الذين

كانوا باليمن ، استقضاه عمر على الكوفة ، ثم عثمان ، وأقره على ، وكان يقول له : أنت أفضى العرب ، وولاه زياد
قضاء البصرة . توفي سنة ٧٢ . الإصابة ٣٨٧٥ ، وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفة (٣ : ٢٠) ، والمعارف
١٩١ ، وابن خلكان .

(٢) العارضة : القدرة على الكلام . والبذاء ، كسحاب : الفحش .

(٣) فيما عدل : « وقال حبيب بن أوس الشاعر » .

(٤) طويس لقب غلب عليه ، واسمه عيسى بن عبد الله ، مولى بني مخزوم . وطويس هذا ، هو
الذي يقال فيه « أشأم من طويس » ؛ وذلك أنه - كما يقولون - ولد يوم قبض الرسول ، وفطم يوم وفاة أبي بكر ،
وختن يوم مقتل عمر ، وزوج يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل علي . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء
بالمدينة غناء يدخل في الإيقاع . عمر طويس حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك . الأغاني (٣ : ١٦٤ -
١٧٢) وثمار القلوب ١١٤ .

(٥) فيما عدل : « طويس » . وفي ثمار القلوب : « وكان يسمى طاوسا ، فلما تحنث سمي بطويس » .

(٦) انظر الخبر في الحيوان (٤ : ٥٨) .

كيف لم يقل : زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك . وهكذا كان وجه الكلام فقلّب المعنى .

قال : وقال رجلٌ من أهل الشام : كنت في حلقة أبي مُسهر^(١) ، في مسجد دمشق ، فذكرنا الكلام وبراعته ، والصمت ونبالته ، فقال : كَلَّا إن النّجم ليس كالقمر ، إنك تصيّف الصمت بالكلام ، ولا تصف الكلام بالصمت .
وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيباً : يا بني إذا قللت من الكلام أكثر من الصواب ، وإذا أكثر من الكلام أقللت من الصواب . قال : يا أبة ، فإن أكثر وأكثرت ؟ - يعني كلاماً وصواباً - قال : يا بُنَيَّ ، ما رأيت موعوظاً أحق بأن يكون واعظاً منك !

قال : وقال ابن عباس : « لولا الوسواس ، ما باليت ألا أكلّم الناس » .
قال : وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « ما تستيقوه^(٢) من الدنيا تجدوه في الآخرة » .
وقال رجلٌ للحسن : إني أكره الموت . قال : ذاك أنك أخرت مالك ، ولو قدّمته لسرّك أن تُلحق به .

قال : وقال عامر بن الظرب العدواني^(٣) « الرأى نائمٌ ، والهوى يقظان ؛ فمن هُنالك يغلبُ الهوى الرأى^(٤) » .

(١) هو أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى الدمشقي الغساني ، وهو أحد من أشخص من دمشق إلى المأمون فامتحنه في خلق القرآن ، فلما دعي له بالسيف قال : مخلوق ! فأمر بإشخاصه إلى بغداد فحبس بها ومات سنة ٢١٨ . ومولده سنة ١٤٠ . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٣٤٦) وتاريخ بغداد ٥٧٥٠ .

(٢) فيما عدل : « ما تستيقوا » . والاستبقاء : ترك البقية .

(٣) عامر بن الظرب العدواني ، أحد حكام العرب في الجاهلية ، قالوا : عمر مائتي سنة ، وفيه يقول ذو الإصبع العدواني :

ومنا حكم يقضى فلا ينقض ما يقضى

انظر المعمرين ٤٤ - ٥٠ . وأمثال الميداني في : « إن العصا قرعت لذى الحلم » .

(٤) انظر الخبر في المعمرين ٤٨ - ٤٩ . هـ : « فمن هناك » .

وقال : مكتوب في الحكمة : « اشكّر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكر لك » .

وقال بعضهم ^(١) : « أيها الناس ، لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا » .

٥. وقال عبد الملك على المنبر : « ألا تُنصفوننا يا معشر الرعية ؟ تريدون منا سيرة أئى بكر وعمر ولم تُسيروا في أنفسكم ولا فينا بسيرة رعية أئى بكر وعمر ، أسأل الله أن يعين كلاً على كُـلِّ » .

وقال رجل من العرب : « أربع لا يشبغن من أربعة : أنكى من ذكر ، وعين من نظّر ، وأرض من مطر ، وأذن من خبر » .

١٠. قال : وقال موسى ﷺ لأهله : ﴿ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ ، فقال بعضُ المعترضين : فقد قال : ﴿ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ . فقال أبو عقيل ^(٢) : « لم يعرف موقع النار من أبناء السبيل ، ومن الجائع المقرر »

وقال ليبد بن ربيعة :

١٥. ومقام ضيقي فرجته بيان ولسانٍ وجدل ^(٣)
لو يقوم الفيل أو فياله زلّ عن مثل مقامى وزحل
ولدى النعمان منى موطن بين فائور أفاقٍ فالدخل ^(٤)

(١) فيما عدل زيادة « وهو أبو الدرداء » .

(٢) الراجع أنه أبو عقيل السواق . انظر الحيوان (٤ : ٧/٢٠٦ : ٢٠٤) .

(٣) الأبيات من قصيدة طويلة في ديوانه ١١ - ١٧ طبع ١٨٨١ .

(٤) فائور : موضع أو واد بنجد . وأفاق ، بالضم : موضع في بلاد بنى يربوع . وأنشد ياقوت

البييت في الموضعين . والدخل : ماء بنجد . هـ : « فالدخل » .

إِذْ دَعَنْتَنِي عَامِرٌ أَنْصَرُّهَا فَالتَقَى الْأَلْسُنُ كَالثَّبَلِ الدَّوْلُ (١)
 فَرَمِيَتْ الْقَوْمَ رِشْقًا صَائِبًا لَيْسَ بِالْعُصْلِ وَلَا بِالْمُقْتَعِلِ (٢)
 فَانْتَضَلْنَا وَابْنُ سَلَمَى قَاعِدٌ كَعَتِيقِ الطَّيْرِ يُغْضِي وَيُجَلِّ (٣)
 وَقِيلَ مِنْ لُكَيْزٍ شَاهِدٌ رَهْطٌ مَرْجُومٌ، وَرَهْطُ ابْنِ الْمُعَلِّ (٤)
 وَقَالَ لَبِيدٌ أَيْضًا (٥)

وَأَيْضَ يَجْتَابُ الْخُرُوقَ عَلَى الْوَجَى خَطِيبًا إِذَا تَفَّ الْمَجَامِعَ فَاصِلًا (٦)

يجتاب : يفتعل من الجَوْب ، وهو أن يجوب البلاد ، أى يدخل فيها
 ويقطعها . والخُرُوق : جمع خَرِق ؛ والخَرَق : الفلاة الواسعة . والوجى : الحفا ،
 مقصور كما ترى ؛ وأنه ليتوَجَّى فى مِشِيته ، وهو وَجَج . وقال رؤبة :
 * به الرّذايا من وَجَجَ وَمُسْقَط (٧) *

(١) النبل : السهام . والدول ، بالتحريك : المتداول .

(٢) الرشق : أن يرمى الرامى بالسهم كلها . أى ليس رمى بالعصل من السهام ، وهى
 المعوجة . والمقتعل من السهام : الذى لم يبر برىاً جيداً . والبيت فى اللسان (عصل ، قمل) برواية :
 « المقتعل » ، وفى (قتل) برواية البيان .

(٣) ابن سلمى هو النعمان بن المنذر . جاء فى الحيوان (٤ : ٣٧٧) : « وأم النعمان سلمى
 بنت الصائغ ، يهودى من أنباط الشام » . وجلى ببصره تحلية ، إذا رمى به كما ينظر الصقر إلى الصيد .
 انظر اللسان (٢٠ : ١٦٤) والحيوان (٧ : ٤٧) .

(٤) لكيز بن أفضى بن عبد القيس . ومرجوم ، بالجيم ، اسمه شهاب بن عبد القيس . قال ابن دريد :
 « وإنما سمي مرجوما لأنه نافر رجلا إلى النعمان فقال له النعمان : قد رجمتك بالشرف . فسمى مرجوما » .
 الاشتقاق ٢٠١ . وابن المعل ، وهو الجارود بن المعل ، كان سيد عبد القيس ، قدم على الرسول فى وفد عبد القيس
 الأخير سنة عشر ، وأسلم وحسن إسلامه الإصابة ١٠٣٨ والحيوان (١ : ٣٢٧) . والبيت لم يرو فى ديوان لبيد .
 (٥) ب : « وقال » فقط . ح والتميمورية : « وقال لبيد » .

(٦) ديوان لبيد ٢٦ طبع ١٨٨١ . ل : « فيصلا » تحريف . التيمورية والديوان : « فاضلا »
 بالمعجمة . والوجه ما أثبت من ب ، ج . وقيل البيت :

ولن يعدموا فى الحرب ليثا مجرياً وذا نزل عند الرزية باذلا

(٧) التفسير بعد البيت السابق إلى كلمة « الواسعة » من ل . وما بعدها إلى هنا من ل فقط .
 البيت من أرجوزة رواها أبو عمرو والأصمعى لرؤبة ، ورواها ابن الأعرابى للعجاج . ديوان رؤبة ٨٣ .

وقال أيضاً لبيد (١) :

لو كان حيٌّ في الحياة مغلداً في الدهر أدركه أبو يكسوم (٢)
والخارثان كلاهما ومحرقٌ أو تُبْع أو فارس اليمحوم (٣)
فدعى الملامة ونَبَ غيرك إنه ليس التوال بلوم كل كريم
ولقد بلوثك وابتليت خليقتي ولقد كفاك مُعلِّمي تعلّمي
وله أيضاً :

ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر
يتأكلون مَقالَةً وخيانةً ويُعاب قائلهم وإن لم يشعَب
والخلف : البقية الصالحة من ولد الرجل وأهله . والخلف ضد هذا (٤) .

وقال زيد بن جندب ، في ذكر الشعب :
ما كان أغنى رجالاً ضلَّ سغيهم عن الجدل وأغناهم عن الشعب (٥)
وقال آخر (٦) في الشعب :
إني إذا عاقبت ذو عقابٍ وإن تشاغبني فذو شِعَابٍ

(١) فيما عدل : « وقال لبيد » . وانظر ديوان لبيد ٨٣ - ٨٤ طبع ١٨٨٠ .

(٢) أبو اليكسوم : كنية أبرهة ، الملك الحبشي صاحب الفيل الذي وجه لهدم الكعبة . وفي السيرة ٤١ جوتنجن : « فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ملك ابنه يكسوم بن أبرهة . وبه كان يكنى » . وانظر الحيوان (٧ : ١٠١) . وفي شرح الديوان : « أدركه ، الهاء للتخيل » .
(٣) الخارثان ، هما الخارث الأكبر والخارث الأصغر ، ملكان من ملوك الغساسنة محرق ، هو عمرو بن هند ملك الحيرة ، لأنه حرق بني تميم . وهو كذلك لقب للخارث الأكبر الغساني . انظر القاموس والعمدة (٢ : ١٧٩) . وفي شرح الديوان أنه ملك من ملوك اليمن . وفارس اليمحوم ، هو النعمان بن المنذر . واليمحوم : فرسه . انظر العمدة (٢ : ١٨٢) والخيل لابن الكلبي ٣١ ونهاية الأرب (١٠ : ٤٥) .
وبدل هذا البيت وتاليه فيما عدل :

بكتائب خرس تعود كيشها نطح الكباش شبيهة بنجوم

(٤) هذا التفسير في ل فقط .

(٥) انظر ما سبق ص ٤٢ . ل : « ضل سغيهم » ل ، هـ : « عن الخطب » .

(٦) هو لقيط بن زرار ، كما سيأتي في (٢ : ١٧٠) .

وقال ابن أحرر بن العمرد^(١) :

وكم حلّها من تيّحان سَمِيدع مُصافي الندى ساقِ بينهما مُطْعِم^(٢)

- التّيحان : الذي يعرض في كل شيء لِيُغْنَى فيه . والسّميدع :

الكرِيم . والنّدى : السخاء . والهيماء : الأرض التي لا يُهتدى فيها لطريق^(٣) -

طوى البطن مِتْلَاف إذا هبّت الصّبا على الأمر غَوَاصٍ وفي الحى شَيْظِم^(٤)

وقال^(٥) :

هل لآمنى قومٌ لموقف سائلٍ أو في محاصرة اللّجوج الأصيد

الأصيد : السيّد الرّافع رأسه ، الشّامخ بأنفه^(٦) .

وقال في التطبيق :

فلما أن بدا الققعاق لجثّ على شركٍ تُناقله نِقَالاً^(٧)

تعاوَزَن الحديث وطبّقته كما طبّقت بالنّعل المِثالا

قال : وهذا التطبيق غير التطبيق الأوّل . وقال آخر^(٨) :

لو كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيف لي بالعِلم بعد تدبّر الأمر

(١) هو ابن أحرر الباهلي ، واسمه عمرو بن أحرر بن العمرد بن عامر بن عمرو بن عبد بن قراض .

١٥ من شعراء الجاهلية الذين أدركوا الإسلام ، أسلم وغزا مغازي في الروم ، ونزل الشام ، وتوفى على عهد عثمان . الإصابة ٦٤٦٠ والخزانة (٣ : ٣٨) والمؤتلف ٣٧ .

(٢) التّيحان ، بفتح التاء وتشديد الياء المفتوحة والمكسورة . وكان سيبويه ينكر لغة الكسر .

(٣) هذا التفسير جميعه من ل فقط .

(٤) رجل طو : خال البطن جائع . والشَيْظِم : الطلق الوجه الهش .

(٥) ل : « وقال آخر » تحريف ، فإن البيت لابن أحرر ، كما سيأتى صريحاً في (٢ : ١٧١) .

(٦) هذا التفسير من ل فقط .

(٧) الققعاق : طريق يأخذ من الإمامة إلى البحرين ، كان في الجاهلية . والشرك : الطرق التي

تخفى عليك ولا تستجمع لك ، فأنت تراها وربما انقطعت ، غير أنها لا تخفى عليك . والمناقلة : سرعة نقل

القوائم . وضمير « تناقله » للنقال ، كما في : « فإني أعذبه عذاباً » .

(٨) هو ابن أحرر الباهلي ، كما سبق في ص ٥ .

يعنى إدار الأمر (١) .

وقال المعترض على أصحاب الخطابة والبلاغة :

قال لقمان لابنه : « أئى بُنى » ، إئى قد ندمت على الكلام ، ولم أئدم

على السكوت » . وقال الشاعر :

ما أن ندمت على سكوتي مرةً ولقد ندمت على الكلام مراراً
وقال الآخر (٢) :

نحلّ جنبك لرام وامض عنه بسلام
مُت بداء الصمت خير لك من داء الكلام
إنما المسلم من آل جمّ فاه بلجام (٣)

وقال الآخر (٤) في الاحتراس والتحذير :

اخفيض الصوت إن نطقت بلیل والتفت بالنهار قبل الكلام
وقال آخر في مثل ذلك :

لا أسأل الناس عَمَّا في ضمائرهم ما في الضمير لهم من ذاك يكفيني (٥)
وقال حمزة بن بيض (٦) :

لم يكن عن جناية لحققتني لا يسارى ولا يمينى جشنى
بل جناها أخ على كريم وعلى أهلها براقش تجنى

(١) هذا الشرح من ل فقط .

(٢) هو أبو نواس ، كما في عيون الأخبار (١٧٧ : ٢) .

(٣) في عيون الأخبار : « إنما السالم » . والبيت ساقط من هـ .

(٤) هو أبان اللاحقى ، كما في الحيوان (٢٤١ : ٥) .

(٥) فيما عدل : « ما في ضميرى لهم منى سيكفينى » . وأشير في هـ إلى رواية « من ذاك » .

(٦) حمزة بن بيض الحنفى ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كوفى خلیع ماجن . وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبى صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبى بردة ، واكتسب بشعره مالا عظيما بلغ ألف ألف درهم . الأغاني (١٥ : ١٤ - ٢٥) والمؤتلف ١٠٠ . و « بيض » بكسر الباء .

انظر تحقيق ذلك في شرح الحيوان (٥ : ٤٥٤) .

لأنّ هذه الكلبة ، وهى براقش ، نَبَحَتْ غَزَى ^(١) قَدْ مَرُّوا مِنْ وَرَائِهِمْ
وَقَدْ رَجَعُوا خَائِبِينَ مُخْفِقِينَ ، فَلَمَّا نَبَحَتْهُمْ اسْتَدَلُّوا بِنَبَاحِهَا عَلَى أَهْلِهَا
وَاسْتَبَاحُوهُمْ ، وَلَوْ سَكَّتْ كَانُوا قَدْ سَلِمُوا . [فَضْرِبَ ابْنَ بَيْضَ بِهِ الْمَثَلُ ^(٢)] .
وَقَالَ الْأَخْطَلُ :

٥ تَنَقُّ بِلا شَيْءٍ شَيْوْخَ مُحَارِبٍ وَمَا خِلْتُهَا كَانَتْ تَرِيْشَ وَلَا تَبْرِى
ضَفَادِعَ فِي ظَلَمَاءَ لَيْلٍ تَجَاوَيْتَ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ ^(٣)

النقيق : صِيَا حِ الضَّفَادِعَ .

وَقَالُوا : « الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ » .

وَقَالُوا : « اسْتَكْتَرَّ مِنَ الْهَيْئَةِ صَامِتٌ » .

١٠ وَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ كَلْبٍ طَوِيلٍ الصَّمْتُ : بِحَقِّ مَاسَمَتِكُمْ الْعَرَبُ تُخْرَسَ
الْعَرَبُ . فَقَالَ : « أَسَكْتُ فَأَسْلَمْتُ ، وَأَسْمَعُ فَأَعْلَمْتُ » .
وَكَانُوا يَقُولُونَ : « لَا تَعْدِلُوا بِالسَّلَامَةِ شَيْئاً » .

وَلَا تَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ : جُلِدَ فُلَانٌ حِينَ سَكَتَ ، وَلَا قُتِلَ فُلَانٌ حِينَ
صَمْتُ ^(٤) وَنَسْمَعُهُمْ يَقُولُونَ : جُلِدَ فُلَانٌ حِينَ قَالَ كَذَا ، وَقُتِلَ حِينَ قَالَ كَذَا وَكَذَا .
١٥ وَفِي الْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ : « رَجِمَ اللَّهُ مَنْ سَكَتَ فَسَلِمَ ، أَوْ قَالَ فَغْنَمَ » .
وَالسَّلَامَةُ فَوْقَ الْغَنِيمَةِ ؛ لِأَنَّ السَّلَامَةَ أَصْلٌ وَالْغَنِيمَةُ فَرْعٌ .

(١) غَزَى : جَمَعَ غَازَ . فِيمَا عَدَا لَ : « إِنَّمَا نَبَحَتْ غَزِيَا » . وَالْغَزَى : جَمَعَ غَازَ أَيْضاً ، مِثْلُ نَادٍ وَنَدَى ، وَنَاجَ وَنَجَّى .

(٢) بِهِ ، أَيْ بِذَلِكَ . وَهَذِهِ التَّكْمِلَةُ مِمَّا عَدَا لَ .

(٣) الْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِ الْأَخْطَلِ ١٣٢ . وَانْظُرِ الْخَيَوَانَ (٣ : ٢٦٨ / ٤ : ٢٤٠ : ٥ / ٥٣٢) .

وَاللُّشْعَرُ قِصَّةٌ فِي الْعَقْدِ (٢ : ١٤) وَمُعَاهَدُ التَّنْصِيفِ (٢ : ١٩٩) وَالْكَتَايَاتُ ٧٢ .

(٤) فِيمَا عَدَا لَ : « صَمْتُ » مَوْضِعٌ « سَكَتٌ » وَبِالْعَكْسِ فِيمَا بَعْدَهُ .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْبَلِيغَ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ ، تَخَلَّلُ الْبَاقِرَةُ ^(١) بِلِسَانِهَا » .

- وقيل : « لو كان الكلامُ من فِضَّةٍ ، لكان السُّكُوتُ من ذهب ^(٢) » .
- قال صاحب البلاغة والخطابة ، وأهل البيان وحُبُّ التبيين ^(٣) : إنَّما عاب النبي ﷺ المتشادقين والثرثارين والذى يتخلل بلسانه تَخَلَّلُ الْبَاقِرَةُ بِلِسَانِهَا ، والأعرابيَّ المتشادق ، وهو الذى يصنِّعُ بِفَكِّهِ وبشدقيه ما لا يستجيزه أهلُ الأدب من خطباء أهل المدر ؛ فمن تكلف ذلك منكم فهو أُعْيِبُ ، والذَّمُّ له ألزَمُ .
- وقد كان الرَّجُلُ من العرب يَقِفُ الموقفَ فيرسلُ عدَّةَ أمثالٍ سائرةٍ ، ولم يكن النَّاسُ جميعاً لِيَتَمَثَلُوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع ^(٤) . ومدار العلم على الشَّاهِدِ والمَثَلِ . وإنَّما حُتُّوا على الصَّمتِ لأنَّ العامةَ إلى معرفة خطأ القول ، ١٠
- أَسْرَعُ منهم إلى معرفة خطأ الصَّمتِ . ومعنى الصامت في صَمَتِهِ أخْفَى من معنى القائل في قوله ؛ وإلَّا فَإِنَّ السُّكُوتَ عن قول الحقِّ في معنى التَّنَطُّقِ بالباطل . ولعمري إِنَّ النَّاسَ إلى الكلام ^(٥) لَأَسْرَعُ ؛ لأنَّ في أصل التركيب أنَّ الحاجةَ إلى القول والعمل أكثرُ من الحاجة إلى ترك العمل ، والسُّكُوتُ عن جميع القول . وليس الصَّمتُ كله أفضلَ من الكلام كله ، ولا الكلام كله أفضلَ ١٥
- من السُّكُوتِ كله ، بل قد علمنا أنَّ عامَّةَ الكلام أفضلُ من عامَّةِ السُّكُوتِ . وقد قال الله عز وجل : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلْسُّحْرِ ﴾ . فجعل سَمَعَهُ وَكَذِبَهُ سواءً . وقال الشاعر :
- بَنَى عَدِيَّ أَلَا يَا ائْهَوَا سَفِيهَكُمْ إِنَّ السَّفِيهَ إِذَا لَمْ يَنْتَهُ مَأْمُورٌ ^(٦)

(١) المعروف في جمع بقر البافر والبقيور والباقرور والباقورة والباقر . هـ : « كما تتخلل الباقرة » . ٢٠

(٢) فيما عدا ل : « إن كان الكلام ... فالسُّكُوت » .

(٣) ما عدا هـ : « التبيين » .

(٤) المرفق ، كمنبر ومجلس ومسكن : ما استعين به . (٥) ل : « كلامهم » .

(٦) يا ائْهوا ، هو من حذف المنادى ، أى يا قوم ائْهوا . فيما عدا ل ، هـ : « ألا ينهى » .

وقال آخر (١) :

فإن أنا لم آمر ولم أئه عنكما ضحكك له حتى يلج ويستشري
وكيف يكون الصمت أنفع ، والإيثار له أفضل (٢) ، ونفعه لا يكاد
يجاوز رأس صاحبه ، ونفع الكلام يعم ويخص ، والرواة لم ترو (٣) سكوت
الضامتين ، كما روث كلام التاطقين ، وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت ،
ومواضع الصمت المحمودة قليلة ، ومواضع الكلام المحمودة كثيرة ، وطول
الصمت يفسد اللسان (٤) .

وقال بكر بن عبد الله المزني (٥) : « طول الصمت حُسنة » كما قال
عمر بن الخطاب رحمه الله : « ترك الحركة عُقْلَةٌ » .
وإذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره ، وتبلدت نفسه ، وفسد حسه .
وكانوا يروون صبيائهم الأرجاز ، ويعلمونهم المناقلات ، ويأمرونهم برفع
الصوت وتحقيق الإعراب ؛ لأن ذلك يفتح اللهاة ، ويفتح الجرم (٦) .
واللسان إذا كثرت تقلبيه رُق ولان ، وإذا أقللت تقلبيه وأطلت إسكاته
جسأ وغلظ (٧) .

وقال عَبَايَةُ الجُعْفِيَّ (٨) : « لولا الدرنة وسوء العادة لأمرتُ فتياننا (٩) أن
يمارِى بعضُهم بعضاً » .

(١) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . انظر الحيوان (١ : ١٤) وأمال المرتضى
(٢ : ٦٠) وتغلب ١٧ .

(٢) ل : « ولا يقال له أفضل » ، تحريف .

(٣) فيما عدا التيمورية : « لم يروا » . ٢٠

(٤) فيما عدا ل : « البيان » .

(٥) تقدمت ترجمته في ص ١٠٠ .

(٦) الجرم ، بالكسر : الخلق .

(٧) ل : « إسكاته » : بالناء . جسأ : يبس وصلب .

(٨) أورد له في الحيوان (٥ : ١٩٠) : « ما سُرني بنصيبى من المنى حمر النعم » . ٢٥

(٩) ل : « فتيانى » .

وأية جارية منعها الحركة ، ولم تمرنها على الاعتقال ، أصابها من التعقّد على حسب ذلك المنع . ولم قال رسول الله ﷺ للتأبغة الجعدى : « لا يَفْضُضُ اللهُ فاك » ؟ ولم قال لكعب بن مالك : « ما نَسِيَ اللهَ لك مقالك ذلك ^(١) » ؟ ولم قال لهيذان بن شيخ ^(٢) : « رَبُّ خطيبٍ من غُبَس » ؟ ولم قال لحسان : « هَيَّجَ الغطاريف على بنى عبد مناف ^(٣) » ، والله لَشِعْرُكَ أَشَدُّ عليهم من وَقَع السَّهَام ، فى غُبَس الظَّلام ^(٤) » ؟ وما نَشَكُّ أَنَّهُ عليه السلام قد نَهَى عن المراءى ، وعن التزئد والتكلف ، وعن كُلِّ ما ضارَعَ الرِّياءَ والسُّمعةَ ، والنَّفَجَ والبَذخَ ^(٥) ، وعن التَّهاتر والتَّشاعُبَ ، وعن المماننة والمغالبة ^(٦) . فأَمَّا نَفْسُ البَيان ، فكيف يَنْهَى عنه . وأَيَّنَ الكلامَ كلامُ الله ، وهو الذى مَدَحَ التَّبَيَّنَ وأهل التفصيل ^(٧) وفى ١٠ هذا كفايةٌ إِنْ شاء الله .

وقال دَعْفَلُ بن حنظلة : إِنْ للعلم أربعة ^(٨) : آفة ، ونكداء ، وإضاعة ، واستجاعة . فأَفَتُهُ التَّسَيان ، ونكده الكَذِب ، وإضاعته وَضْعُهُ فى غير موضعه ، واستجاعته أَنَّكَ لا تشبع منه . وإِنَّمَا عاب الاستجاعة لسوء تدير أكثر العلماء ، ولخُرْقِ سياسة أكثر الرُّواة ؛ لِأَنَّ الرُّواة إِذَا شَغَلُوا عقولهم بالازدياد والجمع ، عن تحفُّظ ما قد حَصَّلوه ،

(١) الكلمة الأخيرة ليست فى ل .

(٢) ذكره ابن حجر فى الإصابة ٩٠٢٧ برسم « هيدان بن منيع العيسى » . وأورد له هذا الخبر الذى رواه الجاحظ ثم قال : « ولم يتحرر لى ضبط والده » .

(٣) الغطريف : أصله السيد الشريف . فى الأصول ما عدا هـ : « من بنى » . وما أثبت من هـ يطابق ما فى العثمانية للجاحظ ٢٤ . وانظر ما كتبت فى حواشيه من تحقيق .

(٤) الغبش : شدة الظلمة . ل . والعمدة : « غلس الظلام » . وهى ظلمة آخر الليل .

(٥) النفج ، بالفتح ، والبذخ بالتحريك ، هما بمعنى الكبر .

(٦) المماننة : المعارضة فى الجدل والخصومة .

(٧) فيما عدا ل : « التفضيل » ، بالضاد المعجمة ، تصحيف .

(٨) فيما عدا ل : « أربعة » . وانظر الإصابة ٢٣٩٥ وابن النديم ١٣١ .

وتدبر ماقد دُونه ، كان ذلك الازدياد داعياً إلى النقصان ، وذلك الرّيح سبباً
للخُسران . وجاء في الحديث : « منهومان لا يشبعان : منهومٌ في العلم ، ومنهومٌ
في المال » .

وقالوا : علِّمَ علِّمَكَ ، وتعلّمَ علّمَ غيرِكَ ، فإذا أنت قد علّمتَ ما جهلتَ ،
وحفظتَ ما علّمتَ .

وقال الخليل بن أحمد : اجعلْ تعلّمَكَ دراسةً لعلّمِكَ ، واجعلِ مناظرةَ
المتعلّمِ تنبيهاً على ما ليس عندكَ .

وقال بعضهم - وأظنّه بكر بن عبد الله المزني - : لا تكذّبوا هذه
القلوبَ ولا تُهمِلوها ؛ فخير الفكر ما كان عَقِبَ الجَمَامِ ^(١) ، ومن أكره
بصرة عَشِي . وعادُوا الفِكرَ ^(٢) عند نَبَواتِ القلوبِ ، واشحَذوها بالمذاكرة ،
ولا تياسُوا من إصابة الحكمة إذا امْتَحِنْتُمْ ببعض الاستغلاق ؛ فَإِنَّ مَنْ أدام
قرع الباب وَلَجَ .

وقال الشاعر :

إذا المرءُ أَعْيَنَتِ السَّيَادَةُ ناشئاً فمطلبها كهلاً عليه شديد ^(٣)
وقال الأحنف : « السُّؤْدُودُ مع السَّوَادِ » . وتقول الحكماء : « مَنْ لم
ينطق بالحكمة قبل الأربعين لم يبلغ فيها » . وأنشد ^(٤) :

ودون النَّدى في كلِّ قلبٍ ثَنِيَّةٌ لها مَصْعَدٌ حَزَنٌ ومنحدرٌ سهلٌ ^(٥)
وودَّ الفَتَى في كلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ إذا ما انقضى ، لو أَنَّ نائلَهُ جَزُلٌ

(١) فيما عدل ، هـ : « فخير الكلام » . والجمام ، كسحاب : الراحة .

(٢) فيما عدل : « الفكر » .

(٣) فيما عدل : « أَعْيَنَتِ المروءة » .

(٤) ل : « وأنشد قول الشاعر » . وهو إسحاق الخريجي كما في الشعراء ٨٣٣ وزهر الآداب (٤) :

(٢٠١) وما سيأتي في (٢ : ٣٥٢) . وانظر الحيوان (٢ : ٩٥) .

(٥) ل : « ودون العلى » ، وما أثبت من سائر النسخ يطابق رواية الحيوان .

وقال الهذلي^(١) :

وإن سيادة الأقيام فاعلم لها صعداء مطلبها طويل^(٢)

أترجو أن تسود ولا تُعنى وكيف يسود ذو الدعة البخيل^(٣)

صالح بن سليمان ، عن عتبة بن عُمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : « ما رأيت عُقول الناس إلّا وقد كاذَ يتقارب بعضها من بعض^(٤) ، إلّا ما كان من الحجاج وإياس بن معاوية ، فإن عقولهما كانت تُرجح على عقول الناس » .

أبو الحسن قال : سمعت أبا الصُّعْدِيَّ^(٥) الحارثي يقول : كان الحجاج أحق ، بنى مدينة واسط في بادية التَّبط ثم حماهم دخولها^(٦) . فلما مات دلفوا إليها من قريب .

وسمعت قحطبة الحُشَنِيَّ^(٧) يقول : كان أهل البصرة لا يشكون أنه لم يكن بالبصرة رجلٌ أعقل من عُبيد الله بن الحسن^(٨) ، وعُبيد الله بن سالم .

وقال معاوية لعمر بن العاصي : إن أهل العراق قد قرئوا بك رجلاً طويلاً اللسان ، قصير الرأي ، فأجِدَ الحَزَّ وطَبَّقَ المَفْصِلَ ، وإياك أن تلقاه برأيك كله .

(١) هو حبيب بن عبد الله الهذلي ، المعروف بالأعلم . انظر ديوان الهذليين ٦٠ - ٦١ نسخة الشنقيطي ، وشرح الهذليين السكري ٦٣ - ٦٤ .

(٢) وكذا روى في شعر الهذليين وعيون الأخبار (١ : ٢٢٦) . ورواه في الحيوان (٢ : ٩٥) برواية : « وإن سياسة » ، وكذا في اللسان (صعد) . والصعداء : الأكمة يشتد صعودها على الراق .

(٣) فيما عدل : « ولن تعنى » ، تحريف : وهذا البيت لم يرد في ديوان الهذليين .

(٤) فيما عدل : « إلا قريباً بعضها من بعض » وهو ما سبق في ص ١٠٠ س ١ .

(٥) ب والتيمورية : « الصغرى » جـ : « الصغرى » وأثبت ما في ل ، هـ وسعيد الجاحظ هذا الخبر

في (١٨ : ٤) .

(٦) سيأتي : « ثم قال لهم لا تدخلوها » وهو رواية ما عدل هنا .

(٧) الحشني : نسبة إلى خشين بن عمر بن وبرة بن تغلب . فيما عدل : « الجشمي » .

(٨) تقدمت ترجمته في ص ١٢٠ . ل : « عبد الله » تحريف .

باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن

الموجز المحذوف ، القليل الفضول

قال الشاعر ^(١) :

لها بَشْرٌ مثل الحرير ومنطقٌ رقيق الحواشي لا هراء ولا نَزْرُ ^(٢)

وقال ابن أحرر :

تَضَعُ الحديثَ على مواضعه وكلامها من بعده نَزْرُ

وقال الآخر :

حديث كقطع الشَّهْدَ حلو صدوره وأعجازه الخطبان دون المَحَارِمِ ^(٣)

وقال بشار بن برد :

أُنْسٌ غرائر ما هَمَمْنَ بِرَبِيةٍ كَطَبَاءِ مَكَّةَ صِيْدُهُنَّ حَرَامُ ١٠
يُحَسِّنُ من أنس الحديث زوانياً ويصْدُهُنَّ عن الخنا الإسلامُ

ولبشار أيضاً :

فَعِمْنَا والعَيْنُ حَيٌّ كَمَيِّتٍ بحديث كنشوة الخندريس

ولبشار أيضاً :

وَكَأَنَّ رَفَضَ حديثها وَقَطَعَ الرِّيَاضَ كُسِين زَهْرًا ^(٤) ١٥
وَتَخَالَ ما جَمَعَتْ عليـه ثِيَابُهَا ذَهَباً وَعِطْرًا
وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتٌ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا ٦٦

(١) هو ذو الرمة . ديوانه ٢١٢ وأمالى القائل (١ : ١٥٤) واللسان (هراء) .

(٢) في الديوان : « دقيق الحواشي » . وفي الأمالى وما عدل : « رعيم الحواشي » .

(٣) الخطبان ، بالضم : نبت شديد المראה .

(٤) أنشده في اللسان (رفض) على أن الرفض . بمعنى الجانب . وفي أمالى القائل (١ : ٨٤) :

« وكأن رصف » .

ولبشار العُقَيْلَى :

وفتاةٍ صُبَّ الجمالُ عليها بحديثٍ كلَّدة النشوانِ

وقال الأخطل :

فأسْرَيْنَ خمساً ثم أصبحن غُدوةً يُخْبِرُنَ أخباراً أَلَذَّ من الخمرِ (١)

وقال بشار :

وبكرٍ كنُوارِ الرِّياضِ حديثُها تُرُوقُ بوجهٍ واضحٍ وقوامِ

وقال بشار :

وحديث كأنه قِطْعُ الرو ض وفيه الصّفراءُ والحمراءُ

وأخبرنا عامر بن صالح أنّ عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز (٢) كتب

إلى امرأته ، وعنده إخوان له ، بهذه الأبيات :

إِنَّ عِنْدِي أَبْقَاكَ رَبِّكَ ضَيْفًا واجِبًا حَقُّهُمْ كُهُولًا وَمُرَدًّا

طَرَقُوا جَارِكَ الَّذِي كَانَ قَدَمًا لَا يَرَى مِنْ كَرَامَةِ الضَّيْفِ بُدًّا

فَلَدِيهِ أَضْيَافُهُ قَدْ قَرَأَهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَ ثَمَرًا وَزُبْدًا

فلهذا جرى الحديث ولكن قد جعلنا بعض الفكاهة جدًّا (٣)

وأنشد الهذلي :

كُرُّوا الأحاديث عن ليلٍ إذا بُعِدَتْ إِنَّ الأحاديثَ عن ليلٍ تُلْهِنُنِي

وقال الهذلي أيضاً (٤) :

(١) ديوان الأخطل ١٣٥ .

(٢) هو ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، كان أمير مكة والمدينة ، توفي سنة ١٤٤ .

٢٠ تهذيب التهذيب .

(٣) فيما عدل : « المزاحه » ، وأشار إلى هذه الرواية في هامش ه ، وهذه ضبطت بالضم في

القاموس ، وبالفتح في المصباح .

(٤) فيما عدل : « وقال الهذلي في حلاوة الحديث » . والهذلي هذا هو أبو ذؤيب - انظر ديوانه

١٤٠ واللسان (طفل) .

وإنَّ حديثاً منك لو تبدلنيته جَنَى النَّحْلِ أو ألبانُ عُودِ مَطَافِلِ
مطافيلِ أبكارِ حديثِ نِناجِها تُشَابُ بماءٍ مثل ماء المَفَاصِلِ

العُودُ : جمع عائِد ، وهى الناقة إذا وضَعَتْ ، فإذا مشى ولدها فهى مُرْشِيعٌ ^(١)
فإذا تَبِعها فهى مُتَلِيَّةٌ ، لأنَّه يتلوها . وهى فى هذا كُلِّه مُطْفِل . فإن كان أوَّل ولِد ^(٢)
ولدته فهى بِكْر . ماء المفاصل فيه قولان : أحدهما أنَّ المفاصل ما بين الجبلين
واحدها مَفْصِل ، وإنَّما أراد صفاء الماء ؛ لأنَّه ينحدر عن الجبال ، لا يمرُّ بطين
ولا تُراب . ويقال إنَّها مفاصل البعير . وذكروا أنَّ فيها ماءً له صفاءٌ وعُدوبة ^(٣).

وفى الكلام الموزون يقول [عبد الله بن] معاوية بن عبد الله بن
جعفر ^(٤) :

١٠ الزم الصَّمْتُ إنَّ فى الصَّمْتِ حُكْمًا وإذا أنتَ قلتَ قولاً فِرْهُ

وقال أبو ذؤيب :

وسيربٍ يُطَلَّى بالعبير كأنه دماءٌ ظباءٍ بالنَّحورِ ذَبِيحُ ^(٥)
بذلتُ لهنَّ القولَ إنك واجدٌ لما شئتَ من حُلُو الكلام ، مليحُ ^(٦)

(١) يقال راشح ، ومُرْشِيع ، ومرشح بالتشديد أيضا .

(٢) فيما عدل ، هـ : « أول ولدها » . ١٥

(٣) انظر مثيل هذا الكلام فى الحيوان (٢ : ٣٥٠ - ٣٥١) .

(٤) التكملة مما عدل . وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، كان من
فتيان بنى هاشم وأجوادهم وشعرائهم ، وكان يرمى بالزندقة ، خرج بالكوفة فى آخر أيام مروان بن
محمد ، ثم انتقل عنها إلى الجبل ثم خراسان ، فأخذه أبو مسلم فقتله ، الأغاني (١١ : ٦٣ - ٧٤) .

(٥) أنشده فى اللسان (ذبيح) وقال : « ذبيح وصف للدماء . وفيه شيخان : أحدهما وصف
للدَّم بأنَّه ذبيح وإنما الذبيح صاحب الدَّم لا الدَّم . والآخر أنَّه وصف الجماعة بالواحد . فأما وصفه
الدم بالذبيح فإنه على حذف المضاف ، أى كأنه دماء ظباءٍ بالنَّحورِ ذبيحٌ ظباؤه ، ثم حذف المضاف وهو
الظباء ، فارتفع الضمير الذى كان مجروراً ، لوقوعه موقع المرفوع المحذوف لما استتر فى ذبيح . وأما وصفه الدماء
وهى جماعة بالواحد فلأنَّ فعيلًا يوصف به المذكر والمؤنث والواحد وما فوقه على صورة واحدة »

(٦) ل : « لهم القول أى واجد » ، صوابه من سائر النسخ والديوان ١١٧ . و « مليح » صفة
« واجد » . عنى أنه يجد ما يشاء من حلُو الكلام ، وأنه مليح أيضاً . ٢٥

السَّربُ : الجماعة من النساء والبقر والطير والظُّباء . ويقال فلان آمن السَّرب ، بفتح السين ، أى آمن المسلك . ويقال فلان واسع السرب ^(١) وخَلِي السَّرب ^(٢) ، أى المسالك والمَذاهب . وإنما هو مثلٌ مضروب للصُّدر والقلب . وعن الأصمعيّ : فلان واسع السَّرب ، مكسور ، أى واسع الصدر ، بطىء الغضب ^(٣) .

وأنشد للحكم بن رَبحان ، من بنى عمرو بن كلاب :

يا أَجْدَلُ النَّاسِ إن جادلته جَدَلًا وأكثرَ الناسِ إن عاتبته عِلَلًا
كأنما عَسَلٌ رُجْعَانُ مَنْطِقِهَا إن كان رَجُعٌ كلام يشبه العَسَلًا ^(٤)

وقال القُطامي ^(٥) :

وفي الخدور غماماتٌ بَرَقْنَ لنا حتّى تصيّدنّا من كلِّ مُصْطَافٍ
يقتلنّا بحديثٍ ليس يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ ولا مكنونُهُ بادى ^(٦)

فهنَّ يَنبِذْنَ من قول يُصَيِّنَ به مَوَاقِعَ المَاءِ من ذى العُلَّةِ الصَّادِى
يَنبِذْنَ : يُلقِينَ . العُلَّة والغليل : العطش [الشَّدِيد ^(٧)] . والصادى :

العطشان أيضاً ؛ والاسمُ الصَّدَى . وأنشد للأخطل :

شُمُسٌ إذا خَطَلِ الحديثُ أوَانسٌ يرقُبْنَ كلَّ مُجَدِّرٍ تَنبَالٍ ^(٨)
أنفٌ كأنَّ حديثَهُنَّ تنادُمُ بالكأسِ كلَّ عَقِيلَةٍ مِكَسَالٍ ^(٩)

(١) الكلام من « السرب » إلى هنا ساقط مما عدل ل ه .

(٢) فيما عدل ل : « وخلي السرب وواسع السرب » .

(٣) فيما عدل ل : « بطيء التأنيب » .

(٤) الرجعان ، بالضم : مصدر لرجع ، كالرجع والرجوع والرجعى .

(٥) ديوان القطامي ٨ .

(٦) هذا البيت فى ل فقط ، وهو ساقط من سائر النسخ . وفى الديوان : « ولا مكتوبه » .

(٧) هذه مما عدل ل .

(٨) البيتان لم يرويا فى ديوان الأخطل . ه ، ب ، ج : « كل مرقب » . وفى التيمورية : « كل

مجدر » ، كلاهما محرف ، صوابهما فى ل .

الشَّمْسُ : النَّوْفُرُ ^(١) . وَالتَّنْبَالُ : الْقَصِيرُ ^(٢) . وَالْأَنْفُ : جَمْعُ أَنْفَةٍ ،
وهي الْمُنْكِرَةُ لِلشَّيْءِ غَيْرِ رَاضِيَةٍ ^(٣) . الْعَقِيلَةُ : الْمَصُونَةُ فِي أَهْلِهَا . [وَعَقِيلَةٌ ٨٦
كُلُّ شَيْءٍ : خَيْرُهُ ^(٤)] . وَالْمِكْسَالُ : ذَاتُ الْكِسَلِ عَنْ الْحَرَكَةِ .

وقال أبو العَمَيْثَل عبد الله بن حُلَيْدٍ ^(٥) :

لَقِيتُ ابْنَةَ السَّهْمِيِّ زَيْنَبَ عَنْ عُفْرِ وَنَحْنُ حَرَامُ مُسَيَّ عَاشِرَةِ الْعَشْرِ ^(٦)
وَأُنِّي وَإِيَّاهَا لَحْتُمُ مَبِيتُنَا جَمِيعاً ، وَمَسْرَانَا مُغَدُّ وَذُو فَتْرِ ^(٧)
فَكَلَّمْتُهَا ثِنْتَيْنِ : كَالثَّلَجِ مِنْهُمَا عَلَى اللَّوْحِ وَالْأُخْرَى أَحَرُّ مِنَ الْجَمْرِ

يقال : مَا يَلْقَانَا إِلَّا عَنْ عُفْرِ ^(٨) ، أَيْ بَعْدَ مُدَّةٍ . مُسَيَّ : أَيْ وَقْتُ
الْمَسَاءِ . يَقَالُ أَغَذَّ السَّيْرَ ، إِذَا جَدَّ فِيهِ وَأَسْرَعَ . وَاللَّوْحُ بِالْفَتْحِ ^(٩) : الْعَطَشُ ،
يَقَالُ لَأَخِ الرَّجُلِ يُلَوِّحُ لَوْحاً ، وَالتَّاحُ يَلْتَاخُ التَّيَاحُ ، إِذَا عَطَشَ . وَاللَّوْحُ
بِالْفَتْحِ أَيْضاً : الَّذِي يَكْتُبُ فِيهِ . وَاللُّوْحُ بِالضَّمِّ : الْهَوَاءُ ، يَقَالُ : « لَا أَفْعَلُ
ذَلِكَ وَلَوْ نَزَوْتُ فِي اللَّوْحِ » ، أَوْ « حَتَّى تَنْزُوَ فِي اللَّوْحِ » .

وَأَنْشُدُ :

- (١) يَقَالُ شَمْسٌ ، بِضَمَّةٍ وَبِضْمَتَيْنِ أَيْضاً ، مُفْرَدُهُ شَمْسٌ ، بِالْفَتْحِ .
(٢) فِيمَا عَدَا لَ : « التَّنْبَالُ الْقَصِيرُ . وَالْمَجْدَرُ مِثْلُهُ . وَالشَّمْسُ : النَّوْفُرُ » .
(٣) فِيمَا عَدَا لَ : « غَيْرِ رَاضِيَةٍ عَنْهُ » . (٤) هَذِهِ مِمَّا عَدَا لَ .
(٥) فِيمَا عَدَا لَ : « وَقَالَ أَبُو الْعَمَيْثَلِ » فَقَطْ . وَهُوَ أَبُو الْعَمَيْثَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلِيدٍ ، مَوْلَى جَعْفَرِ
ابْنِ سَلِيمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ . وَكَانَ كَاتِبَ طَاهِرٍ وَوَلَدَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ ، وَكَانَ مَكْتَباً
مِنْ نَقْلِ اللُّغَةِ عَارِفاً بِهَا شَاعِراً بِجِدِّهَا . تَوَفَّى سَنَةَ ٢٤٠ . ابْنُ النَّدِيمِ ٧٢ - ٧٣ وَابْنُ خَلِّكَانَ . وَفِي أَمَالِي
الْقَائِلِ (١ : ٩٨) حَيْثُ أَنْشَدَ الشَّعْرَ : « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدٍ » تَحْرِيفٌ .
(٦) جَدَّ : « مِنْ عُفْرِ » بَوِّ التَّيْمُورِيَّةِ « عُفْرِ » كِلَاهُمَا مُحَرَّفٌ عَنْمَا أَتَتْ مِنْ لَ ، هَذَا وَالْأَمَالِي .
حَرَامٌ : أَيْ مُحَرَّمٌ . مُسَيَّ عَاشِرَةِ الْعَشْرِ ، أَيْ عَشِيَّةُ عَرَفَةَ ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الْعَاشِرَةُ لِلْيَوْمِ الْعَاشِرِ .
(٧) فِي الْأَمَالِي : « وَسِرَانَا » بَدَلُ « وَمَسْرَانَا » . وَفِي الْأَمَالِي : « وَسِرَانَا ، أَيْ سِيرَى أَنَا مُغَدُّ ، أَيْ
مَسْرَعٌ ، وَسِرَاهَا ذُو فَتْرِ أَيْ ذُو فَتَوْرٍ وَسَكُونٍ ؛ لِأَنَّهَا يَرْفُقُ بِهَا » .
(٨) فِيمَا عَدَا لَ « نَقُولُ مَا يَلْقَانَا فَلَانِ » . (٩) يَقَالُ أَيْضاً بِالضَّمِّ .

وإنّا لتجرى بيننا حين نلتقي حديثاً له وشئ كَجَبْرِ الْمَطَارِفِ (١)
 حديث كطعم القطر في المخل يُشْتَفَى به من جوى في داخل القلب لاطف
 المخل : الجذب ، وسنة محول . وأحل البلد فهو ماحل وممجل ،
 وزمان ماحل وممجل . الجوى ها هنا : شدة الحب حتى يمرض صاحبه .
 لاطف : لطيف (٢) . وأنشد للشماخ (٣) بن ضرار الثعلبي (٤) :
 يُقَرُّ بعيني أن أُنْبَأُ أنها وإن لم أُنلها أيم لم تزوج (٥)
 وكنت إذا لاقيتها كان سرنا وما بيننا مثل الشواء الملهوج
 يريد أنهما كانا على عجلة من خوف الرقباء . والمُلهوج : المعجل
 الذي لم يُنتظر به النضج .

وقال جرّان العود :
 فنلنا سقاطاً من حديث كائه جنى النحل أو أبكار كرم يُقَطَّفُ
 حديثاً لو أنّ البقل يُولَى بمثله زها البقل واخضرّ العضاء المصنّف (٦)

(١) الخبر ، بالكسر : الوشي ، عن ابن الأعرابي . وفيما عدل : « كوشى » . والمطارف : جمع مطرف ، كمنبر ومصحف ، وهو ثوب من خز له أعلام .

(٢) هذا التفسير في ل فقط .

(٣) فيما عدل : « وقال الشماخ » . وهو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن صيفي بن إلياس بن عبد بن عثمان ابن جحاش بن مجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . الأغاني (٨ : ٩٧) والإصابة ٣٩١٣ والخزانة (١ : ٥٢٦) وابن سلام ٤٧ والشعر والشعراء .

(٤) الثعلبي : نسبة إلى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، كما في ترجمته . وفي جميع النسخ « الثعلبي »

تحريف . لكن في ل : « وقال الشماخ بن ضرار » فقط .

(٥) أقر الله عينه وبعينه ، أى أبودها بما يفرح صاحبها ، أو أسكنها فلا تطمح إلى غير ما نال صاحبها من خير كثير . والبيتان من قصيدة له في ديوانه ٥ - ١٧ .

(٦) البيت في ديوانه ٢١ ، والذي قبله لم يرو في الديوان . وبدله فيه :

ينازعتنا لذاً رخيماً كأنه عوائر من قطر حداث صيف

وللفرزدق :

إذا هن ساقطن الحديث كأنه جنى النحل أو أبكار كرم تقطف

المصنّف : الذى خرج ورقه واخضر ، وقال السكرى : « الذى قد جف بعضه وبقي بعضه » . ل :
 « المضيف » ، وفيما عدل : ل : « المضيف » صوابهما من الديوان .

زها : بدا زهره . العِضَاءُ : جمع عِضَّة ، وهى كل شجرة ذات شوك ، ٦٩
إلا القتادة فإنها لا تسمى عِضَّة .

وقال الكميت بن زيد :

وحديثهنَّ إذا التقيَ من تهائف البيض الغرائر
وإذا ضحكَن عن العدا ب لنا المُسَقَّاتِ التَّوَاغِرُ (١)
كانَ التهلُّلُ بالتَّبَسُّ سم لا القَهَاقِهَ بالقرَاقِرُ

التهائف : تضاحكُ في هُزُو . الغرائر : جمع غريرة ، وهى المرأة القليلة
الخبرة ، العِمْرَة (٢) . والعذاب ، يريد الثَّغْر . والمُسَقَّات : اللثات التى قد
أُسِفَتْ بالكحل أو بالنَّوَر ، وذلك أن تُغَرَزَ بالإبرة ويُدَّرَ عليها الكحل فيعلوها
حُوءٌ . والتهلل ، يقال تهلل وجهه ، إذا أشرق وأسفر . وقال الآخر (٣) :

ولمَّا تلاقينا جرى من عيوننا دُموعٌ كَفَفْنَا غَرْبَهَا بالأصابع (٤)
ونلنا سِقَاطاً من حديث كآئه جنى النحلِ ممزوجاً بماء الوقائع
سقاط الحديث : ما يُبْدَ منه ولُفِظَ به . يقال ساقطُ فلانا الحديث

سِقَاطاً. الوقائع والوقع : منافع الماء في مُتون الصُّخور ، الواحدة وقعة .
وقال أشعث بن سُمَيَّ (٥) :

هل تعرفُ المبدأ إلى السَّنام (٦) ناطَ به سواحرُ الكلام

كلامُها يشفى من السَّقَامِ (٧)

(١) لم أجد هذه الكلمة ولا تفسيرها في المعاجم المتداولة . والأبيات لم ترو في الهاشميات .

(٢) الغمر ، بتثنية الغين ، وبالتحريك : من لم يجرب الأمور .

(٣) هو ذو الرمة . ديوانه ٣٥٨ .

(٤) الغرب : كل فيضة من الدمع . وفي الديوان : « جرت من .. ماءها بالأصابع » .

(٥) فيما عدل : « الأشعث بن سمي » . لكن في هـ « أشعث بن سمي » .

(٦) لم أجد « المبدأ » . وأما السنام فذكره ياقوت ، وذكر في القاموس أيضاً ، وهو جبل مشرف

على البصرة ، وجبل بالحجاز بين ماوان والريذة .

(٧) فيما عدل : « كلامهن براء ذى السقام » .

المبدا وسنام : موضعان . ناط به : أى صار إليه ^(١) .

وقال الزجاج ووصف عيون الأطباء بالسحر وذكر قوساً ^(٢) فقال:

صَفَرَاءُ فَرَعٍ خَطَمُوهَا بَوْتَرٌ ^(٣) لَأَمٍ مُمَرٍّ مِثْلَ حُلُقُومِ التُّعْرِ

حَدَثَ ظُبَاتٍ أَسْهُمٍ مِثْلَ الشَّرَرِ فَصَرَعَتْهُنَّ بِأَكْنَافِ الْحُفَرِ ^(٤)

حُورُ الْعَيُونِ بِأَبْلِيَّاتِ النَّظَرِ ^(٥) يَحْسُبُهَا النَّاطِرُ مِنْ وَخْشِ الْبَشَرِ ^(٦) .

الْأَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : الشديد . وَالْمُمَرَّ : المحكم القتل ، وحبل مَرِيرٌ مثله .

التُّعَر : البلب . وَالظُّبَاتُ : جمع ظَبَّة ، وهى حُدَّ السَّيْفِ وَالسَّنَانِ وَغَيْرُهُمَا .

وقال آخر ^(٧) :

وَحَدِيثُهَا كَالْقَطْرِ يَسْمَعُهُ رَاعِي سَنِينَ تَتَابَعَتْ جَدْبَا

فَأَصَاخُ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ حَيًّا وَيَقُولُ مِنْ طَمَعٍ : هَيَّا رَبًّا ^(٨) .

★ ★ ★

(١) أصل معنى النوط التعليق . وهذا التفسير جميعه من ل فقط .

(٢) فيما عدل : « قوسا صفراء » .

(٣) فرع : عملت من رأس القضيبي وطره . خطم القوس : علق عليها الوتر .

(٤) أى حدثت القوس ظبات هذه الأسهم وقذفها فصرت هذه الوحوش .

(٥) أى ذات عيون سواحر ، وبابل ينسب إليها السحر .

(٦) بعد هذه الكلمة فيما عدل : « ويروى البقر » وأراها إقحاماً . كما أن التفسير التالى والبيتين

بعده ساقطان مما عدل .

(٧) البيتان التاليان ، رواهما القالى فى أماليه (١ : ٨٤) منسوبين لأعرابى .

(٨) فى الأمالى : « من فرح » .

باب آخر من الأسجاع فى الكلام

قال عُمر بن ذرّ ، رحمه الله : « الله المستعان على السنة تصيف ، وقلوب تعرف ، وأعمال تخلف »

ولما مدح عتيبة بن مرداس عبد الله بن عباس قال : لا أُعطى من يعصى الرحمن ، ويُطيع الشيطان ، ويقول البهتان .

وفى الحديث المأثور ، قال : « يقول العبد مالى مالى ، وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنت ، وأعطيت فأمضيت ، أو لبست فأبليت » .

وقال التمر بن توب (١) :

أعاذل إن يصبح صدائى بقفرة بعيداً نانى صاحبى وقرى
١٠ ترى أن ما أبقيت لم أك ربه وأن الذى أمضيت كان نصيبى (٢)

الصدى هاهنا : طائر يخرج من هامة الميت (٣) إذا بلى ، فينعى إليه ضعف وليه وعجزه عن طلب طائلته ، وهذا كانت تقوله الجاهلية (٤) ، وهو هنا مستعار أى إن أصبحت أنا .

ووصف أعرابى رجلاً فقال : « صغير القدر ، قصير الشبر ، ضيق الصدر ، لقيم النجر ، عظيم الكبر ، كثير الفخر » .

الشبر : قدر القامة ، تقول : كم شبر قميصك ، أى كم عدد أشباهه (٥) . والنجر : الطباع .

(١) انظر الأغاني (١٩ : ١٦١) وابن سلام ٦٠ .

(٢) هذه رواية ل ابن سلام . وفى الأغاني وسائر النسخ : « الذى أنفقت » .

(٣) فيما عدل : « من قبر الميت » .

٢٠

(٤) فيما عدل : « كانت العرب تقوله فى الجاهلية » .

(٥) فيما عدل : « الشبر : القامة » لا غير .

ووصف بعضُ الخطباء رجلاً فقال : « ما رأيتُ أضربَ لمثلٍ ،
ولا أركبَ لجمل ، ولا أصعدُ في قُلُبٍ منه » .

وسأل بعضُ الأعراب رسولاً قديم من أهل السُّند : كيف رأيتمُ
البلاد ؟ قال : « ماؤها وشَلٌّ ، ولِصُّها بَطْلٌ ، وتمُّرها دَقْلٌ ^(١) . إن كُثِرَ الجند
بها جاعوا ، وإن قُلُّوا بها ضاعوا ^(٢) » .

١٧ وقيل لصعصعة بن معاوية : من أين أقبلت ؟ قال : من الفجِّ العميق .
قيل : فأين تريد ؟ قال : البيت العتيق . قالوا : هل كان من مطر ؟ قال :
نعم ، حتَّى عَفَى الأثر ، وأنْضَرَ الشجر ، ودَهَدَى الحجر ^(٣) .

واستجار عَوْن بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود ، بمحمَّد بن مروان
بنصيبين ، وتزوَّج بها امرأة ، فقال محمَّد : كيف ترى نصيبين ؟ قال : « كثيرة
العقارب ^(٤) قليلة الأقارب » . يريد بقوله « قليلة » كقول القائل : فلان قليلُ
الحياء ، ليس يريد أن هناك ^(٥) حياء وإن قلَّ . يضعون قليلاً في موضع ليس .
وولَّى العلاء الكلاني ^(٦) عملاً خسيساً ^(٧) ، بعد أن كان على عمل
جسيم ، فقال : « العُنوق بعد الثَّوق ^(٨) » .

١٥ (١) الدقل ، بالتحريك : أردأ أنواع التمر .

(٢) هذا التفسير من ل فقط .

(٣) أنْضَره : صبره ناضراً . ويقال دَهَدَيْت الحجر ودهدته ، أى دحرجته وقذفته من أعلى إلى
أسفل . وهو تصوير لاندفاع السيل . فيما عدل ، ه : « ودهده » .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٢٢٦ / ٥ : ٣٦٠) .

٢٠ (٥) ب والتيمورية : « هنالك » .

(٦) ل : « وولَّى العلاء » فقط . وفي الحيوان (٥ : ٤٦٢) : « وقال الكلاني » .

(٧) ل : « حسناً » صوابه من سائر النسخ .

(٨) العنوق ، بالضم : جمع عناق بالفتح ، وهو الأنثى من ولد المعزى إذا أتت عليها سنة . وهذا
جمع نادر ، ويجمع أيضاً على أعنق وعنق . والنوق : جمع ناقة . أى كنت صاحب نوق فصرت صاحب
عنوق . انظر الحيوان والميداني (١ : ٤٢٠) واللسان (١٢ : ١٤٨) .

قال : ونظر رجلٌ من العُباد إلى بابِ بعض الملوك فقال : « بابٌ جَدِيد ، وموتٌ عَتِيد ^(١) ونَزْعٌ شَدِيد ، وسَفَرٌ بَعِيد » .

وقيل لبعض العرب ^(٢) : أئى شئ تَمَنَّى ، وأئى شئ أَحَب إِلَيْكَ ؟ فقال : لواءٌ منشور ، والجلوسُ على السَّرير ، والسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِير .
وقيل لآخر ، وصَلَّى ركعتين فأطالَ فيهما ، وقد كان أَمْرُ بقتله : أَجْزَعَت من الموت ؟ فقال : إن أَجْزَعُ فقد أَرَى كَفْناً منشوراً ، وسَيْفاً مشهوراً ، وقبراً محفوراً .

ويقال أن هذا الكلام تكلم به حُجْر بن عَدِي الكِنْدِيُّ عند قتله ^(٣) .
وقال عبدُ الملك بن مروانَ لأعرابي : ما أَطْيَبُ الطعام ؟ فقال : « بَكْرَةٌ سِنَمَةٌ ، معتَبَطَةٌ غير ضَمِنَةٍ ، في قدورِ رَذَمَةٍ ، بِشْفَارِ حِذْمَةٍ ، في غِداةِ شِمَمَةٍ » .
فقال عبد الملك : وأبيك لقد أَطْيَيْتَ ^(٤) .

معتَبَطَةٌ : منحورة من غير داءٍ ؛ يقال اعتَبَطَ الإِبِلُ والغنمُ ، إذا دُبِحَتْ من غير داءٍ . ولهذا قيل للدم الخالص عَبِيط . والعَبِيط : ما دُبِحَ من غير عِلَّةٍ . غير ضَمِنَةٍ : غير مريضة . رَذَمَةٌ : سائلة من امتلائها . بِشْفَارٍ حِذْمَةٍ : قاطعة . غِداة

(١) عتيد : معد حاضر .

(٢) هو ضرار بن الحصين ، كما في (٢ : ١٧٥) .

(٣) هذه العبارة من ل فقط . وحجر بن عدى بن معاوية الكندي ، صحابي جليل ، وفد على الرسول الكريم ، وشهد القادسية والجمل وصفين ، وصحب علياً فكان من شيعته . قتل بأمر معاوية سنة ٥١ أو ٥٣ . الإصابة ١٦٢٤ . وكان يعرف بحجر الخير . وأما حجر الشر فهو حجر بن يزيد بن سلمة الكندي ، وفد على الرسول ، وكان مع علي يوم الجمل ، ثم انفصل بمعاوية فاستعمله على إرمينية . الإصابة ١٦٢٦ ، ووقعة صفين ٢٧٤ .

(٤) يقال أطاب الشيء : وجده طيباً ؛ وأطاب : قدم طعاماً طيباً . وقد وردت هذه الكلمة « أطيت » على أصلها بدون إعلال . على أن هذه المادة قد ورد فيها بعض مترك على أصله ، حكى سيبويه « استطيعه » لغة في استطابه . وأنشد في اللسان :

• فكأنها تفاحة مطبوبة •

وسيعاد الخبر في ص ٢٩٩ من هذا الجزء .

شبهة : باردة ^(١) . والشَّبْم : البرد .

وقالوا : « لا تغترَّ بمناصحة الأمير ، إذا غشَّك الوزير » .

[وقالوا : « من صادق الكتاب أغنوه ، ومن عاداهم أفقره » . وقالوا :

« اجعل قول الكذاب ربحاً ، تكن مستريحاً ^(٢) »] .

- وقيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي : لِمَ تؤثر السجع على
المنثور ، وتلزم نفسك القوافي ^(٣) وإقامة الوزن ؟ قال : إن كلامي لو كنت
١٧ لا أمل فيه إلا سماع الشاهد لقلّ خلافي عليك ، ولكني أريد الغائب والحاضر ،
والراهن والغابر ؛ فالحفظ إليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ؛ وهو أحقّ بالتقييد
وبقلة التفلّت ^(٤) . وما تكلمت به العرب من جيد المنثور ، أكثر مما تكلمت به
من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عُشره ، ولا ضاع من الموزون عُشره .
١٠

قالوا : فقد قيل للذي قال : يا رسول الله ، أرايت من لا شرب
ولا أكل ، ولا صاح واستهلّ ، أليس مثل ذلك يُطلّ ^(٥) . فقال رسول الله
ﷺ : « أسجع كسجع الجاهلية » .

- قال عبد الصمد : لو أن هذا المتكلم لم يرد إلا الإقامة لهذا الوزن ، لما
كان عليه بأسٌ ، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطال حق ^(٦) فتشادق في الكلام .
١٥ وقال غير عبد الصمد : وجدنا الشعر : من القصيد والرجز ، قد سمعه
النبي ﷺ فاستحسنه وأمر به شعراءه ، وعامة أصحاب رسول الله ﷺ

(١) التفسير من مبدئه إلى هنا ساقط مما عدل ، هـ . وفي حواشي هـ : « هذا التفسير ثبت في الأم » .

(٢) هذه التكملة مما عدل ل .

(٣) ل : « القول » ، صوابه في سائر النسخ .

(٤) ل : « التغلب » ، صوابه من سائر النسخ .

(٥) يطل ، أى يهدر دمه . فيما عدل ل : « يطل » تحريف .

(٦) فيما عدل ل : « إبطالا لحق » .

قد قالوا شعراً ، قليلاً كان ذلك أم كثيراً ، واستمعوا واستشندوا . فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز ، فكيف يحل ما هو أكثر ويحرم ما هو أقل^(١) . وقال غيرهما : إذا لم يطل ذلك القول ، ولم تكن القوافي مطلوبة مجتلبة ، أو ملتزمة متكلفة ، وكان ذلك كقول الأعرابي لعامل الماء : « حُلْتُ رَكَابِي^(٢) ، وَخَرَقْتُ ثِيَابِي^(٣) ، وَضُرِبْتُ صِيْحَانِي » - حُلْتُ رَكَابِي ، أَيْ^(٤) مُنِعْتُ إِبِلِي مِنَ الْمَاءِ وَالْكَلَاءِ . وَالرَّكَابُ : مَا رَكِبَ مِنَ الْإِبِلِ - قَالَ : « أَوْ سَجَعُ أَيْضاً ؟ » . قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : فَكَيْفَ أَقُولُ ؟ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ حُلْتُ^(٥) إِبِلِي إِنْ جَمَالِي أَوْ نُوقِ أَوْ بَغْرَانِي أَوْ صِرْمَتِي ، لَكَانَ لَمْ يَعْبرَ عَنْ حَقِّ مَعْنَاهُ ، وَإِنَّمَا حُلْتُ رَكَابَهُ ، فَكَيْفَ يَدْعُ الرَّكَابَ إِلَى غَيْرِ الرَّكَابِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : وَخَرَقْتُ ثِيَابِي^(٦) ، وَضُرِبْتُ صِيْحَانِي . لِأَنَّ الْكَلَامَ إِذَا قُلَّ وَقَعَ وَقَوْعاً لَا يَجُوزُ تَغْيِيرُهُ ، وَإِذَا طَالَ الْكَلَامُ وَجَدَتْ فِي الْقَوَافِي مَا يَكُونُ مَجْتَلِباً ، وَمَطْلُوباً مُسْتَكْرَهاً .

وَيُدْخِلُ^(٧) عَلَى مَنْ طَعَنَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ . وَزَعَمَ أَنَّهُ شَعْرٌ ؛ لِأَنَّهُ فِي تَقْدِيرِ مُسْتَفْعِلِنِ مَفَاعِلِنِ ، وَطَعَنَ فِي قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ : « هَلْ أَنْتَ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيَّتٌ ؟ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَتْ^(٨) » - فَيَقَالُ لَهُ : أَعْلَمُ أَنَّكَ لَوْ اعْتَرَضْتَ أَحَادِيثَ النَّاسِ وَخَطَبَهُمْ وَرِسَائِلَهُمْ . لَوْ جَدْتَ فِيهَا مِثْلَ مُسْتَفْعِلِنِ مُسْتَفْعِلِنِ^(٩) ٧٣ ١٥

(١) ل : « أصغر » .

(٢) فيما عدا ل : « حلبت » تحريف .

(٣) ب ، ج : « وحرفت » صوابه في ل ، هـ والتيمورية .

(٤) هذه الكلمات الثلاث في ل والتيمورية فقط .

(٥) ب ، ج : « حلبت » تحريف .

٢٠

(٦) ب : « حرفت » ج : « خرفت » ، صوابهما في ل ، هـ والتيمورية .

(٧) فيما عدا ل : « وفي الحديث المأثور ويدخل » ، وفيه إقحام .

(٨) انظر العمدة (١ : ١٢٣) في باب الرجز والقصيد .

(٩) بدلها فيما عدا ل : « مفاعلن » .

كثيراً ، ومستفعلن مفاعِلُن (١) . وليس أحدٌ في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً . ولو أنَّ رجلاً من الباعة صاح : مَنْ يشتري باذنجان ؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن مستفعلن مفعولات . وكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصد إلى الشعر ؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام . وإذا جاء المقدار الذي يُعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها ، كان ذلك شعراً . وهذا قريب ، والجواب سهل بحمد الله (٢) .

وسمعتُ غلاماً لصديق لي ، وكان قد سقى بطنه (٣) ، وهو يقول لِعِلّمان مولاه : « اذهبوا بي إلى الطَّبيب وقولوا قد اكتوى » . وهذا الكلام يخرج وزنه على خروج (٤) فاعلاتن مفاعِلن ، فاعلاتن مفاعِلن مرّتين . وقد علمتُ أن هذا الغلام لم يخطُر على باله (٥) قطُّ أن يقول بيت شعري أبداً . ومثل هذا كثير ، ولو تتبعته في كلام حاشيتك وعلمانك لوجدته .

وكان الذي كره الأسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة ، أنَّ كُهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم ، وكانوا يدعون الكهانة وأنَّ مع كل واحد منهم رتيباً من الجن (٦) مثل حازي جهينة (٧) ،

١٥ (١) هاتان الكلمتان في ل فقط .

(٢) ما عدا ه : « والحمد لله » .

(٣) يقال سقى بطنه ، بالبناء للفاعل ، وسقى بطنه ، بالبناء للمفعول ، أى اجتمع فيه ماء أصفر .

(٤) هاتان الكلمتان من ل فقط .

(٥) فيما عدا ل : « لم يخطر بباله » . وهما سيان .

(٦) الرتيب ، بفتح الراء وكسرهما مع كسر الهمة وتشديد الياء : هو الذي يعتاد الإنسان من الجن يحبه ويؤلفه .

(٧) الحازي : الكاهن . وفي الحيوان (٦ : ٢٠٤) : « حارثة جهينة » و « جارية جهينة » . وفي مروج الذهب (١ : ٣٣٧) : « حارثة بنت جهينة » . وفي ثمار القلوب ٨١ : « أخبارية جهينة » .

- ومثل شَيْقَ وَسَطِيحَ ^(١) ، وَعُزَّى سَلِمَةَ ^(٢) وَأَشْبَاهَهُمْ ، كانوا يتكهنون
ويحكمون بالأسجاع ؛ كقوله : « الأرض والسَّماء ، والعُقَابُ الصَّقْعَاءُ ^(٣) ،
واقعةٌ ببقعاء ^(٤) ، لقد نُفِّرَ المجدُّ بنى العُشْرَاءِ ^(٥) ، للمجدِّ والسَّناء ^(٦) » .
وهذا الباب كثيرٌ . ألا ترى أن ضَمْرَةَ بن ضَمْرَةَ ، وَهْرَمَ بن قُطْبَةَ ،
والأقرع بن حابس ، ونُفَيْلَ بن عبدِ العُزَّى كانوا يحكمون وينفرون بالأسجاع
وكذلك ربيعة بن حُذَار ^(٧) .
- قالوا : فوقع النَّهْيُ في ذلك الدهرُ لُقُربَ عهدهم بالجاهليَّةِ ، ولبقيَّتْها
فيهم وفي صدور كثير منهم ^(٨) ، فلما زالت العلة زال التحريم .
- وقد كانت الخطباءُ تتكلم عند الخلفاء الراشدين ، فيكونُ في تلك
الخطب أسجاعٌ كثيرةٌ ، فلا ينهَوْنَهُمْ ^(٩) .
- وكان الفضلُ بن عيسى الرِّقَاشِيَّ ^(١٠) سَجَاعاً في قصصه . وكان عمرو بن

- (١) شق بن أثمار بن نزار ، زعموا أنه كان شق إنسان له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وعين
واحدة . انظر بلوغ الأرب (٣ : ٢٧٨ - ٢٨١) وعجائب المخلوقات ٣١٠ . وسطيح هو ابن ربيعة بن
مسعود بن مازن بن ذئب . انظر السيرة ٤٧ جوتنجن .
- (٢) سيأتي في ص ٣٥٨ أن اسمه سلمة بن أبي حية . وانظر الحيوان (٦ : ٢٠٤) ، والميداني
في : « إلا ده فلا ده » ورسائل الجاحظ ١٣٠ .
- (٣) الصقعاء : التي في وسط رأسها بياض .
- (٤) البقعاء : هي من الأرض المعزاء ذات الحصى الصغار .
- (٥) نفرهم : حكم لهم بالعلية على غيرهم . وبنو العشراء ، من بني مازن بن فزارة بن ذبيان .
المعارف ٣٧ والاشتقاق ١٧٢ .
- (٦) وقعت كل هذه الكلمات الممدودة فيما عدل ، ه مقصورة .
- (٧) حذار ، بضم الحاء وكسر ها . وكان ربيعة حكم بنى أسد بن خزيمه ، وقاضيا من قضاة
العرب في الجاهلية . وفيه يقول الأعشى ، كما في اللسان :
- وإذا طلبت المجد أين محله
فاعمد لبيت ربيعة بن حذار
- (٨) ل : « ولبقيتها في صدور كثير منهم » .
- (٩) فيما عدل ، ه : « فلم ينهوا أحداً » .
- (١٠) هو الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي الواعظ البصري ، أحد القدرية المعتزلة . تهذيب
التهذيب والحيوان (٧ : ٢٠٤) .

عُبَيْد^(١) ، وهشام بن حَسَّان^(٢) ، وأبان بن أُمَيَّاس^(٣) ، يَأْتُونَ مَجْلِسَهُ .
 ١٧ وقال له داود بن أُمَيَّاس^(٤) : لَوْلَا أَنَّكَ تَفْسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِكَ لَأَتَيْنَاكَ فِي
 مَجْلِسِكَ . قَالَ : فَهَلْ تَرَانِي أَحْرَمَ حَلَالاً^(٥) ، أَوْ أَحْلَى حَرَاماً ؟ وَإِنَّمَا كَانَ يَتْلُو
 الْآيَةَ الَّتِي فِيهَا ذَكَرَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ، وَالْمَوْتَ وَالْحَشَرَ ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ .

وقد كان عبد الصَّمَد بن الفضل ، وأبو العباس القاسم بن يحيى ،
 وعامة قُصَّاصِ البصرة ، وهم أخطبُ مِنَ الخطباء ، يجلس إليهم عامة الفقهاء .
 وقد كان النَّهْضِيُّ ظاهراً عن مَرْثِيَةِ أُمَيَّةَ بن أُمَيَّاس لَقَتْلَى أَهْلَ بَدْرٍ^(٦) ، كَقَوْلِهِ :
 مَاذَا يَبْدُرُ بِالْعَقْنُ — قَلِيلٌ مِنْ مَرَارِيَةِ جَحَاجِجٍ^(٧)
 هَلَّا بِكَيْتٍ عَلَى الْكِرَا مِ بَنَى الْكِرَامِ أَوْلَى الْمَمَادِحِ
 وروى ناسٌ شَبِيهاً بِذَلِكَ فِي هِجَاءِ الْأَعَشَى لِعَلْقَمَةَ بن عُلَائَةَ . فَلَمَّا
 ١٠ زَالَتِ الْعِلَّةُ زَالَ النَّهْضِيُّ .

وقال واثلة بن خليفة ، في عبد الملك بن المهلب^(٨) :

-
- (١) سبقت ترجمته في ص ٢٣ .
 (٢) هو أبو عبد الله هشام بن حسان الأزدي القردوسي - بالقاف والذال المضمومتين -
 البصري ، كان من كبار الحفاظ وأعلم الناس بحديث الحسن البصري . توفي سنة ١٤٦ . تهذيب ١٥
 التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٥٤) وصفة الصفوة (٣ : ٢٣٢) والقاموس (قدس) .
 (٣) هو أبو إسماعيل أبان بن أُمَيَّاس فيروز البصري ، روى عن أنس وسعيد بن جبير . توفي
 سنة ١٣٨ . تهذيب التهذيب .
 (٤) هو أبو بكر داود بن أُمَيَّاس - واسم أُمَيَّاس هُندَ دِينَار - القشيري البصري . روى عن أنس
 وعكرمة والشعبي ، وعنه : شعبة والثوري ، وكان ثقة كثير الحديث . توفي سنة ١٤٠ . تهذيب التهذيب ٢٠
 وتذكرة الحفاظ (١ : ١٣٨) وصفة الصفوة (٣ : ٢٢١) .
 (٥) ل : « فهل أُمَيَّاس أَحْرَمَ حَلَالاً » ، تحريف .
 (٦) المَرْثِيَةُ رواها ابن هشام في السيرة ٥٣١ - ٥٣٢ ، وقال : « تركنا منها بيتين نال فيهما من
 أصحاب رسول الله » . (٧) هذا البيت ساقط من هـ . ويروى : « فَالْعَقْنُ قَلِيلٌ » .
 (٨) هـ : « وقال أبو واثلة بن خليفة » . تحريف . وعبد الملك بن المهلب ، من نسل المهلب بن أُمَيَّاس
 ٢٥ صفرة الأزدي . وفي كتاب المعارف ١٧٥ : « ويقال إنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد » . وقد
 أورد أبو الفرج لعبد الملك بن المهلب خبراً مع الأخطل ، في الأغاني (٧ : ١٦٩) . والأبيات التالية لسعيد =

لقد صبرت للذلِّ أَعُوذُ مِنْهُرِ تقوم عليها ، في يديك قضيبُ
بكى المنبر الغربى إذ قمتَ فوقه وكادت مسامير الحديد تذوبُ
رأيتك لما شئتَ أدركك الذى يُصيب سرّاً الأسد حين تشيبُ (١)
سفاهة أحلامٍ وبخلٌ بنائيل وفيك لمن عاب المَزُون عيوب (٢)

قال : وخطب الوليد بن عبد الملك فقال : « إنَّ أمير المؤمنين كان يقول : إنَّ
الحجَّاجَ جِلْدَةٌ ما بين عَيْنَيَّ ، أَلَا وإِنَّه جِلْدَةٌ وجهى كُلُّه » .
وخطب الوليد أيضاً فذكر استعماله يزيد بن أبى مسلمٍ بعد الحجَّاج ، فقال :
« كُنْتُ (٣) كمن سقط منه درهمٌ فأصابَ ديناراً » .

شبيب بن شيبَةَ قال : حدَّثنى خالد بن صفوان قال : خطبنا يزيدُ بن المهلبِ
بواسطة فقال : « إني قد أسمع قول الرَّعاع : قد جاء مَسْلَمَةٌ ، وقد جاء العباس (٤) ،
وقد جاء أهل الشام . وما أهل الشام إلا تسعةُ أسيافٍ ، سبعةٌ منها معى ، واثنان منها
على . وأما مَسْلَمَةٌ فَجَرَادَةٌ صفراء . وأما العباس فنسطوس بن نسطوس (٥) ، أتاكم في »

= الجاحظ إنشادها في (٢ : ٣١٣ - ٣١٤ / ٣ : ٧٨) .

(١) الأسد : لغة في الأزد ، وهم قبيل المهلب : فيما عدال : « الأزد » .

(٢) المزون ، بالفتح والضم : اسم لأرض عمان وأهلها من الأزد ، رُبط المهلب بن أبى صفرة ، وذلك أن
جدهم الأعلى مازن بن الأزد . انظر اللسان (مزن) ومعجم البلدان (المزون) والحيوان (٦ : ١٥٧) .

(٣) فيما عدال : « وخطب الوليد بعد وفاة الحجَّاج وتولية يزيد بن أبى مسلم فقال : « إنما مثلى ومثل يزيد

ابن مسلم بعد الحجَّاج » .

(٤) مَسْلَمَةٌ ، هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، القائد العربى الأموى ، قال ابن قتيبة في المعارف

١٥٧ : « وأما مسلمة فكان يكنى أبا سعيد ، ويلقب الجرادة الصفراء ، لصفرة كانت تعلوه ، وكان شجاعاً
وافتح فتوحاً كثيرة في الروم ، منها طوانة . وولى العراق أشهراً ، وله عقب كثير » . وأما العباس فهو العباس بن

الوليد بن عبد الملك ، كان يسمى فارس بنى مروان ، وكانت أمه نصرانية . انظر المعارف ١٥٧ .

(٥) إشارة إلى أن أمه كانت رومية نصرانية . وفي هامش والتيمورية : « أى طيب ابن طيب » وليس بشئ .

برابرة وصقالبة، وجرامقة وجرامة^(١)، وأقباط وأنباط، وأخلاط [من الناس^(٢)] .
 إنما أقبل إليكم الفلاحون الأوباش^(٣) كأشلاء اللحم^(٤) . والله ما لقوا قوماً قط
 كحذكم وحديدكم ، وعدّكم وعديدكم . أعيروني سواعدكم ساعة [من نهار^(٥)]
 تصفّقون بها خراطيمهم^(٦) ، فإنّما هي غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا وبين
 القوم الفاسقين^(٧) . »

ثم دعا بفرس ، فأثي بأبلق^(٨) ، فقال : تخليط وربّ الكعبة ! ثم ركب
 فقاتل فكثرة الناس^(٩) فانهزم عنه أصحابه ، حتّى بقى في إخوته وأهله ، فقُتِلَ
 وانهزم باقى أصحابه . وفى ذلك يقول الشاعر^(١٠) :

كل القبائل يابعوك على الذى تدعو إليه طائعين وسأروا^(١١)
 حتى إذا حمى الوغى وجعلتهم نصّب الأسنّة أسلموك وطاروا^(١٢)
 إن يقتلوك فإنّ قتلك لم يكن عاراً عليك وبعض قتل عار^(١٣)

(١) فى القاموس (جرجم) انهم قوم من العجم بالجزيرة ، أو نبط الشام .

(٢) هذه مما عدل .

(٣) ل : « الفلاحون الأوباش » . وهم الأخلاط وسفلة الناس .

(٤) اللحم : جمع لجام . وأشلاء اللجام : حدائده بلا سبور . قال كثير :

رأيتى كأشلاء اللجام وبعلاها من القوم أيزى منحن متطامن

هـ ، ب ، ج : « اللحم » ، التيمورية : « اللحم » صوابهما فى ل .

(٥) هذه مما عدل .

(٦) الصفق : الضرب ؛ صفقه بالسيف إذا ضربه . والخرطوم : الأنف ، أو مقدمه .

(٧) ما بعد هذه الكلمة إلى نهاية الشعر التالى ساقط مما عدل .

(٨) البلق من الخيل مسبوقه متخلفة . الحيوان (١ : ١٠٤ / ٥ : ١٦٦) .

(٩) كفو الناس : تكاثروا عليه .

(١٠) هو ثابت قطنة . والوقعة التى قُتل فيها هى يوم العقر . انظر الأغاني (١٣ : ٦٣) وشرح

شواهد المغنى ٣٣ - ٣٤ .

(١١) فى الأغاني : « تابعوك على الذى » تدعو إليه ويابعوك » .

(١٢) فى الأغاني : « حمس الوغى » .

(١٣) فى شواهد المغنى وهمع الموامع (٢ : ٢٥) : « ورب قتل عار » .

ومدح الشاعر بَشَّارٌ ، عُمَرَ هَزَارٍ مَرْدٌ ^(١) الْعَتَكِيُّ ، بالخطب وركوبه المنابر ،
بل رثاه وأبَّنه فقال ^(٢) :

ما بال عينك دمعها مسكوبٌ حُرَيْتٌ فأنْتَ بنومها محروبٌ ^(٣)
وكذاك مَنْ صَحِبَ الحوادثَ لم يَزَلْ تأتي عليه سلامةٌ ونكسوبٌ
يا أرضُ ويحكِ أكرميهِ فإنَّه لم يَبْقَ للعَتَكِيِّ فيكِ ضريبٌ
أبى على حَشَبِ المنابر قائماً يوماً وأحزماً إذْ تُشَبُّ حروبٌ

وقال : كان سَوَّارٌ بن عبد الله ^(٤) ، أولُ تميميٍّ خطب على منبر البصرة .
ثم خطب عُبيد الله بن الحسن ^(٥) .

وَوَلَّى منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاةً أمراء : بلال بن أَى بُردة
ابن أَى موسى الأشعري ، وسَوَّار ، وعُبيد الله ، وأحمد بن أَى رياح ^(٦) ، فكان بلالٌ
قاضياً ابنَ قاضي ابنِ قاضي .
وقال رؤية :

فأنْتَ يا ابنَ القاضيين قاضي ^(٧) مُعْتَرِمْ على الطَّرِيقِ ماضى ^(٨)

(١) هو عمر بن حفص بن عثمان بن أَى صفرة المهلبى ، وكانت العجم تسميه « هزار مرد » أى ألف رجل ؛ إذا كان مشهوراً بالشجاعة والإقدام . ولَى إمارة السند فى أيام المنصور ، ثم وجهه أميراً على إفريقية فدخل القيروان سنة ١٥١ وقضى على بعض أصحاب الفتنة فيها ، ولكنهم تجمعوا وتكاثروا عليه وعلى جنده ، فقاتلهم زماناً ثم قتل . الطبرى (٩ : ٢٧٩) والأغانى (١٨ : ٩ ، ١٠ ، ٢٠) .

(٢) الأبيات سيعيد الجاحظ إنشادها فى (٢ : ٣١٤) .

(٣) حرب : سلبت ، كأنها حرَّبت النوم وسلبته . فيما عدل : « سهرت » .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ١٠٠ .

(٥) سبقت ترجمته فى ص ١٢٠ .

(٦) ب ، ج : « أحمد بن رياح » والتميمورية : أحمد بن رياح . وفى حواشى ه : « وزاد أبو العباس المبرد خامساً وهو عدى بن أرطاة » .

(٧) ل : « بلال يا ابن » صواب إنشاده فى الديوان ٨٢ وسائر النسخ .

(٨) فيما عدل : « مقترم » صوابه فى ل ، ه و الديوان .

قال أبو الحسن المدائني : كان عبيد الله بن الحسن حيث وَقَدَ على المهديّ معزياً ومهتأً^(١) ، أعدّ له كلاماً ، فبلغه أنّ النَّاسَ قد أعجبهم كلامه ، فقال لشبيب بن شيبة : إني والله ما ألتفت إلى هؤلاء ، ولكن سل لي أبا عبيد الله الكاتب عنه . فسأله فقال : ما أحسن ما تكلم به ! على أنه أخذ مواعظ الحسن ، ورسائل غيلان^(٢) ، فلقح بينهما كلاماً . فأخبره بذلك شبيب ، فقال عبيد الله : لا والله إن أخطأ حرفاً واحداً .

وكان محمد بن سليمان^(٣) له خطبة لا يغيرها ، وكان يقول : « إن الله وملائكته » ، فكان يرفع الملائكة ، ف قيل له في ذلك ، فقال : خَرَجُوا لها وجهاً . ولم يكن يدعُ الرفع .

قال : وصلى بنا خزيمة يوم النحر ، فخطب ، فلم يُسمع من كلامه ١٠
إلا ذكرُ أمير المؤمنين الرشيد ، وولىَّ عهده محمد .

قال : وكان إسحاق بن شيمر^(٤) يُدارُ به إذا قرع المنبر^(٥) . قال الشاعر :

(١) هذه الكلمة من ل فقط .

(٢) هو غيلان الدمشقي أبو مروان . قالوا : أول من تكلم في القدر معبد الجهنى ، ثم غيلان بعده .
أخذه هشام بن عبد الملك فصلبه بباب دمشق . المعارف ٢١٢ . وذكر ابن حجر في لسان الميزان (٤ : ١٥ : ٤٢٤) أن اسمه غيلان بن مسلم ، وأنه كان من بلغاء الكتاب ، وأنه آمن بنبوة الحارث الكذاب ، فأفتى الأوزاعي بقتله . وقال ابن النديم في الفهرست ١٧١ : « وقد استقصيت خبره في مقالة المتكلمين في أخبار المرجفة ، ورسائله مجموع نحو ألفي ورقة » . وانظر آراءه في الفرق بين الفرق ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .
(٣) هو محمد بن سليمان بن علي العباسي ، ولاه المتصور البصرة ثم عزله عنها وولاه الكوفة ، ثم ولاه المهدي ثم عزله ، ثم أعاده الهادي وأقره الرشيد ، وكان الرشيد في أول أمره يكرمه ويؤبه بما لا يبر به أحداً ، ثم نقم عليه واستصفى أمواله ، وكانت نيفا وخمسين ألف ألف درهم ، وتوفي سنة ١٧٣ في اليوم الذي مات فيه الخيزران . لسان الميزان (٥ : ١٨٨) وتاريخ بغداد ٢٧٩٥ وجمهرة بن حزم ٢٢ ، ١٤٦ ، ٢١٦ ، ٣١٦ . والخبر في مجالس العلماء للزجاجي ٥٤ وإنباه الرواة (٢ : ٤٣) .

(٤) فيما عدل : « زهير بن محمد الضبي » . والشعر يقتضي ما أثبت من ل .

(٥) فرع المنبر يفرعه : غلاؤه .

أمير المؤمنين إليك نشكو وإن كنّا نقول بغير عُذر (١)
 غفرت ذنوبنا وعفوت عنا وليست منك أن تغفو بئكر
 فإن المنبر البصري يشكو على العلات إسحاق بن شيمر
 أضبى على خشبات ملك كمركب ثعلب ظهر الهزير

وقال بعض شعراء العسكر (٢) ، يهجو رجلا من أهل العسكر :

ما زلت تركب كل شيء قائم حتى اجترأت على ركوب المنبر
 مازال منبرك الذي دئسته بالأمس منك كحائض لم تطهر
 فلا نظرن إلى المنابر كلها وإلى الأسيرة باحتقار المنظر (٣)

وقال آخر :

فما منبر دئسته يابن أفكل يزك ولو طهرته بابت طاهر (٤)

(١) فيما عدل : « وإن كنا نقوم » . و « إن » هنا هي النافية .

(٢) هو أبو الأسد ، يقوله في هجاء الحسن بن رجاء . انظر الحماسة ص ١٥٠٠ بشرح المرزوقي . وأبو الأسد هو نباتة بن عبد الله الحماني ، شاعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور ، وكان طيبا مليح النوادر مداحا خبيث الهجاء . الأغاني (١٢ : ١٦٧) .

(٣) هذا البيت في ل فقط . والأسرة : جمع سرير .

(٤) أفكل : علم من أعلامهم ، ومنه الأفكل ، اسم الأفوه الأودي . فيما عدل : « باست أفكل » . وفي حواشي هـ مع علامه التصحيح : « بابت أنوال » . والزاكى : الطاهر .

باب أسجاع

عبد الله بن المبارك ، عن بعض أشياخه ، عن الشَّعْبِي قال : قال عيسى ابن مريم عليه السلام : « البرُّ ثلاثة : المنطق ، والنَّظَر ^(١) ، والصَّمت . فمن كان منطقَه في غير ذكرٍ فقد لغا ، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته في غير فكرٍ فقد لَهَا » .

وقال علي بن أبي طالب : « أفضل العبادة الصمت ، وانتظار الفرج » .

وقال يزيد بن المهلب ، وهو في الحبس : « والهفاه على طليئة ^(٢) بمائة ألف ، وفرج في جبهة أسد ^(٣) » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « استغزوا الدموغ بالتذكر ^(٤) » .

وقال الشاعر :

* ولا يبعث الأحران مثل التذكر ^(٥) *

حفص بن ميمون ^(٦) قال : سمعت عيسى بن عمر ^(٧) يقول : سمعنا

الحسن يقول : « اقدعوا هذه النفوس فإنها طُلعةٌ ، واعصوها ؛ فإنكم إن أطعتموها

(١) فيما عدل ، هـ : « والمنظر » تحريف . وانظر رسائل الجاحظ (١ : ١٦٨) .

(٢) الطلية : الفرس ، أو الكأس المطلية . ما عدل ، هـ : « طلبة » بالياء ، تحريف . وورد الخبر في عيون الأخبار (١ : ٨٢) محرفا . وانظر الاستدراكات في نهاية الجزء الرابع حيث تجد تحقيقا مسهبا .

(٣) في عيون الأخبار : « وفرح » . وفيما عدل ، هـ : « جبهة الأسد » .

(٤) ل : « لا تستغزوا الدموغ إلا بالتذكر » .

(٥) سيأتي البيت بتمامه في الصفحة التالية .

(٦) فيما عدل ، هـ : « حفص » فقط .

(٧) هو أبو عمر عيسى بن عمر البصري الثقفى النحوى ، أحد من روى عن الحسن البصرى ، وكان أحد القراء ، إلا أن الغريب والشعر أغلب عليه . وهو شيخ سيبويه ، ويزعمون أن سيبويه أخذ كتابه « الجامع » وبسطه ، وحشى عليه من كلام الخليل وغيره ، وذكر سيبويه أنه صنف نيفا وسبعين مصنفاً في النحو . وكان صاحب تقدير في كلامه . توفي سنة ١٤٩ . ابن خلكان ، وياقوت ، وبغية الوعاة ، وتهذيب التهذيب .

تنزعُ بكم إلى شُرِّ غاية . وحادثوها بالذكر ، فإنَّها سريعة الدُّثور ^(١) .
 اقدعوا : انهوا ^(٢) . طُلْعَةٌ : أى تَطَّلَعُ إلى كُلِّ شَيْءٍ . حادثوا ، أى اجلوا
 واشحذوا . والدُّثور : الدُّروس . يقال : دثِرَ أثرُ فلانٍ ، إذا ذهب ، كما يقال دَرَسَ وعفا .
 قال : فحدثت بهذا الحديث أبا عمرو بن العلاء ، فتعجَّب من كلامه .
 وقال الشاعر ^(٣) :

سَمِعَنَ بِهِجْجًا أَوْجَفَتْ فَذَكَرْتَهُ وَلَا يَبِيعُثُ الْأَحْزَانَ مِثْلُ التَّذَكْرِ
 الوجيف : سير شديد ؛ يقال : وجِفَ الفرسُ والبعيرُ وأوجفته . ومثله
 الإيضاع ، وهو الإسراع . أراد : بهيجا أقبلت مسرعة .
 ومن الأسجاع قولُ أيوب بن القِرَّةِ ^(٤) ، وقد كان دُعِيَ للكلام
 واحتبس القولُ عليه ؛ فقال : « قد طال السَّهَرُ » ^(٥) ، وسَقَطَ القمرُ ، واشتد
 المطرُ ، فما يُنْتَظَرُ . فأجابه فتى من عبد القيس فقال : « قد طال الأرقُ ،
 وسقط الشَّفَقُ ، وكثُرَ اللَّثْقُ ، فليَنطِقْ من نَطَقَ » .
 اللَّثْقُ : النَّدى والوحل .

وقال أعرابيٌّ ^(٦) لرجلٍ : « نَحْنُ وَاللَّهِ آكُلُ مِنْكُمْ لِلْمَادُومِ ، وَأَكْسَبُ ٨
 مِنْكُمْ لِلْمَعْدُومِ ، وَأَعْطَى مِنْكُمْ لِلْمَحْرُومِ » .
 ووصف أعرابيٌّ رجلا فقال : « إِنْ رِفْدَكَ لَنَجِيحٍ ^(٧) ، وَإِنْ خَيْرِكَ
 لَسَرِيحٍ ، وَإِنْ مَنَعَكَ لَمُرِيحٍ » .

(١) سيأتي القول في (٣ : ١٣٨) منسوباً إلى عمر بن الخطاب .

(٢) بدلهما فيما عدا ل : « كفوا » .

(٣) هو ليلي الأحميلية ، من قصيدة في الأغاني (١٠ : ٧٢) . وانظر (٣ : ١٤٨) .

(٤) سبقت ترجمته في ص ٢٠ .

(٥) فيما عدا ل : « السمر » ، وما أثبت من ل يوافق ما سيأتي : « قد طال الأرق » .

(٦) بهذه الكلمة ينتهى المجلد الأول من القسم الأول من نسخة كوبرلي المرموز إليها بالرمز « ل » .

(٧) الرغد : العطاء . والنجيج : السريع الوشيك . وسيأتي الخبر في (٢ : ٢٠٠) .

- سَرِيحٌ : عَجِلٌ . ومريحٌ : أى مُريح من كَدِّ الطَلَبِ .
- وقال عبد الملك لأعرابي : ما أطيبُ الطعام ؟ فقال : « بَكْرَةٌ سَيِّمَةٌ ، فى قُدُورِ رَذِيمةٍ ، بشفاري حَذِيمةٍ ، فى غداةٍ شَيِّمةٍ » . فقال عبد الملك : وأبيك لقد أَطْيِيتَ (١) .
- وسئل أعرابيٌّ (٢) فقيل له : ما أَشَدُّ البَرْدِ ؟ فقال : « رِيحٌ جَرِيْبَاءُ (٣) ، فى ظِلِّ عَمَاءَ (٤) ، فى غِبِّ سماءَ (٥) » .
- ودعا أعرابيٌّ فقال : « اللهم إئِنِّى أَسْأَلُكَ البَقَاءَ وَالتَّوَمَاءَ ، وَطَيِّبَ الْإِتَاءِ ، وَحَطَّ الْأَعْدَاءِ ، وَرَفَعَ الْأَوْلِيَاءِ » . الْإِتَاءُ : الرِّزْقُ .
- قال : وقال إبراهيم النَّخَعِيُّ (٦) لمنصور بن المعتمر (٧) : « سَلْ مَسْأَلَةً الْحَقْمَى ، واحفظ حفظَ الْكَيْسَى (٨) » .
- ووصفت عَمَّةُ حَاجِزِ اللَّصِّ (٩) حَاجِزاً ، ففَضَّلَتْهُ وقالت : « كان حَاجِزٌ

(١) فيما عدل ، هـ : « أَطِيت » . وقد سبق الخبر فى ص ٢٨٦ .

(٢) فى اللسان (جرب ٢٥٥) أن المسؤل هو ابنة الحسن . وفى (عمى ٣٣٤) : « والعرب تقول » .

(٣) الجربياء : ريح تهب بين الجنوب والصبأ ، وقيل هى الشمال الباردة .

(٤) فى اللسان (١٩ : ٣٣٤) : « تحت ظل عماء » . والعماء : جمع عماءة ، وهى السحابة الكثيفة المطيقة .

(٥) فى غب سماء ، أى بعد أن تنقطع يوماً . والسماء : المطر .

(٦) هو إبراهيم بن يزيد النخعي المترجم فى ص ١٩٢ .

(٧) هو أبو غياث منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة السلمى الكوفى . روى عن إبراهيم النخعي ، والحسن البصرى ، ومجاهد وغيرهم ، وروى عنه الأعمش ، والثورى ، وشعبة وغيرهم ، وكان أثبت أهل الكوفة فى الحديث . توفى سنة ١٣٢ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٦٢) .

(٨) الكيسى : جمع كيس ، ويجمع الكيس أيضاً على أكياس ، وإنما جمع على كيسى لإجراء له مجرى ضده ، وهو أحق وحقى .

(٩) هو حاجز بن عوف بن الحارث ، من بنى سلامان بن مفرج . شاعر جاهل مقل ، وهو أحد صعاليك العرب المغيرين ، ممن كانوا يسيقون الخيل عدوا على أرجلهم . انظر أخباره فى الأغاني (١٢) : ٢٥ .

(٤٧ - ٥٠) .

لا يشبع ليلة يُضاف ، ولا ينام ليلة يخاف .

ووصف بعضهم فرساً فقال : « أَقْبَلَ بَزْرَةَ الْأَسَدِ ، وَأَدْبَرَ بَعْجَزَ الذُّئْبِ » .

الزُّبْرَةُ : مَغْرَزُ الْعُنُقِ ، وَيُقَالُ لِلشَّعْرِ الَّذِي بَيْنَ كَتْفَيْهِ . وَصَفَهُ بِأَنَّهُ
مَحْطُوطُ الْكَفَلِ (١) .

قال : وَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ ، وَقَامَتِ الْخُطَبَاءُ لِبَيْعَةِ يَزِيدَ ، وَأَظْهَرَ قَوْمُ الْكِرَاهَةِ
قَامَ رَجُلٌ مِنْ عُدْرَةٍ (٢) يُقَالُ لَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُقَنَّنِ ، فَاخْتَرَطَ مِنْ سَيْفِهِ شِبْرًا ثُمَّ قَالَ :
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى مُعَاوِيَةَ - فَإِنْ مَاتَ فَهَذَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى يَزِيدَ
- فَمَنْ أَبَى فَهَذَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى سَيْفِهِ . فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : أَنْتَ سَيِّدُ الْخُطَبَاءِ .
قَالُوا : وَلَمَّا قَامَتِ خُطَبَاءُ نِزَارٍ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَذَهَبَتْ فِي الْخُطْبِ كُلِّ
مَذْهَبٍ ، قَامَ صَبْرَةُ بْنُ شَيْمَانَ (٣) ، فَقَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا حَيٌّ
فَعَالٍ ، وَلَسْنَا حَيٌّ مَقَالٍ ؛ وَنَحْنُ نَبْلُغُ بِفَعَالِنَا أَكْثَرَ مِنْ مَقَالٍ غَيْرِنَا (٤) » .

قال : وَلَمَّا وَفَدَ الْأَخْنَفُ فِي وَجْهِهِ أَهْلَ الْبَصْرَةِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، تَكَلَّمَ أَبُو
حَاضِرِ الْأَسَدِيِّ (٥) وَكَانَ خُطْبِيًّا جَمِيلًا ، فَقَالَ لَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ : اسْكُتْ ، فَوَاللَّهِ
لَوِدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُلِّ عَشْرَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، صَرَفَ الدِّينَارَ ٧٩
بِالدَّرْهِمِ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ لَنَا وَلَكَ مِثْلًا ، أَفْتَاذُنُ فِي ذِكْرِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . ١٥
قَالَ : مِثْلُنَا وَمِثْلُكَ وَمِثْلُ أَهْلِ الشَّامِ ، كَقَوْلِ الْأَعَشِيِّ حَيْثُ يَقُولُ :

(١) الكفل : العجز . كفل محطوط : ممدود لا مأكمة له .

(٢) من عُدْرَةٍ ، فِي ل ، ه فقط .

(٣) هو صبرة بن شيمان بن عكيف بن كيوم الأزدى ، كان رئيس الأزد يوم الجمل ، وكذا في

٢٠ حرب صفين . انظر الاشتقاق ٢٩٩ ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ١٣١ .

(٤) انظر الخبر برواية أخرى في الكامل ٥٧ ليسك .

(٥) الأسيدى ، بضم الهمزة وفتح السين وتشديد الياء : نسبة إلى أسيد بن عمرو . وأسيد ،

بتشديد الياء تصغير أسود . قال ابن دريد في الاشتقاق ١٢٧ : « ومن رجالهم أبو حاضر ، واسمه صبرة

ابن جرير » . وفي النقاظ ٧٤٩ أن اسمه « صبرة بن شريس » .

عَلَّقْتُهَا عَرْضاً وَعَلَّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعَلَّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ أَحَبُّكَ أَهْلُ الْعِرَاقِ ، وَأَحَبُّ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَحَبُّ أَهْلِ الشَّامِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ .

عَلَى بْنِ مَجَاهِدٍ ^(١) ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ أَبِي الْبَحْتَرِيِّ ^(٢) قَالَ : ذَكَرَ مَعَاوِيَةُ لابْنَ الزُّبَيْرِ بَيْعَةَ يَزِيدَ ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ : إِنِّي أَنَادِيكَ وَلَا أَنُاجِيكَ ، إِنَّ أَخَاكَ مَنْ صَدَقَكَ ، فَاَنْظُرْ قَبْلَ أَنْ تَقْدَمَ ، وَتَفَكَّرْ قَبْلَ أَنْ تَنْدَمَ ؛ فَإِنَّ النَّظَرَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ ، وَالتَّفَكُّرَ قَبْلَ التَّانِدِ . فَضَحِكَ مَعَاوِيَةُ ثُمَّ قَالَ : تَعَلَّمْتُ أَبَا بَكْرٍ السَّجَاعَةَ ^(٣) عِنْدَ الْكَبِيرِ ، إِنَّ فِي دُونِ مَا سَجَعْتَ بِهِ عَلَى أَخِيكَ مَا يَكْفِيكَ . ثُمَّ أَخَذَ يَدَهُ فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ .

أَخْبَرَنَا ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ ، قَالَ : لَمَّا صَرَفَتِ الْيَمَانِيَّةُ مِنْ أَهْلِ مِزَّةٍ ^(٤) ، الْمَاءَ عَنْ أَهْلِ دِمَشْقَ ، وَوَجَّهَهُ إِلَى الصَّحَارَى ، كَتَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْهَيْذَامِ : « إِلَى بَنِي اسْتِهَا أَهْلُ مِزَّةَ ، لِيَمَسِّيَنِّي الْمَاءُ أَوْ لِيُصَبِّحَتْكُمْ الْخَيْلُ » . قَالَ : فَوَافَاهُمْ الْمَاءَ قَبْلَ أَنْ يُغْتَمُوا ^(٥) . فَقَالَ أَبُو الْهَيْذَامِ : « الصَّدَقَ يُنْبِي عَنْكَ لَا الْوَعِيدَ » . وَحَدَّثَنِي ثُمَامَةُ عَنْ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ ^(٦) قَالَ : لَمَّا بَايَعَ النَّاسُ يَزِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَأَتَاهُ الْخَبْرُ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بَعْضَ التَّلَكُّوِّ وَالتَّحَبُّسِ ، كَتَبَ إِلَيْهِ :

(١) أَبُو مَجَاهِدٍ عَلَى بْنُ مَجَاهِدٍ مَرْوَانِيٌّ رَفِيعُ الْكَأْبِلِيِّ الرَّازِي الْعَبْدِيُّ ، الْقَاضِي ، رَوَى عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ وَالثَّوْرِيَّ وَجَمَاعَةَ ، وَرَوَى عَنْهُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُمَا . وَفِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ : « كَأَنَّهُ مَاتَ سَنَةَ بَضْعَ وَثَمَانِينَ » أَيْ وَمِائَةَ .

(٢) فِيمَا عَدَلَ ، هـ : « الْبَحْتَرِيُّ » . انْظُرْ عَيْنَ الْأَعْبَارِ (٢ : ٥٩) .

(٣) هَذَا الْمَصْدَرُ مِنَ السَّجْعِ لَمْ أَجِدْهُ فِي الْمَعَاجِمِ الْمُنْدَالَةِ ، وَكَأَنَّهُ نَظِيرُ الْكُهَانَةِ وَالْعِرَافَةِ . وَضَبِطَ فِي هـ بِفَتْحِ السِّينِ .

(٤) الْمِزَّةُ ، بِالْكَسْرِ : قَرْيَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِمَشْقَ نِصْفُ فَرَسَخٍ .

(٥) بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِيمَا عَدَلَ : « أَيْ يَصِيرُونَ فِي وَقْتِ عَتَمَةِ اللَّيْلِ . وَعَتَمَتُهُ : ظُلَامُهُ .

يُقَالُ عَتَمَ اللَّيْلُ يَعْتَمُ ، إِذَا أَظْلَمَ . وَأَعْتَمَ النَّاسُ : صَارُوا فِي وَقْتِ الْعَتَمَةِ » .

(٦) فِيمَا عَدَلَ : « الشَّامُ » .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ ،
إِلَى مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُرَاكَ تَقْدُمُ رَجُلًا وَتَوَخَّرُ أُخْرَى ، فَإِذَا أَتَاكَ
كِتَابِي هَذَا فَاعْتَمِدْ عَلَى أُيُّهُمَا ^(١) شِئْتَ . وَالسَّلَامُ » .

وهاهنا مذاهبُ تدلُّ على أصالة الرَّأْيِ ، ومذاهبُ تدلُّ على تمام
النَّفْسِ ^(٢) ، وعلى الصَّلَاحِ وَالْكَمَالِ ، لا أرى كثيراً من النَّاسِ يَقْفُونَ عَلَيْهَا .

وَاسْتَعْمَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ نَافِعَ بْنَ عُلْقَمَةَ بْنَ نَضْلَةَ بْنَ صَفْوَانَ بْنَ
مُحَرَّرٍ خَالَ مَرْوَانَ ، عَلَى مَكَّةَ ، فَخَطَبَ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَبَانَ بْنُ عَثْمَانَ بِحِذَاءِ الْمِنْبَرِ ،
فَشَتَمَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ لِأَبَانَ : أَرْضَيْتَكَ مِنَ الْمُدْهِنِينَ فِي أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ ^(٣) ؟ قَالَ : لا وَاللَّهِ وَلَكِنْ سَوَّيْتَنِي ، حَسْبِي أَنْ يَكُونَا شَرِكَا فِي أَمْرِهِ .

فَمَا أَدْرَى أُيُّهُمَا أَحْسَنُ كَلَاماً : أَبَانَ بْنُ عَثْمَانَ هَذَا ، أَمْ إِسْحَاقُ بْنُ
عِيسَى ، فَإِنَّهُ قَالَ : « أَعِيدَ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ قَتْلُ عَثْمَانَ ، وَأَعِيدَ عَثْمَانُ بِاللَّهِ أَنْ يَقْتُلَهُ عَلِيٌّ » .
فَمَدَحَ عَلِيًّا بِكَلَامٍ سَدِيدٍ غَيْرِ نَافِرٍ ، وَمَقْبُولٍ غَيْرِ وَحْشِيٍّ ، وَذَهَبَ إِلَى مَعْنَى
الْحَدِيثِ فِي قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « أَشَدُّ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ
نَبِيٌّ » . يَقُولُ : لا يَتَّفَقُ أَنْ يَقْتُلَهُ نَبِيٌّ بِنَفْسِهِ إِلَّا وَهُوَ أَشَدُّ خَلَقَ اللَّهُ مَعَانِدَةً
وَأَجْرُوهُمْ عَلَى مَعْصِيَةٍ . وَقَالَ هَذَا : لا يَجُوزُ أَنْ يَقْتُلَهُ عَلِيٌّ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَحَقٌّ لِلْقَتْلِ .

خطبة من خطب رسول الله ﷺ

قال : خطب رسول الله ﷺ بعشر كلمات : حميد الله وأثنى عليه ،

ثم قال :

أيُّها الناس ، إنَّ لكم معالِمَ فانتُهِوا إلى معالِمِكُمْ ، وإنَّ لكم نهايةً فانتُهِوا

(١) إذا أضيفت « أَى » لضمير المؤنث جاز تأنيثها وتذكيرها . هـ : « أَيْهُمَا » .

(٢) ل : « وتدلل على تمام النفس » .

(٣) عني بالمدهنين طلحة والزبير . كانا يعلنان المطالبة بدم أمير المؤمنين عثمان . والإدهان : المصانعة

والغش والنفاق .

إلى نهايتكم . إِنَّ الْمُؤْمَنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ : بَيْنَ عَاجِلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانَعٌ بِهِ ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ . فليأخذ العبدُ من نفسه لنفسه ، ومن دُنياه لِآخِرته ، ومن الشَّيْبَةِ قَبْلَ الْكِبَرَةِ ^(١) ، ومن الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَوْتِ ^(٢) ، فوالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ ، وَلَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ ، إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ .

* * *

أبو الحسن المَدَائِنِيُّ قَالَ : تَكَلَّمَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ يَوْمًا فَأَوْجَزَ ، فَقِيلَ لَهُ : لَوْ زِدْتَنَا . فَقَالَ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِإِطَالَةِ الصَّلَاةِ وَقَصْرِ الْخُطْبِ ^(٣) .

- محمد بن إسحاق ^(٤) ، عن يعقوب بن عُتْبَةَ ^(٥) ، عن شيخ من الأنصار من بني زُرَيْقٍ ^(٦) ، أن عمر بن الخطاب رحمه الله لما أتى بسيف التَّعْمَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ ، دعا جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ ^(٧) فسلَّحه إياه ، ثم قال : يَا جُبَيْرُ ، مِمَّنْ كَانَ النِّعْمَانُ ؟ قَالَ : مِنْ أَشْلَاءِ قَنْصِ بْنِ مَعَدٍ ^(٨) . وَكَانَ جُبَيْرٌ أَنْسَبَ الْعَرَبِ ، وَكَانَ أَخَذَ النَّسَبَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَعَنْ جُبَيْرٍ أَخَذَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ^(٩)

(١) الكِبَرُ ، بِالْفَتْحِ : الْكَبِيرُ . لَ فَقَطْ : « الْكَبِيرُ » .

(٢) لَ : « قَبْلَ الْمَمَاتِ » .

(٣) هـ : « الْخُطْبَةُ » .

١٥

(٤) هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارِ الْمَدَنِيِّ الْمَطْلُبِيُّ ، صَاحِبُ السِّيَرَةِ وَالْمَغَازِي ، وَأَحَدُ الرُّوَاةِ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عُتْبَةَ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٥٢ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ، وَتَذَكُّرَةُ الْحِفَاطِ (١ : ١٦٤) وَابْنُ النَّدِيمِ ١٣٦ .
(٥) يَعْقُوبُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ الْمَعِيْقَةِ بْنِ الْأَحْنَسِ بْنِ شَرِيقِ الثَّقَفِيِّ الْمَدَنِيِّ ، رَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَأَبَانَ بْنِ عِثَانَ ، وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِمْ . وَرَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، وَكَانَ لَهُ عِلْمٌ بِالسِّيَرَةِ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٢٨ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ .

(٦) بَنُو زُرَيْقٍ : بَطْنٌ مِنَ الْحِزْرِجِ ، مِنْهُمْ أَبُو جَبِيلَةَ : الْمَلِكُ الْغَسَّانِيُّ . الْإِسْتِثْقَاءُ ٢٧٢ .

(٧) جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ بْنُ عَدَى بْنِ تَوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ الْقُرَشِيُّ ، صَحَابِيُّ جَلِيلٌ عَارِفٌ بِالنَّسَبِ .

تَوَفَّى سَنَةَ ٧٥ . الْإِصَابَةُ ١٠٨٧ .

٢٥

(٨) أَوْرَدَ الْخَبَرَ فِي اللِّسَانِ (شَلَّل) ، وَقَالَ : « أَرَادَ أَنَّهُ مِنْ بَقَايَا أَوْلَادِهِ » .

(٩) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي ٢٠٢ وَفِي الْقَامُوسِ (سَيْب) : « وَكَمَحَدَّثَ : وَالِدُ سَعِيدٍ ، وَيَفْتَحُ » .

وروى عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ^(١) قال : قلت لسعيد بن المسيب : علمنى النسب . قال : أنت رجل تريد أن تُسَابَّ الناس .

قال : وثلاثة في نسبي واحد كانوا أصحاب نسب : عمر بن الخطاب رحمه الله ، أخذ ذلك عن الخطّاب ، وكان كثيراً ما يقول : سمعت ذلك من الخطّاب ، ولم أسمع ذلك من الخطّاب ، والخطّاب بن ثَقِيل ، وثَقِيل بن عبد العزى ، تنافر إليه عبد المطلب وحرب بن أمية ؛ فنفر عبد المطلب ، أى حكم لعبد المطلب . والمنافرة : المحاكمة .

قال : والنُسَاب أربعة : دَغَل بن حنظلة ^(٢) ، وعُمَيْرُ أبو ضَمْضَم ^(٣) ، وصُبْح الحنفى ^(٤) وابن الكيس التمرى ^(٥) .

قال الأصمعى : دَغَل بن حنظلة ، والنُسابة البكرى ^(٦) ، وكان نصرانياً . ولم يُسمّه .

ذكر كلمات خطب بهن سليمان بن عبد الملك

قال : « اتَّخِذُوا كِتَابَ اللَّهِ إِمَاماً ، وارضَوْا به حَكْماً ، واجعلوه قائداً ؛ فإنه ناسخٌ لما قبله ، ولم ينسخه كتابٌ بعده » .

١٥ (١) فيما عدل : « عن بعض ولد طلحة » . وهو إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبد الله التيمى . روى عن عمه إسحاق وموسى ابني طلحة ، والزهرى ، ومجاهد ، وروى عنه وكيع وابن المبارك وغيرهما . توفى سنة ١٦٤ . تهذيب التهذيب .

(٢) هو دغفل بن حنظلة بن زيد الشيبانى الذهلى النسابة ، أدرك الرسول ولم يسمع منه . غرق في يوم دولا ب في قتال الخوارج سنة سبعين . الإصابة ٢٣٩٥ وابن النديم ١٣١ والميدانى (٢ : ٢٧٣) المعارف ٢٣٢ ، والاشتقاق ٢١١ وتاريخ الإسلام (٢ : ٢٨٧) .

(٣) فيما عدل ، هـ : « عميرة أبو ضمضم » ، وفي المعارف ٢٣٣ : « عمير بن ضمضم » . (٤) فى الحيوان (٣ : ٢١٠) : « صبح الطائى » . وفي المعارف ٢٣٣ وابن النديم ١٢٣ : « صالح الحنفى » . (٥) هو زيد بن الكيس التمرى ، كما فى الحيوان (٣ : ٢١٠) .

(٦) ذكر فى الفهرست ١٣١ ، المعارف ٢٣٣ . وذكر أن رؤية العجاج روى عنه أنه قال : « إن للعلم آفة وهجنة ونكد » . انظر أيضاً ما سبق فى ٢٧٣ ص ١٢ . هـ : « والنسابة البكرى » .

قال : وكان أول كلام بارع سمعوه منه : « الكلام فيما يعينك خير من السكوت عما يضرك ، والسكوت عما لا يعينك خير من الكلام فيما يضرك » .

خَلَّاد بن يزيد الأرقط ^(١) قال : سمعت من يخبرنا عن الشعبي قال : ما سمعت متكلماً على منبر قط تكلم فأحسن إلا تمتت أن يسكت خوفاً من أن يُسئ ، إلا زياداً ؛ فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاماً .

وكان نوفل بن مُساحق ^(٢) ، إذا دخل على امرأته صمت ، وإذا خرج من عندها تكلم ، فرأته يوماً كذلك فقالت : أَمَا عِنْدِي فَتَطْرُق ، وَأَمَا عِنْدَ النَّاسِ فَتَنْطِق . قال : لَأَنِّي أَدِقُّ عَنْ جَلِيلِكَ ، وَتَجْلِيْنِ عَنْ دَقِيقِي .

قال أبو الحسن : قاد عِيَّاشُ بْنُ الزُّبُرْقَانِ بن بدر ، إلى عبد الملك بن مروان خمسة وعشرين فرساً ، فلما جلس لينظر إليها نسب كل فرس منها إلى جميع آبائه وأمهاته ، وحلف على كل فرس يمين غير اليمين التي حلف بها على الفرس الآخر ، فقال عبد الملك بن مروان : عَجَبِي مِنْ اخْتِلَافِ أَيْمَانِهِ أَشَدُّ مِنْ عَجَبِي مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِأَنْسَابِ الْخَيْلِ .

وقال : كان للزُّبُرْقَانِ بن بدر ثلاثة أسماء : الْقَمَرُ ، وَالزُّبُرْقَانُ ، وَالْحَصِينُ . وكانت له ثلاث كُنَى : أَبُو شَذْرَةَ ، وَأَبُو عِيَّاشَ ، وَأَبُو الْعَبَّاسِ . وكان عِيَّاشُ ابْنَهُ خَطِيئاً مَارِداً ، شَدِيدَ الْعَارِضَةِ شَدِيدَ الشَّكِيمَةِ ، وَجِيهاً ؛ وَلَهُ يَقُولُ جَرِيرُ :
أَعْيَاشُ قَدْ ذَاقَ الْقُيُونُ مَرَارِقِي وَأَوْقَدْتُ نَارِي فَادْنُ دُونَكَ فَاصْطَلِ
فَقَالَ عِيَّاشُ : إِنِّي إِذَا لَمَقَرُّور . قَالُوا : فَغَلَبَ عَلَيْهِ .

(١) سبقت ترجمته في ص ٥٨ . وسيأتي الخبر في (٢ : ٤٠) بلفظ آخر .

(٢) هو أبو سعيد نوفل بن مساحق بن عبد الله الأكبر بن مخزومة بن عبد العزى القرشي العامري المدني ، القاضي ، ولي قضاء المدينة . توفي سنة ٤٧ . تهذيب التهذيب والإصابة ٨١١٠ والمعارف ١٢٩ في ترجمة معقل بن سنان .

باب

ذكر أسماء الخطباء والبلغاء والأبيناء وذكر قبائلهم وأنسائهم

كان التّدير في أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم ، وأسماء أهل الإسلام على منازلهم ، ونجعل لكل قبيلة منهم خطباء ، ونقسم أمورهم باباً باباً على حدّته ، ونقدّم من قدّمه الله ورسوله عليه السلام في النسب ، وفضله في الحسب . ولكنّي لمّا عجزت عن نظمه وتنزيده ، تكلفتُ ذكرهم في الجملة . والله المستعان ، وبه التوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا به (١) .

كان الفضل بن عيسى الرّقاشي من أخطب الناس ، وكان متكلماً قاصّاً مجيداً ، وكان يجلس إليه عمرو بن عبّيد ، وهشام بن حسنّ ، وأبان بن أبي عيَّاش (٢) وكثير من الفقهاء . وهو رئيس الفضليّة (٣) ، وإليه يُنسبون . وخطب إليه ابنته سودة بنت الفضل ، سليمان بن طرخان التيمي (٤) ، فزوجه

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٩١ .

(٢) سبقت ترجمته في ص ٢٩١ .

(٣) الفضلية : طائفة من المعتزلة ، منسوبة إلى الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي البصري . وهذه الطائفة غير طائفة الفضلية في الخوارج ، المنتسبة إلى الفضل بن عبد الله . انظر مفاتيح العلوم ١٩ .

(٤) في القاموس : « وطرخان ، بالفتح ، ولا تضم ولا تكسر وإن فعله المحدثون : اسم للرئيس الشريف ، خراسانية » . وسليمان ، هو أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي البصري ، ولم يكن من بني تيم ، وإنما نزل فيهم . وهو أحد حفاظ البصرة الثلاثة ، وهم سليمان ، وعاصم الأحول ، وداود بن أبي هند . وكان من العباد النساك لا يزال هو وابنه المعتمر يدوران بالليل في المساجد . توفي بالبصرة سنة ١٤٣ . تذكرة الحفاظ (١ : ١٤٢) وصفة الصفوة (٣ : ٢١٨) وتهذيب التهذيب . وقد ورد اسمه في المعارف ٢٠٩ : « سليمان بن طهمان » تحريف .

فولدت له المعتمر بن سليمان ^(١) . وكان سليمان مابيناً للفضل في المقالة ، فلما ماتت سودة شهيد الجنازة المعتمر وأبوه ، فقدما الفضل .

وكان الفضل لا يركب إلا الحمير ، فقال له عيسى بن حاضر ^(٢) : إِنَّكَ لَتؤثِّر الحمير على جميع المركوب ، فلم ذلك ؟ قال : لما فيها من المرافق والمنافع . قلت : مثل أى شيء ؟ قال : لا تستبدل بالمكان على قدر اختلاف الزمان ، ثم هى أقلها داءً وأيسرها دواءً ، وأسلم صريعاً ، وأكثر تصريحاً ، وأسهل مرتقى وأخفض مهوى ، وأقل جماحاً ، وأشهر فارهاً ، وأقل نظيراً ، يزهى راكمه وقد تواضع بركوبه ، ويكون مقتصدًا وقد أسرف في ثمنه . قال : ونظر يوماً إلى حمارٍ فارِهٍ تحت سلم بن قتيبة ، فقال ^(٣) : « قعدة نبي وبذلة جبار » .

وقال عيسى بن حاضر : ذهب إلى حمارٍ عزيز ، وإلى حمارٍ المسيح ^(٤) ، وإلى حمارٍ بلعم ^(٥) . وكان يقول : لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزل ^(٦) ، أن

(١) هو أبو محمد المعتمر بن سليمان بن طرخان ، روى عن أبيه ، وداود بن أبي هند ، وعنه الثوري وابن المبارك وغيرهم . ولد سنة ١٠٠ وتوفي سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ٢٤٥ - ٢٤٦) .
(٢) سبقت ترجمته في ص ٢٥ . وقد ورد الخبر في عيون الأخبار (١ : ١٦٠) مصدراً بقوله : « قال رجل للفضل الرقاشي » .

(٣) في الحيوان (٧ : ٢٠٤) : « ولما نظر الفضل بن عيسى الرقاشي إلى سلم بن قتيبة على حمار يريد المسجد قال ... » .

(٤) هو المسيح عيسى بن مريم ، صلوات الله عليه . وفي الحيوان (٧ : ٢٠٤) : « وأما الحمار فمركب عيسى بن مريم ، وعزيز وبلعم » . فيما عدل : « مسيح الدجال » تحريف كما رأيت .
(٥) في هـ رواية عن نسخة : « بلعم » .

(٦) في ثمار القلوب ٢٩٥ : « وأبو سيارة : رجل من عدوان ، واسمه عميلة بن خالد بن أعزل وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه من مزدلفة إلى منى أربعين سنة » . وقال ابن دريد في الاشتقاق ١٦٤ : « وعميلة تصغير عملة ، والعملة والعملة الناقة الصابرة » . وفي السيرة ٧٨ جوتنجن : « الإفاضة من مزدلفة كانت في عدوان فيما حدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد إسحاق ، يتوارثون ذلك كابرا عن كابر ، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام عميلة بن الأعزل » .

يدفع بالموسم على فرس عربي ، أو جمل مُهْرِيّ لفعل ؛ ولكنه ركب غيراً
أربعين عاماً ؛ لأنه كان يتأله ^(١) . وقد ضرب به المثل فقالوا : « أصح من غير
أبي سيرة » .

والفضل هو الذي يقول في قصصه : « سِل الأرض فقل : مَنْ شَقَّ
أنهارك ، وغرس أشجارك ، وحنى ثمارك ؛ فإن لم تُجِبْكَ جِوَاراً ، أجابتك
اعتباراً ^(٢) » .

وكان عبد الصمد بن الفضل أغزر من أبيه وأعجب وأبين وأخطب .
وقال : وحدثني أبو جعفر الصوفي القاص قال : تكلم عبد الصمد في
خلق البعوضة وفي جميع شأنها ثلاثة مجالس تامة .

قال : وكان يزيد بن أبان ، عم الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي ، من
أصحاب أنس ^(٣) والحسن ، وكان يتكلم في مجلسي الحسن ، وكان زاهداً
عابداً ، وعالماً فاضلاً ، وكان خطيباً ، وكان قاصاً مجيداً .

قال أبو عبيدة : كان أبوه خطيباً ، وكذلك جدُّهم ، وكانوا خطباء الأكاسرة
فلما سبوا وولد لهم الأولاد في بلاد الإسلام وفي جزيرة العرب ، نزعهم ذلك
العرق ، فقاموا في أهل هذه اللغة كمقامهم في أهل تلك اللغة ، وفيهم شعر وخطب ،
وما زالوا كذلك حتى أصهر إليهم الغرباء ففسد ذلك العرق ودخله الخور .

ومن خطباء إباد قس بن ساعدة ، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ :
« رأيته يسوق عُكاظ على جمل أحمر وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا »

(١) التأله : التنسك والتعبد .

(٢) سبق هذا القول في ص ٨١ .

(٣) هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الأنصاري المدني ، خادم رسول الله ، شهد معه
الحديبية والفتح وحنينا والطائف ، وهو آخر من بقى بالبصرة من الصحابة . توفي سنة ٩٥ . الإصابة
٢٧٥ وتهذيب التهذيب .

واسمَعُوا^(١) وُعُوا . مَنْ عاش مات ، وَمَنْ ماتَ فَاتٌ ، وكلُّ ما هو آتٍ آتٌ .
وهو القائل في هذه : « آياتٌ محكمات ، مطرٌ ونبات ، وآباءٌ وأمّهات ،
وزاهبٌ وآتٌ^(٢) ، ضوءٌ وظلام ، وبرٌّ وأثام^(٣) ، ولباسٌ ومركبٌ ، ومطعمٌ
ومشربٌ ، ونجومٌ تمور^(٤) ، وبحورٌ لا تغور ، وسقفٌ مرفوع ، ومهادٌ موضوع ،
وليلٌ دايج ، وسماء ذات أبراج . مالى أرى الناس يموتون ولا يرجعون ، أرضوا
فأقاموا ، أم حيسوا فناموا » .

وهو القائل : « يا معشرَ إِياد ، أينَ تمودُ وعاد ، وأينَ الآباء والأجداد .
أينَ المعروفُ الذى لم يُشكر ، والظلم الذى لم ينكر . أقسمَ قسٌّ قسماً بالله ،
إنَّ للهَ لَدِيناً هو أرضى له من دينكم هذا » .

وأنشدوا له :

فى الذاهبين الأوليـ سنَ مِنَ القرونِ لنا بصائرُ
لما رأيتُ موارداً للموت ليس لها مصادِرُ
ورأيتُ قومي نحوها يمضى الأصاغر والأكابرُ^(٥)
لا يرجع الماضى ولا يَبقى من الباقيـ غابرُ
أيقنْتُ أنى لا محـ لَه حيثُ صارَ القومُ صائرُ

ومن الخطباء زيد بن علي بن الحسين . وكان خالد بن عبد الله^(٦) أقرَّ على

(١) فيما عدل : « فاسمعوا » .

(٢) ما بعده هذه الكلمة إلى كلمة « مشرب » ساقط مما عدل ، هـ .

(٣) الأثام ، كسحاب : الإثم ، أو جزاؤه .

(٤) فى اللسان : « وفى حديث قس : ونجوم تمور ، أى تذهب ونجى » . ل : « تغور » ، وأثبت

ما فى اللسان وسائر النسخ .

(٥) فيما عدل : « تمضى الأكابر والأصاغر » .

(٦) هو خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق من قبل هشام بن عبد الملك الأموى ، قتل فى أيام

الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ . انظر الطبرى (٩ : ١٧) والمعارف ١٧٤ ووفيات الأعيان (١ : ١٦٩ - ١٧) .

زيد بن عليّ ، وداود بن عليّ^(١) ، وأيوب بن سلمة الخزومي ، وعليّ محمد بن عمر بن عليّ^(٢) ، وعليّ سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف^(٣) ؛ فسأل هشام زيدا عن ذلك فقال : أحلف لك . قال : وإذا حلفت أصدقك ؟ قال زيد : اتق الله . قال : أو مثلك يا زيد يأمر بتقوى الله ؟ قال زيد : لا أحد فوق أن يُوصى بتقوى الله ، ولا دون أن يُوصى بتقوى الله^(٤) . قال هشام : بلغني أنك تريد الخلافة ، ولا تصلح لها ؛ لأنك ابنُ أمة . قال زيد : فقد كان إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ابنَ أمة ، وإسحاق عليه السلام ابنُ حرة ، فأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم محمداً عليه السلام . فعندها قال له : قم . قال : إذن لا تراني إلا حيث تكره ! ولما خرج من الدار قال : « ما أحب أحد الحياة قط إلا ذل » . فقال له سالم مولى هشام : لا يسمعن هذا الكلام منك أحد .

وقال محمد بن غمير^(٥) : إن زيدا لما رأى الأرض قد طبقت^(٦) جورا ، ورأى قلة الأعوان وتخاذل الناس^(٧) ، كانت الشهادة أحب الميئات إليه^(٨) وكان زيدا كثيرا ما يُنشد :

(١) هو داود بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي . وهو زوج أم موسى بنت علي بن الحسين . توفي وهو وال علي المدينة سنة ١٣٣ لابن أخيه السفاح . تهذيب التهذيب والمعارف ٩٥ .
(٢) فيما عدل ، هـ : « وعلي بن محمد بن عمر بن علي » ، تحريف . وهو محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، روى عن عمه محمد بن الحنفية وابن عمه علي بن الحسين بن علي ، وروى عنه أولاده عبد الله ، وعبيد الله ، وعمر . أدرك أول خلافة بني العباس . تهذيب التهذيب .
(٣) فيما عدل ، هـ : « وعلي بن سعد » ، الخ ، تحريف كسابقه ، سببه كلمة « علي » وسعد هذا ، كان قاضيا من قضاة المدينة زمن هشام . توفي سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب والمعارف ١٠٤ وصفه الصفوة (٢ : ٨٢) .

(٤) انظر ما سيأتي في ص ٣٢٥ .
(٥) ذكر الجاحظ فيما مضى ص ٨٤ أنه كان غالبا من مشايخ الشيعة .
(٦) طبقت ، أي ملئت وعمت وغشيت . طبق السحاب الجو : غشاه .
(٧) فيما عدل ، هـ : « ورأى تتخاذل الناس » .
(٨) فيما عدل ، هـ : « جمع منية ، وهي الموت » .

شَرَّده الخوف وأزرى به كذاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الْجِلَادِ (١)
 مُنْعَرَقُ الحُفَيْنِ يشكو الوجى تَنَكُّبه أطرافُ مَرٍو حِذَاذِ (٢)
 قد كان في الموت له راحةً والموت حَتَمٌ في رِقَابِ العبادِ
 قال : وكان كثيراً ما يُنشد شعر العبسي في ذلك (٣) :

إِنَّ المحْكَمَ ما لم يرتقب حسباً أو يَرهب السَّيْفَ أَوْحَدُ القَنَا جَنَفَا (٤)
 مَنْ عَاذَ بالسيف لاقى فُرْصَةً عَجَباً موتاً على عَجَلٍ أو عاش منتصفاً (٥)
 ولما بعث يوسف بن عمر (٦) برأس زيد (٧) ، ونصر بن خزيمه (٨) ، مع

(١) الأبيات في زهر الآداب (١ : ٧٢) . قال : « وقد رويت هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين » . وقد سرد في زهر الآداب طائفة كبيرة من أقواله . ل فقط : « فأزرى به » .
 (٢) الوجى : الحفا . تنكبه : تصيبه وتثاله . والأبيات في الطبرى (٨ : ٤١) .
 (٣) في ذلك ، من هـ . والبيتان من أبيات عشرة رواها الجاحظ في الحيوان (٣ : ٨٧) .
 (٤) في الأصل : « من لم » صوابه من الحيوان . ل : « أو يجعل السيف » . جنف : مال مع أحد الخصمين ، أو جار .

(٥) في الحيوان : « من لاذ بالسيف » . وفي بعض نسخ الحيوان : « لاقى قرصه » . والقرص ، أصله ما يتجازى به الناس بينهم .

(٦) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفى ، ولى اليمن لهشام بن عبد الملك سنة ١٠٦ ثم ولاة العراق سنة ١٢١ فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وقصد العراق ، فقتل خالد القسرى أمير العراق قبله ، وأقام بالكوفة إلى أيام يزيد بن الوليد ، فعزله سنة ١٢٦ وقبض عليه وحجسه في دمشق إلى أن قتله يزيد بن خالد القسرى بثأر أبيه سنة ١٢٧ . وهو ابن ابن عم الحجاج . وفيات الأعيان .

(٧) زيد هذا ، هو زيد بن على بن الحسين بن على ، كان قد خرج على هشام بن عبد الملك ، وقتله يوسف بن عمر الثقفى ، وصلبه بالكناسة - موضع بالكوفة - عريانا . وكان زيد يلقب بالمهدى ، فقال شاعر أموى :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهديا على الجذع يصلب

ويرى الجاحظ أن رأس زيد رُثيت في دار يوسف بن عمر ، فجاء ديك فوطى شعره ونقره في لحمه ليأكله . انظر الحيوان (٢ : ٢٥١) والكامل ٧١٠ ليسك .

(٨) ذكر ابن دريد في الاشتقاق ١٦٩ أنه من أهل الكوفة ، وكان من أشجع الناس ، قتل مع زيد بن على بن الحسين بن على ، وصلب معه .

شَبَّة بن عَقَالٍ ، وَكَلَّف آل أُمَيَّاتٍ أَنْ يَرْعُوا مِنْ زَيْدٍ ، وَيَقُومَ خُطْبَاؤُهُمْ
بِذَلِكَ . فَأَوَّلُ مَنْ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ ، فَأَوْجَزَ فِي كَلَامِهِ ثُمَّ جَلَسَ ، ثُمَّ قَامَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَأُطْنِبَ فِي كَلَامِهِ ، وَكَانَ شَاعِرًا
بَيْنَا ، وَخُطْبِيًّا لَسِينًا ، فَانصَرَفَ النَّاسُ وَهُمْ يَقُولُونَ : ابْنُ الطَّيَّارِ (١) أَخْطَبُ
النَّاسَ ! فَقِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ ،
وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ مَقَامَ سُرُورٍ . فَأَعْجَبَ النَّاسَ ذَلِكَ مِنْهُ .

وَمِنْ أَهْلِ الدَّهَاءِ وَالتَّكْرَاءِ (٢) ، وَمِنْ أَهْلِ اللَّسَنِ وَاللَّقَنِ ، وَالْجَوَابِ
الْعَجِيبِ ، وَالْكَلَامِ الْفَصِيحِ ، وَالْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ ، وَالْمَخَارِجِ الْعَجِيبَةِ : هِنْدُ بِنْتُ
الْحُسَيْنِ (٣) ، وَهِيَ الزَّرْقَاءُ ، وَجُمُعَةُ بِنْتُ حَابِسٍ (٤) . وَيُقَالُ إِنْ حَابِسًا مِنْ إِيَادٍ .
وَقَالَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَزَارِيُّ : جُمِعَ بَيْنَ هِنْدَ وَجُمُعَةَ ، فَقِيلَ لْجُمُعَةَ :
أَيُّ الرِّجَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ فَقَالَتْ : « الشَّبِيقُ الْكَتَدُ » (٥) ، الظَّاهِرُ الْجَلْدُ ،
الشَّدِيدُ الْجَذْبُ بِالْمَسِدِ . وَقِيلَ لَهُنْدُ : أَيُّ الرِّجَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ :
« الْقَرِيبُ الْأَمَدُ ، الْوَاسِعُ الْبَلَدُ » (٦) ، الَّذِي يُوقَدُ إِلَيْهِ وَلَا يَفِدُ .

(١) الطيَّار ، لقب جده جعفر وهو جعفر بن أُمَيَّاتٍ : كَانَ قَدْ حَمَلَ لُؤَاءَ الْمُسْلِمِينَ فِي يَوْمِ
مُوتِهِ يَمِينَهُ فَقَطَعَتْ ، ثُمَّ بِشِمَالِهِ فَقَطَعَتْ ، فَاحْتَضَنَهُ بَعْضُهُمْ فَقَتَلَ وَخَرَّ شَهِيدًا ، فَيَقُولُونَ إِنَّهُ عَوَّضَ مِنْ
يَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ . انْظُرِ الْإِصَابَةَ ١١٦٢ .

(٢) التَّكْرَاءُ : الدَّهَاءُ وَالْفُطْنَةُ .

(٣) هِيَ هِنْدُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ ، بِضَمِّ الْحَاءِ وَتَشْدِيدِ السِّينِ ، بِنْتُ حَابِسٍ بِنْتُ قُرَيْطٍ الْإِيَادِيَّةِ ، وَكَانَتْ
ذَاتَ فَصَاحَةٍ وَحِكْمَةٍ وَجَوَابٍ عَجِيبٍ . انْظُرْ جَوَابَهَا عَلَى أَسْئَلَةِ شَتَّى فِي أُمَالِي الْقَالِ (١ : ٢/١٩٩) :
٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٥٦ ، ٣/٢٥٧ ، ١٠٧ ، ١١٩) وَالزَّهْر (٢ : ٥٤٠ - ٥٤٥) وَكَانَتْ تَرُدُّ سَوَاقَ
عُكَاظٍ . عَيُونُ الْأَخْبَارِ (٢ : ٢١٤) .

(٤) يُقَالُ لَهَا أَيْضًا « جُمُعَةُ » بِالْخَاءِ . وَفِي بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ لَطِيفُورُ ص ٥٨ أَنَّهَا أُخْتُ هِنْدَ ، وَأَنَّ
الْقَلَمْسَ الْكَتَنَانِيَّ سَأَلَهَا فِي سَوَاقِ عُكَاظٍ .

(٥) الشَّبِيقُ : الطَّوِيلُ . وَالْكَتَدُ ، بِالتَّحْرِيكِ وَكَتَفَتْ : أَعْلَى الْكَتِفِ . فِيمَا عَدَا لَ : « الشَّبِيقُ
الْكَتَدُ » تَحْرِيفٌ .

(٦) الْبَلَدُ : الدَّارُ ، بَيَانِيَّةٌ .

وقد سئلت هند عن حَرِّ الصيف وبرد الشتاء ، فقالت : « من جعل ثوباً كَأَذَى ^(١) » . وقد ضُربَ بها المثل . فمن ذلك قول ليلي بنتِ النَّضْرِ الشاعرة ^(٢) :
 وَكُنْزُ بِنِ جُدْعَانٍ دَلَالَةُ أُمِّهِ وَكَانَتْ كَبِنْتُ الْحُسِّ أَوْ هِيَ أَكْبَرُ
 وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : يُقَالُ بِنْتُ الْحُسِّ ، وَبِنْتُ الْحُصِّ ، وَبِنْتُ الْحُسْفِ ^(٣) وَهِيَ الزَّرْقَاءُ . وَقَالَ يُونُسُ : لَا يُقَالُ إِلَّا بِنْتُ الْأَحْسِ .
 وَقَالَ أَبُو عمرو بن العلاء : دَاهِيَتَا نِسَاءِ الْعَرَبِ هِنْدُ الزَّرْقَاءُ ، وَعَنْزُ الزَّرْقَاءِ ، وَهِيَ زَرْقَاءُ الْيَمَامَةِ .

* * *

وَقَالَ الْبُقَطَرِيُّ : قِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ : مَا تَقُولُ فِي الْمِرَاءِ ؟ قَالَ :
 مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي شَيْءٍ يُفْسِدُ الصَّدَاقَةَ الْقَدِيمَةَ ، وَيُحِلُّ ^(٤) الْعُقْدَةَ الْوَثِيقَةَ ، فَإِنَّ
 أَقْلَ مَا فِيهِ ^(٥) أَنْ يَكُونَ دُرْبَةً لِلْمَغَالِبَةِ ، وَالْمَغَالِبَةُ مِنْ أَمْتَنِ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ . إِنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَتَاهُ السَّائِبُ بْنُ صَيْفِيٍّ فَقَالَ : أَتَعْرِفُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ :
 « كَيْفَ لَا أَعْرِفُ شَرِيكِي الَّذِي كَانَ لَا يُشَارِينِي وَلَا يَمَارِينِي » . قَالَ :
 فَتَحَوَّلْتُ إِلَى زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ فَقُلْتُ لَهُ : الصَّمْتُ خَيْرٌ أَمْ الْكَلَامُ ؟ قَالَ : أَخْرَجَنِي
 اللَّهُ الْمَسَاكَةَ ، فَمَا أَفْسَدَهَا لِلْبَيَانِ ، وَأَجْلَبَهَا لِلْحَصْرِ . وَاللَّهُ لِلْمَمَارَةِ أَسْرَعُ فِي
 هَدْمِ الْعِىِّ مِنَ النَّارِ فِي بَيْتِ الْعَرْفَجِ ، وَمَنْ السَّيْلُ فِي الْحَثُورِ .
 وَقَدْ عَرَفَ زَيْدٌ أَنَّ الْمَمَارَةَ مَذْمُومَةٌ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : الْمَمَارَةُ عَلَى مَا فِيهَا أَقْلُ
 ضَرراً مِنَ الْمَسَاكَةِ الَّتِي تَوَرَّثَ الْبُلْدَةُ ^(٥) ، وَتَحُلُّ الْعُقْدَةَ ، وَتُفْسِدُ الْمُئِنَّةَ ، وَتَوَرَّثَ

(١) الخبر بمرآة أخرى في الحيوان (١٠٥ : ٥) .

(٢) وبنت الحسفف ، من ل ، هـ فقط .

(٣) فيما عدل ، هـ : « ويحتل » ، تحريف .

(٤) التيمورية : « وإن كان أقل ما فيه » . ب ، ج ، هـ : « وإن كان لأقل ما فيه » .

(٥) في اللسان : « والبلدة والبلدة - أى بالضم والفتح - والبلادة : ضد النفاذ والذكاء والمضاء

في الأمور » .

عللاً ، وتؤلد أدواءً أيسرها العي . فإلى هذا المعنى ذهب زيد .

ومن الخطباء : خالد بن سلمة المخزومي من قريش ، وأبو حاضر ،
وسالم بن أبي حاضر ، وقد تكلم عند الخلفاء .

ومن خطباء بنى أسيد : الحكم بن يزيد بن عمير ، وقد رأس . ومن
أهل اللسن منهم والبيان : الحجّاج بن عمر بن يزيد ^(١) .

ومن الخطباء : سعيد بن العاصي بن سعيد بن العاصي بن أمية ^(٢) .
قال : وقيل لسعيد بن المسيّب : مَنْ أبلغ الناس ؟ قال : رسول الله ﷺ .
ف قيل : ليس عن هذا نسألك . قال : معاوية وابنه ، وسعيد وابنه ^(٣) ، وما كان
ابن الزبير دونهم ، ولكن لم يكن لكلامه طلاوة .

فمن العجب أنّ ابن الزبير قد ملأ دفاتر العلماء كلاماً ، وهم لا يحفظون ٨٧
لسعيد بن العاص وابنه من الكلام إلا ما لا بال له .

(١) فيما عدل ، ه : « الحجّاج بن عمر بن زيد » .

(٢) أبو عثمان سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي كان
من نديه عثمان لكتابة القرآن ، ولى الكوفة وغزا طبرستان وجرجان ، وولى المدينة لمعاوية ، فكان يعاقب بينه وبين
مروان ، وكان مشهوراً بالكرم حتى إذا سأله السائل وليس له مال حاضر كتب له بما يريد ، فلما توفي كان عليه
ثمانون ألف دينار فوفاه عنه ولده عمرو الأشدق . توفي في قصره بالعقيق سنة ٥٣ . الإصابة ٣٢٦١ .

(٣) هو أبو أمية عمرو بن سعيد ، المعروف بالأشدق ، الذى مضى ذكره فى ص ١٢١ . وكان
يلقب بلطيم الشيطان ، وهو لقب يقال لمن به لقوة أو شتر . انظر الحيوان (٦ : ١٧٨) . وهو أحد
التابعين . وهناك عمرو بن سعيد بن العاص الأكبر ، صحابى قديم . ولى الأشدق المدينة لمعاوية وليزيد ، ثم
طلب الخلافة وغلب على دمشق ؛ وذلك أنه كان بايع عبد الملك بن مروان ، بشرط أن يكون هو الخليفة بعده .
فلما أراد عبد الملك خلعه وأن يبايع لأولاده نفر عمرو من ذلك وخرج عليه . وقتله عبد الملك بعد أن أعطاه
الأمان . وكان ذلك سنة ٧٠ . تهذيب التهذيب وتاريخ الطبرى (٧ : ١٧٨ - ١٨١) والإصابة ٦٨٤٢ .

وكان سعيداً جواداً ، ولم ينزع قميصه قط ، وكان أسود نحيفاً ، وكان يقال له « عُكَّة العسل ^(١) » . وقال الخطيئة :

سَعِيدٌ فَلَا يَغْرُزُكَ قِلَّةُ لَحْمِهِ تَخَذُّدَ عَنْهُ اللَّحْمُ فَهُوَ صَلِيبٌ ^(٢)
وكان أول مَنْ خَشَّ الإِبِلَ فِي نَفْسِ عَظَمِ الْأَنْفِ . وكان في تدييره اضطراب . وقال قائلٌ من أهل الكوفة :

يا ويلنا قد ذهب الوليدُ وجاءنا مجموعاً سعيدُ
ينقصُ الصَّاع ولا يزيدُ ^(٣)

قال : الأمراء تنحبُّ إلى الرعية بزيادة المكايل ^(٤) ، ولو كان المذهب في الزيادة في الأوزان كالمذهب في زيادة المكايل ما قصرُوا ، كما سأل الأحنف عمر بن الخطاب الزيادة في المكايل . ولذلك اختلفت أسماء المكايل ، كالزبادى والفالج ^(٥) ، والخالدى . حتى صيرنا إلى هذا المُلْجَم ^(٦) اليوم . ثم من الخطباء : عمرو بن سعيد ، وهو الأشدق ^(٧) ، يقال إن ذلك إنما قيل لتشادقه في الكلام . وقال آخرون : بل كان أقفم مائل الذقن ، ولذلك قال عبيد الله بن زياد حين أهوى إلى عبد الله بن معاوية : يَدَّكَ عَنِّي يَا لَطِيمَ الشَّيْطَانِ ، ويا عاصي الرحمن ^(٨) . وقال الشاعر :

وعمرُو لطيمَ الجنِّ وابنُ محمَّدٍ بأسوأ هذا الأمرِ يلتبسانِ ^(٩)

(١) العكة ، بالضم : رز صغير .

(٢) ديوان الخطيئة ٤٢ وسيأتى في (٣ : ١١٦) . تخذد اللحم : هزل ونقص .

(٣) فيما عدل : « ينقص في الصاع » .

(٤) ل : « الكيل » .

(٥) في اللسان (٣ : ١٧٢) : والفالج والفلج - بالكسر - مكيال ضخمة معروف وقيل هو

القفيز ، وأصله بالسريانية فالغاء ، فعرب . ومثله في العرب للجوالقي ٢٤٩ .

(٦) ل : « الملحم » ، تحريف . وانظر الطبري (١٠ : ٢٦٦) وكتاب بغداد لابن طيفور ١٩ حيث ذكر صفته .

(٧) مضت ترجمته في الصفحة السابقة .

(٨) انظر الخبز في الحيوان (٦ : ١٧٨) .

(٩) ل : « فيا سوء » تحريف .

ذُكر ذلك عن عَوانة (١) . وهذا خلاف قول الشاعر :

تَشَادَقَ حَتَّى مَالٍ بِالْقَوْلِ شِدْقُهُ وَكُلُّ حَظِيْبٍ لَا أَبَالِكَ أَشْدَقُ (٢)

وقال : وقد كان معاوية قد دَعَا بِهِ فِي غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا اسْتَنْطَقَهُ

قال : « إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ مَرْكَبٍ صَعْبٌ ، وَإِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا » . وقال له : إلى من

أَوْصَى بِكَ أَبُوكَ ؟ قال : إِنَّ أُنَى أَوْصَى إِلَيَّ وَلَمْ يَوْصِ بِي (٣) . قال : وبأي شيء

أَوْصَاكَ ؟ قال : بِالْأَلَا يَفْقَدُ إِخْوَانَهُ مِنْهُ إِلَّا شَخْصَهُ . قال : فقال معاوية عند

ذلك : إِنَّ ابْنَ سَعِيدٍ هَذَا لِأَشْدَقَ . فَبِهَذَا يَدُلُّ عِنْدَهُمْ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا سَمِيَ

بِالْأَشْدَقِ لِمَكَانِ التَّشَادُقِ .

ثم كان بعد عمرو بن سعيد ، سعيد بن عمرو بن سعيد ، وكان ناسباً

خطيباً ، وأعظم الناس كبراً . وقيل له عند الموت : إِنَّ الْمَرِيضَ لِيَسْتَرِيحَ إِلَى

الْأَنِينِ ، وَإِلَى أَنْ يَصِفَ مَا بِهِ إِلَى الطَّيِّبِ . فقال :

أَجَالِيدُ مِنْ رَبِّ الْمُنُونِ فَلَا تَرَى عَلَى هَالِكٍ عَيْنًا لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ (٤)

وَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَ خُطَبَاءِ قُرَيْشٍ وَأَشْرَافِهِمْ ، فَتَكَلَّمُوا مِنْ قِيَامٍ ،

وَتَكَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ ، فَتَبَسَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : لَقَدْ رَجَوْتُ عَثْرَتَهُ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ

حَتَّى خِفْتُ عَثْرَتَهُ .

فسعيد بن عمرو بن سعيد ، خطيب ابن خطيب .

(١) عوانة بفتح العين ، وهو عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض ، الكلبي الكوفي الأحمري

النسابة . وكان كثير الرواية عن التابعين ، وأكثر المدائني في النقل عنه ، وكان عثمانياً يضع الأخبار لبني

أمية . توفي سنة ١٥٨ . لسان الميزان (٤ : ٣٨٦) وابن النديم ١٣٤ ونكت الهميان ٢٢٢ .

(٢) أنشد هذا البيت في ص ١٢١ .

(٣) الخبر في عيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمالى المرتضى (١ : ٢٠٠) .

(٤) أجاليد : جمع جمع للجلد ، وهو القوى النفس والجسد .

ومن الخطباء : سهيل بن عمرو الأعلم^(١) أحد بني حسيل بن مريض^(٢)

- وكان يُكنى أبا يزيد ، وكان عظيم القدر ، شريف النفس ، صحيح الإسلام . وكان
عمر قال للنبي ﷺ : يا رسول الله ، انزع نيتي السفلين حتى يدلع لسانه فلا
يقوم عليك خطيباً أبداً . فقال رسول الله ﷺ : « لا أمثل فيمثل الله لي وإن
كنت نبياً . دعه يا عمر فعسى أن يقوم مقاماً تحمده » . فلما هاج أهل مكة عند
الذي بلغهم من وفاة رسول الله ﷺ قام خطيباً فقال : « أيها الناس ، إن يكن
محمد قد مات فالله حي لم يموت . وقد علمت أنني أكثركم قتباً في برٍّ ، وجارية في
بحر^(٣) » ، فأقروا أميركم وأنا ضامن إن لم يتم الأمر أن أردّها عليكم » ، فسكن
الناس . وهو الذي قال يوم خرج آذن عمر ، وهو بالباب وعيينة بن حصن^(٤) ،
والأقرع بن حابس ، وفلان وفلان ، فقال الآذن : أين بلال ، أين صهيب ، أين
سلمان ، أين عمار ؟ فتمعرت وجوه القوم ، فقال سهيل : لِمَ تتمعروا
وجوهكم ؟! دُعُوا ودُعينا فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر ، لَمَا
أعدَّ الله لهم في الجنة أكثر .

ومن الخطباء : عبد الله بن عروة بن الزبير : قالوا : وكان خالد بن صفوان يشبهه

- به . وما علمت أنه كان في الخطباء أحد كان أجود خطباً من خالد بن صفوان ١٥

(١) سبقت ترجمته في ص ٥٨ . ل : « الأشرم » وما أثبت من سائر النسخ هو المطابق لما في الإصابة ٣٥٦٦ . والأعلم : المشقوق الشفة العليا ، وقد كان كذلك . أما الأشرم فهو المشروم الأنف .

(٢) كذا . والمعروف أن حسلا ومعيصا أخوان أبوهما عامر بن لؤي . انظر المعارف ٣٢ ومختلف القبائل ومؤلفها لابن حبيب ص ٣١ .

(٣) القتب : رجل صغير على قدر السنام . عنى كثرة إبله وسفنه في التجارة . ٢٠

(٤) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وكان اسمه حذيفة فلقب عيينة ، لأنه كان أصابته شجة فحفظت عيناه . شهد حنيناً والطائف وعاش إلى خلافة عثمان . الإصابة ٦١٤٦ . ما عدا هـ : « وبالباب عيينة بن حصن » .

وشبيب بن شيبه ، للذى يحفظه الناس ويدور على ألسنتهم من كلامهما . ٨٩
وما أعلم أن أحداً ولد لهما حرفاً واحداً .

- ومن النسائيين من بنى العنبر ثم من بنى المنذر : الحنفى بن يزيد ^(١) بن جَعَوْنَة . وهو الذى تعرّض له دَغْفَل بن حنظلة العلامة عند ابن عامر ^(٢) بالبصرة ، فقال له : متى عهدك بسجّاج أمّ صادر ^(٣) ؟ فقال : « مالى بها عهد منذ أضلّلت أمّ جلسي » ، وهى بعض أمهات دَغْفَل . فقال له : نَشْدُكَ بالله ، أنحن كُنّا لكم أكثر غزواً فى الجاهلية أم أنتم لنا ؟ قال : بل أنتم ^(٤) فلم تُفْلِحوا ولم تُنْجِحوا ، غزانا فارسكم وسيّدكم وابنُ سيّدكم ، فهزمناه مرّةً وأسرناه مرّةً ، وأخذنا فى فدائه بخدر أمه . وغزانا أكثركم غزواً ، وأنبهُكُمْ فى ذلك ذكراً ، فأعرجناه ثم أَرْجَلَنَاهُ . فقال ابن عامر : أسألكما بالله لَمّا كَفَفْتُمَا . ١٠
وكان عبد الله بن عامر ، ومُصْعَب بن الزُّبَيْر ، يُحِبَّان أن يَعْرِفَا حالات الناس ، فكانا يُعْرِيان بين الوجوه وبين العلماء ، فلا جرم أنّهما كانا إذا سبَّ أوجعا . وكان أبو بكر رحمه الله أنسب هذه الأُمّة ، ثم عمر ، ثم جُبَيْر بن مُطْعِم ، ثم سعيد بن المُسَيَّب ، ثم محمد بن سعيد بن المسيب . ومحمد هذا هو الذى نفى آل عَنكِثَةَ المَخْزُومِيْنَ ^(٥) فَرَفَعَ ذلك إلى والى المدينة فجلبه الحَدَّ . وكان ينشد : ١٥

(١) فيما عدل : « بن زيد » .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، ابن خال عثمان بن عفان . كان شجاعاً جواداً ميموناً ، ولده عثمان البصرة وضم إليه فارس فافتتح خراسان وأطراف فارس وسجستان وغيرها . وولاه معاوية البصرة . توفى سنة ٥٩ قبل وفاة معاوية بسنة . الإصابة ٦١٧٥ والمعارف ١٤٠ والجهشياري ١٤٨ . ٢٠

(٣) هى سجّاج بنت الحارث التميمية ، من بنى يربوع ، وكان يقال لها أم صادر ، ونزوجه مسيلمة المنتبى ، ثم من بعد قتله عادت إلى الإسلام فأسلمت وعاشت إلى خلافة معاوية ، ذكر ذلك صاحب التاريخ المظفرى . المعارف ١٧٨ والإصابة ٦٠٧ من قسم النساء .

(٤) ل : « قال بل أنتم لنا قال » .

(٥) نفاهم : أى نفى نسبهم إلى مخزوم ، جعل أباهم مولى لهيبة بن أبى وهب . ٢٥

ويزنوع بن عَنكَتَةَ ابن أرضي وأَعْتَقَهُ هُبَيْرَةُ بعد حين (١)

يعنى هُبَيْرَةُ بن أُنَى وهبٍ المخزومي (٢)

ومن التَّسَايِين العلماء : عتبة بن عُمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكان من ذوى الرأى والدَّهَاء ، وكان ذا منزلة من الحجاج بن يوسف . وعمر بن عبد الرحمن خامسُ خمسةٍ في الشَّرَف . وكان هو الساعى بين الأُسَيْدِ (٣) وتَمِيمٍ في الصُّلَح .

ومن بنى حُرْقُوص : شُعبة بن القَلْعَم ، وكان ذا لسانٍ وجوابٍ وعارضة ، وكان وَصَافاً فصيحاً ، وبنوه عبد الله ، وعمر ، وخالد كلُّهم كانوا في هذه الصُّفَّة ، غير أنَّ خالداً كان قد جمع مع اللُّسَن والعلم ، الخلاوة والظُّرف (٤) . وكان الحجاجُ بن يوسف لا يصبر عنه .

ومن بنى أُسَيْد بن عمرو بن تميم (٥) ، أبو بكر بن الحكم ، كان ناسباً ١٩ راوية شاعرا ، وكان أَخْلَى النَّاس لسانا ، وأَحْسَنَهُمْ منطقاً ، وأكثرَهُمْ تصرفاً . وهو الذى يقول له رؤبة :

لقد خَشِيتُ أن تكون ساحرا راوية مرأً ومرأً شاعرا (٦)

ومنهم مُعَلِّل بن خالد ، أحد بنى أُمَّار بن الهُجَيم ، وكان نَسَابَةَ علامة ، ١٥

(١) ابن أرض ، أى غريب . انظر المقاييس (١ : ٨١) .

(٢) فى الاشتقاق ٩٥ : « ومن فرسانهم هُبَيْرَةُ بن أُنَى وهب ، وكان زوج أم هانئ بنت أُنَى طالب ، فأسلمت وثبت هو على الشرك » .

(٣) هـ : « الأزد » ، وهما لغتان .

(٤) فيما عدل : « مع بلاغة اللسان والعلم والخلاوة والظرف » .

(٥) أسيد هذا : تصغير أسود فى لغة بنى تميم ، وسائر العرب يقولون فى تصغيره : أسود . انظر

الاشتقاق ١٢٧ .

(٦) المر ، بالفتح : جمع مرة . ومثله قول ذى الرمة :

لا بل هو الشوق من دار تحونها مرا سحاب ومرا بارح ترب

راويةً صدوقاً مقلداً^(١) . وذكر للمتجّع بن ثبهان فقال : كان لا يُجَارَى ولا يمارى .

ومنهم من بنى العنبر ، ثم من بنى عمرو بن جندب : أبو الخنساء عبّاد بن كُسيب^(٢) ، وكان شاعراً علامة ، وراويةً نسابة ، وكانت له حُرْمَةٌ بأبي جعفر المنصور .
ومنهم : عمرو بن حُوَلة ، كان ناسباً خطيباً ، وراويةً فصيحاً ، من ولد سعيد بن العاصي . والذي أتى سعيد بن المسيّب ليعلمه النسب هو إسحاق ابن يحيى بن طلحة .

وكان يحيى بن عروة بن الزبير ناسباً عالماً ، ضربه إبراهيم بن هشام المخزومي إلى المدينة حتّى مات ، لبعض القول . وكان مصعبُ بن ثابت بن عبد الله^(٣) ناسباً عالماً ؛ ومن ولده الزُّبَيْرِيُّ^(٤) عامل الرّشيد على المدينة واليمن .

ومنهم ثم من قريش : محمد بن حفص^(٥) ، وهو ابن عائشة ، ويكنى أبا بكر . وابنه عبيد الله ، كان يجري مجراه ، ويكنى أبا عبد الرحمن .

ومن بنى خُزَاعِيٍّ بن مازن^(٦) : أبو عمرو وأبو سفيان ؛ ابنا العلاء بن عمّار بن العُريان . فأما أبو عمرو فكان أعلم الناس بأمور العرب ، مع صِحَّةِ سماعٍ وصدق

١٥

(١) المقلد ، أصله في الخيل : السابق يقلد شيئاً ليعرف أنه قد سبق .
(٢) أبو الخنساء عبّاد بن كسيب ، من بنى عمرو بن جندب ، ذكره ابن النديم في الفهرست ٧٣ وقال : « وكان راوية للشعر عالماً بأخبار العرب » .

(٣) هو والد الزبيرى التالى . وفي الأصول : « مصعب بن عبد الله بن ثابت » . وهذا لا يستقيم مع الكلام التالى ، وانظر لمصعب بن ثابت جمهرة ابن حزم ١٢٢ والأغانى (٢٠ : ١٨٠) .

(٤) اسمه عبد الله بن مصعب ، كما في تاريخ الطبرى (١٠ : ١١٢) . وتاريخ بغداد (١٠ : ١٧٣) . وكانت وفاته سنة ١٨٤ .

(٥) فيما عدل ، هـ : « محمد بن جعفر بن حفص » وكلمة « جعفر » مقحمة . انظر ترجمة ولده عبيد الله فيما مضى ص ١٠٢ .

(٦) هم بنو خزاعى بن مازن بن مالك بن عمرو بن نعيم . انظر الاشتقاق ١٢٤ - ١٢٥ . فيما عدل « خزاعة » تحريف .

٢٥

لسان . حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : جَلَسْتُ إِلَى أَبِي عَمْرٍو عَشْرَ حَجَجٍ مَا سَمِعْتُهُ يَحْتَجُّ بَيْتَ إِسْلَامِي . قَالَ وَقَالَ : مَرَّةً : « لَقَدْ كَثُرَ هَذَا الْمَحْدَثُ وَحَسُنَ حَتَّى لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ فِتْيَانَنَا بِرَوَايَتِهِ » . يَعْنِي شَعْرَ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقَ وَأَشْبَاهَهُمَا . وَحَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ قَالَ : كَانَ أَبُو عَمْرٍو أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْغَرِيبِ ^(١) وَالْعَرَبِيَّةِ ، وَبِالْقُرْآنِ ^(٢) وَالشَّعْرِ ، وَبِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَيَّامِ النَّاسِ . وَكَانَتْ دَارُهُ خَلْفَ دَارِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ ^(٣) .

وَقَالَ : وَكَانَتْ كُتُبُهُ الَّتِي كَتَبَ عَنْ الْعَرَبِ الْفَصَحَاءِ ، قَدْ مَلَأَتْ بَيْتًا لَهُ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ السَّقْفِ ، ثُمَّ إِنَّهُ تَقَرَّأَ ^(٤) فَأَحْرَقَهَا كُلَّهَا ، فَلَمَّا رَجَعَ بَعُدَ إِلَى عِلْمِهِ الْأَوَّلِ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا مَا حَفِظَهُ بِقَلْبِهِ . وَكَانَتْ عَامَّةُ أَخْبَارِهِ عَنْ أَعْرَابٍ قَدْ أَدْرَكُوا الْجَاهِلِيَّةَ ^(٥) .

وَفِي أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ يَقُولُ الْفَرَزْدَقُ :

- ١٠ مَازَلْتُ أَفْتَحُ أَبْوَابًا وَأَغْلِقُهَا حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا عَمْرٍو بْنَ عَمَّارٍ
- قَالَ : فَإِذَا كَانَ الْفَرَزْدَقُ وَهُوَ رَاوِيَةُ النَّاسِ وَشَاعِرُهُمْ وَصَاحِبُ أَخْبَارِهِمْ ، يَقُولُ فِيهِ مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ ، فَهُوَ الَّذِي لَا يُشْكُ فِي خُطَابَتِهِ وَبِلَاغَتِهِ .
- وَقَالَ يُونُسُ : لَوْلَا شَعْرُ الْفَرَزْدَقِ لَذَهَبَ نِصْفُ أَخْبَارِ النَّاسِ .
- وَقَالَ فِي أَبِي عَمْرٍو مَكِّيُّ بْنُ سَوَادَةَ ^(٦) :
- ١٥ الْجَامِعُ الْعَلِيمُ نَنْسَاهُ وَيَحْفَظُهُ وَالصَّادِقُ الْقَوْلُ إِنْ أُنْدَادُهُ كَذَّبُوا
- وَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ الْعَلَاءِ نَاسِبًا ، وَكِلَاهُمَا كُنَاهُمَا أَسْمَاؤُهُمَا . وَكَذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ بْنُ لَبِيدٍ ، وَأَبُو سَفْيَانَ بْنِ الْعَلَاءِ بْنُ لَبِيدٍ التَّغْلِبِيُّ ، خَلِيفَةُ عَيْسَى بْنِ شُبَيْبٍ الْمَازَنِيِّ عَلَى شَرْطِ الْبَصْرَةِ .

(١) فِيمَا عَدَا لَ : « بِالْعَرَبِ » . (٢) فِيمَا عَدَا لَ : « وَبِالْقِرَاءَةِ » .

(٣) هُوَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، ابْنُ عَمِّ السَّفَّاحِ وَالْمَنْصُورِ . انْظُرِ الْمَعَارِفَ ١٦٤ .

(٤) تَقَرَّأَ تَقَرَّؤًا ، أَيْ تَنَسَّكَ . وَفِي تَرْجُمَتِهِ عِنْدَ ابْنِ خُلِكَانَ : « ثُمَّ إِنَّهُ تَقَرَّأَ ، أَيْ تَنَسَّكَ » .

(٥) وَلَدَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ سَنَةَ ٧٠ وَتَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ أَوْ سِتٍّ أَوْ سَبْعٍ أَوْ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً .

يَاقُوتُ وَابْنُ خُلِكَانَ وَبَغِيَّةُ الْوَعَاةِ .

(٦) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي ص ٣ .

وكان عَقِيلُ بن أبي طالبٍ ناسباً عالماً بالأَمْهَاتِ ، بَيْنَ اللِّسَانِ سَدِيدِ
الجواب (١) ، لا يقوم له أحد .

وكان أبو الجهم بن حُذَيْفَةَ العلويّ (٢) ناسباً شديد العارضة ، كثير
الدُّكْرِ للأَمْهَاتِ بِالْمَثَالِبِ .

ومن (٣) رؤساء النَّسَائِينَ : دَغْفَلُ بن حَنْظَلَةَ ، أحد بني عمرو بن شيبان ، لم
يدرك الناس مثله لساناً وعلماً وحِفظاً . ومن هذه الطبقة زيد بن الكَيْسِ النَّمَرِيُّ .
ومن نَسَائِي كَلْبٍ : مُحَمَّدُ بن السائب ، وهشام بن محمد بن السائب ،
وشرقيُّ بن القُطَامِيِّ . وكان أعلامهم في العلم وَمَنْ ضُرِبَ به المثل ، حمّاد بن بشر .
وقال سِمَاكُ العِكرَمِيُّ (٤) :

فسائِلُ دَغْفَلًا وأخا هلال وحَمَادًا يُنبُوكُ اليَقِينَا (٥)
وقد ذكرنا دَغْفَلًا . وأخو هلال هو زيد بن الكَيْسِ . وبنو هلال: حتى
من الثَّمر بن قاسط .

وقال مِسْكِينُ بن أنَيْفِ الدَّارِمِيِّ (٦) في ذلك :
وعند الكَيْسِ النَّمَرِيُّ علَمٌ ولو أَمْسَى بِمُنْحَرَقِ الشَّمالِ
وقال ثابتٌ قُطَنَةُ :

فما العِضَانِ لو سُئِلَا جميعاً أخو بكر وزيدُ بني هلال (٧)

(١) في جميع النسخ : « شديد الجواب » . وإنما هو من السداد والإصابة .

(٢) أبو الجهم ذكره ابن النديم في الفهرست ١٦٢ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من حـ والتميمورية وزيدت في بـ .

(٤) حـ : « العكلى » مع أثر تصحيح . بـ والتميمورية : « العكرى » . ٢٠

(٥) لـ : « وأبنا هلال » تحريف . يقال فلان أخو القوم ، أى هو منهم .

(٦) مِسْكِينُ ، لقب له ، واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس بن زيد بن

عبد الله بن دارم . شاعر شجاع من أهل العراق ، كان معاصراً للفرزدق . الخزانة (١ : ٤٦٧) والأغاني

(١٨ : ٦٨ - ٧٢) .

(٧) العض ، بالكسر : الداهية من الرجال ، ومنه قول القطامي : ٢٥

أحاديث من أنباء عاد وجرهم يثرها العضان زيد ودغفل

ولا الكلبي حمّاد بن بشر
وقال زياد الأعجم :

بل لو سألت أخا ربيعة دغفلا
إن الأحابن والذين يُلونهم
لوجدت في شيبان نسبة دغفل
شُر الأنام وتُسَل عبدُ أغرل^(٢)
يهجو فيها بني الحبناء .

ومنهم : أبو إياس النصري^(٣) . وكان أنسب الناس ، وهو الذي قال :
كانوا يقولون : أشعر العرب أبو دُوادِ الإيادي ، وعدى بن زيد العبادي .
وكان أبو نوفل بن أبي عقرب^(٤) ، علامة ناسبا خطيبا فصيحاً ، وهو
رجلٌ من كنانة ، أحد بني عُرَيج^(٥) .

ومن بني كنانة ثم من بني ليث ، ثم من بني الشُّدَاخ^(٦) : يزيد بن بكر
ابن دأب . وكان يزيد عالماً ناسباً ، وراويّة شاعراً . وهو القائل :
الله يعلم في علمي علمه وكذاك علم الله في عثمان

(١) فاد يفيد فيدا : هلك .

(٢) الأحابن أراد بهم بني الحبناء . والأغرل : الأكلف . فيما عدل : « عبد الأعزل » تحريف .

(٣) فيما عدل : « إياس النصري » .

(٤) ذكره الجاحظ في الحيوان (٥ : ٢١٩) بلفظ « ابن أبي العقرب الليثي » . كما ذكره ابن قتيبة في المعارف ٣١ بنسبة « العريجي » . وفي تهذيب التهذيب : « أبو نوفل بن أبي عقرب البكري الكندي العريجي ، قيل اسمه مسلم بن أبي عقرب ، وقيل عمرو بن مسلم بن أبي عقرب ، وقيل معاوية بن أبي عقرب . روى عن أبيه أو جده أبي عقرب ، وعائشة وأسماء بنتي أبي بكر الصديق ، وعمرو بن العاص والعبادلة الأربعة ... وسماه شعبة معاوية بن عمرو قال : كنت آتيه أنا وأبو عمرو بن العلاء فأسأله عن الفقه ويسأله أبو عمرو عن العربية » . وانظر الإصابة ٧٦٦ من باب الكنى .

(٥) في المعارف ٣١ : « ومنهم بنو عريج ، وهم قليل ، وأبو نوفل بن أبي عقرب العريجي منهم » . وانظر جمهرة ابن حزم ١٨٤ .

(٦) الشداخ ، بثلاث الشين وتشديد الدال ، من ليث بن كنانة ، واسمه يعمر بن عوف بن كعب . قالوا : سمي بذلك لأنه أصلح بين قريش وخزاعة في الحرب التي كانت بينهم فقال : شدخت الدماء تحت قدمي » . انظر الاشتقاق ١٠٦ والقاموس واللسان (شدخ) .

وولد يزيد يحيى وعيسى . فعيسى هو الذى يُعرف فى العامة بابن دأب ، وكان من أحسن الناس حديثاً وبياناً ، وكان شاعراً راوية ، وكان صاحب رسائل وخطب ، وكان يُجيدُهما جيداً (١) .

ومن آل دأب : حذيفة بن دأب ، وكان عالماً ناسباً . وفى آل دأب علم بالتسبب والخبر .

وكان أبو الأسود الدؤلى ، واسمه ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان ، خطيباً عالماً ، وكان قد جمع شدة العقل وصواب الرأى وجودة اللسان ، وقول الشعر والظرف . وهو يُعد فى هذه الأصناف ، وفى الشيعة ، وفى العُرجان ، وفى المفاليج . وعلى كل شئ من هذا شاهد سيقع فى موضعه إن شاء الله تعالى . وقال الخُصُّ لابنته هند : أريد شراءً فحلٍ لإبلى . قالت : « إن اشتريته فاشتره أسجَح الخدين ، غائر العينين ، أرقب ، أَحَزَم أعكى ، أَكْوَم : إن عُصَى غَشَم ، وإن أُطِيع تَجَرَّثَم » .

وهى التى قالت لما قيل لها : ما حملك على أن زنيبت بعبدك ؟ قالت : ٩٣ « طول السَّواد ، وقرب الوِساد » .

السَّواد : السَّرار . أسجَح : سَهْلٌ واسع . يقال : « ملكت فأَسجَح » . أرقب : غليظ الرُّقبة . أَحَزَم : متنفخ المَحْزَم . أعكى : العُكوة مغرِز الوركين فى المؤخر ، تصفه بشدة الوركين . إن عُصَى غَشَم : إن عصته النَّاقَةُ غصَبها نفسها . تجرَّثَم : أى بَقى ، مأخوذٌ من الجرثومة ، وهى الطين والتراب يُجمع

(١) وكان عيسى يضع الحديث والشعر وأحاديث السمر ، كان يضع الحديث بالمدينة ، وابن شوكر يضع الحديث بالسند . وفيهما يقول خلف الأحمر :

أحاديث ألفها شوكر وأخرى مؤلفة لابن داب

وكان صاحب حظوة عند الهادى ، وروى عنه شبابة بن سوار ، ومحمد بن سلام الجمحى . تاريخ بغداد (١١ : ١٤٨) ولسان الميزان (٤ : ٤٠٨) .

حول النخلة ؛ ليقوّيها . تصفه بالصَّبْر والقوّة على الضُّراب . أَكْوَم : عظيم السنام . وقال الشاعر (١) :

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتِهِ سِوَاؤُهَا
يقال : في لسانه حُكْلَة ، إذا كان شديد الحُبْسَة مع لُغ .

قالوا : وعاتب هشامُ بن عبد الملك زيَدَ بن علي ، فقال له : بلغني عنك شيء . قال : يا أمير المؤمنين ، أحلف لك ؟ قال : وإذا حلفت لي أَصْدَقُكَ ؟ قال : نعم ، إنَّ الله لم يرفع أحداً فوقَ أَلَا يَرْضَى به ، ولم يضع أحداً دونَ أَلَا يَرْضَى منه به (٢) .

وكان زياد بن ظَبْيَان التيميّ العائشيّ خطيباً ، فدخل عليه ابنه عبيد الله (٣) وهو يَكِيدُ بنفسه ، فقال له : أَلَا أُوصِي بك الأمير (٤) . قال : لا . قال : ولم ؟ قال : إذا لم يكن للحَيِّ إلا وصية الميت فالحَيُّ هو الميت .

وكان عبيد الله أَفْتَكُ النَّاسِ ، وأخطب الناس . وهو الذي أتى باب مالك ابن مِسْمَع (٥) ومعه نارٌ ، ليحرق عليه داره ، وقد كان نابه أمرٌ فلم يرسل إليه قبل الناس ؛ فأشرف عليه مالك فقال : مهلاً يا أبا مطر ، فوالله إن في كنانتي

(١) هو العماني الراجز ، كما في الحيوان (٤ : ٢٣) . وعبارة الإنشاد والبيت وشرحه ساقطة من ل .

(٢) سبق الخبر برواية أخرى في ص ٣١٠ .

(٣) كان عبيد الله بن زياد بن ظبيان فاتكاً من الشجعان ، وكان مقرباً من عبد الملك بن مروان ، وهو الذي قتل مصعب بن الزبير وحمل رأسه إلى عبد الملك . الطبري (٧ : ١٨٦) وجمهرة ابن حزم ٣١٥ . وذكره النويري في نهاية الأرب (٩ : ٢١٦) هو وعبيد الله بن زياد بن أبيه . وقال : « وخبرهما يشبه مسائل الدور ، فإن عبد الله بن زياد بن أبيه قتله المختار والمختار قتله مصعب ، ومصعب قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان » . (٤) فيما عدل : « الأمير زيادا » . وكلمة « زيادا » مقحمة . والخبر في الحيوان (٢ : ٩٥ -

٩٦) وعيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمثال المرتضى (١ : ٢٠٠) .

(٥) مالك بن مسمع بن شيبان ، من بكر بن وائل . قال رجل لعبد الملك : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه فيم غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السوداء . وهلك في أول خلافة عبد الملك بن مروان بالبصرة . المعارف ١٨٤ والإصابة ٨٣٥٣ والحيوان (١ : ٢٧٠) .

سَهْمٌ أَنَا بِهِ أَوْثَقُ مِنْ بَكَ . قَالَ : وَإِنَّكَ لَتُعَذِّدُنِي فِي كِنَانَتِكَ ، فَوَاللَّهِ لَوْ قَمْتُ فِيهَا لَطَلَّتْهَا ، وَلَوْ قَعَدْتُ فِيهَا لَحَرَّقْتُهَا . قَالَ مَالِكُ : مَهْلًا ، أَكْثَرَ اللَّهُ فِي الْعَشِيرَةِ مِنْكَ ! قَالَ : لَقَدْ سَأَلْتُ اللَّهَ شَطَطًا !

ودخل عُبيد الله على عبد الملك بن مروان ، بعد أن أتاه برأس مصعب بن الزُّبَيْرِ ، ومعه ناسٌ مِنْ وجوه بكر بن وائل ، فأَرَادَ أَنْ يَقْعُدَ معه على سريره فقال له عبد الملك : مَا بَالُ النَّاسِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تُشَبِّهُ أَبَاكَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَنَا أَشَبَّهُ بِأَبِي مِنَ اللَّيْلِ بِاللَّيْلِ ، وَالْغَرَابِ بِالْغَرَابِ ، وَالْمَاءِ بِالْمَاءِ ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِمَنْ لَا يُشَبِّهُ أَبَاهُ . قَالَ : وَمَنْ ذَاكَ ؟ قَالَ : مَنْ لَمْ يُولَدْ لِتِمَامٍ ، وَلَمْ تُنْضِجْهُ الْأَرْحَامُ ، وَمَنْ لَمْ يَشَبَّه الْأَحْوَالَ وَالْأَعْمَامَ . قَالَ : وَمَنْ ذَاكَ ؟ قَالَ : ابْنُ عَمِّي سُويْدُ بْنُ مَنْجُوفٍ ^(١) . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَوْ كَذَلِكَ أَنْتَ يَا سُويْدُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ سُويْدٌ فَقَالَ : وَرَيْتَ بَكَ زَنَادَى ^(٢) ! وَاللَّهِ مَا يَسْرُنِي أَنَّكَ كُنْتَ نَقَصْتَهُ حَرْفًا وَاحِدًا مِمَّا قُلْتَ لَهُ وَأَنْ لِي حُمْرَ النَّعَمِ ^(٣) . قَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ ٩٤ مَا يَسْرُنِي بِجِلْمِكَ الْيَوْمَ عَنِّي سُودُ النَّعَمِ ^(٤) .

قَالَ : وَأَتَى عُبيد الله ، عَتَابَ بَنِ رِقَاءَ ، وَعَتَابَ عَلَى أَصْبَهَانَ ، فَأَعْطَاهُ عِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَحْسَنْتَ فَأَحْمَدُكَ ، وَلَا أَسَأْتَ فَأَذَمُّكَ ، وَإِنَّكَ لَأَقْرَبُ الْبُعْدَاءِ ، وَأَبْعَدُ الْقُرَبَاءِ .

قَالَ : وَقَالَ أَشِيْمُ بْنُ شَقِيقِ بْنِ ثَوْرٍ ، لِعُبيد الله بن زياد بن ظُبَيَّانَ : مَا أَنْتَ قَائِلٌ لِرَبِّكَ وَقَدْ حَمَلْتَ رَأْسَ مُصَعَّبِ بْنِ الزُّبَيْرِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ؟ قَالَ :

(١) سويد بن منجوف بن ثور السدوسي كان زعيم بكر بن وائل بالبصرة ، وأحد من هجأهم الأخطل . الحيوان (٥ : ١٦٢) والاشتقاق ٢١٢ والأغاني (٧ : ١٧٤) .
(٢) في اللسان : « وتقول لمن أنكحك وأعانك : ورتوبك زنادى » . ويقال وريت أيضا . والزناد : جمع زند ، وهو ما تورى به النار .

(٣) العرب تقول : خير الإبل حمرا وصهبها .

(٤) انظر لقوة السود من الحيوان كتاب الحيوان (١ : ٢/٢٦٢ : ٧٩) .

- اسكت ، فأنت يوم القيامة أخطب من صعصعة بن صوحان إذا تكلمت الخوارج . فما ظنك ببلاغة رجل عبيد الله بن زياد يضرب به المثل !
- وإنما أردنا بهذا الحديث خاصة ، الدلالة على تقديم صعصعة بن صوحان في الخطب . وأدُلُّ (١) من كل دلالة استنطاق على بن أبي طالب رضي الله عنه له (٢) .
- وكان عثمان بن عروة (٣) أخطب الناس ، وهو الذي قال : « الشكر وإن قل ، ثمن لكل نوال وإن جَلَّ » .
- وكان ثابت بن عبد الله بن الزبير ، من أبين الناس ، ولم يكن خطيبا .
- وكان قسامة بن زهير (٤) أحد بنى رزام بن مازن (٥) ، مع نسكه وزهده ومنطقه ، من أبين الناس ، وكان يعدل بعامر بن عبد قيس (٦) في زهده ومنطقه . وهو الذي قال : رَوَّحُوا هذه القلوب تَجِّ الذَّكْرُ » . وهو الذي قال : ١٠ « يا معشر الناس ، إن كلامكم أكثر من صمتكم ، فاستعينوا على الكلام بالصمت ، وعلى الصواب بالفكر » . وهو الذي كان رسول عمر في البحث عن شأن المغيرة وشهادة أبي بكر (٧) .

- (١) فيما عدل ، هـ : « وأولى » .
- (٢) انظر ما سبق في ص ٢٠٢ .
- (٣) هو عثمان بن عروة بن الزبير بن العوام ، كان من خطباء الناس وعلمائهم ، ومن وجوه قريش وساداتهم ، وأمه عمة عبد الملك بن مروان . توفي سنة ١٣٦ . تهذيب التهذيب .
- (٤) سبقت ترجمته في ص ٤٥ . وكلمته التالية في رسائل الجاحظ (١ : ٢٩٠)
- (٥) في هامش ل ، خ : دارم بن مالك . وقسامة مازني .
- (٦) سبقت ترجمته في ص ٨٣ .
- (٧) أبو بكر ، هو نفيج بن الحارث ، أسلم ومات في خلافة عمر . وكان تدلى إلى النبي ﷺ من حصن الطائف ببكرة ، ذلك أنه لما طال حصار الطائف قال رسول الله : « أيما عبد تدلى إلى فهو حر » . فاشتهر بأبي بكر . الإصابة ٧٨٩٤ وابن خلكان في ترجمة (يزيد بن ربيعة) . والمغيرة ، هو الصحابي الجليل المغيرة بن شعبه . وكان قد اتهم بامرأة من بنى هلال يقال لها أم جميل ، فشهد عليه أبو بكر ، وشبل بن معبد ، ونافع بن كلفة وزباد . انظر تاريخ الطبري (٤ : ٢٠٦ - ٢٠٨) في حوادث سنة ١٧ . ٢٥
- (٢٣ - البيان - أول)

وكان خالد بن يزيد بن معاوية ، خطيباً شاعراً ، وفصيحاً جامعاً ، وجيِّدَ
الرَّأْيِ كثير الأدب ، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء .
ومن خطباء قریش : خالد بن سلمة المخزومي ^(١) وهو ذو الشَّفة . وقال
الشاعر في ذلك :

فما كان قائلهم دَغَلَّ ولا الحَيِّقُطَانُ ولا ذو الشَّفَّةِ

ومن خطباء العرب : عطارِد بن حاجب بن زُرارة ، وهو كان الخطيب
عند النبی ﷺ ، وقال فيه الفرزدق بن غالب :

وَمِنَّا خطيب لا يُعَابُ وحاملٌ أَعْرُ إذا التَفَّت عليه المجامع ^(٢)

ومن الخطباء : عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ^(٣) ، وكان مع ذلك راوية
ناسبا شاعراً ، ولما رجع عن قول المُرَجثة ^(٤) إلى قول الشيعة قال :

وأوَّل ما نفارق غيرَ شَكٍّ تُفارق ما يقول المرجثونا ^(٥)

وقالوا : مؤمنٌ من أهل جور وليس المؤمنون بجائرينا ^(٦)

(١) خالد بن سلمة المخزومي ، وكان يسمى ذا الضرس ، وذا الشفة . قتل مع يزيد بن عمر بن
هيرة سنة ١٣٢ . انظر الحيوان (٧ : ٧١) .

(٢) الحامل : الذي يحمل عن القوم الحملاة ، وهي الدية والغرامة : يعنى الفرزدق به أباه غالب
ابن صمصمة . وفيه يقول :

دعوا غالبا عند الحملاة والقرى وأين ابنه الشافي تميما نقائمه

وكان الفرزدق نفسه حمالا ، قال جرير في رثائه له (ديوانه ٥٣٥) :

رزئنا بحمال الديات ابن غالب وحامى تميم عرضها والبراجم

(٣) هو أبو عبد الله عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي الزاهد . وعتبة هذا ، هو
أخو عبد الله بن مسعود . قال ابن سعد : إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة رحل إليه عون ، وعمر
ابن ذر ، وموسى بن أبي كثير . فناظره في الإرجاء ، فزعموا أنه وافقهم . توفي بين ١١٠ - ١٢٠ .
تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ٥٥) والمعارف ١١٠ .

(٤) المُرَجثة : طائفة ترجى العمل عن الإيمان : أى تؤخروه ، وترى أن الإيمان لا يضر معه معصية . انظر
الملل (١٨٦ : ١) ومفاتيح العلوم ٢٠ والمواقف ٦٣١ والفرق بين الفرق ١٩٠ وطبقات ابن سعد (٧ : ٢١٤) .

(٥) في التهذيب حيث روى هذا البيت وحده : « لأوَّل ما نفارق » .

(٦) هـ : « من آل جور » . وفي المعارف حيث روى الأبيات الثلاثة : « المؤمنون يحاربونا » .

وقالوا : مؤمن دمه حلالٌ وقد حرمت دماء المؤمنين
 وكان حين هرب إلى محمد بن مروان ^(١) في قل ^(٢) ابن الأشعث ^(٣) ألزمه ابنه
 يؤذبه ويقومه ، فقال له يوماً : كيف ترى ابن أخيك ؟ قال : « ألزمتني رجلاً
 إن غبت عنه عتب ، وإن أتيتني حجب ، وإن عاتبته غضب » . ثم لزم عمر
 ابن عبد العزيز ، وكان ذا منزلة منه . قالوا : وله يقول جرير :

يأيتها الرجل المرحى عمامته هذا زمانك إني قد مضى زمني
 أبلغ خليفتنا إن كنت لاقية أني لدى الباب كالمصفود في قرن ^(٤)
 وقد رآك وفود الخافقين معاً ومذ وليت أمور الناس لم ترنى ^(٥)

* * *

وكان الجارود بن أبي سيرة ^(٦) ويكنى أبا نوفل ، من أثين الناس وأحسنهم

- (١) هو محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكان أشد بني مروان ، وهو
 قتل إبراهيم بن الأشتر ومصعب بن الزبير بدير الخائلق ، بين الشام والكوفة ، وكان على الجزيرة . وابنه مروان بن
 محمد آخر من ولي الخلافة من بني أمية . المعارف ١٥٥ .
- (٢) القل : بقية الجيش المنهزم . ل : « فك » ، والصواب ما أثبت من هـ ، ب مع أثر تصحيح في الأخيرة .
- (٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، خرج على الحجاج من سجستان إلى العراق سنة ٨١ .
- (٤) المصفود : المشدود بالصفاد ، وهو ما يوثق به الأسير من قيد وغل . فيما عدل : « كالمشدود » .
- (٥) الخافقان : الشرق والغرب . وبدله في الديوان :
- (٦) هو الجارود بن أبي سيرة سالم بن سلمة الهذلي البصري ، روى عن أبي ، وطلحة بن عبيد الله ،
 وأنس ، وروى عنه قتادة وثابت البناني . توفي سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب .

حديثاً ، وكان راوية علامة ، شاعراً مُفلقاً ، وكان من رجال الشيعة . ولما استنطقه الحجاج قال : ما ظننتُ أن بالعراق مثل هذا . وكان يقول : ما أمكنتني وإل قطُّ من إذنه إلا غلبتُ عليه ، ما خلا هذا اليهوديَّ - يعنى بلال بن أبى بردة ^(١) - وكان عليه متحاملاً ، فلما بلغه أنه دُهقَ حتى دُقَّت ساقه ^(٢) ، وجُعِل الوتر في خُصِيَّه ، أنشأ يقول :

لقد قرَّ عيني أن ساقيه دُقَّتَا وأن قوى الأوتار في البيضة اليسرى
بَخِلْتُ وراجعتُ الخيانة والحنا فيسرك الله المقدس للعسرى
فما جذع سوءِ حربِ السُّوسِ جوفه يُعالجه التجار يُبْرِى كما تُبْرِى
وإنما ذكر الخُصية اليسرى لأنَّ العامة تقول : إن الولد منها يكون ^(٣).

* * *

ومن الخطباء الذين لا يُضاهون ولا يُجارون : عبد الله بن عباس . قالوا : خطبنا بمكة ، وعثمانُ محاصرٌ ، خطبةً لو شهدها التُّرك والدَّيلمُ لأسلمتا .

قال : وذكره حسَّان بن ثابت فقال :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بملقَطَاتٍ لا تُرى بينها فضلاً
كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع لذي إزبة في القول جدًّا ولا هزلاً
سموت إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا دنيًا ولا وُغلاً

(١) هو بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعري ، واسم أبى بردة عامر ، واسم أبى موسى عبد الله . كان بلال أمير البصرة وقاضياً ، روى ابن الأثير أنه مات في حبس يوسف بن عمر ، وأنه قتله دهاؤه ، قال للسجَّان : أعلم يوسفُ أبى قدمتُ ولك ما يغنيك ، فأعلمه فقال : أرنيه ميتاً ، فجاء السجَّان فألقى عليه شيئاً غمه حتى مات . توفي سنة نيف وعشرين ومائة . تهذيب التهذيب والمعارف ١٧٤ .

(٢) الدهق ، بالتحريك : خشبتان يغمر بهما الساق ، وهى ضرب من العذاب ، يقال له

بالفارسية « اشكنجه » . اللسان ومعجم استيعباس ٦٦ .

(٣) انظر الحيوان (١ : ١٢٣) .

وقال الحسن : كان عبد الله بن عباس أول من عرّف (١) بالبصرة ، صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ، ففسّرهما حرفاً حرفاً ؛ وكان والله متجاً يسيل غريباً (٢) ، وكان يسمى البحر وخبر قريش . وقال فيه النبي ﷺ : « اللهم فقّهه في الدين ، وعلمه التأويل » . وقال عمر : « غص غواص » . ونظر إليه يتكلم فقال :

* شِنْشِينَةٌ أعرفها من أخزم *

الشعر لأبي أخزم الطائي ، وهو جد أبي حاتم طي ، أو جد جدّه ، وكان له ابن يقال له أخزم ، فمات وترك بنين فتوثبوا يوماً على جدهم أبي أخزم فأدموه ، فقال :

إِنَّ بَيْنِي رَمَلُونِي بِالْدَمِ (٣) شِنْشِينَةٌ أعرفها من أخزم

أى إنهم أشبهوا أباهم في طبيعته وخلقه . وأحسبه كان به عاقاً . هكذا ذكر ابن الكلبي . والشِنْشِينَةُ مثل الطبيعة والسجية .

فأراد عمر رحمه الله إنني أعرف فيك مشابيه من أهلك ، في رأيه وعقله . ويقال إنّه لم يكن لقرشي مثل رأى العباس .

ومن خطباء بني هاشم أيضاً : داود بن علي (٤) ، ويكنى أبا سليمان ، وكان أنطق الناس وأجودهم ارتجالاً واقتضاباً للقول ، ويقال إنّه لم يتقدّم في تحبير خطبة قط . وله كلام كثير معروف محفوظ ، فمن ذلك خطبته على أهل مكة :

(١) كذا ضبطت هذه الكلمة في ل ، ه ، ب والتعريف هنا بمعنى التعليم .

(٢) سبق الخبر في ص ٨٥ .

(٣) رمله بالدم : لطخه وضرجه . حـ والتيمورية : « زملوني » تحريف . انظر اللسان (رمل ٣١٤) . وأشير في هامش هـ إلى رواية « ضرجوني » عن نسخة . وفي أمثال الميداني : « ضرجوني » قال : « ويروى زملوني ، وهو مثل ضرجوني » . وهذه الرواية الأخيرة هي رواية العقفة والبررة لأبي عبيدة . نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٨) حيث نسب إلى عقيل بن علفة .

(٤) هو داود بن علي بن عبد الله بن العباس . قال ابن قتيبة في المعارف ١٦٣ عند ذكر عمومة أبي العباس السفاح : فأما داود فكان خطيباً جميلاً ، يكنى أبا سليمان ، وولى مكة والمدينة لأبي العباس ، وأدرك من دولتهم ثمانية أشهر . ومات سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وله عقب .

« شكرًا شكرًا . أما والله ما خرجنا لنحتفر فيكم نهراً ، ولا لنبنى فيكم قصراً ^(١) . أظنَّ عدوَّ الله أن لن نظفر به أن أرخي له في زمامه ، حتى عثر في فضل خطابه . فالآن عاد الأمر في نصابه ، وطلعت الشمس من مطلعها ، والآن أخذ القوس بارها ، وعادت النبل إلى النزعة ^(٢) ، ورجع الحق ^(٣) إلى مستقره ، في أهل بيت نبيكم : أهل بيت الرأفة والرحمة » .

ومن خطباء بني هاشم : عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وهو القائل لابنه إبراهيم أو محمد ^(٤) :

« أَيْ بُنَيَّ ، إني مؤدِّ إليك حقَّ الله في تأديك ، فإدِّ إلى حقِّ الله في حسن الاستماع . أَيْ بُنَيَّ ، كُفَّ الأذى ، وارفض البذا ، واستعِنْ على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك نفسك فيها إلى القول ؛ فإنَّ للقول ساعاتٍ يضُرُّ فيها الخطأ ، ولا ينفع فيها الصواب . واحذرْ مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً ، كما تحذرْ مشورة العاقل إذا كان غاشياً ، يوشك أن يُورطاك بمشورتها ، فيسبق إليك مكرُّ العاقل ، وغرارة الجاهل » .

قال الحسن بن خليل : كان المأمون قد استثقل سهل بن هارون ، فدخل عليه سهل يوماً والناسُ عنده على منازلهم ، فتكلَّم المأمون بكلامٍ فذهب فيه كلُّ مذهب ، فلما فرغ المأمون من كلامه أقبل سهل بن هارون على ذلك الجمع فقال :

« ما لكم تسمعون ولا تُعَوِّن ، وتشاهدون ولا تُفقهون ^(٥) ، وتنظرون ولا تُبصرون . والله إنه ليفعل ويقول في اليوم القصير مثل ما فعل بنو مروان

(١) ل : « ولا لنبنى قصراً » .

(٢) كلمة « والآن » في ل فقط . النزعة : الرماة ، واحدهم نازع .

(٣) هـ : « ورجع الأمر » .

(٤) انظر ما سيأتي في (٢ : ١٧٤) .

(٥) بعدها فيما عدا ل : « وتفهمون ولا تتعجبون » وأزاها مقحمة .

وقالوا في الذَّهر الطويل . عَرَبُكُمْ كَعَجْمِهِمْ ، وَعَجْمُكُمْ كَعَبِيدِهِمْ ^(١) ، ولكن
كَيْفَ يَعْرِفُ الدَّوَاءَ مَنْ لَا يَشْعُرُ بِالذَّاءِ » .

قال : فرجع له المأمون بعد ذلك إلى الرَّأْيِ الأوَّلِ .

ومن خطباء بنى هاشم ثم من ولد جعفر بن سليمان ^(٢) : سليمان بن
جعفر وإلى مَكَّةَ . قال المَكِّي : سمعتُ مشايخنا من أهل مَكَّةَ يقولون : إنَّه لم يَرِدْ
عليهم أميرٌ منذُ عَقَلُوا الكلامَ إلَّا وسليمانُ أبينُ منه قاعداً ، وأخطَبُ منه قائماً .
وكان داودُ بن جعفرٍ إذا خطبَ اسحنَفَرَ فلم يَرِدْهُ شَيْءٌ ^(٣) ، وكان في
لسانه شبيهٌ بالرُّثَّةِ ^(٤) .

وكان أيُّوبُ ^(٥) فوقَ داودَ ^(٦) في الكلام والبيان ، ولم تكن له مقاماتُ
داودَ في الخُطْبِ .

وقال إسحاق بن عيسى ^(٧) لداودَ بن جعفر : بلغني أنَّ معاوية قال
لِلنَّخَّارِ بن أوس : أَبْغِنِي مُحَدَّثًا ^(٨) قال : ومعى يا أمير المؤمنين تُريدُ مُحَدَّثًا ؟
قال : نعم ، أَسْتَرِجُ مِنْكَ إِلَيْهِ ، ومنه إليك ، وأنا لا أَسْتَرِجُ إِلَى غَيْرِ حَدِيثِكَ ،
ولا يكون صمْتُكَ في حالٍ من الحالات أَوْفَقَ لِي مِنْ كَلَامِكَ .

١٥ (١) ل : « عَرَبُكُمْ كَعَجْمِهِمْ وَعَجْمُكُمْ كَعَبِيدِهِمْ » .

(٢) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، ويكنى أبا عبد الله . انظر ٣٢١ .

(٣) اسحنفر الخطيب : اتسع في كلامه ومضى .

(٤) الرثة ، كقوة : العجمة والحكمة في الكلام .

(٥) هو أيوب بن جعفر ، سبقت ترجمته في ٩١ ، ١٠٦ .

٢٠ (٦) ل : « قرين داود » لعلها « فويق داود » .

(٧) إسحاق بن عيسى بن أبي جعفر المنصور . وقد سبق في ٣٠٢ . ما عدل : « عيسى بن

إسحاق » تحريف .

(٨) يقال ابغني ، همزة الوصل من الثلاثي ، أى اطلبه لى ، ومثله ابغ لى . ويقال أيضا

« أبغني » بالقطع من الرباعي ، أى أعنى على بغائه وأطلبه معى .

- وكان إسماعيل بن جعفر ، من أرق^(١) الناس لساناً وأحسنهم بيانا .
ومن خطباء بنى هاشم : جعفر بن حسن بن الحسن بن علي ، وكان أحد
من ينازع زيدا في الوصية ، فكان الناس يجتمعون ليسمعوا مجاوباتهما فقط .
وجماعة من ولد العباس في عصر واحد ، لم يكن لهم نظراء في أصالة
الرأى وفي الكمال والجلالة ، وفي العلم بقريش والدولة ، وبرجال الدعوة ، مع
البيان العجيب ، والقور البعيد ، والنفوس الشريفة ، والأقدار الرفيعة ؛ وكانوا
فوق الخطباء ، وفوق أصحاب الأخبار ؛ وكانوا يجلبون عن هذه الأسماء إلا أن
يصِفَ الواصف بعضهم ببعض ذلك .
- ١٠ منهم عبد الملك بن صالح^(٢) . قال : وسأله الرشيد وسليمان بن أبي
جعفر وعيسى بن جعفر شاهدان ، فقال له : كيف رأيت أرض كذا وكذا ؟
قال : « مسافى ریح ، ومنابت شيع » . قال : فأرض كذا وكذا . قال :
« هضاب حمر ، وبراث غفر » . قال : حتى أتى على جميع ما أراد . قال :
فقال عيسى لسليمان : والله ما ينبغي لنا أن نرضى لأنفسنا بالثون من الكلام .
الهضبة : الجبل ينبسط على الأرض ، وجمعها هضب^(٣) . والبراث :
الأماكن اللينة السهلة ، واحدها برث . وقوله غفر ، أى حمرة التراب .
١٥ والطبي الأعفر : الأحمر ؛ لأن حمرة كذلك : والعفر والعفر : التراب ؛
ومنه قيل : ضربه حتى غفره ، أى ألحقه بالتراب .

(١) فيما عدل ، ه : « أدق » بالدال .

(٢) هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس ، ولي الموصل للهادي سنة ١٦٧ وعزله الرشيد ١٧١ ثم ولاه المدينة ، وبلغه أنه يطلب الخلافة ، فحبسه ببغداد سنة ١٨٧ . ولما مات الرشيد أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة سنة ١٩٣ فأقام بالرقعة إلى أن توفي سنة ١٩٦ . فوات الوفيات (١٢ : ٢) وتاريخ الطبري في السنوات المذكورة .

(٣) فيما عدل : « هضاب » ، وكلاهما جمع هضبة .

ومن هؤلاء : عبد الله بن صالح ، والعباس بن محمد ، وإسحاق بن عيسى ، وإسحاق بن سليمان ، وأيوب بن جعفر . هؤلاء كانوا أعلمَ بقريش وبالدولة وبرجال الدعوة ، من المعروفين برواية الأخبار .

وكان إبراهيم بن السَّيْدِيَّ (١) يحدِّثني عن هؤلاء بشيء هو خلاف ما في كتب الهيثم بن عدي وابن الكلبي . وإذا سمعته علمت أنه ليس من المؤلف المزور (٢) .

وكان عبد الله بن علي ، وداود بن علي يُعدلان بأمة من الأمم .

ومن مواليهم : إبراهيم ونصر ابنا السَّيْدِيَّ .

فأما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث ، وكان لا يعدو حديث ابن الكلبي والهيثم بن عدي .

١٠

وأما إبراهيم فإنه كان رجلاً لا نظير له : كان خطيباً ، وكان ناسباً ، وكان فقيهاً ، وكان نحويّاً عروضياً ، وحافظاً للحديث ، راوية للشعر شاعراً ، وكان فحماً الألفاظ شريف المعاني ، وكان كاتب القلم كاتب العمل ، وكان يتكلم بكلام رؤية (٣) ، ويعمل في الخراج بعمل زاذان فُروخ الأعور (٤) ، وكان منجماً طيبياً ، وكان من رؤساء المتكلمين ، وعالماً بالدولة وبرجال الدعوة ؛ وكان أحفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نوماً وأصبرهم على السهر .

(١) سبقت ترجمته في ص ١٤١ .

(٢) زور الكلام : قومه وأتقنه قبل أن يتكلم به .

(٣) ل : « بلسان رؤية » .

(٤) زاذان فروخ ، كان دهقاناً من الدهاقين القائمين على أمر الخراج في أيام عبيد الله بن زياد حين ولايته البصرة . انظر الطبري (٢٠٩ : ٧) . ويبدو أنه امتد به الأمر في ذلك إلى زمان الحجاج . الطبري (٢٧١ : ٧) ، وانظر كذلك (٦ : ٧٦) .

ومن خطباء تميم : جَحْدَب ^(١) . وكان خطيباً راوية ، وكان قضى على جرير في بعض مذاهبه ، فقال جرير :

قَبَحَ الإلهَ ولا يَقْبَحُ غَيْرَهُ بَظْراً تَفَلَّقَ عن مفارق جَحْدَبِ

وهو الذى كان لقيه خالد بن سلمة المخزومي الخطيب الناسب ، فقال :
 ٥ والله ما أنت من حنظلة الأكرمين ، ولا سعيد الأكرمين ، ولا عمرو الأشدنين ،
 وما في تميم خير بعد هؤلاء . فقال له جَحْدَب : والله إنك لمن قريش ، وما أنت من
 بيتها ولا ثبوتها ، ولا من شوراها وخلافتها ، ولا من أهل سيدائتها وسقايتها .

وهو شبيه بما قال خالد بن صفوان ، للعبدري ^(٢) ؛ فإنه قال له :
 « هَشَمَتِكَ هاشم ، وَأَمَتِكَ أُمَيَّة ، وخزمتك مخزوم ، وأنت من عبد دارها ،
 ١٠ ومتنهي عارها ، تَفْتَحُ لها الأبواب إذا أَقْبَلْتُ ، وتُغْلِقُها إذا أدبرت » .

* * *

ومن ولد المنذر : عبد الله بن شبرمة بن طفيل ^(٣) بن هيرة بن المنذر .
 وكان فقيهاً عالماً قاضياً ، وكان راوية شاعراً ، وكان خطيباً ناسباً ، وكان لاجتماع هذه
 الخصال فيه يُشَبِّهه بعامر الشعبي ، وكان يُكْنَى أبا شبرمة . وقال يحيى بن
 ١٥ نوفل ^(٤) فيه :

(١) جحدب ، ذكره ابن دريد في الاشتقاق ١١٥ . وقال : « وكان لجحدب بالكوفة قدر » ، وذكر
 أنه كان شاعراً ، هو والتميم السرندي ، وعَلَقَ ، كانوا يجتمعون على هجاء جرير ، فهجاهم هو جميعاً بقوله :

عض السرندي على تفليل ناجذه من أم علقه بظراً عمه الشعر
 وعض علقه لا يألو برعرة من بظر أم السرندي وهو منتصر

(٢) العبدري : رجل منسوب إلى عبد الدار بن قصي . ٢٠

(٣) تقدمت ترجمته في ٩٨ وفي نسبه خلاف .

(٤) يحيى بن نوفل : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، ذكره الجاحظ في مواضع كثيرة من الحيوان
 والبيان .

لما سألت النَّاسَ أَيْنَ الْمَكْرَمَةُ وَالْعِزُّ وَالْجُرْثُومَةُ الْمُقَدَّمَةُ (١)
وَأَيْنَ فَارُوقُ الْأُمُورِ الْحَكَمَةُ (٢) تَتَابَعَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ شَبْرَمَةَ
وَابْنِ شَبْرَمَةَ الَّذِي يَقُولُ فِي ابْنِ أَبِي لَيْلَى (٣) :

وَكَيْفَ تُرَجَّى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ وَلَمْ تُصَيَّبِ الْحُكْمُ فِي نَفْسِكَ (٤)
وَتَزْعُمُ أَنَّكَ لَابْنُ الْجُلَاحِ وَهِيَاهُ دَعَاكَ مِنْ أَصْلِكَ (٥)

قال : وقال رجلٌ من فقهاء المدينة : من عندنا خرج العلم . قال :
فقال ابن شبرمة : نعم ثم لم يرجع إليكم .

قال : وقال عيسى بن موسى (٦) : دُلُونِي عَلَى رَجُلٍ أَوَّلِيهِ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا .
فقال ابن شبرمة : أصلح الله الأمير ، هل لك في رجلٍ إن دعوتوه أجابكم ، وإن
تركتموه لم يأتكم ؛ ليس بالملح طلباً ، ولا بالمُنعن هرباً (٧) ؟

وسُئِلَ عَنْ رَجُلٍ ، فَقَالَ : إِنَّ لَهُ شَرْفًا وَبَيْتًا وَقَدَمًا (٨) . فَنظَرُوا فَإِذَا هُوَ
سَاقِطٌ مِنَ السَّفَلَةِ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَا كَذَبْتُ ، شَرْفُهُ أَذْنَاهُ ، وَقَدَمُهُ
الَّتِي يَمْشِي عَلَيْهَا ، وَلَا بَدٌّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ بَيْتٌ يَأْوِي إِلَيْهِ .

(١) الجرثومة : الأصل . والرجز في الحيوان (٣ : ٤٩٤) بدون نسبة . ونسب في أمالي الزجاجي

١٥ إلى رؤية بن العجاج .

(٢) الفاروق : الذي يفرق ويفصل . ب فقط : « فارق » .

(٣) ابن أبي ليلى ، هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، واسم أبي ليلى يسار . ولى محمد القضاء لبني
أمية ثم لبني العباس ، وكان فقيها مفتيا بالرأى . انظر أصحاب الرأى في المعارف ٢١٧ .

(٤) البيتان في المعارف ٢١٦ وفهرست ابن النديم ٢٨٥ .

(٥) ابن الجلاح ، هو أحيحة بن الجلاح . وفي المعارف : « وهو من ولد أحيحة بن الجلاح ،
٢٠ وكان ابن شبرمة القاضي وغیره يدفعونه عن ذلك » .

(٦) هو عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن العباس ، أحد ولادة العباسيين وقوادهم . وموسى أبوه

هو أخو السفاح والمنصور . انظر المعارف ١٦٥ .

(٧) ل : « بالمتنع هرباً » ، صوابه في سائر النسخ .

٢٥

(٨) القدم : التقدم والمنزلة الرفيعة .

قال أبو إسحاق (١) : قد لعمرى كَذَب (٢) ، إنما هو كقول القائل حين سأله بعض من أراد تزويج حُرْمته عن رجل ، فقال : « هو يبيع الدواب » . فلما نظروا في أمره وجدوه يبيع السنانير ، فلما سئل عن ذلك قال : ما كذبت ؛ لأنَّ السُّنَّور دابةٌ .

قال أبو إسحاق : بل لعمرى لقد كذب ، هذا مثل قول القائل حين سئل عن رجل في تزويج امرأة فقال : « رزين المجلس ، نافذ الطعنة » . فحسبوه سيِّداً فارساً ، فنظروا فوجدوه خَيَّاطاً ! فسئل عن ذلك فقال : ما كذبت ؛ إنَّه لَطَوِيلُ الجلوس ، جيِّد الطعن بالإبرة .

قال أبو إسحاق : بل لعمرى لقد كذب ؛ لأنَّه قد غَرَّهم منه .

وكذلك لو سأله رجل عن رجل يريد أن يُسَلِّفه مالاً عظيماً ، فقال :

« هو يملك مالاً ما كان يبيعه بمائة ألف ومائة ألف » ، فلما بايعه الرجل وجدته ١٠ مُعْدِماً ضعيف الحيلة ، فلما قيل له في ذلك قال : ما كذبت ؛ لأنَّه يملك عينيه وأذنيه وأنفه وشفتيه ويديه (٣) . حتى عدَّ جميع أعضائه وجوارحه .

ومن قال للمستشير هذا القول فقد غرَّه ، وذلك مالا يحلُّ في دين ،

ولا يحسن في الحرِّية (٤) . وهذا القول معصية لله ، والمعصية لا تكون صدقاً . ١٥

وأدنى منازل هذا الخبر أن لا يُسمَّى صدقاً ، فأما التسمية له بالكذب فإن فيها كلاماً يطول .

* * *

(١) أبو إسحاق ، هو إبراهيم بن سيار النظام البصرى ، شيخ الجاحظ وأحد رموز المعتزلة ، وإليه تنسب الفرق النظامية . توفى في خلافة المعتصم سنة بضع وعشرين ومائتين . انظر آراءه في الملل ٢٠ (١ : ١٧) والمواقف ٦٢١ والفرق بين الفرق ١١٣ .

(٢) ما عدل : « بل كذبت » موضع : « قد لعمرى كذب » . لكن في هـ : « بل كذب » .

(٣) هذه الكلمة ساقطة مما عدل .

(٤) ل : « حرية » . والحرية : مصدر صناعى ، أى كون الإنسان حراً .

- ومن الخطباء المشهورين في العوام ، والمقدمين في الخواص : خالد بن صفوان الأهمسي^(١) ، زعموا جميعاً أنه كان عند أبي العباس أمير المؤمنين^(٢) ، وكان من سُمّائه وأهل المنزلة عنده ، ففخر عليه ناسٌ من بلحارث بن كعب ، وأكثروا في القول ، فقال أبو العباس : لِمَ لا تتكلّم يا خالد ؟ فقال : أحوال أمير المؤمنين وأهله^(٣) . قال : فأنتم أعمامُ أمير المؤمنين وعصبته فقل^(٤) . قال خالد : « وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسيج بُردٍ ، ودابغ جلدٍ ، وسائس قرد ، وراكب عَرْدٍ^(٥) ؛ دَلٌ عليهم هُدْهُدٌ ، وغرقتهم فأرة ، وملكتهم امرأة » . فلئن كان خالدٌ قد فكّر وتدبّر هذا الكلام إنه للزّاوية الحافظ ، والمؤلف المجيد ؛ ولئن كان هذا شيئاً خَصَرَه حين حُرِّك وبُسط فما لَهُ نظيرٌ في الدنيا .
- فتأمل هذا الكلام فإنك ستجده مليحاً مقبولا ، وعظيم القدر جليلا .
- ولو خطب اليماني بلسان سحبانٍ وائل حَوْلًا كَرِيتا^(٦) ، ثم صكّ بهذه الفقرة ما قامت له قائمة .

وكان أذكرَ النَّاسِ لأوّل كلامه ، وأحفظهم لكلِّ شيء سلف من منطقته . وقال مكّي بن سَوَادَةَ^(٧) في صفته له :

- (١) سبقت ترجمته في ص ٢٤ . ونسبته إلى جده : « الاهم » .
- (٢) هو أبو العباس عبد الله بن محمد الملقب بالسفاح ، أول خلفاء الدولة العباسية ، المتوفى سنة ١٣٦ وله ثلاث وثلاثون سنة . وفي المعارف ١٧٧ في ترجمة خالد بن صفوان أنه عمر إلى أن حادث أبا العباس . وانظر الحيوان (٢ : ١٧٠) .
- (٣) ذلك أن أم السفاح ، واسمها ربيعة ، من بنى الحارث بن كعب . انظر التنبيه والإشراف
- (٤) فيما عدل : « وعصبته » ، تحريف ؛ إذ عصبة الرجل بنوه وقرابته لأبيه .
- (٥) هذه الكلمة ساقطة مما عدل .
- (٦) العرد ، بالفتح : الحمار ، ذكره في القاموس ولم يرد في اللسان . والخير في الحيوان (٦ : ١٥٢) وذكر فيه أن الخليفة هو المهدي . والمهدي هو ابن أبي جعفر المنصور أخى السفاح ، وكنية المهدي « أبو عبد الله » . وما في معجم البلدان (٨ : ٥٢٤) يطابق ما في البيان . وذكر ياقوت أن اليماني الذي فخر على خالد هو إبراهيم بن محزمة .
- (٦) حول كريت : تام .
- (٧) سبقت ترجمته في ص ٣ .

عَلِمَ بِتَنْزِيلِ الْكَلَامِ مَلَقْنٌ ذَكَورٌ لَمَّا سَدَّاهُ أَوَّلُ أَوَّلًا (١)
يَبْذُ قَرِيعَ الْقَوْمِ فِي كُلِّ مَخْفِيلٍ وَإِنْ كَانَ سَحْبَانِ الْخَطِيبِ وَدَغْفَلًا (٢)
تَرَى خُطْبَاءَ النَّاسِ يَوْمَ ارْتَجَالِهِ كَأَنَّهُمُ الْكِرْوَانُ عَائِنٌ أَجْدَلًا
الْكِرْوَانُ : جمع كَرْوَان ، وهو ذكر الحُبَارَى . والأجدل : الصَّقَر .

وكان يقارض شبيب بن شيبه (٣) ؛ لاجتماعهما على القرابة والمجاورة
والصناعة ، فذكر شبيب مرةً عنده فقال : « ليس له صديق في السر ، ولا علو في
العلانية (٤) » . وهذا (٥) كلامٌ ليس يعرف قدره إلا الراسخون في هذه الصناعة . ٢
وكان خالدٌ جميلًا ولم يكن بالطويل ، فقالت له امرأته (٦) : إنك لجميلٌ
يا أبا صفوان . قال : وكيف تقولين هذا وما في عمود الجمال ولا رداؤه ولا بُرئسه .
فقيل له : ما عمود الجمال ؟ فقال : الطُّول ، ولستُ بطويل ؛ ورداؤه البياض ،
ولستُ بأبيض ؛ وبرئسه سواد الشعر ، وأنا اشمط ؛ ولكن قولي : إنك للمليح ظريف .
وخالدٌ يعد في الصُّلَّعان ، ولكلام خالدٍ كتابٌ يدور في أيدي الورَّاقين (٧) .

وكان الأزهر بن عبد الحارث بن ضرار بن عمرو الضبِّي (٨) ، عالما ناسبا .

- ١٥ (١) سَدَّاهُ ، أى نسجه . وفي اللسان : « وإذا نسج إنسان كلاما أو أمرا بين قوم قيل سَدَّى بينهم » .
(٢) يَبْذُ : يغلب ويسبق . والقريع : السيد والرئيس .
(٣) يقارضه : من المقارضة ، وهى التجازى بالخير والشر .
(٤) الخير في الحيوان (٥ : ٥٩٢) وعيون الأخبار (٣ : ٧٣) وسبق في ص ٤٧ .
(٥) ل ، هـ والتيمورية : « وها هنا » .
(٦) فيما عدل : « امرأة » . والخير بصورة أخرى في تثقيف اللسان .
(٧) للمدائني كتاب في خالد بن صفوان ، ولعبد العزيز الجلودى كتاب في أخبار خالد بن
صفوان . انظر ابن النديم ١٥١ - ١٦٧ .
(٨) سبقت ترجمته جده ضرار بن عمرو في ص ٢١ .

ومن خطباء بنى ضَبَّة : حنظلة بن ضرار ^(١) ، وقد أدرك الإسلام وطال
عمره حتى أدرك يومَ الجمل ، وقيل له : ما بقي منك ؟ قال : « أذكر القديم
وأنسى الحديث ، وآرق بالليل ، وأنام وسط القوم » .

- ومن خطباء بنى ضبة وعلمائهم : مشجور بن غيلان بن خَرْشَة ^(٢) ،
وكان مقدّما في المنطق ، وهو الذي كتب إلى الحجاج : « إنهم قد عَرَضُوا عَلَى
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، فما ترى أن آخِذَ ؟ » قال : « أرى أن تأخذ الذَّهَبَ » .
فذهب عنه هاربا ثم قتله بعد . وذكره القلائحُ بن حَزْنِ المِنْقَرِي ^(٣) فقال :
أَمْثَالُ مَشْجُورٍ قَلِيلٌ وَمِثْلُهُ فَتَى الصَّدْقِ إِنْ صَفَّقْتَهُ كُلَّ مَصْفَقٍ ^(٤)
وَمَا كُنْتُ أَشْرِيهِ بِدُنْيَا عَرِيضَةٍ وَلَا بَابِنِ خَالٍ بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِيقٍ ^(٥)
إِذَا قَالَ بَدَّ الْقَائِلِينَ مَقَالُهُ وَيَأْخُذُ مِنْ أَكْفَائِهِ بِالْمُحَنِّقِ ١٠

* * *

ومن الخطباء الخوارج ، قَطْرِيُّ بْنُ الْفُجَاعَةِ ^(٦) ، وله خطبةٌ طويلة

- (١) ترجم له ابن حجر في الإصابة ٢٠٠٣ ونقل بعض كلام الجاحظ .
(٢) في القاموس (ثجر) : « ومشجور بن غيلان مهجو جرير » . انظر ديوان جرير ٢٣٢ . وذكره
الجاحظ في الحيوان (٣ : ٢١٠) في العلماء بالنسب . وذكره ابن دريد في الاشتقاق ١٢٠ ، كما ذكر أباه
غيلان بن خَرْشَة الذي يقول فيه : « كان سيد بنى ضبة بالبصرة » .
(٣) في الاشتقاق ١٥٣ : « والقلاخ من القلخ ، وهو أن يردد الفعل صوته في جوفه » . وهو
القلاخ بن حزن من جناب بن منقر ، وهو معدود من الرجاز . انظر المؤتلف ١٦٨ والاشتقاق ١٥٣ .
(٤) هو من قولهم : صفقت الريح الشيء وصفقته ، بالتخفيف والتشديد ، إذا قلبته يمينا وشمالا .
(٥) أشريه ، أى أبيع ، والشراء من الأضداد .
(٦) قطري بن الفجاعة ، واسم الفجاعة جمعون بن مازن المازني . كان قطري زعيما من الخوارج ،
خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولى العراق نيابة عن أخيه عبد الله بن الزبير . وكانت ولاية مصعب سنة
٦٦ فبقى قطري عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج يسير إليه جيشا بعد جيش وهو
يستظهر عليهم . وقطري ليس باسم له ، ولكنه نسبة إلى بلده ، وهو بين البحرين وعمان . وفيات الأعيان .

مشهورة^(١) ، وكلام كثير محفوظ ، وكانت له كنيتان : كنية في السلم ، وهي أبو محمد ؛ وكنية في الحرب ، وهي أبو نعامة .

وكانت كنية عامر بن الطفيل في الحرب غير كنيته في السلم : كان يكنى في الحرب بأبي عقيل ، وفي السلم بأبي علي .

وكان يزيد بن مزيّد^(٢) يكنى في السلم بأبي خالد ، وفي الحرب بأبي الزبير . وقال مسلم بن الوليد الأنصاري :

لولا سيوف أبي الزبير وخيله نشر الوليد بسيفه الضحّاكا^(٣)
وفيه يقول :

لولا يزيد وأيام له سلفت عاش الوليد مع العاوين أعواما^(٤)
سلّ الخليفة سيفاً من بني مطر يمضي فيحترق الأجسام والهاما^(٥)
إذا الخلافة عدت كنت أنت لها عزاً وكان بنو العباس حكاما
ألا تراه قد ذكر قتل الوليد !

وقد كان خالد بن يزيد^(٦) اكتنى بها في الحرب ، في بعض أيامه بمصر .

(١) ستأني خطبته في (٢ : ١٢٦) .

(٢) يزيد من يزيد بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر الشيباني ، وهو ابن أخى معن بن زائدة . أمير شجاع ، ندبه هارون لقتال الوليد بن طريف الشيباني الشاري الخارجي ، فقتله وعاد إلى أرمينية حيث كان واليا عليها . توفي سنة ١٨٥ . ابن خلكان

(٣) الوليد هو الوليد بن طريف الشاري . خرج على الرشيد سنة ١٧٨ وقتله يزيد بن يزيد سنة ١٧٩ . والضحاك ، هذا ، هو الضحاك بن قيس الشيباني ، أحد زعماء الخوارج الشجعان ، سار إلى العراق واستولى على الكوفة سنة ١٢٧ وبلغ جيشه مائة وعشرين ألفاً وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وصلياً خلفه . انظر ما سيأتى في كلام الجاحظ . وقتل أيام مروان بن محمد سنة ١٢٨ . الطبري (٩ : ٧٥ - ٧٧) .

(٤) فيما عدل : « ومقدار له سبب » وهي رواية ابن خلكان (٢ : ٢٨٤) . فيما عدل : « مع العاوين » ، ولعل صوابهما « مع العاميين » كما هو عند ابن خلكان ؛ فإن الوليد ظل عامين محارباً ، كما سبق القول .

(٥) فيما عدل : « يحترق الأرواح » .

(٦) يعني خالد بن يزيد بن يزيد بن زائدة الشيباني .

وهذا الباب مستقصى مع غيره في أبواب الكُنى والأسماء ، وهو واردٌ عليكم إن شاء الله .

ومن خطباء الخوارج : ابن صُدَيْقَة ^(١) ، وهو القاسم بن عبد الرحمن ابن صُدَيْقَة ، وكان صُفْرِيًّا ^(٢) ، وكان خطيباً ناسباً ، وَيَشُوبُ ذلك ^(٣) ببعض الظَّرف والهزل .

ومن علماء الخوارج : شُبَيْل بن عَزْرَة الصَّبْعِيَّ ^(٤) ، صاحب الغريب . وكان رَاوِيَةً خطيباً ، وشاعراً ناسباً ، وكان سبعين سنةً رافِضِيًّا ثم انتقل خارجياً صُفْرِيًّا .

ومن علماء الخوارج : الضَّحَّاك بن قيس الشَّيْبَانِي ، ويكنى أبا سَعِيد ، وهو الذى مَلَكَ العراق ، وسار فى خمسين ألفاً ، وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام ، وصَلَّى خلفه ، وقال شاعرهم ^(٥) :

ألم تَرَ أَنَّ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَصَلَّتْ قَرِيشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ

* * *

(١) كذا ضبط فى ل ، ه .

(٢) الصفرية : طائفة من الخوارج ، وهم أصحاب زياد بن الأصفر ، ويقال لهم الزيدية أيضا ، وقولهم كقول الأزارقة فى أن أصحاب الذنوب مشركون ، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفهم ونسائهم وهم يرون ذلك . انظر آراءهم فى الملل (١ : ١٨٣) والفرق ٧٠ والسمعاني ٣٥٤ والمواقف ٦٣٠ ومفاتيح العلوم ١٩ والكامل ٦٠٤ ليبسك .

(٣) فيما عدل : . ويشوبه .

(٤) قال ابن حريد فى الاشتقاق ١٩٣ : شبيب بن عزرة العلامة ، كان فصيحاً عالماً شريفاً ، مات بالبصرة ، وأدرك دولة بنى العباس ، وكان يرى رأى الخوارج . وذكره فى الفهرست ٦٨ قال : « من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وهو صاحب قصيدة الغريب ، وكان أولاً رافضياً نحو سبعين ، ثم انتقل إلى الشراة وقال : برئت من الروافض فى القيامه وفى دار المقامة والسلامة » .

وشبيب بهيئة التصغير ، وعزرة بفتح العين . انظر التهذيب وتقريب التهذيب .

(٥) هو شبيب بن عزرة الضبعي . الطبرى (٩ : ٦٤) . وانظر ما سيأتى فى (٣ : ٢٦٥) .

وكان ابن عطاء الليثي يسامر الرشيد ، وكان صاحب أخبار وأسماء ^(١) وعلم بالأنساب ، وكان أظرف الناس وأحلامهم .

وكان عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ^(٢) ، رواية ناسبا ، وعالما بالعريّة فصيحاً .

وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ^(٣) من أميين الناس وأفصحهم .
وكان مسلمة بن عبد الملك ^(٤) يقول : إني لأتحنّى كور العمامة عن أذني لأسمع كلام عبد الأعلى .

وكانوا يقولون : أشبه قريش نعمة وجهارة بعمر بن سعيد ^(٥) ، عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ^(٦) .

قال : وقال بعض الأمراء - وأظنه بلال بن أبي بردة - لأبي نوفل الجارود بن أبي سبرة ^(٧) : ماذا تصنعون عند عبد الأعلى إذا كنتم عنده ؟ قال : يشاهدنا بأحسن استماع ، وأطيب حديث ^(٨) ، ثم يأتي الطباخ فيمثل بين يديه ^(٩) فيقول : ما عندك ؟ فيقول : عندي لونٌ كذا وجدى كذا ، ودجاجة كذا ، ومن الحلواء كذا . قال : ولم يسأل عن ذلك ؟ قال : ليُقصّر كل رجل عما لا يشتهي ، حتى يأتيه ما يشتهي . ثم يأتون بالخوان فيتضايق وتتسع ، ويقصّر

(١) أصل السمر الحديث ليلا ، ولكنه يراد به في مثل هذا الموضع حديث الخرافة ، وقد جعل ابن النديم الخرافة والسمر مترادفين في الفهرست (المقالة الثامنة) . وانظر الحيوان (٣ : ٢١٢) .
(٢) سبقت ترجمة والده في ٣١٨ .

(٣) هو عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، أبو عبد الرحمن البصري . وكان مشهوراً بالجدود . تهذيب التهذيب .

(٤) سبقت ترجمته في ص ٢٩٢ .

(٥) مضت ترجمته في ص ٣١٤ . (٦) هذه الفقرة من ل ، ه فقط .

(٧) ترجم في ص ٣٢٩ . (٨) فيما عدل : « وأحسن حديث » .

(٩) فيما عدل : « بين عينيه » . وانظر العقد (٦ : ٢٩٤ - ٢٩٥) .

ونجتهد ، فإذا شبعنا حَوَى تخوية الظُّلُم (١) ، ثم أَقْبَلَ يأكل أكلَ الجائع المَقْرور .
قال : والجارود هو الذى قال : « سوءُ الخُلُق يُفسِدُ العمل ، كما يفسد الخُلُّ العسل » . وهو الذى قال : « عليكم بالمِرْيَد (٢) ؛ فإنه يطرد الفِكر ، ويجلو البَصَر ، ويجلب الخَبَر ، ويجمع بين ربيعة ومُضَر » .

قال : وصعيد عثمان المنبر فأرتج عليه ، فقال : « إن أبا بكرٍ وعمر كانا يُعدَّان لهذا المقام مقالا ، وأنتم إلى إمام عادلٍ أحوَجُ منكم إلى إمام خطيب ، وستأتىكم الخطب (٣) على وجهها ، وتعلمون إن شاء الله » .

قال : وشخص يزيدُ عمرَ بنِ هبيرةَ إلى هشام بن عبد الملك فتكلم ، فقال هشام : ما مات من خَلَفَ هذا . فقال الأبرش الكلبي (٤) : ليس هناك ، أما تراه يَرشَحُ جبينه لِضيق صدره ! قال يزيد : ما لذلك رَشَحٍ ولكنَّ لجلوسك في هذا الموضع .

وكان الأبرشُ ثَلَاثة نِسَابَة ، وكان مصاحبا لهشام بن عبد الملك ، فلما أفضت إليه الخلافةُ سَجَدَ وسجدَ من كان عنده من جُلُسائه ، والأبرش شاهدٌ لم يسجد . فقال له : ما مَنَعَكَ أن تسجدَ يا أبرش ؟ قال : وَلِمَ أسجدُ وأنت اليومَ معي ماشياً ، وغداً فوق طائرا . قال : فإن طرْتُ بك معي ؟ قال : أَتُراكَ فاعلا ؟ قال : نَعَمْ . قال : ١٥ فالآن طاب السُّجود (٥) .

قال : ودخل يزيدُ بن عمر (٦) على المنصور وهو يومئذ أميرٌ ، فقال : « يا أيُّها

(١) الظلم : ذكر النعام . والتخوية : أن يفرج ما بين عضديه وجنبه . وهى من الطائر أن يرسل جناحيه .

(٢) المريد : سوق من أسواق العرب ، بالقرب من البصرة .

(٣) هـ : الخطبة .

(٤) اسمه الأبرش بن حسان كما سيأتى فى (٢ : ١٣٩) . وكان ذا منزلة عند هشام . يروى أبو

الفرج فى (٢ : ١١٧) أنه حج مع هشام فكان عديله فى محمله .

(٥) فيما عدا ل : « فالآن » .

(٦) هو يزيد بن عمر بن هبيرة المترجم فى ١٩٩ .

الأمير ، إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ لَا يُنْكَثُ ، وَعَقْدُهُ لَا يُحْلُ ، وَإِنَّ إِمَارَتَكُمْ بَكَرٌ فَأَذِيقُوا
النَّاسَ حَلَاوَتَهَا ، وَجَنِّبُوهُمْ مَرَارَتَهَا .

قال سهل بن هارون : دخل قُطْرُبُ النَحْوِيِّ عَلَى الْخُلُوعِ ^(١) فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَتْ عِدَّتُكَ أَرْفَعَ مِنْ جَائِزَتِكَ - وَهُوَ يَتَبَسَّمُ - قَالَ سَهْلُ :
فَاغْتَاطَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ هَذَا مِنَ الْحَصَرِ وَالضَّعْفِ ، وَلَيْسَ
هَذَا مِنَ الْجَلْدِ وَالْقُوَّةِ . أَمَا تَرَاهُ يَقْتُلُ أَصَابِعَهُ ، وَيَرْشَحُ جَبِينَهُ .

قال : وقال عَبْدُ الْمَلِكِ الْخَالِدُ بْنُ سَلَمَةَ الْمَخْزُومِيُّ ^(٢) : مَنْ أَخْطَبُ
النَّاسَ ؟ قَالَ : أَنَا . ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : سَيِّدُ جُدَامٍ - يَعْنِي رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعٍ ^(٣) .
- قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أَخْخِيفُشْ ثَقِيفٍ - يَعْنِي الْحَجَّاجُ - قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ :
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَيْحَكَ ، جَعَلْتَنِي رَابِعَ أَرْبَعَةٍ . قَالَ : نَعَمْ ، هُوَ مَا سَمِعْتَ .
ومن خطباء الخوارج وعلمائهم ورؤسائهم في الفُتْيَا ، وشعرائهم ،
ورؤساء قَعْدِهِمْ ^(٤) : عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ ^(٥) . ومن علمائهم وشعرائهم
وخطبائهم : حَبِيبُ بْنُ حُذْرَةَ الْهَلَالِيِّ ^(٦) ، وعداده في بنى شيبان .

(١) الخُلُوع ، هو الخليفة محمد الأمين بن هارون . انظر خبر خلعه في حوادث ١٩٦ .
١٥ من الطبرى وغيره من التواريخ .

(٢) سبقت ترجمته في ٣٢٨ .

(٣) كان أحد ولاية فلسطين أيام يزيد بن معاوية . الأغاني (١٧ : ١١١) . وذكر الجاحظ في
الحَيَوَانَ (١ : ٢٢٦) أن عبد الملك زوجه أم جعفر بنت النعمان بن بشير .

(٤) القعد : الخوارج الذين يرون التحكيم حقا غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس .
٢٠ قال أبو نواس في الخمر :

فكأنى وما أحسن منها قعدى يزين التحكيم
كل عن حمله السلاح إلى الح رب فأوصى المطيع ألا يقيما

(٥) ترجم في ص ٤١ .

(٦) ل : بن جذرة ، تصحيف ، صوابه بالخاء المعجمة المضمومة . وفي القاموس : « وحبيب بن
٢٥ خذرة تابعي محدث » .

- ومن كان يرى رأى الخوارج : أبو عبيدة النحويّ مَعْمَر بن المثنى ، مولى
 تيم بن مُرّة . ولم يكن فى الأرض خارجيّ ولا جماعيّ أعلم بجميع العلم منه .
 ومن كان يرى رأى الخوارج : الهيثم بن عدى الطائى ثم البحتريّ ^(١) .
 ومن كان يرى رأى الخوارج : شعيب بن رثاب الحنفى ، أبو بكار ،
 صاحب أحمد بن أبى خالد ، ومحمد بن حسان السكسكى ^(٢) .
 ومن الخوارج من علمائهم ورؤسائهم : مسلم بن كورين ^(٣) ، وكنيته
 أبو عبيدة وكان إباحيّاً ، ومن علماء الصُفوية .
 ومن كان مَقْنَعاً فى الأخبار لأصحاب الخوارج والجماعة جميعاً :
 مُلَيْل ^(٤) ، وأظنه من بنى تغلب ^(٥) . ومن أهل هذه الصفة : أصفر بن
 عبد الرحمن ^(٦) ، من أخوال طوق بن مالك .
 ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم : الْمُقْعِطَل ^(٧) ، قاضى عسكر
 الأزاقة ، أيام قَطْرَى .
 ومن شعرائهم ورؤسائهم وخطبائهم : عبيدة بن هلال اليشكرى ^(٨) .

- (١) ترجم فى ص ٥٦ . وهو الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر بن عدى
 ابن خالد بن خيثم بن أبى حارثة بن جدى بن تدول بن (بحتري) بن عتود بن عتبن بن سلامان بن ثعل
 ابن عمرو بن العوث بن جلهمة ، وهو طيىء .
 (٢) نسبة إلى سكسك بن أشرس ، وهو أبو السكاسك من اليمن .
 (٣) فيما عدل : « كرزين » تحريف ، وكورين بضم الكاف . انظر تاج العروس (كور) .
 وسيأتى فى (٣ : ٢٦٥) أن مسلم بن كورين كان مولى لعروة بن أذينة .
 (٤) هـ : « أصفر » وسيأتى فى (٣ : ٢٦٥) : « ومن علمائهم مليل وأصفر ابنا عبد الرحمن » .
 (٥) التيمورية : « ثعلب » ب ، ح : « ثعلبة » مع أثر تصحيح فيها .
 (٦) انظر الحاشية رقم ٤ هذه الصفحة .
 (٧) تقدم ذكره فى ص ٣٨ .
 (٨) فى الفرق بين الفرق ٦٦ : « وكان عبيدة بن هلال اليشكرى قد فارق قطريا وانحاز إلى
 قومه ، فتبعه سفيان بن الأبرد وحاصره فى حصن قومس إلى أن قتله وقتل أتباعه » . وفى الاشتقاق
 ١٠٧ : « ومنهم عبيدة بن هلال ، كان مع قطرى بن الفجاعة ، ثم ولى بعده أمر الخوارج . وهو الذى
 يقول فى حصارهم لما حاصروهم سفيان بن الأبرد الكلبي بالرى :
 إلى الله أشكو ما نرى من جيادنا . تساوك هزلى نخهن قليل » .
 وانظر ما مضى فى ص ٥٥ .

وكان في بني السَّمين^(١) من بني شيبان^(٢) ، خطباء العرب ، وكان ذلك فيهم فاشياً ؛ ولذلك قال الأخطل :

فَأَيْنَ السَّمينُ لا يقومُ خطيبُها وأين ابن ذى الجَدَّين لا يتكلَّمُ^(٣)

وقال سُحيم بن حفص^(٤) : كان يزيد بن عبد الله بن رُويم^(٥) الشيباني

من أخطب الناس ، خطب عند يزيد بن الوليد ، فأمر للناس بعتاءين .

ومن الخطباء معبد بن طوق العنبري ، دخل على بعض الأمراء فتكلَّم

وهو قائم فأحسن ، فلما جلس تتعتع في كلامه^(٦) فقال له : ما أظرفك

قائماً ، وأموّك قاعداً ! قال : إني إذا قمت جدّدت ، وإذا قعدت هزّلت .

قال : ما أحسن ماخرجت منها .

ومن خطباء عبد القيس : مصقلة بن رقة ، [ورقية^(٧)] بن مصقلة ، ٦

وكرب بن رقة .

والعرب تذكر من خطب العرب « العجوز » وهي خطبة لآل رقة ، ومتى

تكلّموا فلا بدّ لهم منها أو من بعضها . و « العذراء » وهي خطبة قيس بن خارجة

لأنه كان أبا عذرها . و « الشّوها » ، وهي خطبة سحبان وإثل ، وقيل لها ذلك من

حسنها ، وذلك أنه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ولم يخطب خطيب . ١٥

(١) في القاموس (سمن) : « وكأمر لقب عبد الله بن عمرو بن ثعلبة ؛ لأنه كان بين أخ وعم وعدد كثير » .

(٢) فيما عدل ، هـ : « ومن بني شيبان » .

(٣) ذو الجدين هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني ، سمي بذلك لأنه كان أسر

أسيراً له فداء كثير ، فقال رجل : إنه لنو جد في الأسر ، أي له حظ ! فقال آخر : إنه لنو جدتين . وابنه

هو بسطام بن قيس المترجم في ص ٢١ . انظر جني الجنتين ١٥٧ . ٢٠

(٤) ترجم في ص ٤٠ .

(٥) فيما عدل : « رؤية » .

(٦) تتعتع : تردد من حصر أوعى . فيما عدل : « تلهيع » أي أفرط .

(٧) التكملة مما سبق في ص ٩٧ . وكلمة « بن مصقلة » من ل فقط . ورقية بن مصقلة أخبار

وكان ابن عَمَّار الطائِيُّ (١) خطيبَ مَدَجَجَ كُلِّهَا ، فبلغ النعمانَ حسنُ حديثه فحملة على منادمته ؛ وكان النعمان أحمر العينين ، أحمر الجلد ، أحمر الشعر ، وكان شديد العريدة قتالاً للندماء ، فنهاه أبو قُرْدُودَةَ الطائِيُّ عن منادمته ، فلما قتله رثاه فقال :

إِنِّي نَهَيْتُ ابْنَ عَمَّارٍ وَقُلْتُ لَهُ لَا تَأْمَنْ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّعْرَةَ (٢)
 إِنَّ الْمَلُوكَ مَتَى تَنْزِلُ بِسَاحَتِهِمْ تَطِيرُ بِنَارِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَّه
 يَا جَفْنَةً كَأَزَاءِ الْحَوْضِ قَدْ هَدَمُوا وَمِنْطَقًا مِثْلَ وَشَى الْيَمْنَةِ الْحَبِيرِ

قال الأصمعيّ : وهو كقوله :

وَمِنْطَقِي خُرِقَ بِالْعَوَاسِلِ (٣) لَدَّ كَوْشَى الْيَمْنَةِ الْمَرَّاحِلِ (٤)

* * *

١٠

قال (٥) : وسأل رسول الله ﷺ عمرو بن الأهتم عن الزُّبَيْرِ بْنِ بدر ، فقال : « إِنَّهُ لَمَنْعَ لِحَوْزَتِهِ ، مَطَاعٌ فِي أَدْنِيهِ » . قال الزُّبَيْرَانُ : إِنَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيَعْلَمُ مِنِّي أَكْثَرَ مِمَّا قَالَ ، وَلَكِنَّهُ حَسَدَنِي شَرَفِي ، فَقَصَّرَ بِي . قال عمرو : « هُوَ وَاللَّهِ زَمِرُ الْمَرْوَةِ ، ضَيْقُ الْعَطَنِ ، لَيْمُ الْخَالِ » . فنظر النبي ﷺ فِي عَيْنَيْهِ ، فَقَالَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَضِيتُ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ ، ١٥ وَغَضِبْتِ فَقُلْتُ أَقْبَحَ مَا عَلِمْتُ ، وَمَا كَذَبْتُ فِي الْأَوَّلَى وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْآخِرَةِ » . فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » .

* * *

(١) هو عمرو بن عمار الطائي المترجم في ٢٢٢ .

٢٠

(٢) الأبيات سبقت في ٢٢٣ .

(٣) منطق ، أى صاحب منطق . والعواسل : الرماح اللدنة . وانظر (٢ : ٢٩٢) .

(٤) المراحل : التى نقش فيها تصاوير الرجال ، جمع مرجل ، بالتشديد .

(٥) سبق الخبر برواية أخرى في ٥٣ .

قال : وتكلم رجلٌ في حاجة عند عمر بن عبد العزيز ، وكانت حاجته في قضائها مشقة ، فتكلم الرجل بكلام رقيق موجز ، وتأثي لها ، فقال عمر : والله إن هذا للَسَّحُرُ الحلال .

ومن أصحاب الأخبار والآثار أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة ^(١) ، وكان القاضي قبل أبي يوسف .

ومن أصحاب الأخبار : أبو هنيذة وأبو نعمة ، العدويان .

ومن الخطباء : أيوب بن القريّة ^(٢) ، وهو الذي لما دخل على الحجاج قال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : « ثلاثة حروف » ^(٣) ، كأنهن ركب وقوف : دُنْيا وآخرة ومعروف » ثم قال له في بعض القول : « أَقْلَنِي عَثْرِي ، وَأَسْغِنِي رِيقِي » ^(٤) ؛ فإنه لا بُدَّ للجواد من كِبوة ، وللسيف من ثَبوة ، وللحليم من هَفوة . قال : كَلَّا والله حتى أوردك نار جهنم . أَلَسْتَ القائل برُستَقباد ^(٥) : تَقْدُوا الجَدَى قبل أن يَتَعَشَّأَك ؟

قال : ومن خطباء غطفان في الجاهلية : ثُوَيْلِد بن عمرو ، والعُشراء ^(٦)

١٥ (١) أبو بكر هذا أحد من سمي بكنيته . وذكر ابن حجر في التهذيب (١٢ : ٢٧) أن اسمه عبد الله ، أو محمد . وجده أبو سبرة صحابي شهد بدرًا . وكان أبو بكر يفتي بالمدينة . ثم كتب إليه يقدم بغداد فولى قضاء موسى الهادي بن المهدي وهو ولي عهد . ومات ببغداد سنة ١٦٢ وهو ابن ستين في خلافة المهدي ، فلما مات استقضى أبو يوسف مكانه . انظر التهذيب والمعارف ٢١٤ ، ٢٥٩ وتاريخ بغداد ٧٦٩٧ .

(٢) ترجمته مضت في ص ٢٠ .

٢٠ (٣) ل ، ب : « صروف » صوابها ما أثبت من ه ، ح والتيمورية . وقد سبق الخبر في ص ١١٢ .

(٤) أسغني ريقى ، أى أمهلنى ولا تعجلنى . ل ، ح : « واسقنى » تحريف .

(٥) يقال أيضا « رستقباد » وهى من أرض دستوا بفارس .

(٦) فى الاشتقاق ١٧٢ : « ومن بنى مازن بن فزارة بنو العشراء » . ب : « العشراء » ل :

« العشراء » ، وأثبت ما فى ه ، ح والتيمورية .

ابن جابر بن عقيل بن هلال بن سُمَيَّ بن مازن بن فزارة . وخويلد خطيب يوم
الفجار .

ومن أصحاب الأخبار والنسب والخطب ^(١) وأهل البيان : الوضاح بن
خَيْثَمَةَ . ومن أصحاب الأخبار والنسب والخطب والحكم ^(٢) عند أصحاب
الثُّفُورَات ^(٣) بنو الكَوَّاءِ ، وإيَّاهُم يعنى مسكين بن أُثَيْف الدارمي ، حين ذكر
أهل هذه الطبقة فقال :

كِلَانَا شَاعِرٌ مِنْ حَيٍّ صِدِّيقٍ وَلَكِنْ الرَّحَى فَوْقَ الثُّفَالِ ^(٤)
وَحَكْمٌ دَغَفَلًا وَارْحَلُ إِلَيْهِ وَلَا تُرْجِ الْمَطْيُ مِنَ الْكَلَالِ
تَعَالَى إِلَى بَنِي الْكَوَّاءِ يَقْضُوا يَعْلَمُهُمْ بِأَنْسَابِ الرِّجَالِ ^(٥)
هَلُمَّ إِلَى ابْنِ مَذْعُورٍ شِهَابٍ يُنَبِّئُنِي بِالسَّوَافِلِ وَالْعَوَالِي
وَعِنْدَ الْكَيْسِيِّ النَّمْرَى عِلْمٌ وَلَوْ أَضْحَى بِمَنْخَرِقِ الشَّمَالِ ^(٦)
ومن الخطباء القدماء : كعب بن لُؤَيٍّ ، وكان يخطب على العرب
عامَّةً ، ويحضرُ كنانةً على البرِّ ، فلما مات أكبروا موته ، فلم تزل كنانة تُورِّخُ
بموت كعب بن لُؤَيٍّ إلى عام الفيل .

١٥

* * *

ومن الخطباء العلماء الأئنياء ، الذين جَرَّوْا مِنَ الْخِطَابَةِ عَلَى أَعْرَاقٍ قَدِيمَةٍ ^(٧) :
شبيب بن شيبَةَ ، وهو الذي يقول في صالح بن أُنَى جعفر المنصور ، وقد كان

(١) كلمة « والنسب » من ل ، هـ . و « الخطب » من هـ .

(٢) فيما عدا ل : « والحكام » .

(٣) النفورة : الحكومة . وفي اللسان : « ونافر الرجل منافرة ونفارا : حاكمه واستعمل منه النفورة
كالحكومة . قال ابن هزمة :

يبرقن فوق رواق أبيض ماجد يدعى ليوم نفورة ومعامل »

(٤) الثفال ، بالكسر : ماوقيت به الرحي من الأرض .

(٥) فيما عدا ل : « تعال إلى » .

(٦) سبق البيت في ص ٣٢٢ .

(٧) انظر ما سيأتي في ص ٣٥٥ .

المنصور أقام صالحاً فتكلّم ، فقال شبيب : « ما رأيتُ كالיום أثبتَ بيانا ، ولا أجودَ لساناً ، ولا أربطَ جنانا ، ولا أبَلَّ ريقاً ، ولا أحسنَ طريقاً ، ولا أغمضَ عُروقاً ^(١) من صالح . وحقّ لمن كان أميرُ المؤمنين أباه ، والمهديُّ أخاه ، أن ٢٠٨ يكون كما قال زهير ^(٢) :

يطلبُ شأواً امرأينِ قدّما حسنا نالا الملوكة وبذا هذه السُّوقا ^(٣)
هو الجوادُ فإن يلحقُ بشأوهما على تكاليفه فمثله لِحِقا ^(٤)
أو يسبقاه على ما كان من مهلٍ فمثلُ ما قدّما من صالح سَبَقا ^(٥) »

قال : وخرج شبيبٌ من دار الخليفة ^(٦) يوماً فقال له قائل : كيف رأيتَ الناس ؟ قال : رأيتُ الداخل راجياً والخارج راضياً .

قال : وقال خالد بن صفوان : « اتَّقُوا مَجَانِيقَ ^(٧) الضُّعَفَاء » ، يريد الدعاء .

قال : وقال شبيب بن شيبه : « اطلب الأدب فإنه دليلٌ على المروءة ، وزيادةٌ في العقل ، وصاحبٌ في العُربة ، وصِلّةٌ في المجلس » .

وقال شبيبٌ للمهدي يوماً : « أراك الله في بينك ما أرى أباك فيك ، وأرى الله بينك فيك ما أراك في أهلك » . ١٥

(١) أغمض ، من الغموض ، وهو الغرور .

(٢) في مدح هرم . والأبيات في ديوان زهير ٥١ .

(٣) الشأوا : السبق . بذا : غلبا . والسوق : جمع سوقة ، وهم أوساط الناس ، أو ما بين الملوك والأوساط .

(٤) في شرح ثعلب : تكاليفه : شدته ، الواحدة تكلفة . وفي اللسان : « هي الكلف والتكاليف ،

واحدتها تكلفة » . وما هو جدير بالذكر أن الكوفيين يتردون زيادة الياء في هذا الجمع وحذفها .

(٥) المهل : التقدم . يقول : هو معذور إن سبقاه لأنهما أخذاه مهلة قبله فتقدماه . والألف في

« سبق » للإطلاق ، أى مثل فعلهما سبق .

(٦) في عيون الأخبار (١ : ٩١) : « دار الخلافة » .

(٧) المجانيق ، جمع منجنيق ، وهي من آلات في القتال . وانظر (٣ : ٢٧٤) . ٢٥

وقال أبو الحسن : قال زيد بن عليّ بن الحسين : « اطلب ما يعينك وأترك ما لا يعينك ؛ فإنّ في ترك ما لا يعينك دركاً لما يعينك ، وإنما تقدّم على ما قدّمت ، ولست تقدّم على ما أخرت . فأثر ما تلقاه غداً ، على ما لا تراه أبداً » .

أبو الحسن ، عن إبراهيم بن سعد قال : قال خالد بن صفوان : « ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة ^(١) ، أو بهيمة مهملة » .

أبو الحسن قال : كان أبو بكر خطيباً ، وكان عمر خطيباً ، وكان عثمان خطيباً وكان عليّ ^(٢) خطيباً . وكان من الخطباء : معاوية ، ويزيد ، وعبد الملك ، ومعاوية بن يزيد ، ومروان ، وسليمان ^(٣) ، ويزيد بن الوليد ، والوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز . ومن خطباء بني هاشم : زيد بن عليّ ، وعبد الله بن الحسن ، وعبد الله بن معاوية ، خطباء لا يُجَارُونَ . ومن خطباء النُصَّاء والعُباد : الحسن بن ١٠ ألى الحسن البصريّ ، ومطرف بن عبد الله الحرثيّ ^(٤) ، ومُورِق العجليّ ^(٥) وبكر بن عبد الله المزنيّ ^(٦) ، ومحمد بن واسع الأزديّ ^(٧) ، ويزيد بن أبان

(١) ل فقط : « مهملة » . وقد سبق الخبر في ١٧٠ .

(٢) فيما عدا ل : « خطيباً » .

(٣) ل : « ومروان بن سليمان » .

(٤) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير البصري ، المترجم في ١٠٣ . وقال السمعاني في الأنساب ١٦٣ : « هذه النسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن قيس . وأكثرهم نزل البصرة ، ومنها تفرقت إلى البلاد . وفي الأزدي الحريش بن خزيم بن الحجر بن عمران . قاله ابن حبيب . والمشهور بهذه النسبة مطرف بن عبد الله الحرثيّ » .

(٥) هو مورق بضم الميم وفتح الواو وتشديد الراء المكسورة - بن مشمرج - بكسر الراء - بن عبد الله العجليّ ، أبو المعتمر البصريّ ، ثقة عابد من كبار الثالثة . مات بعد المائة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٧٣) . ويحرف هذا الاسم فيجعل « مؤرق » بالهمز . انظر القاموس (ورق) .

(٦) ترجم في ص ١٠٠ .

(٧) هو أبو بكر أو أبو عبد الله محمد بن واسع بن جابر الأزدي البصريّ ، روى عن أنس ومطرف والأعمش وغيرهم . وكان أحد النساك العباد الزهاد . توفي هو ومالك بن دينار سنة ١٢٣ . تهذيب التهذيب والمعارف ٢٠٩ وصفة الصفوة (٣ : ١٩٠) .

الرقاشي^(١) ومالك بن دينار السامي^(٢) .

وليس الأمر كما قال ؛ في هؤلاء القاصُّ المُجيدُ ، والواعظُ البليغُ ، وذو المنطقِ الوجيزِ . فأما الخطبُ فإنَّنا لا نعرفُ أحداً يتقدَّمُ الحسنَ البصريَّ فيها . وهؤلاء وإن لم يُسمَّوا خطباءً فإنَّ الخطيبَ لم يكن يشقُّ غبارَهُم .

٥ أبو الحسن قال : حدَّثني أبو سليمان الحميريُّ قال : كان هشام بن عبد الملك يقول : إنَّي لأستصِفُّ العمامةَ الرقيقةَ تكونُ على أذني إذا كان عندي عبد الأعلى بن عبد الله^(٣) ؛ مخافةً أن يسقطَ عني من حديثه شيءٌ .

ومن الخطباء من بنى عبد الله بن غطفان : أبو البلاد^(٤) ، كان روايةً ناسباً . ومنهم : هاشم بن عبد الأعلى الفزاريُّ . ومن الخطباء : حفص بن معاوية الغلابيُّ^(٥) وكان خطيباً ، وهو الذي قال حين أشركَ سليمان بن عليٍّ بينه وبين مولى له على دار القَتَبِ : « أشركتَ بيني وبين غير الكفَى ، وولَّيتني غير السنَى » .

ومن بنى هلال بن عامر : زُرْعَةُ بن ضَمْرَةَ ، وهو الذي قيل فيه : « لولا غلوُّ فيه ما كان كلامه إلَّا الذَّهَبُ » . وقام عند معاوية بالشَّام خطيباً فقال معاوية : يا أهل الشام هذا خالي فاثبتوني بِخالٍ مثله . وكان ابْنُهُ التُّعْمَانُ بن زُرْعَةَ ابنِ ضَمْرَةَ ، من أخطب الناس ، وهو أحدُ مَنْ كان تخلَّصَ من الحجاج من قُلِّ

(١) ترجم في ص ٢٠٤ .

(٢) إنما قيل له السامي لأنه كان مولى لامرأة من بنى سامة بن لؤي ، كما سبق في ترجمته ص ١٢٠ .

(٣) انظر ما سبق في ص ٣٤٤ س ٥ - ٧ .

(٤) في المعارف ٢٣٥ : « أبو البلاد الكوفي ، كان من أروى أهل الكوفة وأعلمهم . وكان أعشى جيد اللسان ، وهو مولى لعبد الله بن غطفان ، وكان في زمن جرير والفرزدق » . وأبو البلاد هذا غير أبي البلاد الطهوي ، أحد شعراء بني طهية ، وهو المعروف أيضاً بأبي الغول الطهوي ، انظر المؤلف ١٦٣ وشرح التبريزي للحماسة (١ : ١٤) .

(٥) الغلابي : نسبة إلى أهل بيت بالبصرة يعرفون ببني غلاب ، وغلاب على وزن فعال مثل حذام ، من بنى نصر بن معاوية . الاشتقاق ١٧٨ .

ابن الأشعث^(١) بالكلام اللطيف .

وقال سحيم بن حفص^(٢) : ومن الخطباء عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى : تكلم هو وعبد الله بن الأهم ، عند عمر بن هبيرة وعبد الله بن هبيرة ، ففضل عاصماً عليه . قال سحيم : فقال قائل يومئذ : الخُلُ حَامِضٌ ما لم يكن ماء .

ومن خطباء بنى تميم : عمرو بن الأهم^(٣) ، كان يُدعى « المُكْحَل » .
لجماله ؛ وهو الذى قيل فيه : إثمًا شعره حُلُلٌ مُنْشَرَّةٌ بين أيدي الملوك ، تأخذ منه ما شاءت . ولم يكن فى بادية العرب فى زمانه أخطبُ منه .

ومن بنى منقر : عبد الله بن الأهم ، وكان خطيباً ذا مقاماتٍ ووفادات .
ومن الخطباء : صفوان بن عبد الله بن الأهم ، وكان خطيباً رئيساً ، وابنه خالد ابن صفوان ، وقد وفدَ إلى هشام ، وكان من سُمَارِ أُمَيِّى العَبَّاسِ .

ومنهم : عبد الله بن عبد الله بن الأهم ، وقد وَلَّى خُرَاسَانَ ووفد على الخلفاء ، وخطب عند الملوك . ومن ولده شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عبد الله بن الأهم ، وعبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن خاقان ، و خاقان بن الأهم هو عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الأهم .

ومن خطبائهم : محمدُ الأحول بن خاقان ، وكان خطيبَ بنى تميم ، وقد رأيتُه وسمعت كلامه .

ومن خطبائهم : مَعْمَرُ بن خاقان ، وقد وفدَ .

ومن خطبائهم : مؤمِّل بن خاقان . وقال أبو الزُّبَيْرِ الثَّقَفَى : ما رأيتُ خطيباً من خطباء الأمصار أشبَهَ بخطباء البادية ، من المؤمِّل بن خاقان .

(١) انظر ما سبق فى ص ٣٢٩ س ٢ .

(٢) ترجم فى ص ٤٠ .

(٣) سبقت ترجمته فى ١٠ ، ٥٣ .

ومن خطبائهم : خاقان بن المؤمل بن خاقان . وكان صَبَاحَ بن خاقان^(١) ، ذا عِلْمٍ وبيانٍ ومعرفة ، وشدة عارضة ، وكثرة رواية ، مع سخاء واحتمالٍ وصبرٍ على الحق ، ونصرة للصديق ، وقِيَامٌ بحق الجار .

ومن بنى منقر : الحكم بن التضر ، وهو أبو العلاء المنقرى ؛ وكان يصرف لسانه حيث شاء ، بجهرارة واقتدار .

ومن خطباء بنى صريم بن الحارث : الخزرج بن الصدي .

ومن خطباء بنى تميم ثم من مُقَاعِس : عُمارة بن ألى سليمان . ومن ولد مالك بن سعد^(٢) : عبد الله وجير^(٣) ابنا حبيب^(٤) ، كانا ناسبين عالمين أديبين دينين . ومن ولد مالك بن سعد^(٥) : عبد الله والعباس ابنا رؤية ، وكان العباس علامةً عالماً ، ناسباً راوية ، وكان عبد الله أرجز الناس وأفصحهم ، وكان يكنى أبا الشعثاء ، وهو العجاج^(٦) .

ومن أصحاب الأخبار والنسب : أبو بكر الصديق ، رَحْمَةُ اللَّهِ عليه ، ثم جبير بن مطيع ، ثم سعيد بن المسيب ، ثم قتادة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة المسعودي^(٧)

(١) في القاموس (صبح) : « وكسحاب ابن الهذيل أخو زفر الفقيه ، وابن خاقان ، كريم » .

(٢) هو مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وفي ب : « سعيد » تحريف .

(٣) فيما عدال ، ه : « بن عبد الله » وكذلك « خير » . وقد صححت في ح وجعلت « جبر » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من التيمورية .

(٥) فيما عدال ، ه : « بن سعيد » تحريف .

(٦) العجاج هذا والد رؤية بن العجاج ، كلاهما راجز مجيد عارف باللغة وحشيها وغيرها . وكان رؤية

أكثر شعراً من أبيه العجاج بن رؤية وأفصح منه . خزائن الأدب (١ : ٤٣) والمؤتلف ، والشعر والشعراء .

(٧) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أبو عبد الله الهذلي المدني ، أحد الفقهاء

السبعة بالمدينة ، روى عن أبيه ، وأرسل عن عم أبيه عبد الله بن مسعود وجماعة من الصحابة ، وعنه :

أخوه عون الزهري وأبو الزناد وغيرهم . وهو معلم عمر بن عبد العزيز . وكان عالماً ناسكاً ، وأضر رحمه الله

بأخرة . توفي سنة ٩٨ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٥٧) ونكت المهيان ١٩٧ - ١٩٨

والأغاني (٨ : ٩٤ - ٩٥) .

الذى قال فى كلمة له فى عمر بن عبد العزيز ، وعبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان ^(١) :

مُسَا ثَرَابُ الْأَرْضِ مِنْهُ خَلَقْتُمَا وفيه المعادُ والمصيرُ إلى الحشرِ ^(٢)
ولا تأنفا أن ترجعا فُتسلّما فما حُشِيَ الإنسانُ شرّاً من الكِبَرِ
فلو شئتُ أدلّى فيكما غيرُ واحدٍ علانيةً أو قال عندى فى سِرِّ
فإن أنا لم آمرُ ولم أنه عنكما ضحكْتُ له حتّى يَلَجَّ وَيَسْتَشْرِى ^(٣)
وهو الذى قيل له كيف تقول الشعر مع التُّسك والفقه ؟ فقال : « إنَّ
المصدرَ لا يملك أن ينفثَ » ^(٤) .

وقد ذكر المصدر أبو زُبَيْد الطائى فى صفة الأسد فقال :

لِلصِّدْرِ مِنْهُ عَوِيلٌ فِيهِ حَشْرَجَةٌ كأنما هو من أحشاء مصدرٍ
ومن خطباء هذيل : أبو المليح الهذلى أسامة بن عمير ^(٥) ، ومنهم : أبو بكر
الهذلى ^(٦) ، كان خطيباً قاصداً ، وعالماً بيناً ، وعالماً بالأخبار والآثار . وهو
الذى لما فآخر أهل الكوفة قال : « لنا السَّاج والعاج ، والدِّياج والخرَّاج ،
والنهر العجَّاج » ^(٧) .

(١) انظر القصة فى أمالى ثعلب ١٧ والمرضى (٢٠ : ٦٠) وجمع الجواهر للحصرى ص ٣
والخير لابن حبيب ٢٩٧ .

(٢) كذا بالحرم فى أوله فى ل . وفيما عداها « فَمُسَا » . وانظر الحيوان (١ : ١٤ : ١٥) .

(٣) ذكر فى الأغانى (١٣ : ١٠) أن العتبى سرق هذا المعنى فى قوله :

ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

(٤) ويروى : « لا بد للمصدر أن ينفث » . نكت الهميان .

(٥) ذكره فى التهذيب (١٢ : ٢٤٦) فى باب الكنى وقال : اسمه عامر أو زيد بن أسامة .

(٦) ذكره الجاحظ فيما سأتى ص ٣٦٨ . وقال : « وهو عبد الله بن سلمى » وذكره فى

التهذيب (١٢ : ٤٥) فى باب الكنى ، وأن اسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى ، أو روح . روى عن

الحسن وابن سيرين وأبى المليح الهذلى وغيرهم ، وعنه ابن جرير وابن عياش . وكان من العلماء بأيام الناس .
توفى سنة ١٦٧ .

(٧) انظر (٢ : ٩٤) .

باب

من أسماء الكهّان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان

قالوا : أَكْهَنُ العرب وأسجعهم سلمة بن أبي حَيَّة ، وهو الذى يقال له عَزَى سَلَمَة ^(١) . ومنهم من خطباء عُمان : مُرَّة بن فَهْم التَّلِيد ، وهو الخطيب الذى أوفده المهلب إلى الحجاج .

ومن العتيك : بِشْر ^(٢) بن المغيرة بن أبي صُفْرة ، وهو الذى قال لبنى المهلب : « يابنى عمى ، إني والله قد قصرت عن شكاة العاتب ، وجاوزت شكاة المستعتب ، حتّى كائى لست موصولا ولا محروما ، فعُدّونى أمراً خفتم لسانه ، أو رجوتم شكره . وإني وإن قلت هذا فلما أبلانى الله بكم أعظم مما أبلاكم بى » .

ومن خطباء اليمن ثم من جَمِير : الصَّبَّاح بن شَفَى الحميرى ، كان أخطب العرب . ومنهم ثم من الأنصار : قيس بن شماس ^(٣) . ومنهم : ثابت ابن قيس بن شماس خطيبُ النّبي ﷺ . ومنهم : رُوح بن زِنْبَاع ^(٤) ، وهو الذى لما همَّ به معاوية قال : « لا تُشْمِتَنَّ بى عَدُوًّا أنت وقمته ^(٥) ، ولا تسوءَنَّ فى ^(٦) صديقاً أنت سررتَه ، ولا تهْدِمَنَّ مِنّى ركناً أنت بنيتَه . هَلَّا أتى حلمك وإحسانك على جهلى وإساءتى » .

(١) كذا ورد بضبطه فى ل . وفى هـ بفتح اللام . وفى ب والتيمورية : « غرى سلمة » .

(٢) فى ل : « بسر » بضم الباء بعدها سين مهملة .

(٣) فيما عدا ل : « الشمساس » .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٣٤٦ وكلمته فى أمالى الزجاجى بتحقيقنا ص ٧ .

(٥) الوقم : الإذلال والقهر والرد أقبح الرد .

(٦) هـ : « بى » .

ومن خطبائهم: الأسود بن كعب ، الكذاب العنسي^(١) . وكان
طليحة^(٢) خطيباً وشاعراً، وسجّاعاً كاهناً ناسباً . وكان مُسيلمة الكذاب^(٣)
بعيداً من ذلك كله .

وثابت بن قيس بن شماس هو الذي قال لعامر^(٤) ، حين قال : أما والله
لئن تعرّضت لعنّي^(٥) وفنّي ، وذكاء سنيّ^(٦) ، لتولّين عنيّ ، فقال له ثابت :
« أما والله لئن تعرّضت لسبائي ، وشبّا أنيائي^(٧) وسرعة جوائي ، لتكرهنّ »

- (١) هو الأسود بن كعب بن غوث ، من بني عنس بن مالك . تنبأ باليمن . الاشتقاق ٢٤٨ . وذكر
المسعودي في التنبيه والإشراف ٢٤٠ أن الأسود لقب له ، واسمه عebile بن كعب بن الحارث بن عمرو بن
عبد الله بن سعد بن عنس بن مذحج ، وأنه كان يدعى « ذا الحمار » لحمار كان معه قد راضه وعلمه ، يقول له
اجث ، فيجثو . قتله قيس بن مكشوح المرادي سنة ١١ من الهجرة . وانظر الطبري (٣ : ٢١٣ - ٢٢٠) . ١٠
- (٢) هو طليحة بن خويلد الأسدي ، تنبأ في خلافة أبي بكر في بني أسد بن خزيمه . وعاضده عيينة
بن حصن الفزاري ، فوجه أبو بكر إليه خالد بن الوليد ، فهزمه وفض جموعه وأسر عيينة . وذلك في سنة ١١
من الهجرة . وقد أسلم طليحة بعد ذلك ، واستشهد بنهاوند سنة ٢١ . الإصابة ٤٢٨٣ والتنبيه والإشراف .
- (٣) هو أبو نمامة مسيلمه بن حبيب الحنفي ، من أهل اليمامة ، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع
أسجاعاً ، عارض فيها القرآن برعمه . منها قوله : « والشمس وضحاها ، في ضوئها ومجلاها ، والليل إذا
عداها ، يطلبها ليغشاها ، فأدركها حتى أتاها ، وأطفأ نورها ومحاها » . وقوله : « يا ضفدع نقى نقى كم تنقي ،
لا الماء تكدرين ، ولا الشرب تمنعين » . وكان قد قوى أمره في اليمامة وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو
بكر إليه خالد بن الوليد في جيش لمقارعته ، فكان له النصر على بني حنيفة في يوم اليمامة . وقتل مسيلمه وكثير
من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل . انظر المعارف ١٧٨ والطبري (٣ : ٢٤٣ - ٢٥١)
والتنبيه والإشراف ٢٤٧ والسيرة ٩٤٦ . ٢٠

(٤) هو عامر بن عبد قيس ، المترجم في ٨٣ ، الذي قال : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في
القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » . وانظر ٢٣٧ س ١ ، ٣٢٧ س ١٠ ، ٣٦٣ س ٣ .

(٥) هـ : « للعتي » . تحريف .

(٦) ذكاء السن : تمامه باتناء الشباب ، ومنه قول الحجاج : « فررت عن ذكاء » .

(٧) شبّا الأنيا ب : حدها .

- جَنَانِي « قال : فقال النبي ﷺ : يكفيك الله وأبنا قيلة (١) » .
- لَعَنِي : أى لما يعرُّنى لى ويعرِّض . فَنَى : مذهبى فى الفن (٢) .
- وَأَخَذْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَجُلٍ يَضَعُ الْأَخْبَارَ فَأَنَا أَتُهُمُ (٣) .
- وَمِنْ خُطَبَاءِ الْأَنْصَارِ : بشر بن عمرو بن مَحْصَنٍ ، وهو أَبُو عَمْرٍة الخطيب .
- وَمِنْ خُطَبَاءِ الْأَنْصَارِ : سعد بن الربيع (٤) ، وهو الذى اعترضت
- ابنته (٥) النبي ﷺ ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : ابنة الخطيب النَّقِيبِ
- الشهيد : سعد بن الربيع . ومنهم خالُ حَسَّان بن ثابت ، وفيه يقول حَسَّان :
- إِنْ خَالِي خُطِيبُ جَابِيَةِ الْجَوْ لِأَنَّ عِنْدَ التُّعْمَانِ حِينَ يَقُومُ (٦)
- وإياه يعنى حَسَّانُ بقوله :
- رُبَّ خَالٍ لِيْ لَوْ أَبْصَرْتَهُ سَبَطَ الْمِشْيَةَ فِي الْيَوْمِ الْخَصِيرِ (٧)
- وَمِنْهُمْ مِنَ الرِّوَاةِ وَالنَّسَائِينَ وَالْعُلَمَاءِ : شَرْقُ بْنُ الْقَطَامِيِّ (٨) الْكَلْبِيُّ ، وَمُحَمَّدُ

(١) فى هامش التيمورية : « ابنا قيلة هما الأوس والخزرج ، وهم الأنصار ، وكانوا أشجع الناس . قال عبد الله بن عباس : ماسلت السيوف ولا زحفت الزحوف ولا أقيمت الصفوف حتى أسلم ابنا قيلة » . وفى اللسان : « اسم أم لهم قديمة ، وهى قيلة بنت كاهل » .

(٢) هذا التفسير ساقط من هـ .

(٣) فى هامش التيمورية : « يشير إلى أن الراوى لهذا الحديث غير موثوق به لا سيما فى عطف ابنا قيلة على لفظه الجلالة ما لا يخفى » . هـ : « من رجل يصنع الكلام » .

(٤) هو سعد بن الربيع بن عمرو الأنصارى الخزرجى ، أخى الرسول بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ، واستشهد يوم أحد . الإصابة ٣١٤٧ .

(٥) هى أم سعد بنت سعد . انظر الإصابة ١٢٨٧ قسم النساء .

(٦) جابية الجولان ، من أعمال دمشق .

(٧) رواية الديوان ٢٠٤ : « سبط الكفين » . وقيله :

سألت حسان من أخواله إنما يسأل بالشئ الغمر

قلت : أخوالى بنو كعب إذا أسلم الأبطال عورات الدبر

(٨) الشرق لقب له ، واسمه الوليد بن الحصين ، كان وافر الأدب ، أقدمه المنصور بغداد ، وضم

إليه المهدي ليأخذ من أدبه . تاريخ بغداد ٤٨٣٨ وابن النديم ١٣٢ ولسان الميزان (٣ : ١٤٢ - ١٤٣) .

والقطامي لقب أبيه ، واسمه الحصين بن حمال ، يقال بفتح القاف وضمها ، مأخوذ من القطامي بفتح

القاف وضمها ، وهو الصقر . والقطامي شاعر ذكره صاحب المؤتلف ١٦٦ - ١٦٧ . وهو غير

القطامي التغلبي ، الشاعر المشهور ، واسمه عمير بن شميم .

ابن السائب الكلبي^(١) ، وعبد الله عيَّاش الهمداني^(٢) ، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي^(٣) . والهيثم بن عدى الطائي^(٤) ، وأبو روق الهمداني واسمه عطية بن الحارث^(٥) ؛ وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي^(٦) ، ومحمد بن عُمَرَ الأسلمي الواقدي^(٧) ، وعَوَّانَةُ الكلبي^(٨) ، وابن أبي عُيينة المَهَلَبِيَّ^(٩) ، والخليل بن أحمد الفراهيدي^(١٠) ، وخلف بن حَيَّان الأحمر الأشعري^(١١) .
قالوا : وَمَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ عُيَيْدٌ بِن شَرِيَّةٍ^(١٢) ، وَمَنَا شِقُّ بِن الصَّعْب ، وَمَنَا رَبِيعٌ بِن رِبِيعَةَ السُّطَيْحُ الذُّبْيِي^(١٣) .

- (١) ترجم في ٢٤٢ .
(٢) ترجم في ٢٦٠ .
(٣) ذكره ابن النديم في الفهرست وساق ثبت مصنفاته الكثيرة في ١٤٠ - ١٤٣ وهو صاحب الجمهرة في النسب ، وذكر ابن خلكان أنه توفي سنة ٢٠٤ . وانظر تاريخ بغداد ٧٣٨٦ .
(٤) ترجم في ص ٦ .
(٥) أبو روق عطية بن الحارث الهمداني الكوفي ، روى عن أنس وعكرمة والشعبي ، وروى عنه الثوري وعمارة . تهذيب التهذيب .
(٦) أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي ، شيخ من أصحاب الأخبار بالكوفة . روى عن الصقعق بن زهير ، وجابر الجعفي ، ومجالد . وروى عنه المدائني وعبد الرحمن بن مغراء ، ومات قبل السبعين ومائة . انتهى المقال ٢٤٨ ولسان الميزان (٤ : ٢٩٢) وابن النديم ١٣٦ .
(٧) ترجم في ٣٧ . ل : محمد بن عمرو ، تحريف . انظر أيضاً تهذيب التهذيب (٩ : ٣٦٣) .
(٨) ترجم في ٣١٦ .
(٩) ترجم في ٥٠ .
(١٠) الفراهيدي : نسبة إلى فروهذ ، بالضم ، وهم حي من يحمّد ، وهم بطن من الأزد .
(١١) ترجم في ١٢٩ .
(١٢) عبيد ، هيئة التصغير ، كما ضبط في ل ، هـ ، وكما يفهم من سياق ابن حجر في الإصابة ٦٣٩١ . وشربة قال ابن حجر : « بمعجمة وزن عطية » . وضبط في هـ بفتح الشين وسكون الراء . وقال ياقوت في إرشاد الأريب (١٢ : ٧٢) : « عبيد بن سريّة ، ويقال ابن سارية ، ويقال ابن شربة » . وهو أحد معمرى العرب ، أدرك الإسلام فأسلم وقدم على معاوية وجرى بينهما حديث طويل طريف ، أورده ياقوت والسيجستاني في المعمرين ٣٩ . وهو أول من نسب إليه كتاب في التاريخ من المسلمين . الفهرست ١٣٢ .
(١٣) سبقت ترجمة شق وسطيح في ص ٢٩٠ .

ومنا المأمور الحارثي^(١) ، والدَّيَّانُ بن عبد المدان ، الشَّريَّفان الكاهنان .
 ومنهم : عمرو بن حنظلة بن نهيد الحَكَم ، وله يقول القائل :
 عمرو بن حنظلة بن نهْد مِنْ خَيْرِ نَاسٍ فِي مَعَدِّ
 ومنهم : أبو السَّطَّاح اللُّخُمي^(٢) ، وجمع معاوية بينه وبين دَغَل بن
 حنظلة البكري . ومنهم أبو الكُبَّاس الكندي^(٣) ومنهم أَظْفَر بن مِخْوَس
 الكندي^(٤) . وكانا ناسبين عالمين .
 ومن أصحاب الأخبار والآثار: عبد الله بن عقبة بن لهيعة^(٥) ويكنى أبا
 عبد الرحمن .

ومن القدماء في الحكمة والرياسة والخطابة عُبيد بن شَرِيَّة الجرهمي ، وأسْقُف
 نجران ، وأكيدر صاحب دُومة الجندل ، وأُفَيْعَى نجران ، وذَرِب بن حَوَظ ، وعَلِيم
 ابن جناب^(٦) وعمرو بن ربيعة - وهو لُحَي^(٧) - بن حارثة بن عمرو مُزَيَّيَاء .
 وجذيمة بن مالك الأبرش^(٨) ، وهو أول من أسرج الشَّمَع ورَمَى بالمنجنيق .

- (١) المأمور الحارثي ، اختلف في اسمه ، فقليل هو الحارث بن معاوية ، قال ابن دريد في الاشتقاق
 ٢٦٩ : « وكان من فرسان مذحج ، وكانت في أمره تتقدم وتتأخر » . وقيل هو معاوية بن الحارث .
 ١٥ الأُمالي (٣ : ١٤٩) . وقيل هو المأمور بن تبراء . معجم المرزبانى ٤٧٢ . أو هو المأمور بن زيد . القالى
 (٣ : ١٤٩) . ونسبته إلى بنى الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج ، كما في
 النقاظ ٦٠٠ . وله خبر في يوم الكلاب الثانى . الأغانى (١٥ : ٧٠) والنقاظ ١٤٩ .
 (٢) فيما عدال ، هـ : « أبو الشطاح » بالشين المعجمة . وانظر الحيوان (١ : ٣٦٥ و ٣ : ٢٠٩) .
 (٣) فيما عدال : « الكناس » .
 (٤) هذا ما في ل . وفي هـ : « ومنهم ابن مخوس الكندي » . وفي سائر النسخ : « ابن مخوس » .
 ٢٠ (٥) كذا في ل ، هـ ، وفيما عداها : « عبد الله بن عتبة بن لهيعة » . وكلاهما خطأ ، وصواب
 اسمه « عبد الله بن لهيعة بن عقبة » . وابن لهيعة محدث جليل ، وقاض فقيه ، روى عن الأعرج وعطاء
 وابن المنكدر وغيرهم ، وروى عنه الثورى وشعبة والأوزاعى . تهذيب التهذيب .
 (٦) هو عليم ؛ بجيمّة التصغير ، ابن جناب بن هبل ، الاشتقاق ٣١٦ .
 ٢٥ (٧) لحي هو لقب ربيعة ، كما في الاشتقاق ٢٧٦ . وقال : « ومن بنى عمرو بن لحي تفرقت
 خزاعة » . وفي العرب « عمرو بن لحي » آخر ، هو عمرو بن لحي بن قمعة بن الياس بن مضر . انظر
 السيوق ٥٠ - ٥١ . وفي هذا الأخير ورد حديث : « رأيت عمرو بن لحي يمر قصبه في النار » .
 (٨) هو جذيمة بن مالك بن فهم بن عمرو بن درس بن الأزد ، ملك الحيرة . والأبرش لقب
 جذيمة . ويقال له أيضا « الوضاح » . العملة (٢ : ١٧٨) .

باب

ذكر الثسك والزهاد من أهل البیان

- عبد قيس (١) ، وصيلة بن أشيم (٢) ، وعثمان بن أدهم ،
 والأسود بن كلثوم (٤) ، والربيع بن خثيم (٥) ، وعمر
 وهريم بن حيان (٧) ، ومورق العجلي ، وبكر بن عبد الله
 عبد الله بن الشخير الحرشي (٨) .

(١)

- (٢) هبة صلة بن أشيم العلوي الناسك ، زوج معاذة العلوية الناسكة ، لقي جماعة
 من الصحابة ، وأسند عن ابن عباس وغيره ، وقتل شهيداً في غزاة ، في أول إمرة الحجاج على العراق سنة
 ٧٥ . واجتمعت النساء عند معاذة للتعزية فقالت : مرحباً ، إن كنتن جثتن لتبتهتن فمرحبا بكن ، وإن
 ١٠ كنتن جثتن لغير ذلك فارجمن . صفة الصفوة (٣ : ١٣٩) والإصابة ٤١٢٧ .

- (٣) صفوان بن محرز بن زياد المازني ، أسند عن ابن عمر ، وأبي موسى ، وابن مسعود . وعنه عاصم وقتادة
 وغيرهم . توفي بالبصرة سنة ٧٤ في ولاية بشر بن مروان . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٤٩) .
 (٤) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣ : ٢١٢) في الطبقة الثالثة من أهل البصرة .
 (٥) هو الربيع بن خثيم ، بتقديم الثاء على الياء ، ابن عائذ بن عبد التوري الكوفي ثقة عابد من
 كبار التابعين . قال له ابن مسعود : « لو رأيك رسول الله ﷺ لأحبك » . توفي سنة إحدى وقيل ثلاث
 وستين . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٣١) وابن النديم ٢٦٠ .

- (٦) فيما عدل : « عمر » تحريف . وهو عمرو بن عتبة بن فرقد السلمى الكوفي . روى عن ابن مسعود
 وسبعة الأسلمية كتابة . قتل في تستر في خلافة عثمان . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٣٧) .
 (٧) هرم بن حيان العبدى ، أحد عمال عمر ، وبه عثمان بن أبى العاص إلى قلعة بحرة فاقتحمها
 ٢٠ عنوة سنة ٢٦ . الإصابة ٤٩٤٧ وصفة الصفوة (٣ : ١٣٧) .

- (٨) ترجم مورق في ص ٣٥٣ ، وبكر في ص ١٠٠ ، ومطرف في ص ١٠٣ .

وبعد هؤلاء : مالك بن دينار ^(١) ، وحبيب أبو محمد ^(٢) ، ويزيد
الرقاشي ، وصالح المرمي ^(٣) ، وأبو حازم الأعرج ^(٤) ، وزيد مولى عياش بن أبي
ربيعة ^(٥) ، وعبد الواحد بن زيد ^(٦) ، وحيان أبو الأسود ، وذهثم أبو العلاء .
ومن النساء : رابعة القيسية ^(٧) ، ومعاذة العلوية ^(٨) امرأة صيلة بن أشيم ،

(١) ترجم في ١٢٠ .

(٢) هو أبو محمد حبيب بن محمد العجمي ، أو الفارسي ، البصري ، أحد الزهاد المشهورين ،
روى عن الحسن وابن سيرين ويكر بن عبد الله ، وعنه سليمان التيمي وحماد بن سلمة . قال المعتمر عن
أبيه سليمان : « ما رأيت أحدا قط أزهد من مالك بن دينار ، ولا رأيت أحدا قط أخشع من محمد بن واسع ،
ولا رأيت أحدا قط أصدق يقينا من حبيب أبي محمد » . تهذيب التهذيب وصفه الصفوة (٣ : ٢٣٦) .
وقد ذكر خطأ في الفهرست ٢٦٠ باسم « محمد بن حبيب الفارسي » . ١٠

(٣) ترجم يزيد بن أبان الرقاشي في ٢٠٤ ، وصالح بن بشير المرمي في ١١٣ .

(٤) هو أبو حازم سلمة بن دينار ، الأعرج الأقرع الحمار المدني القاص ، مولى الأسود بن سفيان
الخزومي ، وكان ثقة كثير الحديث . توفي بعد سنة ١٤٠ في خلافة المنصور . تهذيب التهذيب وصفه
الصفوة (٢ : ٨٨) .

(٥) الصواب أنه مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة القرشي . وزيد ، هو زيد بن أبي زيد
ميسرة ، وكان عبدا ، وكان عمر بن عبد العزيز يستزيه ويكرمه ، وبعث إلى مولاه ليبيعه إياه فأبى وأعتقه .
توفي سنة ١٣٥ . صفه الصفوة (٢ : ٥٩) وتهذيب التهذيب . ١٥

(٦) كان عبد الواحد بن زيد من الزهاد البكائين ، وكان يحضر مجالس مالك بن دينار ، قال ابن
الجوزي : أسند عن الحسن البصري وأسلم الكوفي . صفه الصفوة (٣ : ٢٤٠) . وفي لسان الميزان (٤ :
٨٠) أنه كان متهما في حفظه كثير الوهم . وقد ذكره ابن النديم في الفهرست ٢٦٠ في جماعة العباد والزهاد . ٢٠

(٧) هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العلوية القيسية البصرية ، وهي تعد أشهر الزاهدات
المتعبدات ؛ كانت تقول إذا وثبت من مرقدها : « يانفس كم تنامين ، وإلى كم تنامين . يوشك أن تنامي
نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور » . انظر لسائر أقوالها صفه الصفوة (٤ : ١٧) . وذكر ابن
خلكان أن وفاتها كانت في سنة ١٣٥ ، وقبرها بظاهر القدس ، على رأس جبل يسمى جبل الطور .

(٨) هي أم الصهباء معاذة بنت عبد الله العلوية البصرية ، زوج صيلة بن أشيم المترجم في
٣٦٣ . روت عن عائشة وعلى ، وعنهما قتادة والحسن وأيوب وعاصم الأحول وغيرهم . يقال إنها لم تتوسد
فراشا بعد أبي الصهباء حتى ماتت . وكانت تقول : « عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظلم
القبور » . تهذيب التهذيب (٢ : ٤٥٢) وصفه الصفوة (٤ : ١٣) . ٢٥

وَأُمُّ الدَّرَاءِ (١) .

ومن نساء الخوارج : البُلْجَاءُ (٢) ، وَغَزَالَةُ (٣) ، وَقَطَامٌ ، وَحَمَّادَةُ (٤) ، وَكُحَيْلَةُ .

ومن نساء الغالية : لَيْلَى النَّاعِظِيَّةُ (٥) : وَالصَّدُوفُ ، وَهِنْدُ .

وَمَنْ كَانَ مِنَ التُّسَاكِ مَنْ أَدْرَكَنَاهُ : أَبُو الْوَلِيدِ ، وَهُوَ الْحَكَمُ الْكِنْدِيُّ ،

وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَمْرَاوِيُّ (٦) .

وَمِنَ الْقَدَمَاءِ مَنْ كَانَ يُذَكَّرُ بِالْقَدْرِ وَالرِّيَاسَةِ ، وَالْبَيَانِ وَالْخُطَابَةِ ،

وَالْحِكْمَةِ وَالذَّهَاءِ وَالتَّكْرَاءِ : لَقْمَانُ بْنُ عَادٍ ، وَلَقِيمُ بْنُ لَقْمَانَ ، وَمُجَاشِعُ بْنُ

دَارِمٍ ، وَسَلِيطُ (٧) بْنُ كَعْبٍ بْنِ يَرْبُوعٍ ، سَمَّوهُ بِذَلِكَ لِسُلْطَانَةِ لِسَانِهِ . وَقَالَ جَرِيرُ :

* إِنَّ سَلِيطًا كَاسَمِهِ سَلِيطُ *

١٠ وَلَوْثَى بْنُ غَالِبٍ ، وَقُسَّ بْنُ سَاعِدَةَ ، وَقُصَيِّ بْنُ كَلَابٍ .

وَمِنَ الْخُطَبَاءِ الْبُلْغَاءِ وَالْحُكَّامِ الرُّؤَسَاءِ : أَكْثَمُ بْنُ صَيْفَى ، وَرَبِيعَةُ بْنُ

حُذَارٍ ، وَهَرَمُ بْنُ قُطَيْبَةَ ، وَعَامِرُ بْنُ الظَّرِبِ ، وَلَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَكَانَ مِنَ الشُّعْرَاءِ .

(١) أُمُّ الدَّرَاءِ ، هِيَ زَوْجُ أُمِّي الدَّرَاءِ الصَّحَابِيِّ ، وَاخْتَلَفَ عُلَمَاءُ التَّرَاجِمِ فِي أُمِّ الدَّرَاءِ ،

فَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهُمَا شَخْصَيْنِ : أُمُّ الدَّرَاءِ الْكُبْرَى ، وَأُمُّ الدَّرَاءِ الصَّغْرَى ، وَكِلَاهُمَا زَوْجٌ لِأُمِّي الدَّرَاءِ .

١٥ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : هُمَا وَاحِدَةٌ . وَيَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافًا . انْظُرِ الْإِصَابَةَ ٣٨٤ مِنْ قِسْمِ النِّسَاءِ وَتَهْذِيبِ

التَّهْذِيبِ (١٢ : ٤٦٥) وَصِفَةُ الصَّفْوَةِ (٤ : ٢٦٦) حَيْثُ يَرْجِعُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَنَّ الْعَابِدَةَ هِيَ

الصَّغْرَى ، وَاسْمُهَا هَجِيمَةُ بِنْتُ حَيْيٍ ، وَاسْمُ الْكُبْرَى خَيْرَةُ بِنْتُ أُمِّي حُدْرَدٍ .

(٢) لَعَلُّهَا « الشُّجَاءُ » . انْظُرِ الْحَيَوَانَ (٥ : ٥٨٨ - ٥٨٩) .

(٣) هِيَ غَزَالَةُ الشَّيْبَانِيَّةِ ، زَوْجُ شَيْبِ بْنِ يَزِيدٍ الْخَارِجِيِّ الشَّيْبَانِيِّ ، وَكَانَتْ مِنَ الشُّجَاعَةِ

وَالْفُرْسَةِ بِالْمَوْضِعِ الْعَظِيمِ . وَكَانَ الْحِجَاجُ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ قَدْ هَرَبَ مِنْهَا ، فَعَبِوهُ أَسَامَةُ بْنُ سَفْيَانَ الْبَجَلِيُّ بِقَوْلِهِ :

٢٠ أَسَدٌ عَلَى وَفَى الْحُرُوبِ نَعَامَةً رِبْدَاءُ تَنْفَرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ

هَلَا بَرَزَتْ إِلَى غَزَالَةٍ فِي الضُّحَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ

تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَةُ يَزِيدٍ فِي ص ١٢٨ . وَفِي الْحَيَوَانَ (٥ : ٥٩٠) أَنَّ خَالِدَ بْنَ عَتَابٍ قَتَلَهَا .

(٤) هِيَ حَمَادَةُ الصَّغْرَى ، ذَكَرَهَا الْجَاخِظُ فِي الْحَيَوَانَ (٥ : ٢٩٠) .

(٥) تَرْجُمَتْ فِي ص ٣٠ . فِي الْأَصُولِ : « النَّاعِظِيَّةُ » ، بِالطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ، تَحْرِيفٌ .

٢٥ (٦) فِيمَا عَدَلَ : « الْحَمْرَاوِيُّ » . (٧) فِي الدِّيَوَانِ ٣٣٢ : وَقَالَ لَبْنِيُّ سَلِيطُ :

إِنْ سَلِيطًا كَاسَمَهَا سَلِيطُ لَوْلَا بَنُو عَمْرُو وَعَمْرُو عَيْطُ

قَلْتُ دِيَاْفِيُونَ أَوْ نَبِيطُ

وأسماء الصوفية من النسك من كان يجيد الكلام

٢١٤

كِلَابٌ^(١) ، وَكَلِيبٌ ، وَهَاشِمُ الْأَوْقَصِ ، وَأَبُو هَاشِمٍ الصَّوْفِيُّ^(٢) ،
وصالح بن عبد الجليل .

ومن القدماء العلماء بالنسب وبالعرب^(٣) : الْخَطَفِيُّ وهو^(٤) جَدُّ
جَرِيرِ بْنِ عَطِيَّةِ بْنِ الْخَطَفِيِّ ، وهو حُذَيْفَةُ بْنُ بَدْرِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ
كَلِيبِ بْنِ يَرْبُوعَ . وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْخَطَفِيُّ لِأَيَاتِ قَالَهَا ، وَهِيَ :

يَرْفَعَنَّ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أَسْدَفَا أَعْنَاقَ جَنَّانٍ وَهَامَأَ رُجْفَا
وَعَنْقًا بَاقِيَ الرَّسِيمِ خَيْطَفَا

الْعَنْقُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ ، وَهُوَ الْمُسَبْطَرُ ؛ فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنِ الْعَنْقِ قَلِيلًا
فَهُوَ التَّرْتِيدُ ، فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنْ ذَاكَ فَهُوَ الذَّمِيلُ . وَالرَّسِيمُ فَوْقَ الذَّمِيلِ .
وَالْخَيْطَفُ : السَّرِيعُ ، أَيْ يَخْطِفُ كَمَا يَخْطِفُ الْبَرْقُ . وَخَيْطَفٌ مِنَ الْخَطَفِ ،
وَالْيَاءُ فِي خَيْطَفٍ زَائِدَةٌ ، كَمَا قَالُوا رَجُلٌ صَيَّرَفٌ مِنَ الصَّرَفِ ، وَرَجُلٌ جَيْدَرٌ مِنَ
الْجَدَرِ وَهُوَ الْقِصَرُ^(٥) . وَأَصْلُ الْخَطَفِ الْأَخْذُ فِي سُرْعَةٍ^(٦) ثُمَّ اسْتَعِيرَ لِكُلِّ
سَرِيعٍ .

* * *

١٥

(١) هو كلاب بن جري . ذكر في صفة الصفوة (٣ : ٢٨٩) .

(٢) أَبُو هَاشِمٍ الصَّوْفِيُّ الزَّاهِدُ ، مِنْ قَدَمَاءِ زُهَادِ بَغْدَادَ ، جَلَسَ إِلَيْهِ سَفِيَّانُ الثَّوْرِيِّ . صِفَةُ
الْصَّفْوَةِ (٢ : ١٧٢) .

(٣) فِي هَاشِمٍ هـ : « وَبِالْغَرِيبِ » عَنْ نَسَخَةٍ .

(٤) هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ هـ .

(٥) فِيمَا عَدَا لَ : « الْقَصِيرُ » .

(٦) لَ : « بِسُرْعَةٍ » .

٢٠

ذكر القصاص

قَصُّ الْأَسْوَدُ بْنُ سَرِيعٍ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ :

فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجُّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالَكَ نَاجِيَا

- وقصُّ الحسن وسعيد ابنا أبي الحسن ^(١) . وكان جَعْفَرُ بْنُ الْحَسَنِ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ حَلَقَةً وَأَقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ . وَقَصُّ إِبْرَاهِيمَ التِّيمِيِّ ^(٢) . وقص عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرِ اللَّيْثِيِّ ^(٣) وجلس إليه عبد الله بن عمر . حَدَّثَنِي بِذَلِكَ عَمْرُو بْنُ فَاثِدٍ بِإِسْنَادٍ لَهُ .

- وَمِنَ الْقَصَاصِ : أَبُو بَكْرٍ الْهَذَلِيُّ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمٍ ^(٤) ، وَكَانَ بَيْنَا خَطِيْبَا صَاحِبِ أَخْبَارٍ وَأَثَارٍ . وَقَصُّ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ ^(٥) فِي مَكَانِ أَبِيهِ . وَمِنْ كِبَارِ الْقَصَاصِ ثُمَّ مِنْ هَذِيلٍ : مُسْلِمُ بْنُ جَنْدَبٍ ^(٦) وَكَانَ قَاصًّا مَسْجِدِ النَّبِيِّ ۱۰

- (١) أَبُو الْحَسَنِ : كُنْيَةُ وَالِدِهِمَا يَسَارٌ . أَمَّا الْحَسَنُ فَهُوَ أَبُو سَعِيدِ الْحَسَنِ ابْنِ أَبِي الْحَسَنِ يَسَارِ الْبَصْرِيِّ ، مَوْلَى الْأَنْصَارِ ، وَلِدَ لَسْتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ١١٠ . وَأَخُوهُ سَعِيدُ بْنُ يَسَارٍ أَكْبَرُ مِنْهُ ، تَوَفَّى قَبْلَهُ سَنَةَ ١٠٠ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ . فِيمَا عَدَلَ : « ابْنُ أَبِي الْحَسَنِ » ، تَحْرِيفٌ . (٢) هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ شَرِيكَ التِّيمِيِّ ، تِمُّ الْرِبَابِ ، الْكُوفِيُّ ، كَانَ مِنَ الْعِبَادِ ، رَوَى عَنْ أَنَسٍ وَعُمَرَ بْنِ مَيْمُونٍ ، وَأُرْسِلَ عَنْ عَائِشَةَ . قَالَ الْأَعْمَشُ : كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِذَا سَجَدَ تَجَمَّى الْمَصَافِيرَ فَتَنْقَرُ ظَهْرُهُ . تَوَفَّى فِي حِجَابِ الْحِجَابِ سَنَةَ ٩٢ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ وَصِفَةُ الصَّفْوَةِ (٣ : ٥٠) .

- (٣) فِيمَا عَدَلَ : « عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَيْرٍ ، لَكِنْ فِي هـ » عَبْدُ اللَّهِ ، كَلَامُهُمَا تَحْرِيفٌ . وَهُوَ عُبَيْدُ ابْنِ عُمَيْرٍ بْنِ قَتَادَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَامِرِ بْنِ جَنْدَعٍ بْنِ لَيْثِ اللَّيْثِيِّ ، أَبُو عَاصِمٍ الْمَكِّيُّ ، قَاضِيُ أَهْلِ مَكَّةَ . رَوَى عَنْ أَبِيهِ وَعُمَرَ وَعَلَى وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِمْ ، وَذَكَرَ الْعَوَامُ بْنُ حَوْشَبٍ أَنَّهُ رَأَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ فِي حَلَقَةٍ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرِ يَبْكِي . تَوَفَّى سَنَةَ ٦٨ . التَّهْذِيبُ وَصِفَةُ الصَّفْوَةِ (٢ : ١١٦) . ٢٠

(٤) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي ٣٥٧ . فِيمَا عَدَلَ : « ابْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ » .

(٥) سَبَقَتْ تَرْجُمَةُ مُطَرِّفٍ فِي ١٠٣ . ل : « وَقَصَّ ابْنُ مُطَرِّفٍ » . وَفِيمَا عَدَلَ : « وَقَصَّ ابْنَهُ مُطَرِّفٌ » ، وَكَلَامُهُمَا خَطَأٌ .

- (٦) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُسْلِمُ بْنُ جَنْدَبِ الْهَذَلِيُّ الْقَاضِي ، كَانَ مِنْ فَصَحَاءِ النَّاسِ ، وَكَانَ مُعَلِّمَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَكَانَ يَقْضِيُ بَغِيرَ رِزْقٍ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٠٦ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ . ٢٥

عليه السلام بالمدينة ، وكان إمامهم وقارئهم ، وفيه يقول عمر بن عبد العزيز : « من سرّه أن يسمع القرآن غصّاً فليسمع قراءة مسلم بن جندب » .

ومن القصّاص : عبد الله بن عرادة بن عبد الله بن الوضيين ، وله مسجد في بني شيبان .

ومن القصّاص : موسى بن سيّار الأسواريّ ^(١) ، وكان من أعاجيب الدنيا ، كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به ، فتتعد العرب عن يمينه ، والفُرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسّرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسّرها لهم بالفارسيّة ، فلا يُدرى بأى لسان هو آتٍ . واللّغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضمّ على صاحبها ، إلّا ما ذكرنا ^(٢) من لسان موسى بن سيّار الأسواريّ .

ولم يكن في هذه الأمة بعد أبى موسى الأشعريّ أقرأ في محراب من موسى بن سيّار ثم عثمان بن سعيد بن أسعد ، ثم يونس النحويّ ، ثم المعلّى . ثم قصّ في مسجده ^(٣) أبو على الأسواريّ ، وهو عمرو بن فائد ^(٤) ، ستاً وثلاثين سنة ، فابتدأ لهم في تفسير سورة البقرة ، فما ختم القرآن حتّى مات ، لأنّه كان حافظاً للسير ، ولوجوه التأويلات فكان ربّما فسّر آية واحدة في عدّة أسابيع ، كأنّ الآية ذكر فيها يوم بدر ، وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق في ذلك من الأحاديث كثيراً ^(٥) . وكان يقصّ

(١) ترجم له في لسان الميزان (٦ : ١٣٠) وذكر أنه كان قدرياً . وذكره السمعاني في الأنساب ٣٧ .

(٢) فيما عدل : « ما ذكروا » .

(٣) أى المسجد الذى كان يقص فيه موسى بن سيّار .

(٤) عمرو بن فائد الأسواريّ ، قال العقيليّ : كان يذهب إلى القدر والاعتزال ، وكان منقطعاً إلى محمد بن سليمان أمير البصرة ، وأخذ عن عمرو بن عبيد ، وله معه مناظرات ومات بعد الماليتين بيسير . لسان الميزان (٤ : ٣٧٢ - ٣٧٣) . ونسبته إلى نهر الأساورة بالبصرة . انظر الحيوان (٦ : ١٩١) .

(٥) هـ : « الكثيرة » .

في فنون من القصص ، ويجعل للقرآن نصيباً من ذلك . وكان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ، ويحتج به . وخصاله المحمودّة كثيرة .

ثم قصّ من بعده القاسم بن يحيى ، وهو أبو العباس الضّرير ، لم يدرك في القصّاص مثله . وكان يقصّ معهما وبعدهما مالك بن عبد الحميد المكفوف ، ويزعمون أنّ أبا عليّ لم تُسمع منه كلمة غيبة قط ، ولا عارض أحداً .
قطّ من المخالفين والحُساد والبُغاة بشيء من المكافأة .

فأمّا صالح المرّيّ ، فكان يكنى أبا بشر^(١) ، وكان صحيح الكلام رقيق المجلس . فذكر أصحابنا أنّ سفيان بن حبيب^(٢) ، لمّا دخل البصرة وتوارى عند مرحوم العطار^(٣) قال له مرحوم : هل لك أن تأتي قاصاً عندنا هاهنا ، فتفرّج بالخروج والنظر إلى الناس ، والاستماع منه ؟ فأتاه على تكرّره ، كأنه ظنه كبعض من يبلغه شأنه ، فلمّا أتاه وسمع منطقته ، وسمع تلاوته للقرآن ، وسمعه يقول حدّثنا شعبة عن قتادة^(٤) ، وحدّثنا قتادة عن الحسن ، رأى بياناً لم يحتسبه ، ومذهباً لم يكن يظنّه^(٥) ، فأقبل سفيان على مرحوم فقال : ليس هذا قاصاً ، هذا نذير !

(١) فيما عدل : « فإنه كان » . وترجمة صالح في ١١٣ .

(٢) هو أبو محمد سفيان بن حبيب البصري ، أحد المحدثين الثقات . توفي سنة ١٨٣ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو محمد مرحوم بن عبد العزيز بن مهران العطار الأموي البصري . كان من الثقات

العباد . توفي سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب .

(٤) ترجمة قتادة في ٢٤٢ . وأما شعبة ، فهو فيما عدل : « سعيد » وكلاهما محتمل ؛ إذ أن قتادة روى عنه شعبة ، وسعيد . وشعبة هو أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي الواسطي البصري ، محدث كثير الرواية ، كان الشعبي يقول فيه : شعبة أمير المؤمنين في الحديث . ويقولون إنه أول من تكلم في الرجال . ولد سنة ٨٢ وتوفي سنة ١٦٠ . تهذيب التهذيب . وأما سعيد فهو سعيد بن أبي عروبة العدوي البصري ، قال ابن أبي خيثمة . أثبت الناس في قتادة سعيد بن أبي عروبة وهشام الدستوائي . توفي سنة ١٥٦ . تهذيب التهذيب .

باب

ما قيل في المخاصر والعصى وغيرهما

كانت العرب تخطب بالمخاصر ^(١) ، وتعتمد على الأرض بالقسي ،
وتشير بالعصى والقنا . نَعَمْ حَتَّى كَانَتِ الْمَخَاصِرُ لَا تَفَارِقُ أَيْدِيَ الْمُلُوكِ فِي
مَجَالِسِهَا ، وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ ^(٢) :

فِي كَفِّهِ خَيْرٌ رَأَى رِيحُهُ عَيْقُ بِكَفِّ أَزْوَاعٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يَكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَاسُ
إِنْ قَالَ قَالَ بِمَا يَهْوَى جَمِيعُهُمْ وَإِنْ تَكَلَّمَ يَوْمًا سَاحَتِ الْكَلِمُ
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ رَكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ ^(٣)

وقال الشاعر قولاً فسر فيه ما قلنا . قال :

مَجَالِسُهُمْ خَفَضُ الْحَدِيثِ وَقَوْلُهُمْ إِذَا مَا قَضَوْا فِي الْأَمْرِ وَخِيَ الْمَخَاصِرِ

وقال الكميت بن زيد :

(١) المخاصر : جمع مخصرة ، وهي ما يختصرو الإنسان فيمسكه بيده ، من عصا أو مقرعة أو عنزة أو عكازة أو قضيب .

(٢) هو الفرزدق يقول في هشام بن عبد الملك ، كما في أمالي المرتضى (١ : ٤٨) وزهر الآداب (١ : ٦٠) . أو الحزبن الكتاني في عبد الملك بن مروان كما في ديوان الحماسة (٢ : ٢٨٤) . أو الفرزدق في علي بن الحسين كما في العمدة (٢ : ١١٠) وأمالي المرتضى . أو للعين المنقري فيه ، كما في العمدة . أو لكثير بن كثير السهمي في محمد بن علي بن الحسين ، المؤتلف ١٦٩ . أو لداود بن سلم في قثم بن العباس ، كما في العمدة . وهذا مثل لمبلغ اختلاف الرواة في نسبة الشعر . انظر الحيوان (٣ : ١٣٣) وعميون الأخبار (١ : ٢/٢٩٤ : ١٩٦) .

(٣) البيتان الأولان في (٣ : ٤١ - ٤٢) . والثالث ساقط من هـ . زيد بعد هذا البيت فيما عدل :

كَمْ هَانَتْ لَكَ مِنْ دَاعٍ وَدَاعِيَةٍ يَدْعُونَ يَا قَتْمَ الْخَيْرَاتِ يَا قَتْمَ

- وَنَزُورُ مَسْلَمَةَ الْمَهْدِ بَ بِالْمُوَيْدَةِ السَّوَاتِرِ (١)
 بِالْمُذْهَبَاتِ الْمُعْجِبَاتِ تِ لِمُفْحِمٍ مِنَّا وَشَاعِرِ (٢)
 أَهْلُ التَّجَاوُبِ فِي الْحَا قِلَ وَالْمَقَاوِلُ بِالْمَخَاصِرِ (٣)
 فَهَمُّ كَذَلِكَ فِي الْحَا لِسِ وَالْمَحَافِلِ وَالْمَشَاعِرِ (٤)

٢١ وكما قال الأنصارى في المجامع حيث يقول :

- وسارت بنا سَيَّارَةٌ ذَاتُ سَوْرَةٍ بِكُومِ الْمَطَايَا وَالْخِيُولِ الْجَمَاهِرِ (٥)
 يُؤْمِنُونَ مُلْكَ الشَّامِ حَتَّى تَمَكَّنُوا مَلُوكًا بِأَرْضِ الشَّامِ فَوْقَ الْمَنَابِرِ
 يُصَيِّبُونَ فَصْلَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ خَطْبَةٍ إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُمْ بِالْمَخَاصِرِ
 وَفِي الْمَخَاصِرِ وَالْعَصَى وَفِي خَدِّ وَجْهِ الْأَرْضِ بِالْعَصَى ، قَالَ الْخَطِيبَةُ :

- أَمْ مِنْ لَخْصِيمٍ مُضْجِعِينَ قَسِيَّهُمْ صُعِيرٍ تُحْدِثُهُمْ عِظَامُ الْمَفْخَرِ ١٠
 وَقَالَ لَبِيدُ بْنُ رَيْعَةَ فِي الْإِشَارَةِ :

- غُلِبَ تَشْدُرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا جُنَّ الْبِدَى رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا (٦)

وَقَالَ فِي خَدِّ وَجْهِ الْأَرْضِ بِالْعَصَى وَالْقَسَى :

- نَشِينُ صَحَاحَ الْبِيدِ كُلِّ عَشِيَةِ بُعُوجِ السَّرَاءِ عِنْدَ بَابِ مُحَجَّبِ (٧)

١٥ (١) مسلمة ، هو مسلمة بن عبد الملك . انظر ٢٩٢ . المؤيدة : التي يبقى ذكرها على الأبد .
 عنى بها القصائد والمدح . ل : « بالمهذبة » وفي هامشها : « خ : بالمؤيدة » .

(٢) في اللسان : « والمفحم . الذي لا يقول الشعر » .

(٣) المقاول : جمع مقول ، وهو البين الظريف للسان .

(٤) المشاعر : مواضع المناسك . والآيات الثلاثة الأولى في (٣ : ١١٧) .

٢٠ (٥) الكوم : جمع أكرم وكوماء ، وهو ما علا سنامه . وانظر (٣ : ١١٦ - ١١٧) .

(٦) القلب : الغلاظ الأعناق . تشدر : يوعده بعضهم بعضا برفع اليد . والذحول : جمع دخل ، وهو الحقد والثأر . والبدى : موضع ، أو هو البادية . والبيت من مغلقة .

(٧) في شرح ديوانه ٤٥ : « نشين صحاح البيد ، يقول : نخط بأطراف قسينا ، كلما ذكرنا يوما نقول : وهذا ! ... بعوج السراء ، يعنى بهذه القسى . عند باب محجب ، يعنى باب الملك . قال :

وعند باب الملوك يتلاقى الناس فيفتاخرون ويخطون بقسيمهم فيؤثرون في الأرض ، فذلك شينهم صحاح
 ٢٥ البيد . ل : « بعود السراء » .

عوج : جمع عوجاء ، وهى هاهنا القوس . السَّراء : شجر تعمل منه القسي .
وفى مثله يقول الشاعر :

إذا اقتسم النَّاسُ فضلَ الفَخَّارِ أَطْلُنَا عَلَى الْأَرْضِ مَيْلَ الْعَصَا
وقال الآخر :

كَتَبْتُ لَنَا فِي الْأَرْضِ يَوْمَ مُحَرِّقِ أَيَّامُنَا فِي الْأَرْضِ يَوْمًا فَيَصَلَا (١)
وقال لبيد بن ربيعة فى ذكر القسي :

مَا إِنْ أَهَابَ إِذَا السَّرَادِقُ غَمَّهُ قَرَعُ الْقِسَى وَأَرْعَشَ الرُّعْدُ (٢)
وقال معن بن أوس المَزَنِي (٣) :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي رَسُولًا عُبَيْدَ اللَّهِ إِذْ عَجَلَ الرِّسَالَا (٤)
تُعَاقِلُ دُونَنَا أَبْنَاءَ ثَوْرٍ وَنَحْنُ الْأَكْثَرُونَ حَصَى وَمَالَا (٥)
إِذَا اجْتَمَعَ الْقَبَائِلُ جِثَّتْ رِذْفَا وَرَاءَ الْمَاسِحِينَ لَكَ السَّبَالَا (٦)
فَلَا تُعْطَى عَصَا الْخُطْبَاءِ فِيهِمْ وَقَدْ تُكْفَى الْمَقَادَةَ وَالْمَقَالَا (٧)
فَإِنِّكُمْ وَتَرَكَ بَنَى أَيِّكُمْ وَأَسْرَتُكُمْ تَجْرُونَ الْجِبَالَا (٨)

(١) انظر لمحرق ما مضى فى حواشى ٢٦٧ .

(٢) السرادق ، أى سرادق الملك . غمه : علاه وسره ، أى كثر فيه . ل : « عمه » وما أثبت
من سائر النسخ يطابق رواية الديوان ٢٧ طبع ١٨٨٠ .

(٣) معن بن أوس : شاعر فحل من مخضرمى الجاهلية والإسلام ، له مدائح فى جماعة من
الصحابة . وعمر إلى زمان ابن الزبير . وهو الذى قال له : « لعن الله ناقة حملتني إليك » . فقال : « إن
وراكها » . وكف فى آخر عمره . الأغاني (١٠ : ١٥٦) والإصابة ٨٤٤٥ ونكت الهميان ٣٩٤
والخزانة (٣ : ٢٥٨) . ونسب القول إلى عبد الله بن فضالة فى الأغاني ونكت الهميان ٣٩٤ والخزانة
(٣ : ٢٥٨) . ونسب القول إلى عبد الله بن فضالة فى الأغاني (١٠ : ١٦٢) . وإلى عبد الله بن
الزبير الأمدى فى الخزانة (٢ : ١٠٠) وزهر الآداب (٢ : ١٦٤) .

(٤) عَجَله : سبقه . وفى الكتاب : « أعجلتم أمر ربكم » .

(٥) تعاقل : من العقل ، وهو الدية . حصى ، أى عدا .

(٦) السبال : جمع سبلة ، وهو مقدم اللحية . ومسح اللحي كناية عن التهديد والتوعد ، أو هو
تأهب للكلام . انظر تفسير البغدادى فى الخزانة (١ : ٥٢٥) لقول الشماخ :

أَتَتْنِي سَلِيمٌ قَضَاهَا بِقَضِيضِهَا تَمَسَحُ حَوْلِي بِالْبَقِيعِ سِبَالَهَا
فيما عدا ل : « أمام الماسحين » ، تحريف .

(٧) يقول : لست برئيس ولا خطيب . ل : « فلا يعطى عطا » صوابه فى سائر النسخ .

(٨) هذا البيت وما بعده فى ل فقط . وانظر (٣ : ٩) .

وَوُدَّكُمْ الْعِدَى مِمَّنْ سِوَاكُمْ لَكَالْحِوَانِ يَتَّبِعُ الضَّلَالَا

وَمَا قَالُوا فِي حَمْلِ الْقَنَاةِ قَوْلُهُ :

إِلَى امْرِئٍ لَا تَحْطَأُهُ الرِّفَاقُ ، وَلَا جَذَبَ الْخِوَانُ إِذَا مَا اسْتُنْشِئَ الْمَرْقُ (١)

صَلَبُ الْحِيَازِمِ لَا هَذَرُ الْكَلَامِ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ وَلَا مُسْتَعْجِلُ زَهْقٍ (٢)

وَمَا قَالَ جَرِيرُ بْنُ الْخَطَفِيِّ (٣) :

مَنْ لِلْقَنَاةِ إِذَا مَا عَى قَاتِلَهَا أُمٌّ لِلْأَعْنَةِ يَاشِبُّ بَنَ عَمَارٍ (٤)

وَقَالَ : وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ أُمِّ الْحَجِيبِ الرَّبْعِيِّ (٥) : « مَا تَزَالُ تَحْفَظُ أَخَاكَ

حَتَّى يَأْخُذَ الْقَنَاةَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَفْضَحُكَ أَوْ يَحْمَدُكَ » . يَقُولُ : إِذَا قَامَ يَخْطُبُ .

وَفِي كِتَابِ جَبَلِ بْنِ يَزِيدَ (٦) : « أَحْفَظُ أَخَاكَ إِلَّا مِنْ نَفْسِهِ » .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رُوَيْبَةَ (٧) : سَأَلَ رَجُلٌ رُوَيْبَةَ عَنْ أَخْطَبِ بْنِ تَمِيمٍ ، فَقَالَ :

(١) لَا تَحْطَأُهُ الرِّفَاقُ : لَا يَتَخَطَّوْنَهُ ، يَقُولُ : هُوَ أَبَدًا أَمَامَهُمْ . فِيمَا عَدَا لَ : « الرِّقَابُ » . يَقُولُ :

هُوَ كَثِيرُ الطَّعَامِ عَلَى الْخِوَانِ . الْاسْتِنْشَاءُ وَالْاسْتِنْشَاقُ بِمَعْنَى . يَقُولُ : هُوَ فِي وَقْتِ الْأَرْمَةِ وَالسَّنَةِ حِينَ يَتَشَهَّى النَّاسُ الطَّعَامَ مَخْصَبُ ذُو يَسَرٍ وَكِرَمٍ . فِيمَا عَدَا لَ ، هـ : « الْعَرَاقُ » تَحْرِيفٌ .

(٢) الْحِيَازِيمُ : مَا اسْتَدَارَ بِالظَّهْرِ وَالْبَطْنِ . هَزَّ الْقَنَاةَ ، أَيْ الرَّحْمَ حِينَ الْخَطْبَةِ . فِي اللِّسَانِ

« وَفَلَانٌ زَهَقَ ، أَيْ نَزَقَ » .

(٣) فِيمَا عَدَا لَ : « وَقَالَ جَرِيرُ بْنُ الْخَطَفِيِّ » : وَهُوَ خَطَأٌ ، إِذْ أَنَّ الْخَطَفِيَّ لَقِبَ جَدَّهُ عَوْفٌ وَهُوَ

جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةَ بْنِ عَوْفِ الْخَطَفِيِّ .

(٤) كَذَا فِي لَ ، هـ . وَفِيمَا عَدَاهُمَا : « شَيْبُ بْنُ عَمَارٍ » . وَكِلَاهُمَا خَطَأٌ فِي الرَّوَايَةِ ؛ إِذْ أَنَّ الْبَيْتَ

مِنْ أَيْبَاتِ فِي دِيوَانِ جَرِيرٍ ٢٣٦ - ٢٣٧ يَرْتَفِعُ بِهَا عَقِيَّةُ بْنُ عَمَارٍ ، أَوَّلُهَا :

٢٠ يَاعْقِبُ لَا عَقْبَ لِي فِي الْبَيْتِ أَسْمَعُهُ مِنْ لِلْأَرَامِلِ وَالْأَضْيَافِ وَالْجَارِ

أُمٌّ مِنْ لِبَابٍ إِذَا مَا اشْتَدَّ حَاجِبُهُ أُمٌّ مِنْ لَخْصَمٍ بَعِيدِ السَّأْوِ خَطَارِ

أُمٌّ مِنْ يَقُومُ بِفَارُوقٍ إِذَا اخْتَلَفَتْ غِيَاظُ الشُّكِّ مِنْ وَرْدٍ وَإِصْدَارِ

أُمٌّ لِلْقَنَاةِ إِذَا مَا عَى قَاتِلَهَا أُمٌّ لِلْأَعْنَةِ يَا عَقْبُ بْنُ عَمَارٍ

(٥) أَبُو الْحَجِيبِ الرَّبْعِيُّ : أَحَدُ فَصَحَاءِ الْعَرَبِ الَّذِينَ رَوَى عَنْهُمْ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ، انْظُرْ ابْنَ النَّدِيمِ ١٠٣ .

(٦) جَبَلُ بْنُ يَزِيدَ : كَاتِبُ عِمَارَةَ بْنِ حِمْرَةَ ، وَكَانَ مُتَرَجِّمًا مِنْ مَعْلُودَى الْبُلْغَاءِ وَالْبِرْعَاءِ . وَعِمَارَةُ

ابْنِ حِمْرَةَ ، كَانَ مَوْلَى الْأُمِّ جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَكَاتِبًا لَهُ . انْظُرْ ابْنَ النَّدِيمِ ١٧١ .

(٧) هُوَ الْعَجَّاجُ ، وَالِدُ رُوَيْبَةَ . وَالْعَجَّاجُ لَقِبُهُ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الشَّعْثَاءِ .

« خدّاش بن ليبد بن بَيْبَة » يعنى البَيْعِث ^(١) . وإتّما قيل له البَيْعِث لقوله :
 تَبَعْتُ مِنِّي مَا تَبَعْتُ بَعْدَ مَا أُمِرْتُ حِبَالِي كُلِّ مِرْتَهَا شَزْرًا ^(٢)
 وزعم سُحَيْم بن حفص أنّه كان يقال : أخطب بنى تميم البَيْعِث إِذْ أَخَذَ الْقَنَاةَ .
 وقال يونس : لَعَمْرِي لئن كَانَ مَغْلِبًا فِي الشُّعْر لَقَدْ كَانَ غُلْبٌ فِي الْخُطْبِ ^(٣) .

ومن الشعراء من يَغْلِبُ شَيْءٌ قَالَه فِي شَعْره ، عَلَى اسْمه وَكُنْيته ، فَيَسْمَى
 بِهِ بِشَرٍّ كَثِيرٍ ^(٤) . فَمِنْهُمْ الْبَيْعِثُ هَذَا . وَمِنْهُمْ عَوْفُ بْنُ حِصْنٍ ^(٥) بْنِ خُذَيْفَةَ
 ابْنِ بَدْرٍ ، غَلَبَ عَلَيْهِ عُوفُفُ الْقَوَافِي لِقَوْلِهِ :

سَأَكْذِبُ مَنْ قَدْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّي إِذَا قُلْتُ شَعْرًا لَا أَجِيدُ الْقَوَافِيَا
 فَسَمَى عُوفُفَ الْقَوَافِي لَذَلِكَ .

وَمِنْهُمْ : يَزِيدُ بْنُ ضِرَارِ التَّغْلِبِيِّ ، غَلَبَ عَلَى اسْمِهِ الْمَرْدُّ ؛ لِقَوْلِهِ :
 فَقُلْتُ تَزَرَّدُهَا عُيْدٌ فَإِنِّي لَلرَّدِ الْمَوَالِي فِي السَّنِينَ مُرَّرْدٌ ^(٦)
 فَسَمَى الْمَرْدُّ ^(٧) .

وَمِنْهُمْ : عَمْرُو بْنُ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ ، غَلَبَ عَلَيْهِ مُرْقَشٌ ^(٨) ؛ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ :

(١) ترجم في ٢٠٤ . ونسبه في المؤلف ٥٦ : خدّاش بن بشر بن خالد بن بيبة .

(٢) أمرت شررا : أحكم قتلها عن اليسار . وقيل سمى البعث لقوله :

تبعت مني ما تبعت بعد ما أمرت تمر فؤادي واستمر عزيمتي

(٣) انظر ما سيأتي في (٤ : ٨٤) .

(٤) انظر ذكر من لقب ببيت شعر قاله ، في المزهري (٢ : ٤٣٤ - ٤٤٣) والعمدة (١ : ٢٣ - ٢٤) .

(٥) فيما عدل ، هـ : حصين ، تحريف . انظر الاشتقاق ١٧٣ . ونسبه في الأغاني

(١٧ : ١٥٥) : عوف بن معاوية بن عقبة بن حصن - أو ابن عقبة بن عيينة بن حصن - بن
 خذيفة بن بدر . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية من ساكني الكوفة .

(٦) الدرد : جمع أردرد ودرداء ، وهو الذي ذهب أسنانه . في السنين : في الجذب . وكلمة « تزد »

و « مزد » لم يرد لهما تفسير في المعاجم ، وهما من الزرد بمعنى الابتلاع والبيت في صفة زبدة ، كما في المؤلف ١٩٠ .

(٧) وهو أخو الشماخ بن ضرار الشاعر المعروف .

(٨) فيما عدل : « المرقش » . ما عدا هـ : عمرو بن سعيد ، تحريف .

- الذَّارِ قَفْرٌ والرَّسومُ كما رَقَّشَ في ظَهرِ الأديمِ قَلَمٌ (١)
 فَسَمَّى مَرْقُشًا . ومنهم : شَأْسٌ (٢) بنُ نَهَارٍ العبدى ، غلبَ عليه الممَزَّقُ (٣) لقوله :
 فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَأَدْرِكْنِي وَلَمَّا أُمَزَّقُ (٤)
 فَسَمَّى الممَزَّقُ . ومنهم : جرير بن عبد المسيح الضُّبُعِيّ ، غلبَ عليه المتلَمِّسُ لقوله :
 فهذا أَوَانُ العِرْضِ حَتَّى ذَبَابُهُ زَنَابِيرُهُ والأَزْرُقُ المُتَلَمِّسُ (٥)
 . ومنهم : عمرو بن رِيَّاح السُّلَمِيُّ (٦) ، أبو خنساء ابنة عمرو ، وغلبَ الشَّريدُ
 على اسمه لقوله (٧) :

تَوَلَّى إِخْوَتِي وَبَقِيْتُ فَرْدًا وَحِيدًا فِي دِيَارِهِمْ شَرِيدًا
 فَسَمَّى الشَّريدَ . وهذا كثير .

١٠

- (١) من قصيدة له في المفضليات (٢ : ٣٧ - ٤١) .
 (٢) في الأصول : « سالم » تحريف صوابه في ابن سلام ١٠٨ والاشتقاق ١٩٩ والمزهر (٢ : ٤٣٥)
 والعمدة (١ : ٢٣) وزهر الآداب (١ : ٣٦) والقاموس واللسان (مزق) والمؤتلف ١٨٥ ومعجم المرزبانى
 ٤٩٥ . وفي الأخير : « وقيل اسمه يزيد بن نهار » .
 (٣) الممزق ، بفتح الزاى المشددة وكسرهما . وهو شاعر جاهلي من بني عبد القيس .
 (٤) البيت من قصيدة له في الأصمعيات ٤٧ ليسك ، يقولها لعمر بن هند حين هم بغزو
 عبد القيس ، فلما بلغته القصيدة انصرف عن عزمه . انظر المؤتلف . وهذا البيت تمثل عثمان في رسالة
 بعث بها إلى علي بن أبي طالب ، وذلك حين أحيط به ، قال : « أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزبي ، وبلغ
 الحزام الطيين ، وتجاوز الأمر في قدره ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه ، ولم يعجزك كلفيم ، ولم يغلبك
 كمغلب . فأقبل إلى ، معي كنت أو على ، على أى أمريك أخبيت :
 فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَأَدْرِكْنِي وَلَمَّا أُمَزَّقُ »
 العمدة (١ : ١٧١) وابن سلام ١٠٨ وزهر الآداب (١ : ٣٦) .
 (٥) العرض : واد بالهمزة . حى ذبابه ، من الحياة ، والمراد هنا الانتعاش . ويروى : « جن ذبابه » .
 وفيما عدل : « طن ذبابه » . والأزرق : ضرب من الذباب .
 (٦) ب فقط : « رياح » بالباء الموحدة ، والمعروف في نسب الخنساء أنها بنت عمرو بن الشريد
 ابن رياح . الإصابة ٣٥٣ من قسم النساء والخزاة (١ : ٢٠٨) . وفي الأغاني (١٣ : ١٢٩) أنها
 بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح .
 (٧) فيما عدل : « غلب عليه الشريد لقوله » .

٢٠

٢٥

قال : ودخل رجلٌ من قيسِ عَيْلان على عبد الملك بن مروان ، فقال زُبَيْرُ عُمَيْرٍ ^(١) والله لا يُحِبُّك قلبي أبدا ! فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنما يجزع من فقدان الحب المرأة ، ولكن عدلٌ وإنصافٌ » ^(٢) .

وقال عمر لأبي مريم الحنفى ^(٣) ، قاتل زيد بن الخطاب : « لا يُحِبُّك قلبي أبداً حتّى تحبّ الأرضُ الدّمَ المسفوح » . وهذا مثل قول الحجاج : « والله لأقلعنك قلع الصمّعة » . لأنّ الصمّعة اليابسة إذا قُرِفَتْ ^(٤) عن الشجرة انقلعت انقلاع الجُلْبَةِ ^(٥) . والأرض لا تُنَشَفُ الدّمُ المسفوح ولا تمصّه ، فمتى جفّ الدم وتجلّب ^(٦) لم تره أخذ من الأرض شيئاً .

* * *

ومن الخطباء : الغضبان بن القُبَعْرَى ^(٧) ، وكان محبوساً في سجن الحجاج ، ١٠

(١) ل : « عمرى » . وسيعاد الخبر في (٢ : ٨٩) .

(٢) الخبر في عيون الأخبار (٣ : ١١) مع إيجاز .

(٣) هذا الصواب في ل . وفيما عدل : « الحنفى السلولى » وهو خلط في النسب . وفي الكامل ٣٤٦ ليسك أنه « السلولى » . وفي حواشيه : « وهم أبو العباس رحمه الله في قوله أبو مريم السلولى ، إنما هو أبو مريم الحنفى ، وكان سبب بغضه إياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب ، وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الكذاب ، واسم أبن مريم إياس بن صبيح ، ثقة كوفى . واسم أبن مريم السلولى مالك بن ربيعة ، من الصحابة ، روى عنه ابنه يزيد وغيره » . والخبر أيضاً في عيون الأخبار (٣ : ١٣) والحيان (٣ : ١٣٦) / (٤ : ٢٠١) .

(٤) قرفت : قشرت وقلعت . ماعدا هـ : « قرفت » تحريف . وفي اللسان : وقولهم تركته على مثل مقرف الصمّعة ، وهو موضع القرف ، أى مقرف الصمّعة . ٢٠

(٥) الجلبة بالضم : القشرة تعلو الجرح عند البرء وانظر (٣ : ٦٠) .

(٦) المعروف فيه جلب وأجلب ، أى ييسل . « تجلبف » ولا وجه له .

(٧) القُبَعْرَى ، بفتحات بينها سكون العين ، أصل معناه الجمال العظيم الضخم . والغضبان هذا رجل شيبانى ، وكان من زعماء مروانية أهل العراق الذين كان عبد الملك يرعى جانبهم . انظر الطبرى ٢٥ (٧ : ١٨٤) . وقد أوفده الحجاج بكتاب إلى قطرى بن الفجاءة ، نصه في الكامل ٢١٤ ليسك .

فدعا به يوماً ، فلما رآه قال : إنك لَسَمِين ! قال : القَيْدُ والرُّتعة ^(١) ، وَمَنْ
يكن ضيفاً للأُمير يَسْمَن .

وقال يزيد بن عياض ^(٢) : لما نَقِمَ النَّاسُ على عثمان ، خرج يتوكأ على
٢٢ مروان ^(٣) ، وهو يقول : « لكلُّ أُمَّةٍ آفةٌ ، ولكلِّ نعمةٍ عاهةٌ ، وإنَّ آفةَ هذه
الأُمَّة عَيَابُون طَعَّانُون ، يُظْهِرُون لَكُمْ ما تُحِبُّون ، وَيُسِرُّون ما تَكْرَهُون ، طَعَامٌ
مثلُ النَّعَامِ ، يَتَّبِعُونَ أَوَّلَ نَاعِقٍ ، لَقَدْ نَقِمُوا على ما نَقَمُوهُ على عُمر ، ولكنْ
قَمَعَهُم عُمرُ وَوَقَمَهُم . واللهِ إِنِّي لأَقْرُبُ ناصراً وأعزُّ نَفراً . فَضَّلَ فَضْلُ من
مالى ، فما لى لا أفعل فى الفضل ما أشاء . »

قال : ورأيتُ النَّاسَ يتداولون رسالة يحيى بن يعمر ^(٤) ، على لسان يزيد
ابن المهلب ^(٥) : « إِنَّا لَقَيْنَا العَدُوَّ فقتلنا طائفةً وأسَرْنَا طائفةً ، ولَحَقَّتْ طائفةٌ
١٠

(١) الرتعة ، بالفتح وبالتحريك : الاتساع فى الحصب . والخبر فى اللسان (رت) بلفظ :
« الخفض والدعة ، والقيد والرتعة ، وقلة التمتع » . وأول من قال « القيد والرتعة » هو عمرو بن الصق ،
وكانت شاكر من همدان قد أسره ، فأحسنوا إليه ، وقد كان يوم فارق قومه نحيفاً ، فهرب من شاكر فلما
وصل إلى قومه قالوا : أى عمرو ، خرجت من عندنا نحيفاً وأنت اليوم بادن ! فقال : القيد والرتعة . انظر
اللسان والميداني (٢ : ٤١) .

(٢) هو أبو الحكم يزيد بن عياض بن جعدبة الليثى المدنى ، من ضعاف أهل الحديث ، توفى
بالبصرة فى خلافة المهدي . تهذيب التهذيب .

(٣) مروان هذا ، هو مروان بن الحكم والد عبد الملك ، ولد لستين خلتما من الهجرة ، وقبض
رسول الله وهو ابن ثمان سنين ، وولى لعبد الله بن عامر رستاقاً من أردشير خره ، ثم ولى البحرين لمعاوية ثم
المدينة مرتين ، ثم بويح له بالخلافة ، فوليا عشرة أشهر ، ومات بالشام سنة خمس وستين .

(٤) يحيى بن يعمر التابعى ، أديب نحوى فقيه ، كان من فضحاء أهل زمانه وأكثرهم علماً
باللغة ، سمع ابن عمر وجابراً وأبا هريرة ، وأخذ النحو عن أبى الأسود . ولاء قتيبة بن مسلم قضاء خراسان
وتوفى سنة ١٢٩ . بغية الوعاة ، وتهذيب التهذيب ، وابن الأثير .

(٥) وجه الرسالة إلى الحجاج ، كما فى اللسان (٦ : ٢٣٥) وما يفهم من السياق . ويزيد هو يزيد بن
٢٥ المهلب بن أبى صفرة ، من أمراء الدولة الأموية وقوادها ، وكان الحجاج زوج أخته هند بنت المهلب ، وكان يكرهه
لنجايته ، فأشار على عبد الملك بعزله ، فعزله ثم حبسه الحجاج وعذبه ، فهرب إلى سليمان بالشام فأواه ، وحبسه
عمر بن عبد العزيز فهرب أيضاً . ولما ولى يزيد بن عبد الملك خلعه فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله . وفيات الأعيان .

بَعْرَاعِرِ الْأُودِيَةِ وَأَهْضَامِ الْغِيْطَانِ ، وَتِنَّا بُعْرَعْرَةُ الْجَبَلِ ، وَبَاتِ الْعُدُوُّ بِحَضِيضِهِ «
 قَالَ : فَقَالَ الْحَجَّاجُ : مَا يَزِيدُ بَأَى عُنْدِ هَذَا الْكَلَامِ ^(١) . فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ مَعَهُ
 يَحْيَى بْنَ يَعْمَرَ ! فَأَمَرَ بِأَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ ^(٢) فَلَمَّا أَتَاهُ قَالَ : أَيْنَ وُلِدْتَ ؟ قَالَ :
 بِالْأَهْوَازِ . قَالَ : فَأَتَى لَكَ هَذِهِ الْفَصَاحَةُ ؟ قَالَ : أَخَذْتُهَا عَنْ أَبِي .

عَرَاعِرِ الْأُودِيَةِ : أَسَافِلُهَا . وَعَرَاعِرِ الْجَبَالِ : أَعَالِيهَا . وَأَهْضَامِ الْغِيْطَانِ :
 مَدَاحِلُهَا . وَالْغِيْطَانُ : جَمْعُ غَائِطٍ ، وَهُوَ الْحَائِطُ ذُو الشَّجَرِ .

وَرَأَيْتُهُمْ يَدِيرُونَ ^(٣) فِي كَتَبِهِمْ أَنَّ امْرَأَةً خَاصَمَتْ زَوْجَهَا إِلَى يَحْيَى بْنِ
 يَعْمَرَ فَانْتَهَرَهَا مَرَارًا ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ : « أَأَنْ سَأَلْتُكَ ثَمَنَ شُكْرُهَا
 وَشُبْرُكَ ، أَنْشَأْتَ تَطْلُهَا وَتَضْهَلُهَا ^(٤) » .

قَالُوا : الضَّهْلُ : التَّقْلِيلُ . وَالشُّكْرُ : الْفَرْجُ ^(٥) وَالشُّبْرُ : التَّنَاحُ ^(٦) .
 وَتَطْلُهَا : تَذْهَبُ بِحَقِّهَا ؛ يُقَالُ دَمٌ مَطْلُولٌ . وَيُقَالُ بَشْرٌ ضَهُولٌ ، أَيْ قَلِيلَةُ الْمَاءِ .

قَالَ : فَإِنْ كَانُوا إِنَّمَا رَوَوْا هَذَا الْكَلَامَ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى فَصَاحَةٍ فَقَدْ بَاعَدَهُ
 اللَّهُ مِنْ صِفَةِ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ . وَإِنْ كَانُوا إِنَّمَا دَوَّنُوهُ فِي الْكُتُبِ ، وَتَذَاكُرُوهُ
 فِي الْمَجَالِسِ لِأَنَّهُ غَرِيبٌ ، فَأَيَّاتٌ مِنْ شَعْرِ الْعَجَّاجِ وَشَعْرِ الطَّرْمَاحِ وَأَشْعَارِ
 هُذَيْلٍ ، تَأْتِي لَهُمْ مَعَ حُسْنِ الرِّصْفِ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ ^(٧) . وَلَوْ خَاطَبَ
 بِقَوْلِهِ « أَأَنْ سَأَلْتُكَ ثَمَنَ شُكْرُهَا وَشُبْرُكَ أَنْشَأْتَ تَطْلُهَا وَتَضْهَلُهَا » الْأَصْمَعِيُّ ،

(١) يُقَالُ هُوَ أَبُو عَذَرَ هَذَا الْكَلَامِ وَعَذَرْتَهُ أَيْضًا ، أَيْ أَوَّلَ مَنْ قَالَهُ ، كَأَنَّهُ افْتَضَّهُ أَوَّلًا . فِيمَا عَدَا
 لَ : « بَأَى عَذْرَةٌ » .

(٢) بَدَلَهَا فِيمَا عَدَا لَ : « فَحْمَلُ إِلَيْهِ » .

(٣) لَ : « يَزِيدُونَ » تَحْرِيفٌ .

(٤) الْخَيْرُ فِي اللِّسَانِ (شُكْرٌ ، شَبْرٌ ، طَلَلٌ ، ضَهْلٌ) ، وَالصَّنَاعَتَيْنِ ٣٠ .

(٥) فِيمَا عَدَا لَ : « الْجَمَاعُ » وَالصُّوَابُ مَا أُثْبِتَ مِنْ لَ .

(٦) فِيمَا عَدَا لَ : « الْبَضْعُ » كِلَاهُمَا صَحِيحٌ .

(٧) فِيمَا عَدَا لَ : « مِمَّا ذَكَرُوا » . وَمَا أُثْبِتَ مِنْ لَ يَطَابِقُ مَا فِي الصَّنَاعَتَيْنِ .

لظننتُ أنه سيجهل بعض ذلك . وهذا ليس من أخلاق الكتاب ولا من آدابهم .
قال أبو الحسن : كان غلامٌ يَقْعُرُ في كلامه ، فأتى أبا الأسود الدؤلى (١)
يلتمس بعضَ ما عنده ، فقال له أبو الأسود : ما فعل أبوك ؟ قال : « أخذته
الحُمى فطَبَخْتَه طَبْخاً ، وَفَنَخْتَه فَنَخاً ، وَفَضَخْتَه فَضَخاً ، فَتَرَكْتَه فَرَخاً » .

فَنَخْتَه : أضعفته . والفنيخ : الرخو الضعيف . وفضخته : دَقَّته .

فقال أبو الأسود : « فما فعلت امرأته التى كانت تُهَارُهُ وتُشَارُهُ (٢) ،
وتُجَارُهُ (٣) وتُزَارُهُ ؟ » قال : « طَلَّقَهَا فَتَزَوَّجْتُ غَيْرَهُ ، فَضَيَّتْ وَحَظَّيْتُ وَبَظَّيْتُ » .

قال أبو الأسود : قد عرفنا رضيت وحظيت ، فما بظيت ؟ قال : حرف من
الغريب لم يبلغك . قال أبو الأسود : يا بُنَى كُلُّ كَلِمَةٍ لَا يَعْرِفُهَا عَمَّكَ فَاسْتَرْهَا كَمَا
تَسْتَرُ السَّنُورُ جَعَرَهَا (٤) .

١٠

تَزَارَهُ : تَعَاظُهُ . وَالزَّرُّ : الْعَضُّ . وَحَظَّيْتُ : مِنْ الْحُظْوَةِ . وَبَظَّيْتُ : إِتْبَاعُ
لِحَظَّيْتُ .

قال أبو الحسن : مرَّ أبو علقمة النحوى (٥) ببعض طرق البصرة ، وهاجت به
مِرَّةً ، فوثب عليه قوم منهم فَأَقْبَلُوا يَعْضُونَ إِبَاهِمَهُ وَيُؤْذِنُونَ فِي أُذُنِهِ ، فَأَفْلَتَ مِنْهُمْ (٦)
فقال : « مَا لَكُمْ تَتَكَاكُمُونَ عَلَى كَمَا تَكَاكُمُونَ عَلَى ذِي جَنَّةٍ (٧) ، افْرِقْهُمَا » .

١٥

(١) فيما عدل : « الدلى » . ويقال في النسبة إلى « دلى » : « دؤلى » و « دؤلى » .

(٢) تشاره : تهر في وجهه كما يهر الكلب . وتشاره : تعاديه وتخاصمه . فيما عدل : « تشاره وتجاره » .

(٣) تجاره : تلحق به الجريرة .

(٤) فيما عدل : « خرقها » .

(٥) أبو علقمة النحوى البصري . قال : ياقوت : أراه من أهل واسط . وقال القفطى : قديم

العهد يعرف اللغة ، كان يتقعر في كلامه ويعتمد الحوشى من الكلام والغريب . بغية الوعاة ٣٢٥ .

وإرشاد الأريب (١٢ : ٢٠٥ - ٢١٥) .

(٦) فيما عدل : « من أيديهم » . وانظر الخبر في الصناعتين ٢٧ .

(٧) الجنة : الجنون . فيما عدل : « كانكم تنكأكمون » .

عَنْي (١) . قال : دَعُوهُ فَإِنَّ شَيْطَانَهُ يَتَكَلَّمُ بِالْهِنْدِيَّةِ .

قال أبو الحسن : وَهَاجَ بِأَبَى عُلْقَمَةَ الدَّمِ فَأَثَوَهُ بِحَجَّامٍ ، فَقَالَ لِلْحَجَّامِ :

« اشدَّدْ قَصَبَ الْمَلَّازِمِ (٢) ، وَأَزْهِفْ ظُلُمَاتِ الْمَشَارِطِ ، وَأَسْرِعِ الْوَضْعَ وَعَجِّلِ
النَّزْعَ ، وَلِيَكُنْ شَرْطُكَ وَخَزاً ، وَمَصْلُكَ نَهْزاً ، وَلَا تُكْرِهَنَّ أَبْيَا ، وَلَا تَرْدَنَّ
أَبْيَا . فَوَضَعَ الْحَجَّامُ مُحَاجِمَهُ فِي جُؤُنْتِهِ ثُمَّ مَضَى (٣) . »

فَحَدِيثُ أَبِي عُلْقَمَةَ فِيهِ غَرِيبٌ ، وَفِيهِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ حَجَّاماً مَرَّةً مَا زَادَ
عَلَى مَا قَالَ . وَلَيْسَ فِي كَلَامِ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا أَنَّهُ غَرِيبٌ ،
وَهُوَ أَيْضاً مِنَ الْغَرِيبِ بَغِيضٌ .

وَذَكَرُوا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : لَمَّا جَاءَ ابْنُ الزَّيْبِرِ وَهُوَ بِمَكَّةَ قَتَلَ
مِرْوَانَ الضَّحَّاكَ (٤) بِمَرْجِ رَاهِطٍ ، قَامَ فِينَا خَطِيباً فَقَالَ : « أَنْ ثَعْلَبَ بْنَ
ثَعْلَبٍ ، خَفَرَ بِالصَّحْصَحَةِ ، فَأَخْطَأَتْ أَسْتُهُ الْحَفْرَةَ (٥) . وَالْهَفَفَ أَمَّ لَمْ تَلْدُنِي
عَلَى رَجُلٍ مِنْ مُحَارِبٍ (٦) كَانَ يَرْعَى فِي جِبَالِ مَكَّةَ ، فَيَأْتِي بِالصَّرِيَةِ مِنْ
الْبَلْبَنِ (٧) فَيَبِيعُهَا بِالْقَبْضَةِ مِنَ الدَّقِيقِ ، فَيَرَى ذَلِكَ سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ ، ثُمَّ أَنْشَأَ
يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ وَوَرَاثَةَ النَّبَوَةِ » .

(١) يروى هذا القول أيضاً لعيسى بن عمر ، كما في بغية الوعاة ٢٢٥ .

(٢) الخير في الصناعتين ٢٦ - ٢٧ . والملازم : جمع ملزم ، بالكسر ، وهو خشيتان مشدود
أوساطهما بحديد تجعل في طرفها فتاحة فتلزم ما فيها لزوماً شديداً .

(٣) فيما عدل : « وانصرف » . الجونة ، بالضم : سلية مستديرة مغطاة أداما .

(٤) الضحاك هذا هو الضحاك بن قيس بن خالد الفهري ، ولد في زمان الرسول بعد الهجرة ،
ولاه معاوية الكوفة ثم عزله ، ثم ولاه دمشق . ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية دعا إلى نفسه فقاتله مروان
فقتل بمَرْجِ رَاهِطٍ سنة ٦٤ الإصابة ٤١٦٤ والطبرى (٧ : ٣٧ - ٤١) .

(٥) الصحصحة والصحصح : الأرض المستوية الواسعة . والخير في اللسان (٣ : ٣٣٩) . وقال :
« وهذا مثل للعرب تضربه فيمن لم يصب موضع حاجته . يعنى أن الضحاك طلب الإمارة والتقدم فلم ينلها » .

(٦) يعنى الضحاك بن قيس ، انتهى نسبه إلى محارب بن فهر .

(٧) الصرية : الواحدة من الصرب ، وهو اللبن الحقيق الحامض . فيما عدل : « بالشرية » .

وأوّل هذا الكلام مستكره ، وهو موجود في كلّ كتاب ، وجاري على لسان كلّ صاحب خبر . وقد سمعتُ لابن الزّبير كلاماً كثيراً ليس هذا في سبيله ، ولا يتعلّق به .

وقال أبو يعقوب الأعرور (١) :

- وخلجة ظنّ يسبق الطرف حزمها تُشيف على غنمٍ وتُمكن من ذخل
صدعتُ بها والقوم فوضى كأنهم بكارةُ مِرْبَاعٍ تُبصِّصُ للفحل
خلجة ظنّ : أى جذبة ظنّ ، كأنه يجذب صواب الرأى جذبا . والخلج :
الجبّ (٢) . تُشيف : أى تُشرف ؛ يقال أشفأ وأشفى بمعنى واحد ، أى
أشرف . بكارة مِرْبَاع : أى نوق فتايا (٣) قد أُذِلَّت للفحل . مِرْبَاع : أى نوق
رئيس (٤) . والمرباع : رُبُع الغنيمة في الجاهليّة لصاحب الجيش . وقال ابن عَنَمَة (٥) :
لَكَ المِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّنْفَايَا وَحُكْمَكَ وَالنَّشِيطَةَ وَالْفُضُولُ (٦)

وقال رجل من بنى يربوع :

- إلى الله أشكو ثم أشكو إليكما وهل تنفع الشكوى إلى مَنْ يزيدها
حزازاتِ حُبٍّ في الفؤادِ وعَبْرَةٌ أظُلُّ بأطرافِ البنانِ أذودُها (٧)
يَحْنُ فُؤَادِي مِنْ مَخَافَةٍ بَيْنَكُمْ حنين المَرْجِيّ وَجْهَةً لَا يَرِيدهَا ١٥

(١) فيما عدل : « الأعرور السلمي » ولست منه على بينة . وقد أنشد له الجاحظ شعرا في الحيوان (٣ : ٧٢٠) وذكره أيضا في (٥ : ٣١٦) .

(٢) بدل هذا كله في هـ : « خلجة ظن ، أى ظن سريع » .

(٣) فتايا : جمع فتية . فيما عدل « صغار » .

(٤) في الأصول : « ربيع » وفي اللسان : « ما يأخذه الرئيس » .

(٥) هو عبد الله بن عَنَمَة الضبي ، أحد شعراء المفضليات ، وهو مخضرم شهد القادسية ، ذكره ابن حجر في الإصابة ٦٣٣٤ . وانظر الخزائنة (٣ : ٥٨) .

(٦) البيت في اللسان (ربيع ، صفا ، نشط ، فضل) . وهو من أبيات ثمانية في الحماسة (١ : ٤٢٠) .

(٧) الحزازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه . ل : « حرارات » .

وقد أحسن الآخر حيث قال :

وأكرم نفسي عن مناكح جمّة . ويقصّر مالى أن أنال الغواليا
وقال الآخر :

وإذا العبد أغلق الباب دونى لم يُحرم على متن الطريق
وقال الخليل العطاردى^(١) : كنّا بالبادية إذ نشأ عارضٌ وما فى السماء

قَزعة معلقة^(٢) ، وجاء السيل فاكسح أبياتاً من بنى سعد ، فقلت :

فَرِحنا بوسمى تالّق وذقه عِشاءً فأبكانا صباحاً فأسرعا^(٣)

له ظِلّة كأنّ ريقٍ وبِلها عِجاجةٌ صيف أو دخانٌ تُرْفعا^(٤)

فكان على قوم سلاماً ونعمةً وألحق عاداً آخرين وثبعا^(٥)

وقال أبو عطاء السندى^(٦) ، لعبيد الله بن العباس الكندى :

قلّ لعبيد الله لو كان جعفرٌ هو الحى لم يبرح وأنت قتيلٌ^(٧)

إلى معشرٍ أزدوا أخاك وأكفروا أباك فماذا بعد ذاك تقول

فقال عبيد الله : أقول : عَضُّ أبو عطاء يَبْظُر أمّه ! فَعَلَب عليه .

قال أبو عبيدة : قال أبو البصير ، فى أئى رُهم السُدوسى ، وكان يلى

الأعمال لأئى جعفر : ١٥

(١) قال فى المؤتلف ١١٣ : « الخليل السعدى ، وهو الخليل بن زفر ، أحد بنى عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، يقال له الخليل العطاردى » .

(٢) القزعة ، بالتحريك : واحدة القزع ، وهو قطع السحاب .

(٣) الوسمى : مطر الربيع الأول . والودق : المطر .

(٤) الريق : أول كل شئ . رفع : ارتفع .

(٥) ل : « سلاماً وسرة » . ألحق الآخرين عاداً : أهلكهم مثلهم .

(٦) أبو عطاء السندى ، هو أفلح بن يسار ، مولى لبنى أسد ، وشاعر من مخضرمى الدولتين . وكان من

شيعة بنى أمية . توفى عقب أيام المنصور . الحزاة (٤ : ١٧٠) والشعر والشعراء والأغاني (١٦ : ٨٨ - ٨٤) .

(٧) فيما عدل ، هـ : « وقل » بدون الحزم . كما أن هذا البيت فيما عداها متأخر عن لاحقه .

رَأَيْتُ أَبَا رُفَيْمٍ يَقْرُبُ مُنْجِحاً غلاماً أبى بشرٍ ويُقْصَى أبى بشر^(١)
فقلت ليحيى كيف قَرَّبَ مُنْجِحاً فقال : له أيرُّ يزيد على شير

* * *

- وقال أبو عثمان : وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب في حُطْبِهَا المَخْصُرة والقناة والقضيب ، والاتكاء والاعتماد على القوس ، والحَدُّ في الأرض ، والإشارة بالقضيب ، بكلام مستكره سنذكره في الجزء الثاني^(٢) ، إن شاء الله . ولابد من أن نذكر فيه بعض كلام معاوية ، ويزيد ، وعبد الملك ، وابن الزبير ، وسليمان ، وعمر ابن عبد العزيز ، والوليد بن يزيد بن الوليد ؛ لأنَّ الباقيين من ملوكهم لم يُذكر لهم من الكلام الذى يُلحق بالحُطْب ، وبصناعة المنطق ، إلا اليسير . ولابد من أن نذكر فيه أقسامَ تأليف جميع الكلام ، وكيف خالف القرآن جميع الكلام
- ١٠ الموزون والمنثور ، وهو منشورٌ غير مقفًى على مخارج الأشعار والأسجاع ، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان ، وتأليفه من أكبر الحجج . ولابد من أن نذكر فيه شأنَ إسماعيل عليه السلام وانقلابَ لغته بعد أربع عشرة سنة ، وكيف نسي لغته التى رَبَّى فيها ، وجَرى على أعراقها ، وكيف لَفَظَ بجميع حاجاته بالعربية على غير تلقين وترتيب ، وحتى لم تدخله عجمة ، ولا لُكْنَة ولا حُبْسَة ، ولا تعلق بلسانه
- ١٥ شئ من تلك العادة ، إن شاء الله .

ولابد من ذكر بعض كلام المأمون ومذاهبه ، وبعض ما يحضرنى من كلام آبائه وِجَلَة رَهْطه . ولابد أيضاً من ذكر من صعد المنبر فَحْصِرَ أو خَلَطَ ، أو قال فأحسن ؛ ليكون أتم للكتاب^(٣) . إن شاء الله .

(١) فيما عدل : « ويجفو أبى بشر » . وأشير في هـ إلى رواية : « يقصى » .

(٢) فيما عدل : « الثالث » وهو خطأ .

(٣) فيما عدل : « ليكون الكتاب أكمل » .

ولا بدّ من ذكر المنابر وَلَمْ أَتَّخِذَتْ ، وكيف كانت الخطباء من العرب ٢٤
 في الجاهلية وفي صدر الإسلام ^(١) ، وهل كانت المنابرُ في أمةٍ قطُّ غير أمتنا ،
 وكيف كانت الحال في ذلك . وقد ذكرنا أنَّ الأمم التي فيها الأخلاق والآداب
 والحكم والعلم أربع ، وهي : العرب ، والهند ، وفارس ، والروم . وقال حُكَيْمُ بْنُ
 عَمِيَّاشٍ الكلبيُّ ^(٢) :

ألم يك مُلْكُ أرضِ الله طُرّاً لأربعةٍ له متميّزينا
 لحميرَ والنَّجاشي وابنِ كِسرى وقِصَرَ غيرِ قولِ المُمْتَرينا
 فما أدرى بأى سببٍ وضع الحبشةَ بهذا المكان . وأما ذكره لحمير فإنَّ كان
 إنّما ذهب إلى تَبَّعِ نَفْسِهِ في الملوك ، فهذا له وجه . وأما النَّجاشيُّ فليس هو عند
 الملوك في هذا المكان ، ولو كان النَّجاشيُّ في نفسه فوق تَبَّعِ وَكِسرى وقِصِر لما
 كان أهلُ مملكته من الحبش في هذا الموضع . وهو لم يَفْضَلِ النَّجاشيُّ لِمَكَانِ
 إسلامه ، يدلُّ على ذلك تَفْضِيلُهُ لِكِسرى وقِصِر . وكان وضع كلامه على ذكر
 الممالك ، ثم ترك الممالك وأخذ في ذكر الملوك . والدَّلِيلُ على أن العرب أنطقُ ،
 وأن لغتها أوسع ، وأن لفظها أدلُّ ، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر ، والأمثال
 التي ضُرِبَتْ فيها أجود وأسير . والدَّلِيلُ على أن البديهة مقصودٌ عليها ، وأن
 الارتجال والاقتضاب خاصٌّ فيها ، وما الفرق بين أشعارهم وبين الكلام الذي

(١) فيما عدل ، هـ : « صدور الإسلام » .

(٢) ضبط « حكيم » من هـ . وحكيم هو المعروف بالأعور الكلبي . وهو شاعر مجيد كان
 منقطعاً إلى بني أمية بدمشق ، ثم انتقل إلى الكوفة . وكان بينه وبين الكميث بن زيد مفاخرة . وهو القائل
 ٢٠ في تعصبه لليمن على مضر :

ما سرني أن أُمي من بني أسد وأن رقي نجاناً من النار
 وأنهم زوجوني من بناتهم وأن لي كل يوم ألف دينار

إرشاد الأريب (١٠ : ٢٤٧ - ٢٤٩) والأغاني (١٥ : ١٢٢ - ١٢٣) .

تسميه الرُّوم والفرس شعراً . وكيف صار التَّسْيِب في أشعارهم وفي كلامهم الذي أدخلوه في غنائهم وفي ألحانهم إنما يقال على السنة نسائهم ، وهذا لا يُصاب في العرب إلا القليل اليسير . وكيف صارت العرب تقطع الأَلْحَانَ الموزونة على الأشعار الموزونة ، فتضع موزوناً على موزون ، والعجمُ تمطط الألفاظ فتقبض وتبسُّط حتَّى تدخل في وزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون .

وسنذكر في الجزء الثاني من أبواب العبيّ واللّحن والغلط والعقلة ؛ أبواباً طريفة ^(١) ، ونذكرُ فيه التَّوَكِّي من الوجوه ومجانين العرب ، ومن ضُرب به المثل منهم ، ونوادر من كلامهم ، ومجانين الشعراء . ولستُ أعنى مثل مجنون بنى عامر ، ومجنون ^(٢) بنى جعدة ، وإنما أعنى مثل أُنَى حَيَّة في أهل البادية ، ومثل جُعيفران في أهل الأمصار ، ومثل أريسيموس ^(٣) اليونانيّ .

وسنذكر أيضاً بقية أسماء الخطباء والنسّاك الطُّرفاء والملحاء ، إن شاء الله . وسنذكر من كلام الحجاج وغيره ، ما أمكننا في بقية هذا الجزء إن شاء الله .

وقال أبو الحسن المدائني : قال الحجاج لأنس بن مالك ، حين دخل عليه في شأن ابنه عبد الله ، وكان خرج مع ابن الأشعث : « لا مرحباً بك ولا أهلاً . لعنةُ الله عليك من شيخ جَوَّال في الفتنة ، مرّةً مع أُنَى تراب ، ومرّةً مع

(١) فيما عدل ، هـ : « طريفة » بالمعجمة .

(٢) الحق أن هذا المجنون والذي قبله واحد . فإن المجنون العامري هو قيس بن الملوّح بن مزاحم ابن قيس بن عدس بن ربيعة بن جعدة . انظر المؤتلف ١٨٨ حيث ساق أيضاً من يسمى بالمجنون من الشعراء : المجنون الشريدي ، والقشيري ، والتميمي .

(٣) كذا في ل . وفي هـ : « أريسيموس » ، وسائر النسخ : « أريسيموس » .

ابن الأشعث . والله لأقلعنك قلع الصنعة ^(١) ، ولأعصبنك عصب
السلمة ^(٢) ، ولأجردتك تجريد الضب ^(٣) . قال أنس : من يعنى الأمير أعزه
الله ^(٤) ؟ قال : إياك أغني ، أصم الله صداك ^(٥) ! فكتب أنس بذلك إلى
عبد الملك بن مروان ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج :

« بسم الله الرحمن الرحيم . يا ابن المستفومة بعجم الزبيب ^(٦) ، والله
لقد هممت أن أركلك ركلة تهوى بها في نار جهنم ^(٧) . قاتلك الله ، أخيفش
العينين أصلك الرجلين ^(٨) ، أسود الجاعرتين . والسلام » .

وكان الحجاج أخيفش ، مُنسلق الأجفان ، ولذلك قال إمام بن أرقم
التمري ^(٩) ، وكان الحجاج جعله على بعض شرط أبان بن مروان ثم حبسه ،
فلما خرج قال :

طليق الله لم يعمئن عليه أبو داود وابن أوى كثير
ولا الحجاج عيني بنت ماء تقلب طرفها حذر الصقور
لأن طير الماء لا يكون أبداً إلا مُنسلق الأجفان .

قال : وخطب الحجاج يوماً فقال في خطبته : « والله ما بقى من الدنيا

(١) انظر ما سبق في ص ٣٧٦ .

(٢) السلم : شجر من العضاء . وإنما يعصب لتخبط أوراقه فتناثر للماشية . انظر اللسان
(عصب) حيث تفسير العبارة .

(٣) تفسيو في اللسان (جرد) : « أى لأسلخنك سلخ الضب ؛ لأنه إذا شوى جرد من جلده » .

(٤) فيما عدا ل : « أبقاء الله » .

(٥) الصدى : رجع الصوت . وهذا كناية عن الإهلاك ، إذا مات الرجل فإنه لا يسمع صوته ولا يجاب .

(٦) وكذا في اللسان (خرم) وفي ل : « بحب الزبيب » وعجم الزبيب : حبه . والمستفومة : التي

تجعل الدواء في هنا ليضيق .

(٧) ل : « إلى نار جهنم » .

(٨) الصكك : اضطراب الركبتين والعرقوبين .

(٩) فيما عدا ل : « إمام بن أرقم » .

إلا مثل ما مضى ، وهو أشبه به من الماء بالماء . والله ما أحبُّ أن ما مضى من الدنيا لي بعمامتي هذه .

المفضل بن محمد الضبي قال : كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم : أن ابعث إلى بالآدم الجعد^(١) ، الذي يفهمني ويفهم عني . فبعث إليه غدام بن شثير^(٢) فقال الحجاج : لله دره ! ما كتبت إليه في أمر قط إلا فهم عني وعرف ما أريده .

وقال أبو الحسن وغيره : أراد الحجاج الحج ، فخطب الناس فقال : « أيها الناس ، إنني أريد الحج ، وقد استخلفت عليكم ابني محمدًا هذا ، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله ﷺ في الأنصار . إن رسول الله ﷺ أوصى أن يُقبل من محسنهم ، ويُجاوز عن مسيئهم ، ألا وإني قد أوصيته ألا يقبل من مُحسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم . ألا وإني ستنقلون بعدى مقالة ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى^(٣) . ستنقلون بعدى : لا أحسن الله له الصحابة^(٤) ! ألا وإني مُعجل لكم الإجابة^(٥) ، لا أحسن الله عليكم الخلافة . ثم نزل . وكان يقول في خطبته : « أيها الناس ، إن الكف عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله » .

وقال عمرو بن عبيد رحمه الله : كتب عبد الملك بن مروان وصية زياد بيده وأمر الناس بحفظها وتدبر معانيها ، وهى : « إن الله عز وجل جعل لعباده عقولاً عاقبهم بها على معصيته ، وأثابهم بها على طاعته ، فالناس بين محسن بنعمة الله

(١) الآدم : الأسود . والجعد : الخفيف ، وقيل المجتمع الشديد .

(٢) فيما عدل ، هـ : « غدام بن شثير » .

(٣) ل : « مقالا ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى » .

(٤) في القاموس : « صحبه ، كسمعه ، صحابة ويكر » .

(٥) ل : « الجواب » .

عليه ، ومسيءٌ بخذلان الله إياه . والله النعمة على المحسن ، والحجة على المسيء
 فما أُولَى مَنْ تَمَّتْ عليه النعمة في نفسه ، ورأى العبرة في غيره ، بأن يضع
 الدنيا بحيث وضعها الله فيعطى ما عليه منها ، ولا يتكتر مما ليس له فيها ؛ فإنَّ
 الدنيا دارُ فناء ، ولا سبيل إلى بقائها ، ولا بدَّ من لقاء الله عزَّ وجلَّ . فأحذركم
 الله الذي حذركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل ما أخرته العجزة ، قبل أن تُصيروا
 إلى الدار التي صاروا إليها ، فلا تقدروا ^(١) فيها على توبة ، وليست لكم منها
 أوبة وأنا أستخلف الله عليكم ، وأستخلفه منكم .

وقد رُويَ هذا الكلام عن الحجاج ، وزياد أحقُّ به منه .

(١) في جميع النسخ : « فلا تقدرون » .

باب

ما ذكروا فيه من أن أثر السيف يحو أثر الكلام

قال جرير :

تُكَلِّفُنِي رَدَّ الْفَوَائِتِ بَعْدَ مَا سَبَقَنَ كَسْبِقُ السِّيفِ مَا قَالِ عَاذُلُهُ (١)

وقال الكميت بن معروف (٢) :

خَذُوا الْعَقْلَ إِنْ أَعْطَاكُمْ الْقَوْمُ عَقْلَكُمْ وَكُونُوا كَمَنْ سَيِّمَ الْهُوَانَ فَأَرْبَعَا (٣)
 وَلَا تَكْثُرُوا فِيهِ الضَّجَّاجَ فَإِنَّهُ مَحَا السِّيفُ مَا قَالِ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا (٤)
 والمثل السابق (٥) : « سَبَقَ السِّيفُ الْعَدْلَ (٦) » .

* * *

ومن أهل الأدب : زكرياء بن درهم ، مولى بنى سُلَيْم بن منصور ،
 صاحب سَعِيد بن عمرو الْحَرْثِيُّ (٧) . وزكرياء هو الذى يقول :

(١) فيما عدل : « رد العواقب » تحريف . والقصيدة من النقااض ٦٣٩ يجيب بها الفرزدق .
 ورواية الديوان ٤٨٣ والنقااض :

وما بك رد للأوابد بعد ما .

(٢) وكذا جاءت النسبة في حسانة البحترى ١١ وشرح الحسانة للتهذيبى (١ : ٢٠٦ بولاق) .
 وقيل هو الكميت بن ثعلبة . الخزانة (٤ : ٥٦٠) والمؤتلف ١٧٠ .

(٣) العقل : الدية . فيما عدل : « العقل قومكم » . سامه الهوان : أراحه عليه . وأربع : أقام في
 المربع عن الارتياح والنجعة . ويروى : « فارتعا » ، وفسره في الخزانة بأنه من قولهم أرتع إبله ، جعلها تأكل
 ما شاءت . انظر الحيوان (٣ : ٧٩) .

(٤) فيه ، أى فى الأمر . ويروى : « فيها » ، أى فى القضية . وابن دارة هو سالم بن مسافع بن
 يربوع ، كان يهجو بنى فزارة هجوا شنيعا ، فقتله زميل الفزارى .

(٥) فيما عدل : « والمثل السائر من قبل هذا » .

(٦) العدل ، بالتحريك : اسم من عدله يعذله ، إذا لاهه . والمثل للحارث بن ظالم ، كان قد
 ضرب رجلا فقتله ، فأخبر بعذره فقال : « سبق السيف العدل » .

(٧) سعيد بن عمرو الحرثي : أحد قواد العرب ، وهو الذى قتل شوذايا الخارجي وقتل معه سنة ١٠١ ،
 وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ثم بلغه أنه يكاتب الخليفة مباشرة ولا يعترف بإمارته ، فعزله وعذبه . والحرثي : نسبة
 إلى الحرث بن كعب بن ربيعة . انظر الجهمشيارى ١١ والطبرى (٨ : ١٤٢ ، ١٦٨ ، ١٧٥) والحيوان (٤ : ٢٣) .

- لا تُنْكِرُوا لسعيد فضل نعمته لا يشكر الله من لا يشكر الناسا
ومن أهل الأدب ممن وجهه هشام إلى الحرشي : السرداق بن عبد الله
السُدُوسِيّ الفارسُ (١) . ولما ظفر سلم بن قتيبة (٢) بالأزد ، كان من الجند في دور
الأزد انتهاب وإحراق ، وآثار قبيحة ، فقام شبيب بن شيبه إلى سلم بن قتيبة
فقال : أيها الأمير ، إن هُرم بن عدى بن أوى طحمة (٣) - وكان غير منطيق - قال
ليزید بن عبد الملك في شأن المهالبة : يا أمير المؤمنين ، إنا والله ما رأينا أحداً
ظلم ظلمك ، ولا نُصير نصرك ، ولا عفا عفوك (٤) . وإنا نقول أيضاً : أيها
الأمير ، إنا والله ما رأينا أحداً ظلم ظلمك ، ولا نُصير نصرك . فافعل الثالثة نُقلها .
- قال الهيثم بن عدى : قام عبد الله بن الحجاج التغلبي إلى عبد الملك
ابن مروان ، وقد كان أراد الاتصال به ، وكان عبد الملك حنقاً عليه ، فأقام
ببابه حولاً لا يصل إليه ، ثم ثار في وجهه في بعض ركباته فقال :
أذنو لترحمنى وترثق نخلتى وأراك تدفعنى فأين المدفع (٥)
فقال عبد الملك : إلى النار ! فقال :
ولقد أذقت بنى سعيد حرّها وابن الزبير فعرشه متضعع (٦)
فقال عبد الملك : قد كان ذلك ، وأنا أستغفر الله .

(١) فيما عدل ، هـ : « الفارسي » تحريف .

(٢) ل والتمورية : « مسلم بن قتيبة » تحريف . وترجمة سلم في ١٧٤ .

(٣) كان هرم من فرسان بنى تميم في الإسلام . الاشتقاق ١٤٨ . وكان مع المهلب في قتال الأزارقة ،
ومع عدى بن أرطاة في قتال يزيد بن المهلب . ولما كبر حول اسمه في أعوان الديوان ليرفع عنه الغزو . فقليل
له : إنك لا تحسن أن تكتب . فقال : إلا أكتب فإني أخو الصحف . المعارف ١٨٣ - ١٨٤ .

(٤) هذه الجملة في ل والتمورية فقط . وانظر (١٠٧ : ٢) .

(٥) « لترحمنى وترثق » كتبت في ح والتمورية بنقطتين من أعلى وآخرين من أسفل . وفي ب :

« ليرحمنى ويرثق » .

(٦) فيما عدل : « فرأسه متضعع » . وأشير في حواشي هـ إلى رواية : « فعرشه » .

وقال أبو عبيدة : كان بين الحجاج وبين العُدِيل بن الفَرَح العَجَلِيَّ (١)
بعضُ الأمر ، فتَوَعَّدَ الحجاجُ ، فقال العُدِيل :

أُخَوِّفُ بالحجاج حتى كأنما يحرك عظمًا في الفؤاد مهيضُ
ودون يد الحجاج من أن تنالني بساطًا لأيدي اليعملات عريضُ (٢)
مهامه أشباه كأن سربها ملاء بأيدي الغاسلات رحيض (٣)
المهيض : الذي قد كُسِرَ ثم جُبِرَ ثم كُسِرَ . اليعملات : العوامل ،
والياء زائدة لأنها من عملت (٤) .

ثم ظفر به الحجاج فقال : إيه (٥) يا عُدِيل ، هل نجاك بساطك
العريض ؟ فقال : أيها الأمير ، أنا الذي أقول فيكم (٦) :
لو كنتُ بالعنقاء أو ييسومها لكان لحجاج على دليل (٧)
خليل أمير المؤمنين وسيفه لكل إمام مصطفى و خليل

(١) العديل ، بهيئة التصغير . والفرخ ، بالفتح ، وضبط في الخزانة (٢ : ٣٦٨) بضم الفاء ،
وأراه تحريفًا . وضبط بالفتح في الاشتقاق ٢٠٨ ل . : « فرج » ، التيمورية « فرح » ب ، هـ : « فرخ »
والوجه ما أثبت من ح . والعديل شاعر إسلامي مقل في الدولة المروانية . الخزانة والأغانى (٢٠ : ١١ -
١٩) والشعر والشعراء وحامدة ابن الشجرى ١٩٩ .

١٥

(٢) البساط ، بالفتح ، ويكسر : الأرض البسيطة الواسعة .

(٣) ملاء بالضم : جمع ملاءة . رحيض : مغسول .

(٤) هذا التفسير في ل فقط .

(٥) فيما عدا ل : « له » .

٢٠

(٦) فيما عدا ل : « فيك » .

(٧) العنقاء : أكمة فوق جبل مشرف . كذا في القاموس ومعجم ياقوت . ويسوم : قال في اللسان :
« جبل صخره ملساء » ، وقال ياقوت : « في بلاد هذيل .. وقيل يسوم جبل قرب مكة » . في جميع النسخ :
« بأسومها » صوابه ما أثبت . ومثله قول محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى ، للحجاج حين خاف منه :
ولو كنت بالعنقاء أو ييسومها لخلتك إلا أن تصد ترائى

٢٥

انظر الكامل ٣٥٣ ليسك . ورواية صدر بيت العديل في المراجع المتقدمة :

• ولو كنت في سلمى أجا وشعابها •

بنى قُبَّةَ الإسلامِ حتَّى كأنَّما هَدَى النَّاسَ من بعد الضلال رسولُ
فقال له الحجاج : اربِّحْ نفسَكَ ، واحقِّنْ دمَكَ ، وإيَّاكَ وأختَهَا ؛ فقد
كان الذى بينى وبينَ قَتْلِكَ أقصرَ من إبهامِ الحُبَّارى .

قال : وقام الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، خطيباً بالمدينة ، وكان واليها ،
ينعى معاويةَ ويدعو إلى بيعة يزيد ، فلما رأى رَوْحُ بن زِنايعَ لإبطاءهم قال :
« أيها الناس ، إنا لا ندعوكم إلى لحم وجذام وكلب ، ولكننا ندعوكم إلى
قريشٍ ومَن جعل الله له هذا الأمرَ واختصَّ به ، وهو يزيد بن معاوية ، ونحن أبناءُ
الطَّعن والطَّاعون ، وفَضَالَاتِ الموت ^(١) ، وعندنا إن أجبتُم ^(٢) وأطعتم من
المعونة والعائدة ^(٣) ما شئتم » . فبايع الناس .

قال : وخطب إبراهيم بن إسماعيل ، من ولد المغيرة المخزومي فقال : « أنا
ابنُ الوحيد ، من شاء أجَزَرَ نفسه ^(٤) صقراً يلوذ حَمَامُهُ بالعرفج ^(٥) » .
ثم قال :

استوسقى أحمرَ الوجين ^(٦) سمعن حسَّ أسدِ حُرُونِ

فهنَّ يَضْرِطْنَ وينتَرِينَ

ثم قال : « والله إني لأُبغضُ القرشيَّ أن يكونَ فظاً ^(٧) . يا عجباً لقوم
يقال لهم من أبوك ، فيقولون : أمنا من قريش » .

(١) الفضالة ، بالضم : ما فضل من الشيء . فيما عدل ، هـ : فضلات .

(٢) فيما عدل ، هـ : « أحيم » .

(٣) العائدة : النفع . فيما عدل ، هـ : « والفائدة » .

(٤) أجزر نفسه الصفر : جعلها له جزورا . ل : « أجزرتى نفسه » ، وفيما عدل : « أحرز
نفسه » ، والوجه ما أثبت .

(٥) اقتباس ، هو عجز بيت سبق في ص ٤٨ . وصدرة :

• وبعتت من ولد الأغر معتب •

(٦) استوسقى : اجتمعى . والوجين : شط الوادى .

(٧) ل : « فضا » بالضاد المعجمة . ٢٥

فتكلم رجل من عرض الناس^(١) وهو يخطب ، فقال غيره : مه^(٢) فإن الإمام يخطب . فقال : إنما أمرنا بالإنصات عند قراءة القرآن ، لا عند ضراط أحمره الوجين . وقال آخر : سمعت عمر بن هبيرة وهو يقول على هذه الأعواد^(٣) في دعائه :

- اللهم إني أعوذ بك من عدو يسري ، ومن جليسي يغري ، ومن صديق يطري .
 قال أبو الحسن : كان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن مُحَرَّث ، خال مروان ، والياً على مكة والمدينة ، وكان شاهراً سيفه^(٤) لا يُعَمِّده ، وبلغه أن فتى من بني سهم يذكره بكل قبيج ، فلما أتى به وأمر بضرب عنقه قال الفتى : لا تعجل علي ، ودعني أتكلم . قال : أو بك كلام ؟ قال : نعم وأزید ، يا نافع وليت الحرمين تحكم في دماننا وأموالنا ، وعندك أربع عقائل من العرب ، وبنيت ياقوتة بين الصفا والمروة - يعني داره - وأنت نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن مُحَرَّث ، أحسن الناس وجهاً ، وأكملهم حسبا ، وليس لنا من ذلك إلا التراب^(٥) ، لم نحسدك على شيء منه ، ولم ننفسه عليك ، فنفست علينا أن نتكلم . قال : فتكلم حتى ينفك فكأك^(٦) .

- على بن مجاهد^(٧) ، عن الجعد بن أبي الجعد ، قال : قال صَعَصعة بن صُوحان : ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب عثمان ، دخلت عليه فقلت : أخرجتنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله ! فقال : نحن الذين أخرجتنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله ؛ فمنا من مات بأرض الحبشة ، ومنا من مات بالمدينة . قال : وقال الحجاج على منبره : « والله لألحونكم لحو العصا ، ولأغصبتكم

(١) هـ : « من البداية » . وفي حواشيها : « خ : الناس » .

(٢) فيما عدا ل : « صه » . وكلاهما بمعنى اسكت . يتونان عند الوصل .

(٣) أي أعواد المنبر . فيما عدا ل : « على هذه الأعواد وهو يقول » .

(٤) ل : « وكان سيفه شاهراً » .

(٥) فيما عدا ل : « فلم » .

(٦) ل : « حتى ينفك فكأك » .

(٧) ترجم في ٣٠١ .

عَصَبُ السَّلَمة ، ولأَضْرَبْتَكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِل . يا أهل العراق ، ويا أهل الشُّقَاقِ والتَّفَاقِ ، ومساوِى الأخلاق ، إِنْنى سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذى يُراد به الله فى التَّربُّع ، ولكِنَّه التَّكْبِير الذى يراد به التَّرهيب . وقد عَرَفْتُ أَنَّها عِجَاجَةٌ تحتها قَصْفُ فِتْنَةٍ . أَى بَنَى اللَّكِيعةَ وعبيدَ العصا ، وأبناءَ الإماء ، والله لئن قرَعْتُ عَصاً عَصاً ^(١) لَأَتْرَكْتُكُمْ كَأَمْسِ الدَّابِر .

مالكُ بن دينار قال : رَمَّا سمعتُ الحَجَّاجَ يخطب ، يذكرُ ما صنع به أهلُ العراق وما صنَعَ بهم ، فيقع فى نفسى أَنَّهُم يظلمونه وأَنَّهُ صادقٌ ؛ لبيانه وحسن تخلصه بالحجج .

قال : وقَسَّمُ الحَجَّاجَ مالا ، فأعطى منه مالكُ بن دينار ، وأراد أن يدفع منه إلى حبيبِ أبى محمد ^(٢) فأبى أن يقبل منه شيئاً ، ثم مر حبيبٌ بمالك ، فإذا هو يقسِّمُ ذلك المال ، فقال له مالك : أبا محمَّد ، لهذا قَبْلَناه ^(٣) ! قال له حبيب : دغنى ممَّا هناك ، أسألك بالله الحَجَّاجُ اليومَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أم قَبْلَ اليوم ؟ قال : بل اليوم . فقال حبيب : فلا خير فى شىءٍ حَبَّبَ إِلَيْكَ الحَجَّاجَ .

ومرَّ غيلان بن خَرْشَةَ الضَّبِّى ، مع عبد الله بن عامر ^(٤) ، على نهر أمَّ عبد الله ^(٥) ، الذى يشقُّ البصرة ، فقال عبد الله : ما أَصْلَحَ هذا التَّهَرَّ لأهل هذا المِصر ! فقال غيلان : أَجَلُ والله أَيُّها الأمير ، يعلمُ القومُ صبيانَهُم فيه السَّبَّاحة ، ويكونُ لِسُقْيَاهُمْ ^(٦) ومَسِيلِ مياهِهم ، وتأتِيهم فيه مِيرْتُهُم . قال : ثم مرَّ غيلان

(١) هذه الكلمة الأخيرة ساقطة مما عدل . وما بعد « الإماء » إلى نهاية الفقرة ساقط من هـ .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٣٦٤ .

(٣) ل : « قبلته » .

(٤) ترجمة غيلان فى ٣٤١ وعبد الله فى ٣١٨ . وكان غيلان أحد أصحاب أبى موسى الأشعرى . ثم انتقض عليه وكان سبباً فى أن يعزل عثمان أبى موسى الأشعرى ويولى مكانه عبد الله بن عامر . انظر الجهشيارى ١٤٧ .

(٥) نهر أم عبد الله ، منسوب إلى أم عبد الله بن عامر . كما فى معجم البلدان (٨ : ٣٣٦) .

وفى الأصل : « نهر عبد الله » تحريف . والخبر فى الحيوان (٥ : ١٩٨) بخلاف فى اللفظ .

(٦) فى الأصول : « لشفاهم » صوابه من العملة (١ : ١٦٥) .

يساير زياداً على ذلك التهر ، وقد كان عادى ابنَ عامر ، فقال زياد : ما أضُرُّ هذا النهر ، بأهل هذا المصر ! قال غيلان : أجل والله أيُّها الأمير ، تَنَزُّ منه دورهم ، وتفرّق فيه صبيّانهم ، ومن أجله يكثر بعوضهم .

فالذين كرهوا البيانَ إنّما كرهوا مثلَ هذا المذهب ؛ فأما نفسُ حسنِ البيانِ فليس يذمُّه إلاّ من عَجَزَ عنه . ومن ذمَّ البيانَ مدح العيِّ ، وكفى بهذا خيالاً (١) .

ولخالد بن صفوان كلامٌ في الجُبْنِ المأكول ، ذهبَ فيه شبيهاً بهذا المذهب . قال : ورجع طاوسٌ عن مجلسٍ محمّد بن يوسف ، وهو يومئذٍ والى اليمن ، فقال : ما ظننت أنّ قولَ سبحان اللهِ معصيةٌ لله حتى كان اليوم . سمِعْتُ رجلاً أبلغ ابنَ يوسفَ عن رجلٍ كلاماً فقال رجلٌ من أهل المجلس (٢) : سبحان الله ! ١٠ كالمستعظم لذلك الكلام . فغضب ابنُ يوسف .

قال أبو الحسن وغيره ، قالوا : دخل يزيدُ بن أُنَى مسلم (٣) على سليمانَ ابن عبد الملك ، وكان دميماً ، فلما رآه قال : على رجلٍ أجركَ رسنك ، وسلطك على المسلمين ، لعنةُ الله ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنَّك رأيتني والأمرُ عني مديّر ، ولو رأيتني والأمرُ عليّ مقبلاً لاستعظمتُ من أمرى ما استصغرت ! ١٥ قال : فقال سليمان : أفترى الحجاجَ بلغ قعر جهنم بعد ! قال (٤) : يا أمير المؤمنين ، يجيء الحجاج يومَ القيامة بين أبيك وأخيك ، قابضاً على يمين أبيك وشمال أخيك ، فضعه من النار حيث شئت .

(١) فيما عدا ل : « وكفى بذلك جهلاً وخيالاً » .

(٢) فيما عدا ل : « في المجلس » وانظر (٢ : ٢٩٤) .

(٣) يزيد بن أُنَى مسلم ، هو يزيد بن دينار الثقفي ، كان مولى الحجاج بن يوسف ، ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن عبد الملك . وقال الوليد في شأنه : « مثلي ومثل الحجاج وابن أُنَى مسلم ، كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً » . قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان .

(٤) فيما عدا ل : « فقال يزيد » .

وذكر يزيد بن المهلب ، يزيد بن أبي مسلم ، بالعفة عن الدينار والدرهم ،
 ٣١ وَهَمَّ بَأَن يَسْتَكْفِيَهُ مُهْمًا مِنْ أَمْرِهِ ، قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : أَفَلَا أَدُلُّكَ
 عَلَى مَنْ هُوَ أَزْهَدُ فِي الدَّرْهِمِ وَالدينار منه ، وَهُوَ شَرُّ خَلْقِ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَنْ
 هُوَ (١) ؟ قَالَ : إبليس .

٥ قَالَ : وَقَالَ أُسَيْلِمُ بْنُ الْأَحْنَفِ ، لِلوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَبْلَ أَنْ
 يُسْتَخْلَفَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، إِذَا ظَنَنْتَ ظَنًّا فَلَا تَحْقُقْهُ ، وَإِذَا سَأَلْتَ الرَّجَالَ
 فَسَلْهُمْ عَمَّا تَعْلَمُ ، فَإِذَا رَأَوْا سُرْعَةً فَهَمَّكَ لِمَا تَعْلَمُ ظَنُّوا ذَلِكَ بِكَ فِيمَا لَا تَعْلَمُ ،
 وَدُسَّ مَنْ يَسْأَلُ لَكَ عَمَّا لَا تَعْلَمُ .

وكان أسيلم بن الأحنف الأسدي ، ذا بيانٍ وأدبٍ وعقلٍ وجاه ، وهو
 ١٠ الذي يقول فيه الشاعر :

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْمُحِبُّونَ هَلْ لَكُمْ بَسِيْدُ أَهْلِ الشَّامِ تُحِبُّوْنَ وَتَرْجِعُونَ (٢)
 أُسَيْلِمُ ذَاكُمْ لَا خَفَا بِمَكَانِهِ لَعَيْنٌ تُرْجِي أَوْ لِأُذُنٍ تَسْمَعُ (٣)
 مِنَ التَّفَرِّيبِ الْبِضْيِ الَّذِينَ إِذَا انْتَمَوْا وَهَابَ الرِّجَالُ حَلَقَةَ الْبَابِ قَعَقَعُوا (٤)
 جَلَا الْأَذْفَرَ الْأَحْوَى مِنَ الْمَسْكِ فَرْقَهُ وَطِيبُ الدَّهَانِ رَأْسَهُ فَهُوَ أَنْزَعُ
 إِذَا التَّفَرُّ السُّودُ الْيَمَانُونَ حَاوَلُوا لَهُ حَوْكُ بُرْدِيهِ أَرْقُوا وَأَوْسَعُوا ١٥
 وَهَذَا الشَّعْرُ مِنْ أَشْعَارِ الْحَفْظِ وَالْمَذَاكِرَةِ .

(١) فيما عدل : « قال بلى » .

(٢) هذا البيت ساقط من ل . والمحذون : الذين تحب بهم دوابهم : تسرع . وفي النسخ جميعها :
 ٢٠ « المحبون » تحريف . والأبيات في الحيوان (٤٨٦ : ٣) والعقد (٤٢٣ : ٣) والكامل ١٠٣ والبخلاء ورسائل
 الجاحظ ٧٩ سامي . وانظر (٣ : ٣٠٥) .

(٣) خفا : مقصور خفاء . فيما عدل ل : « تدجى » وضبطت هذه الكلمة في هـ ، ب بفتح التاء
 والبدال وتشديد الجيم المفتوحة .

(٤) جعلهم نفرا لقتلهم ، والكرام قليل . حلقة الباب ، أى باب الملك . وفي حواشي هـ .
 ٢٥ « خ : انتجوا » .

الهيثم بن عدي قال : قَدِمْتُ وفودُ العراق على سليمان بن عبد الملك ، بعد ما استخلف ، فأمرهم بشتم الحجاج ، فقاموا يشتمونه ، فقال بعضهم ، إنَّ عدوَّ الله الحجاج ، كان عبدًا زبَابًا ^(١) ، قَتُورًا ابن قَنُور ^(٢) ، لا نسب له في العرب . فقال سليمان : أيُّ شتم هذا ؟ إنَّ عدوَّ الله الحجاج كتب إلى : « إِنَّمَا أَنْتَ نَقْطَةٌ من مداد ، فَإِنْ رَأَيْتَ فِيَّ مَا رَأَى أَبُوكَ وَأَخُوكَ كُنْتُ لَكَ كَمَا كُنْتُ لَهَا ، وَإِلَّا فَأَنَا الْحَجَّاجُ وَأَنْتَ النُّقْطَةُ ، فَإِنْ شِئْتَ مَحَوْتُكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَثْبَتُكَ » . فَالْعَنُوهُ لَعَنَهُ اللَّهُ ! فَأَقْبَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَ ، فقام ابن أبي بُرْدَةَ بن أبي موسى ^(٣) فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَخْبِرْكَ ^(٤) عَنْ عَدُوِّ اللَّهِ بَعْلِمٍ . قَالَ : هَاتِ . قَالَ : كَانَ عَدُوُّ اللَّهِ يَتَزَيَّنُ تَزْيِينَ الْمَوِيسَّةِ ، وَيَصْعَدُ عَلَى الْمَنْبَرِ فَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الْأَخْيَارِ ، وَإِذَا نَزَلَ عَمِلَ عَمَلَ الْفَرَاعْنَةِ ^(٥) وَأَكْذَبُ فِي حَدِيثِهِ مِنَ الدَّجَالِ . ١٠

فقال سليمان لرجاء بن حيوة ^(٦) : هَذَا وَأَبْيَكَ الشُّتْمُ لَا مَا تَأْتِي بِهِ هَذِهِ السُّفْلَةُ .

وعن عوانة قال : قَطَعَ نَاسٌ مِنْ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ وَحَنْظَلَةَ ، عَلَى الْحَجَّاجِ ابْنِ يَوْسُفَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ : ٢٣

مِنَ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكُمْ قَدْ اسْتَصْحَبْتُمُ الْفِتْنَةَ ^(٧) وَقَالَ بَعْضُهُمْ

(١) الزبَاب ، بالفتح : الجاهل ؛ مأخوذ من الزباب ، وهو ضرب من الفأر أصم . ل : « زبانا » ولا وجه له .

(٢) القنور : العيد . وأنشد أبو المكارم :

أُصْحَتْ حَلَالِلُ قَنُورٍ مَجْدَعَةٌ لمصرع العبد قنور بن قنور

(٣) هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري . واسم أبي بردة عامر ، واسم أبي موسى عبد الله بن

قيس . وكان أبو بردة وبلال ابنة قاضين . مات بلال في عذاب يوسف بن عمر . المعارف ١١٥ ، ١٧٤ . ٢٠

(٤) فيما عدل : « إنا نخبرك » .

(٥) هـ : « الجبابرة » . وفي حواشيها : « خ : الجبابرة » .

(٦) هو رجاء بن حيوة بن جرول الكندي الفلسطيني ، كان ثقة فاضلا كثير العلم ، من عباد

أهل الشام وفقهائهم وزهادهم . توفي سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ١٨٦) .

(٧) فيما عدل : « استخلصتم الفتنة » . ٢٥

قد استنتجتم الفتنة ^(١) - فلا عن حق تقاتلون ، ولا عن منكر تنهون ، وأيم الله
إني لأهتم أن يكون أوّل ما يردّ عليكم من قبلي خيلٌ تنسف الطارف والتالد ،
وتُخلّي ^(٢) النساء أيا منى ، والأبناء يتامى ، والدّيار خراباً ، والسّواد يياضاً .
فأئماً رُفقة مرّت بأهل ماء فأهل ذلك الماء ضامنون لها حتّى تصير إلى الماء
الذى يليه . تقدمة منى إليكم ، والسعيد من وعظ بغيره . والسلام .

مسلمة بن محارب قال : كان الحجاج يقول : « أخطب الناس
صاحب العمامة السّوداء بين أخصاص البصرة ^(٣) » ، إذا شاء خطب ، وإذا
شاء سكت . يعنى الحسن . فيقول : لم ينصب نفسه للخطاب ^(٤) .

قال : ولما اجتمعت الخطباء عند معاوية فى شأن يزيد ، وفيهم الأحنف ،
قام رجلٌ من حمير ، فقال : إنا لا نطبق أفواه الكمال - يريد الجمال -
عليهم المقال ، وعلينا الفِعال . وقول هذا الحميرى : إنا لا نطبق أفواه
الكمال ^(٥) ، يدلُّ على تشادق خطباء نزار .

سفيان بن عُيينة ^(٦) قال : قال ابن عباس : « إذا ترك العالم قول
لا أدري أصيبت مقاتله » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « من قال لا أدري فقد أحرز نصف العلم » .
لأنّ الذى له على نفسه هذه القوة قد دلّنا على جودة الثبوت ، وكثرة الطّلب ،
وقوة المنة .

(١) هذه العبارة من ل فقط .

(٢) فيما عدا ل : « وتدع » .

(٣) الأخصاص : جمع خص ، بالضم ، هو البيت من القصب .

(٤) فيما عدا ل : « يقول إنه لم ينصب نفسه للخطب » .

(٥) بدلها فيما عدا ل : « وهذا من الحميرى » فقط .

(٦) ترجم فى ١٠٤ ، ١٧٥ . والخبر فى (٢ : ٩٠) .

قال : وقيل لعيسى ^(١) بن مريم عليه السلام : من تُجالس ؟ قال : من يزيد في علمكم منطقة ، ويُذكركم الله رؤيته ، ويرغبكم في الآخرة عمله .
قال : ومّر المسيح ^ﷺ بقرى يكون ، فقال : ما بال هؤلاء ^(٢) يكون ؟ قيل له ^(٣) : يخافون ذنوبهم . قال : اتركوها يُغفر لكم .

الوصافي ^(٤) قال : دخل الهيثم بن الأسود بن العريان ^(٥) ، وكان خطيباً شاعراً ، على عبد الملك بن مروان فقال له : كيف تجدك ؟ فقال : أجدني قد ابيضّ مني ما كنتُ أحبّ أن يسودّ ، واسودّ مني ما كنتُ أحبّ أن يبيضّ ، واشتدّ مني ما كنتُ أحبّ أن يلين ، ولأنّ مني ما كنتُ أحبّ أن يشتدّ . ثمّ أنشد :
اسمع أنبيك بآيات الكبير نوم العشاء وسُعَالُ بالسحر
وقلّة النوم إذا الليل اعتكّر ^(٦) وقلة الطعم ^(٧) إذا الزاد حضر
وسرعة الطرف وتحميج النظر ^(٨) وتركتي الحسنة في قبل الطهر ^(٩)
وحذراً أزدأه إلى حذر والناس يملّون كما يملّ الشجر

(١) فيما عدل : « للمسيح » .

(٢) فيما عدل : « ما هؤلاء » .

(٣) فيما عدل : « قالوا » . وفي هـ : « تغفر لكم » .

(٤) هو أبو إسماعيل عبيد الله بن الوليد الوصافي الكوفي ، من ولد الوصاف بن عامر العجلي . روى عن محارب وطاوس وجماعة ، وعنه الثوري ووكيع وآخرون ، منهم برواية الضعيف والموضوع . الأنساب ٥٨٤ والتهذيب .

(٥) في الإصابة ٩٠٦١ أنه الهيثم بن الأسود ، وأنه يكنى أبا العريان . وقد ساق القصة بوجه آخر ، قال : « عاد عمرو بن حريث أبا العريان فقال : كيف تجدك » ... الخ . وفي اللسان (عكر) أنه

أبو العريان . وانظر ما سيأتى في (٣ : ٦٩) .

(٦) اعتكّر الليل : اشتد سواده .

(٧) الطعم ، بالضم : الطعام .

(٨) من مبدأ هذا البيت إلى كلمة « عبد » في (٢ : ١٠) ساقط من التيمورية . والطرف : تحريك

الجفون في النظر ؛ والطرف أيضاً : العين ، لا يجمع ولا يثنى ؛ لأنه في الأصل مصدر . والتحميج : تصغير

العين للتمكن من النظر . وفي الحيوان (٥ : ٥٠) : « وضعف في النظر » . وانظر عين الأخبار (٢ : ٣٢١) .

(٩) قبل ، بضم القاف وإسكان الباء ، أى في أول الطهر بعد انقطاع الدم . وفي الحديث :

« طلقوا النساء من قبل طهرهن » ، أى في إقباله وأوله .

وقال الآخر : « مروا الأحداث بالبراء ، والكهول بالفكر » . فقال عبد الله ابن الحسن^(١) : البراء رائد الغضب ، فأخزى الله عقلاً يأتيك بالغضب^(٢) . وقالوا : أربعة تشتد معاشرتهم : الرجل المتواني ، والرجل العالم ، والفرس المرح ، والملك الشديد المملكة .

وقال غاز أبو مجاهد ، يعارضه : أربعة تشتد مؤونتهم : النديم المعريد ، والجليس الأحق ، والمغنى التائه ، والسفيلة إذا تقرأ^(٣) . وكان أبو شمر الغساني يقول^(٤) : أقبل على فلان باللحظ واللفظ ، وما الكلام إلا زجر أو وعيد .

قال : وقال عمير بن الحباب^(٥) ، وروى ذلك عنه مسعر^(٦) : ما أغرت على

١٠ (١) هو عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، كان من العباد ، وكان له شرف وعارضة وهيبة ولسان شديد ، وكان ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز . توفي سنة ١٤٥ . تهذيب التهذيب . فيما عدل : « ابن الحسين » تحريف .

(٢) فيما عدل : « يأتيك به الغضب » وليس بشيء .

(٣) السفلة : الأزدال ، يقال للجميع وللواحد أيضا ، يقال هو سفلة . تقرأ : تنسك . انظر ما مضى في حواشي ص ٣٢١ . وهذا ما في ل ، وفي هـ : « تقرعوا » ، وسائر النسخ « نفروا » وهذه محرفة . (٤) فيما عدل : « وقال أبو شمر الغساني » .

(٥) هو عمير بن الحباب بن جعدة بن إلياس بن حزابة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم ، شاعر إسلامي قتلته بنو تغلب بالحشاك ، وهو إلى جانب الزنار بالقرب من تكريت . انظر معجم المرزبانى ٢٤٥ والأغاني (١١ : ٥٥ - ٦٠) وللحشاك ياقوتاً في معجم البلدان ، والميداني في الأمثال (٢ : ٣٦٧) وإياه يعنى الأخطل بقوله :

٢٠ ألا سائل الجحاف هل هو نائر يقتل أصيب من سليم وعامر الأغاني (١١ : ٥٨) .

(٦) هو مسعر ، بكسر أوله وفتح العين ، بن كدام ، ككتاب ، بن ظهير الهلالي . أبو سلمة الكوفي ، ثقة ثبت فاضل ، توفي سنة اثنتين ، أو ثلاث ، أو خمس وخمسين بعد المائة . تهذيب التهذيب والمعارف ٢١١ والفهرست ٢٨٧ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضنى فجعله الله محدثاً » لعله يريد ما يعانون من مشقة التثبت . وفيه يقول ابن المبارك :

من كان ملتصقا جليسا صالحا فليأت حلقة مسعر بن كدام

حَيٍّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَحْزَمَ امْرَأَةً وَلَا أَعْجَزَ رَجُلًا مِنْ كَلْبٍ ، وَلَا أَحْزَمَ رَجُلًا
وَلَا أَعْجَزَ امْرَأَةً مِنْ تَغْلَبَ .

قال : وقامت امرأة من تغلب إلى الجحاف بن حكيم ^(١) حين أوقع
بالبشر ، فقتل الرجال ، وبقر بطون النساء ، فقالت له ^(٢) : « فضَّ الله فاك ،
وأصمَّك وأعماك ، وأطال سهادك ، وأقلَّ رقادك ؛ فوالله إن قتلت إلا نساءً
أسافلهنَّ دُمِّي » ^(٣) ، وأعالينَّ ثُدَيَّ » . فقال الجحاف لمن حوله : « لولا أن
تلد مثلها لخلَّيتُ سبيلها » ^(٤) . فبلغ ذلك الحسن فقال : « إنما الجحاف
جنوةٌ من نار جهنم » .

وكان عامر بن الظرب العدواني حكيما ، وكان خطيباً رئيسا . وهو الذي قال :
« يا معشر عدوان ، إن الخير ألوفٌ عزوفٌ ، ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه » ^(٥) ،
وإني لم أكن حليما حتى اتبعت الحكماء ، ولم أكن سيِّدكم حتى تعبدت لكم » .
وقال ^(٦) أعشى بنى شيبان :

وما أنا في أمري ولا في خليقتي بمهتضمٍ حقى ولا قارعٍ ستنى ^(٧)

(١) الجحاف بن حكيم السلمى ، قاد قومه وأغار على بنى تغلب بموضع يسمى البشر ، بين
الفرات والشام فقتل منهم مقتلة عظيمة . انظر معجم البلدان والعمدة (٢ : ١٦٧) وأمثال الميداني
١٥ (٢ : ٣٣٥ ، ٣٧٦) .

(٢) الخير ساقه الجاحظ في الحيوان (١ : ٢٤) على هذا النحو . أما أبو الفرج في الأغاني
(١٩ : ١٢٩ - ١٣٠) والميداني (١ : ٣٦٠) فيجعلان الحديث للحمراء بنت ضمرة وعمر بن
هند ، في خبر طويل .

(٣) دُمى ، بضم الدال وكسر الميم وتشديد الباء : جمع دم . قال سيويه : « الدم أصله دُمى
على فعل بالتسكين ؛ لأنه يجمع على دماء ودُمى ، مثل ظبى وظباء وظبى » . اللسان (١٨ : ٢٩٤) .
(٤) ترجم في ٢٦٤ . وستأتى هذه الخطبة في (٢ : ١٩٩) .

(٥) بعدها في المعمرين ٤٧ : « لن يرجع إليه حتى يأتيه » . وقد ساق السجستاني هذه الفقرات
في خطبة طويلة لعامر أوصى بها قومه . وانظر عيون الأخبار (١ : ٢٦٦) .

(٦) ل : « فقال » . والأبيات منسوبة إلى أعشى بنى ربيعة ، في عيون الأخبار (١ : ٢٧٧) .

(٧) مهتضم : متقص . وقرع السن كتابة عن الندم .

- ولا مُسلمٍ مولايَ من شرِّ ما جَنَى ولا خائفٍ مولايَ من شرِّ ما أَجْنَى
وإنَّ فؤاداً بينَ جنبَيِّ عالمٍ بما أَبصرتَ عيني وما سمعتَ أذني ٣٤
وفضّلني في العقل والشّعْر أنّني أقولُ بما أهوى وأعرِف ما أعنى
وقال رجل من ولد العباس : ليس ينبغي للقرشي أن يستغرق شيئاً (١)
من العلم إلّا علّم الأخبار ، فأما غير ذلك فالتفت والشّدو من القول (٢) .
وقال آخر (٣) :
- وصافية تُعشى العيونَ رقيقةً رهينة عام في الدّنان وعام
أدّرنا بها الكأسَ الرويّة بيننا (٤) من اللّيل حتّى انجأب كلُّ ظلام
فما دَرّ قرنُ الشّمس حتّى كأننا من العيِّ نحكي أحمدَ بنَ هشام (٥)
ومرَّ رجل من قريش بفتى من ولد عتاب بن أسيد (٦) وهو يقرأ كتاب ١٠

- (١) فيما عدل : « أن يستغرق في شيء » . وما أثبت من ل يطابق ما في إرشاد الأريب (١) :
(٩٦) . وقد نسب القول فيه إلى معاوية .
(٢) الشلو : كل شيء قليل من كثير .
(٣) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، كما في حماسة ابن الشجري ٢٥٩ .
(٤) رواية ابن الشجري : « موهنا » . ١٥
(٥) أحمد بن هشام هذا ، من أعيان الدولة العباسية وشعرائها . يروى أبو الفرج في الأغاني
(٥ : ٦٣) أنه وجه إلى إسحاق بزعفران ، وكتب إليه :
اشرب على الزعفران الرطب متكاماً وانعم نعمت بطول اللهو والطرب
فحرمة الكأس بين الناس واجبة كحرمة الدود والأرحام والأدب
فكتب إليه إسحاق : ٢٠
اذكر أبا جعفر حقاً أمت به إني وإياك مشغوفان بالأدب
وإننا قد رضعنا الكأس درتها والكأس حرمتها أولى من النسب
وفيه يقول محمد بن وهيب . الأغاني (١٧ - ١٤٢) :
إن الأمير على البية كلها بعد الخليفة أحمد بن هشام
(٦) هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، ذكره في الاشتقاق ٤٩ ، قال : « وأسيد فعيل ٢٥
من قولهم أسد يأسد أسداً . إذا صار كالأسد » . أسلم عتاب يوم فتح مكة ، ولما خرج الرسول إلى
حنين استعمله على مكة وعمره نيف وعشرون سنة ، فلم يزل عليها حتى أقره أبو بكر عليها . وتوفى هو
وأبو بكر في وقت واحد . الإصابة ٥٣٨٣ والمعارف ٢٣ ، ١٣٢ .

سيبويه ، فقال : أف لكم ، علم المؤذنين وهمّة المحتاجين !

وقال ابن عثاب ^(١) : يكون الرجل نحوياً عروضياً ، وقساماً قرضياً ، وحسن الكتاب جيد الحساب ، حافظاً للقرآن ، راوية للشعر ، وهو يرضى أن يعلم أولادنا بستين درهماً . ولو أن رجلاً كان حسن البيان حسن التخريج للمعاني ليس عنده غير ذلك لم يرض بألف درهم ؛ لأن النحوى الذى ليس عنده إمتاع ^(٢) ، كالنجار الذى يدعى ليعلق باباً ^(٣) وهو أخذق الناس ، ثم يفرغ من تعليقه ذلك الباب فيقال له : انصرف . وصاحب الإمتاع يُراد في الحالات كلها .

خبرنا عبيد الله بن زيد السقياني ^(٤) قال : عود نفسك الصبر على المجلس السوء ^(٥) ، فإنه لا يكاد يخطئك .

وقال سهيل بن عبد العزيز ^(٦) : من ثقل عليك بنفسه ، وغمك في سؤاله ، فأعره أذنأ صماء ، وعيناً عمياء .

سهيل بن أبى صالح ^(٧) عن أبيه ^(٨) قال : كان أبو هريرة إذا استثقل رجلاً قال : اللهم اغفر له وأرخنا منه !

(١) الخبر رواه ياقوت في مقدمة إرشاد الأريب (١ : ٩٥ - ٩٦) .

(٢) هذا ما فى ل . وفى هـ « الذى لا إمتاع عنده » . وسائر النسخ : « لا متاع عنده » الأخيرة معرفة .

(٣) تعليق الباب : نصبه وتركيبه . اللسان (١٢ : ١٣٧) والحیوان (٣ : ٢٨٦) .

(٤) فيما عدل : « وقال عبد الله بن يزيد السقياني » .

(٥) منع هذا الوصف الأخفش ، وأجازه غيره . اللسان (سوا) .

(٦) فيما عدل ، هـ : « سهل بن عبد العزيز » .

(٧) هو أبو زيد سهيل بن أبى صالح - واسمه ذكوان السمان الزيات - المدنى كان ثقة كثير

الحديث . توفى في ولاية أبى جعفر . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٢٩) .

(٨) أبوه أبو صالح ذكوان السمان الزيات المدنى ، من ثقات المحدثين ، وكان من أوثق الناس في

أبى هريرة ، وكان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٨٣) .

وقال ابن أبي أمية (١) :

شهدت الرقاشي في مجلسي وكان إلى بغيضاً مقبلاً

فقال: اقترح يا أبا جعفر فقلت اقترحت عليك السكوتا (٢)

وقال ابن عباس: العلم أكثر من أن يحصى، فخذوا من كل شيء بأحسنه (٣) . ٣٥

المدائني عن العباس بن عامر ، قال : خطب محمد بن الوليد بن عتبة (٤)

إلى عمر بن عبد العزيز أخته فقال :

« الحمد لله رب العزة والكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء (٥) .

أما بعد فقد أحسن بك ظناً من أودعك حرمة ، واختارك ولم يختار عليك ، وقد
زوّجناك على ما في كتاب الله ، إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان » . ١٠

قال : وخطب أعرابيٌّ وأعجله القول (٦) وكره أن تكون خطبته بلا تحميد

ولا تمجيد ، فقال : « الحمد لله ، غير ملال (٧) لذكر الله ، ولا إثارة غيره عليه » .

ثم ابتدأ القول في حاجته .

وسأل أعرابيٌّ ناساً فقال : « جعل الله حظكم في الخير ، ولا جعل حظَّ

السائل منكم عذرة صادقة (٨) » . ١٥

(١) هو محمد بن أمية بن أبي أمية ، كان كاتباً شاعراً ظريفاً معاصراً لأبي العتاهية ، وكان ينادم إبراهيم ابن المهدي . انظر أخباره في الأغاني (١١ : ٣٠ - ٣٥) .

(٢) فيما عدل : اقترح كل ما تشتهي . وفي حواشي ه عن نسخة : « بعض ما تشتهي » . وفي البيت ما يسميه البلاغيون « المشكلة » ، كما في قول أبي الرقعمق :

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً ٢٠

(٣) فيما عدل : « أحسنه » .

(٤) فيما عدل : « بن عتبة » .

(٥) يقال خاتم الأنبياء ، بفتح التاء وكسرهما أي آخرهم . وبهما قرئ .

(٦) ل : « فأعجله أمر » .

(٧) ل : « أما بعد غير ملال » . ٢٥

(٨) العذرة ، بكسر العين ، مثل الركبة والجلسة : الاعتذار . وانظر (٣ : ٢٦٨) .

وكتب إبراهيم بن سَيَّابَة ^(١) إلى صديق له كثير المال ، كثير الدَّخْل ، كثير النَّاضِ ^(٢) يستسلف منه نفقة ، فكتب إليه ^(٣) : « العيال كثير ، والدَّخْل قليل ، والدِّين ثَقِيل ، والمال مَكْذُوب عليه » . فكتب إليه إبراهيم : « إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنت مُليماً فجعلك الله معذوراً ^(٤) » .

وقال الشاعر :

لعل مُفِيدَات الزَّيْمَان يُفِدْنِي
بنى صامتٍ في غير شيءٍ يضرُّها ^(٥)
قال : وقال أعرابيٌّ : « اللهم لا تُنزلني بماءٍ سَوٍ فأكون امرأً سَوٍ ^(٦) » .
وقال أعرابيٌّ : « اللهم قني عثرات الكرام » .

قال : وسمع مُجاشع الرُّبَيْعِي رجلاً يقول : الشَّحِيحُ أعذر من الظَّالِم .
فقال : أخزى الله شيئين خيرهما الشَّح .

قال : وأنشدنا ^(٧) أبو فروة :

إني امتدحتك كاذباً فأنبتني ،
لما امتدحتك ، ما يثابُّ الكاذبُ
وأنشدني عليُّ بن معاذ :

ثالبني عمرو وثالبته

فأنتم المثلوب والثالب ^(٨)
قلتُ له خيراً وقال الحنا
كل على صاحبه كاذب

(١) سيابة ، كسحابة ، وأصل معنى السياب البلح أو البسر . وإبراهيم بن سيابة شاعر من شعراء الدولة العباسية من موالى الهاشميين ، وكان يمدح إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ويتغنيان بما بشعره ، ويرفعان من شأنه ويذكرانه للخلفاء والوزراء . الأغاني (١١ : ٥ - ٨) . والخير في الأغاني والعقد (٦ : ١٩٢) . ونسب في تاريخ بغداد (٧ : ٥٧) إلى بشر المريسي .

(٢) الناض والنض : الدراهم والدنانير . فيما عدل : « النض » .

(٣) فيما عدل : « إما مستسلفاً وإما سائلاً ، فكتب إليه الرجل » .

(٤) مليم ، بضم الميم ، من قولهم : ألام الرجل : أتى بما يلام عليه . فيما عدل : « محجوجاً » . وفي حواشي هـ : « فجعلك الله معنوراً ، أي جعل عذرتك صادقة » .

(٥) في حواشي هـ : « يعني بنى صامت المال . في غير شيء يضرها ، أي أستفيدها في غير مشقة ولا تعب » .

(٦) الحيوان (٢ : ٤٧٢) . وسيأتي في (٣ : ٢٦٩) .

(٧) ل : « وأنشد » .

(٨) المثالبية : مفاعله من الثلب ، وهو شدة اللوم والأخذ باللسان .

أبو معشر^(١)، قال : لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان ٣٦
عمرو بن سعيد قام خطيباً فقال : « إِنَّ أبا ذُبَّانَ قَتَلَ لَطِيمَ الشَّيْطَانِ ^(٢) .
كَذَلِكَ تُؤَلَّى بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » .

ولما جلس عثمان بن عفان على المنبر قال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ
عليكم إفريقية ، وقد بعث إليكم ابنُ أُمَيِّ سَرِج ^(٣) ، عبد الله الزُّبَيْر بالفتح ^(٤) .
قم يا ابن الزُّبَيْر » . قال : فقامت فخطبتُ ، فلما نزلتُ قام فقال : « يَا أَيُّهَا
النَّاسُ ، انكِحُوا النِّسَاءَ عَلَى آبَائِهِنَّ وَإِخْوَتِهِنَّ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَرِ لَأُمَيِّ بَكْرَ الصَّدِيقِ
ولداً أَشْبَهَ بِهِ مِنْ هَذَا ^(٥) » . وقال الحُرَيْمِيُّ ^(٦) :
وأعدده ذخراً لكلِّ مصيبةٍ وسهَّمُ المنايا بالذخائر مَوْع ^(٧)
وذكر أبو العَيزَار ^(٨) جماعة من الخوارج بالأدب والخطب فقال :

- (١) هو أبو معشر نجيع بن عبد الرحمن السندى المدنى ، مولى بنى هاشم ، سبى فى وقعة يزيد بن
المهلب بالجماعة والبحرين . وكان من المحدثين الأُميين ، أقدمه المهدي من المدينة إلى بغداد سنة ١٦٠ فلم يزل بها
حتى مات سنة ١٧٠ فى خلافة هارون . وكان من أعلم الناس بالمغازى . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٧٣٠٤ .
(٢) أبو ذُبان : كنية عبد الملك بن مروان . انظر الحيوان (٣ : ٣٨١ ، ٣٨٢) والبيان (٢ : ٩٥) .
١٥ ولطيم الشيطان : لقب عمرو بن سعيد الأشدق . انظر حواشى ص ٣١٤ .
(٣) هو أبو يحيى عبد الله بن سعد بن سرح القرشى العامرى ، كان أخا عثمان من الرضاة ،
اشترك فى فتح مصر ، ولما عزل عثمان عمرو بن العاص سنة ٢٥ ولاها عبد الله بن سعد ، فغزا إفريقية سنة
٢٢ ، وكان فتحاً من أعظم الفتوح ، ولما وقعت فتنة عثمان سنة ٣٥ لجأ إلى عسقلان ولم يبايع لأحد ،
ومات بها سنة ٣٦ . وقيل : بل شهد صفين وعاش إلى ٥٧ . الإصابة ٤٧٠٢ .
٢٠ (٤) فى الإصابة ٤٦٧٣ : « وشهد ابن الزبير اليرموك مع أبيه الزبير . وشهد فتح إفريقية ، وكان
البشير بالفتح » .
(٥) ذاك أن أم عبد الله بن الزبير هى أسماء بنت أبى بكر . والخبر فى (٢ : ٩٥) .
(٦) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان ، المترجم فى ١١ : ١١٥ .
(٧) انظر الحيوان (٣ : ٦ / ١٤٨ : ٤٢٣) والكامل ٧٠٣ ليسك .
(٨) وكذا جاءت النسبة فى الحيوان (٦ : ٤٢٣ - ٤٢٤) . لكن الشعر قد نسب فى الكامل
٢٥ ٧٠١ ليسك إلى عبيدة بن هلال ، المترجم فى ٥٥ .

ومسومٌ للموت يركب رذعه بين القواضب والقنا الخطار (١)
يدنو وترفعه الرماح كأنه شيلو تنشب في مخالب ضاري
فتكوى صريعاً والرماح تنوشه إن الشرة قصيرة الأعمار (٢)
أدباء إما جثهم خطباء ضمناء كل كنية جرار (٣)

* * *

ولما خطب سفيان بن الأبرد الأصم الكلبى (٤) ، فبلغ في الترهيب
والترغيب المبالغ ، ورأى عبيدة بن هلال يشكرى (٥) أن ذلك قد فت في
أعضاء أصحابه ، أنشأ يقول :

لعمري لقد قام الأصم بخطبة لها في صدور المسلمين غليل
لعمري لمن أعطيت سفيان بيعتي وفارقت ديني إننى لجهول ١٠

ولما قام أحد الخطباء الذين تكلموا عند رأس الإسكندر قال أحدهم (٦) :
« الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس » .
فأخذه أبو العتاهية فقال (٧) :

بكيك يا على بدر عيني فما أغنى البكاء عليك شيئاً (٨) ٢٣

(١) ركب رذعه : خر صريعاً لوجهه على دمه وعلى رأسه . والردع : الدم . ١٥

(٢) نوى : هلك . تنوشه : تأخذه وتتناوله .

(٣) الضمناء : الكفلاء ، جمع ضمير . وذكر الوصف « جرار » كأنه ذهب بالكتابة إلى معنى

الجيش والعسكر .

(٤) سبقت ترجمته في ٦١ .

(٥) ضبط « عبيدة » في الاشتقاق ٢٠٧ بضم العين ، وفي الكامل ٧٠١ بالفتح ، كلاهما

ضبط قلم . فيما عدل : « عبد الله بن هلال » ، تحريف . ٢٠

(٦) انظر ما سبق من تخرج هذا الخبر في حواشي ص ٨١ والحيوان (٣ : ٩١ / ٦ : ٥٠٥)

والأغاني (٣ : ١٤٢) .

(٧) فيما عدل : « فأخذ أبو العتاهية هذا المعنى بعينه فقال » .

(٨) على هذا ، هو على بن ثابت ، وكان صديقاً لأبي العتاهية . انظر الأغاني (٣ : ١٤٢) .

فيما عدل : « فلم يغنى البكاء » . وكذا وردت هذه العبارة في (٣ : ٢٥٨) . ٢٥

طوئَكَ خطوبُ دهرِكَ بعد نشرٍ كذاك خطوبُهُ نَشْرًا وطَيًا
كفى حُزْنًا بدفنَكَ ثم أنى نفضْتُ ترابَ قبرِكَ عن يدَيَا
وكانت في حياتَكَ لى عظامٌ وأنت اليومَ أوعظُ منك حيًا

* * *

ومن الأسجاع الحسنة قول الأعرابية حين خاصمت ابنها ^(١) إلى عامل الماء فقالت : « أما كان بطنى لك وعاءٌ ؟ أما كان جِجْرِى لك فناء ؟ أما كان ثدىى لك سِقَاء ؟ » . فقال ابنها : « لقد أصبحت خطيبةً ، رضى الله عنك » . لأنها قد أتت على حاجتها بالكلام المُتَحَيَّر كما يبلغ الخطيبُ بخطبته .

وقال النمر بن تولب :

« نأى ألا فاسمع نِعْظَكَ بخطبةٍ فقلتُ: سمعنا فانطقى وأصيبى ^(٢) » .

فلن تنطقى حقاً ولست بأهله فقُبِّحتُ ممَّا قائلٌ وخطيبٌ ^(٣)

قال أبو عباد كاتب ابن أبى خالد ^(٤) : ما جلس أحدٌ قط بين يدى إلا تمثَّل لى أنى سأجلس بين يديه ^(٥) .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ . ليس يريد بلاغةَ اللسان ، وإن كان اللسان لا يبلغ من القلوب حيث يريد إلا بالبلاغة .

قال : وكانت حُطْبَةُ قريش في الجاهلية - يعنى حُطْبَةُ النساء - : « باسمِكَ اللهم ، ذُكِرَتْ فلانةٌ وفلانٌ بها مشغوف . باسمِكَ اللهم ، لك ما سألت ولنا ما أعطيت » .

(١) فيما عدل : « الأعرابية لابنها حين خاصمت » .

(٢) فيما عدل ، هـ : « فاسمع للفظى وخطبى » . وفى هـ : « قلت سمعنا » .

(٣) ما عدا هـ : « فإن » ، وهى رواية نبه عليها في حواشى هـ .

(٤) هو أحمد بن أبى خالد ، كما سبق في ٣٤٧ س ٥ . والخبر رواه الجاحظ في الحيوان (٥ : ١٤٠) .

(٥) زاد في الحيوان : « وما سرنى دهر قط إلا شغلنى عنه تذكر ما يليق بالدهور من الغير » .

يليق : يعلق . والغير : الأحوال المتغيرة .

ولما مات عبد الملك بن مروان صعد الوليد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « لم أر مثلاً مصيبةً ، ولم أر مثلاً ثواباً : موت أمير المؤمنين ، والخلافة بعده . إنا لله وإنا إليه راجعون . والحمد لله رب العالمين على النعمة . انهضوا فبايعوا على بركة الله » . فقام إليه عبد الله بن همام ^(١) فقال :
 الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها
 عنك ويأبى الله إلا سؤفها إليك حتى قلدوك طوقها
 فبايع الناس .

وقيل لعمر بن العاصي ^(٢) في مرضه الذي مات فيه : كيف تجدك ؟
 قال : « أجدني أذوب ولا أثوب ^(٣) ، وأجد نجوى أكثر من رزئي ^(٤) ، فما بقاء
 الشيخ على ذلك » .

١٠

(١) عبد الله بن همام المزي السلولي . والسلولي نسبة إلى سلول أمهم ، وأبوهم مرة بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن . المعارف ٣٩ . وعبد الله من شعراء الدولة الأموية . وكان معاوية قد أمر لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنائير ، فأبى والها النعمان بن بشير أن ينفذ ما أمر به معاوية ، فقال عبد الله يطلب النعمان بها :

١٥

زيادتنا نِعْمان لا تحمئنا تق الله فينا والكتاب الذي تلو
 الأغاني (١٤ : ١١٥ - ١٦٦) . ولما تزوج مصعب بن الزبير شكينة على ألف ألف ، كتب عبد الله ابن همام إلى عبد الله بن الزبير :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يريد خداعاً
 بضع الفتاة بألف ألف كامل وتبيت سادات الجنود جياعاً
 لو لأني حفص أقول مقاتلي وأبث ما أبشئكم لازعاً

٢٠

فكان هذا الشعر سبياً في عزل مصعب عن البصرة . الأغاني (١٤ : ١٦٣) . وانظر الخزانة (٣ : ٦٣٩) ومعاهد التنصيص (١ : ٩٦) والشعراء لابن قتيبة .

(٢) في تاج العروس (١٠ : ٢٤٥) : « قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : هو العاصي بالياء لا يجوز حذفها ، وقد لهجت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة يعني أنه من الأسماء المنقوصة ، فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » . وانظر شرح الرضي للشافية (٢ : ٣٠٣) .
 (٣) أثوب : أرجع ، أى لا أرجع إلى صحتي ولا تحسن حالي .

٢٥

(٤) رزئي ، أى ما أرزؤه من الطعام وأصيبه . والخير في اللسان (١ : ٧٩) .

وقيل لأعرابي كانت به أمراضٌ عدّه ، كيف تجِدُك ؟ قال : « أمّا الذى يَعمِدُنِي فحُصْرُ وأُسْرُ »^(١) .

وعن مقاتل^(٢) قال : سمعت يزيد بن المهلب^(٣) ، يخطب بواسط ، فقال : « يا أهل العراق ، يا أهل السُّبْقِ والسَّيَاقِ ، ومكارم الأخلاق ، إنّ أهل الشام فى أفواههم لُقْمَةٌ دَسَمَةٌ ، زَبَيْتَ لها الأَشْدَاقَ^(٤) ، وقاموا لها على ساق ، وهم غير تاركها لكم بالمِراءِ والجِدالِ ؛ فالتَّبَسُوا لهم جُلُودَ الثُّمُورِ »^(٥) .

[تم الجزء الأول من تجزئة المؤلف]

-
- (١) عمده : أضناه وأوجعه. والحصر ، بضم وبضمّتين : احتباس البطن . والأسر ، بالضم : احتباس البول . والخبر فى الحيوان (٥ : ٢٩١) واللسان (٤ : ٢٩٦) .
- (٢) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى الحِمْصَانِي صاحب التفسير ، أخذ التفسير عن الكلبي ، وكان متهماً فى الرواية . توفى سنة ١٥٠ . تهذيب التهذيب .
- (٣) هو يزيد بن المهلب بن أبى صفرة . خرج فى أيام يزيد بن عبد الملك ، فإنه لما مات عمر بن عبد العزيز فى رجب سنة ١٠١ تمكن يزيد هذا أن يخرج من سجنه ، وسار إلى البصرة ، واجتمع إليه خلق عظيم ، وخلع يزيد بن عبد الملك ، والتقت جيوش الزيديين بالقر ، من أرض بابل ، فهزم يزيد بن المهلب وقتل سنة ١٠٢ . التنبيه والإشراف ٢٧٧ - ٢٧٨ .
- (٤) زبيت الأَشْدَاق : اجتمع الرقيق فى جوانبها وتعلّب . ما عدا هـ : « زبيت » ، تحريف .
- (٥) يقال : لبس لفلان جلد الثور ، إذا تنكر له وأظهر الحقد والغضب .

فهرس الأبواب (٥)

صفحة	
٣	الباب الأول
٢٣	ذكر ما جاء فى تلقىب واصل بالغزال ومن نفى ذلك عنه
٣٤	ذكر الحروف التى تدخلها اللثغة وما يحضرنى منها
٧٥	باب البيان
٨٨	البلاغة
٩٨	باب ذكر ناس من البلغاء والخطباء والأبىناء والفقهاء والأمرء ممن لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ والزلل
١٦٦	ذكر ما قالوا فى مدح اللسان بالشعر الموزون واللفظ المنشور وما جاء فى الأثر وصح به الخبر
١٧٢	وباب آخر فى ذكر اللسان
١٧٦	وباب آخر
١٩٤	باب فى الصمت
٢١٠	باب من القول فى المعانى الظاهرة باللفظ الموجز من ملتقطات كلام الناس
٢١٢	باب آخر . وقالوا فى حسن البيان ، وفى التخلص من الخصم بالحق والباطل ، وفى تخليص الحق من الباطل ، وفى الإقرار بالحق ، وفى ترك الفخر بالباطل
٢١٨	باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل فى باب الخطب
٢٢٢	وباب منه آخر . ووصفوا كلامهم فى أشعارهم فجعلوها كبرود العصب ، وكالحلل والمعاطف ، والديباج والوشى وأشبه ذلك

(٥) هذه هى العنوانات التى وردت فى صلب الكتاب كما وضعها الجاحظ . أما تفصيل الأبواب فموضعه فى ملحقات الكتاب ، مع الفهارس العامة .

صفحة

وباب آخر . ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ، ويفضلون إصابة المقادير ، ويذمون الخروج من التعديل .	٢٢٧
باب آخر من الشعر مما قالوا في الخطب واللسان والامتداح به والمديح عليه	٢٣١
باب . وكانوا يعيبون النوك والعي والحمق وأخلاق النساء والصبيان	٢٤٤
باب في ذكر المعلمين	٢٤٨
وباب منه آخر	٢٥٠
وباب آخر في ذم التشادق والإغراق	٢٥٤
باب من الخطب القصار من خطب السلف ، ومواعظ من مواعظ النساك ، وتأديب من تأديب العلماء	٢٥٧
باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المحذوف القليل الفضول	٢٧٦
باب آخر من الأسجاع في الكلام	٢٨٤
باب أسجاع	٢٩٧
خطبة من خطب رسول الله ﷺ	٣٠٢
ذكر كلمات خطب بهن سليمان بن عبد الملك	٣٠٤
باب ذكر أسماء الخطباء والبلغاء والأئبياء وذكر قبائلهم وأنسابهم	٣٠٦
باب من أسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان	٣٥٨
باب ذكر النساك والزهاد من أهل البيان	٣٦٣
وأسماء الصوفية من النساك ممن كان يجيد الكلام	٣٦٦
ذكر القصاص	٣٦٧
باب ما قيل في المخاصر والعصى وغيرها	٣٧٠
باب ما ذكروا فيه من أن أثر السيف يمحو أثر الكلام	٣٨٩